مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

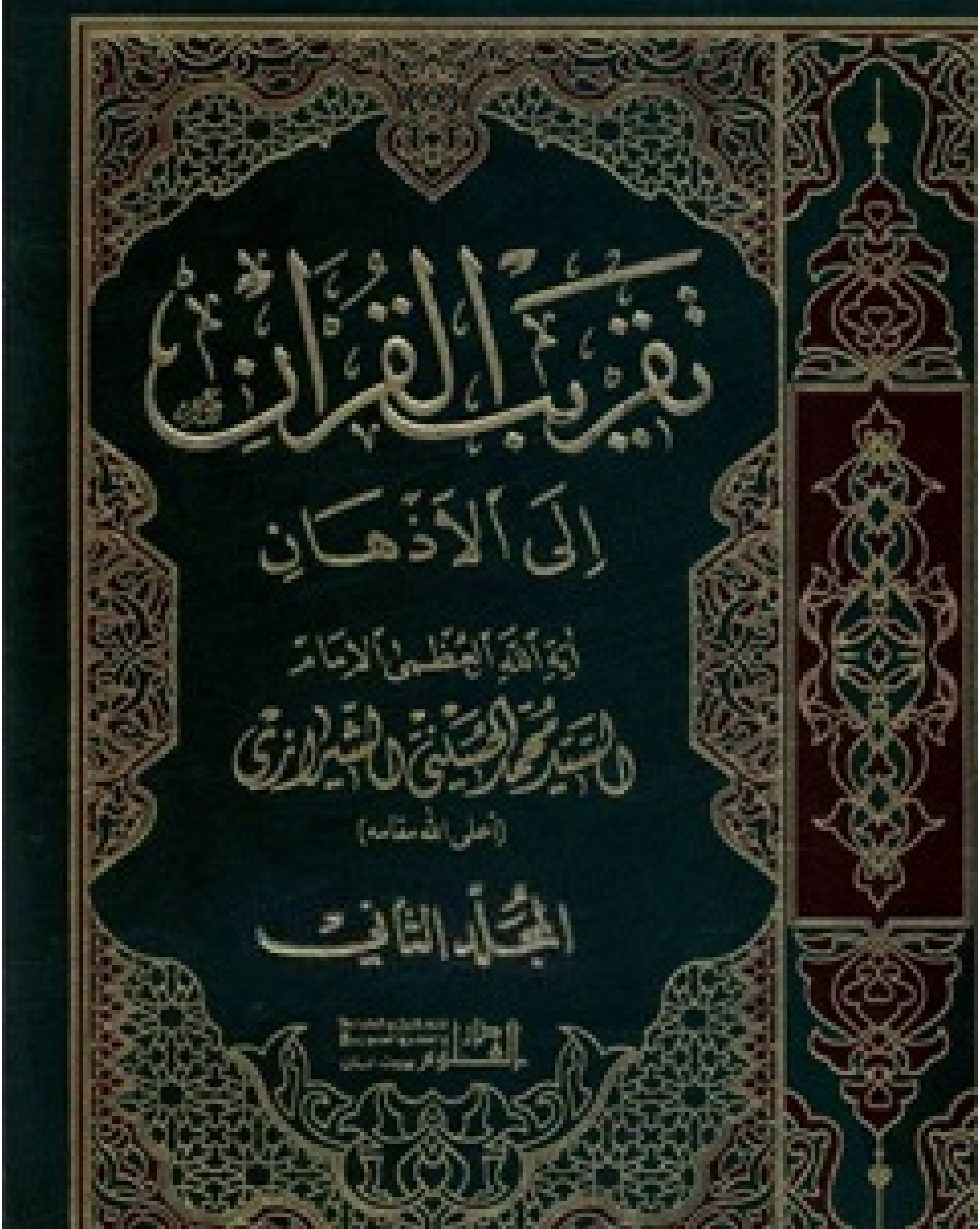
تقريب القرآن
إلى الأذهان
لآية الله العظمى الإمام
السيد محمد الحسيني الشيرازي
(أعلى الله مقامه)
المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحیم

تقريب القرآن الى الاذهان

كاتب:

محمد الحسينى الشيرازى

نشرت فى الطباعة:

ايمان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵

تقريب القرآن الى الاذهان المجلد ۲ ----- ۶

اشارة ----- ۶

[تتمة سورة المائدة] ----- ۶

۶ سورة الأنعام مكيّة- مدنية/ آياتها (۱۶۶) ----- ۲۲

۷ سورة الأعراف مكية/ آياتها (۲۰۷) ----- ۷۰

۸ سورة الأنفال مكية، مدنية/ آياتها (۷۶) ----- ۱۳۰

۹ سورة التوبة مدينة/ آياتها (۱۲۹) ----- ۱۵۹

۱۰ سورة يونس مكية/ آياتها (۱۱۰) ----- ۲۱۵

۱۱ سورة هود مكية/ آياتها (۱۲۴) ----- ۲۵۰

۱۲ سورة يوسف مكية/ آياتها (۱۱۲) ----- ۲۸۹

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ----- ۳۰۶

تقریب القرآن الی الاذهان المجلد ۲

اشارة

سرشناسه : شیرازی، محمد

عنوان و نام پدیدآور :تقریب القرآن الی الاذهان/ محمد شیرازی

مشخصات نشر : قم: ایمان، [۱۳؟؟].

مشخصات ظاهری : ۱۶۸ ص.

عنوان دیگر : تقریب القرآن الی الاذهان

موضوع : تفاسیر شیعه

موضوع : تفاسیر -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره : BP۹۸/ح۴۶ت۷۰۴۲۱۵ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : م۶۵-۲۱۷۶

[تتمة سورة المائدة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ

الحمد لله رب العالمین و الصلاة و السلام علی أشرف الأنبیاء و المرسلین محمد المصطفی و عترته الطاهرین

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۷

[سورة المائدة (۵): آیة ۸۳]

وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَی الرَّسُولِ تَری أَعْیُنَهُمْ تَفِیضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ یَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاکْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِینَ (۸۳)

[۸۴] هذه الآیة و طرفاها

وردت فی قصة النجاشی ملک الحبشة، فإن الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أرسل جعفر بن أبی طالب علیه السّلام مع جماعة من المؤمنین إلی النجاشی فأکرمهم و أعزّ وفادتهم، ثم أنه بعث إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ثلاثة من القسیسین فقال لهم: انظروا إلی کلامه و مصلاه. فلما وافوا المدینة دعاهم رسول اللّه إلی الإسلام و قرأ علیهم القرآن: إِذْ قالَ اللَّهُ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ اذْکُرْ نِعْمَتِی عَلَیْکَ وَ عَلی والِدَتِکَ إلی قوله- سِحْرٌ مُبِینٌ «۱»، فلما سمعوا ذلک من رسول اللّه بکوا و آمنوا و رجعوا إلی النجاشی و أخبروه خبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قرءوا علیه ما قرأ علیهم، فبکی النجاشی و بکی القسیسون و أسلم النجاشی و لم یظهر للحبشة إسلامه و خافهم علی نفسه و خرج من بلاد الحبشة یرید النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فلما عبر البحر توفی، فنزلت هذه الآیات

: وَ إِذا سَمِعُوا أی هؤلاء النصاری ما أُنْزِلَ إِلَی الرَّسُولِ من القرآن تَری أَعْیُنَهُمْ تَفِیضُ مِنَ الدَّمْعِ أی من البکاء مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِ أی لمعرفتهم أن المتلوّ علیهم حق، فإن الإنسان إذا عرف الحق، رأی الخارج علی خلافه، أو رأی اضطهاد أهله، بکی رقة علی الحق أو القائم به یَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا بدینک و رسولک فَاکْتُبْنا أی سجلنا، سواء کان کتابة حقیقیة أو لا مَعَ الشَّاهِدِینَ الذین شهدوا

---

(۱) المائدة: ۱۱۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۸

[سورة المائدة (۵): الآيات ۸۴ الى ۸۷]

وَ ما لَنا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ ما جاءَنا مِنَ الْحَقِّ وَ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (۸۴) فَأَثابَهُمُ اللَّهُ بِما قالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ ذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ (۸۵) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (۸۶) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (۸۷)

بالحق، و المراد بهم المسلمون هنا.

[۸۵] وَ ما لَنا أى يقول هؤلاء النصارى: لأى عذر لا- نُؤْمِنُ بِاللَّهِ إيمانا حقيقيا كإيمان المسلمين وَ ما جاءَنا مِنَ الْحَقِ من القرآن و الإسلام وَ الحال أنّا نَطْمَعُ أى نرجو و نأمل أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا فى الجنة مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ

[۸۶] و قد حقق الله لهم الرجاء الذى رجوه فَأَثابَهُمُ اللَّهُ أى جازاهم و أعطاهم الثواب بِما قالُوا أى بسبب قولهم ذاك المنبثق عن عقيدتهم الراسخة جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أى بساتين تجرى من تحت أشجارها و قصورها الأنهار خالِدِينَ فِيها أى لهم الخلود فلا انقضاء للنعيم و لا زوال لهم وَ ذلِكَ الثواب جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ الذين يحسنون العقيدة و القول و العمل.

[۸۷] وَ الَّذِينَ كَفَرُوا كاليهود و سائر المسيحيين و المشركين وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فلم يقبلوها أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ الذين يلازمون النار، كما خلد أصحاب الجنة فيها.

[۸۸] و فى سياق ذكر الرهبان و هم يحرمون الطيبات على أنفسهم، يأتى النهى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۹

للمسلمين عن تحريم ما أحلّ الله، كما ينهى عن الإسراف و الاعتداء، فإن كلا الطرفين منهى عنه مذموم يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ أى لا- تجعلوها بمنزلة المحرمات فتجتنبوا عنها اجتنابكم عن المحرمات و لفظة «ما» موصولة، أى طيبات الأشياء التى أحلها الله لكم، و لعلّ الإتيان بها لإفادة العموم، إذ لو قال: «طيبات أحل الله لكم» كان المتبادر منه طيبات خاصة، و ليست إضافة طيبات إلى «ما» تفيد التقييد، بل هو من باب «قطيفة خز».

و قد نزلت هذه الآية فى الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام و بلال و عثمان ابن مظعون،

فأما على عليه السّلام فإنه حلف أن لا- ينام بالليل أبدا إلا ما شاء الله، و أما بلال فإنه حلف أن لا يفطر بالنهار أبدا، و أما عثمان بن مظعون فإنه حلف أن لا ينكح أبدا- كل ذلك بقصد الامتناع عن شهوات الدنيا رجاء ثواب الله- فدخلت امرأة عثمان على عائشة و كانت امرأة جميلة فقالت عائشة: ما لى أراك متعطلة؟ فقالت: و لمن أتزيّن، فو الله ما قربنى زوجى منذ كذا و كذا فإنه قد ترهّب و لبس المسوح و زهد فى الدنيا. فلما دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخبرته عائشة، فخرج فنادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام يحرمون على أنفسهم الطيبات؟! إنى أنام بالليل و أنكح و أفطر بالنهار فمن رغب عن سنتى فليس منى، فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول اللّه فقد حلفنا على ذلك، فأنزل الله: لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ «۱» «۲»

، و لا يخفى أن مثل ذلك لا يضر مقام عصمة الإمام لأنه:

أولا: قيّد ب «إلا ما شاء الله».

---

(۱) البقرة: ۲۲۶.

(۲) وسائل الشيعة: ج ۲۳ ص ۲۴۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۰

[سورة المائدة (٥): الآيات ٨٨ الى ٨٩]

وَ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِی أَيْمانِكُمْ وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الْأَيْمانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ وَ احْفَظُوا أَيْمانَكُمْ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)

و ثانيا: أنه من قبيل يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ «١»، و لعل السر فی المقامين أن الأمر كان جائزا قبل النهی، و لفظة «لم» ليس للتقريع، بل للإرشاد و إعطاء الحكم.

وَ لا تَعْتَدُوا حتى تسرفوا فی تناول الطيبات، أو تتعدوها إلى الخبائث إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ قد تقدم أن معنى «لا يحب» فی هذه المقامات: أنه يكرههم و يبغضهم.

[٨٩] وَ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّباً أی فی حال كون الرزق حلالا- أی مباحا- طيبا، أی لا ضرر فيه و لا خبث وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی أَنْتُمْ بِهِ أی بالله مُؤْمِنُونَ فلا تخالفوا أوامره و لا ترتكبوا زواجره.

[٩٠] لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِی أَيْمانِكُمْ اليمين التی أجازها الله سبحانه هی التی تكون منعقدة و تترتب على حنثها الكفارة، أما اليمين اللفظية- التی تتداول على ألسنة الناس حيث يحلفون على كل صغيرة و كبيرة- و اليمين التی لم يعط الله الرخصة فی متعلّقها كيمين تحريم الطيبات على النفس زهدا، فهی لغو من اليمين لا تترتب عليها كفارة، و لا يكون نقضها حنثا وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الْأَيْمانَ عن قصد و تعمّد مع

---

(١) التحريم: ٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ١١

صلاحية المتعلّق للانعقاد، فقول الإنسان: «لا و الله» و «بلى و الله» لغو لم يقصد به عقد اليمين، كما يعقد العقد، بل هو من قبيل التأكيد كما أن عقده بدون صلاحية المتعلق لا يفيد شيئا. و قد سبق ذلك فی سورة البقرة، لكن التكرار هنا فذلكة للحكم المتقدم و تمهيد للكفارة.

فَكَفَّارَتُهُ أی كفارة ما عقّدتم من الأيمان، و سميت الكفارة كفارة لأنها تكفّر الذنب و تستره، و إنما تجب الكفارة إذا حنث الإنسان مقتضى يمينه إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ جمع مسكين، و المراد به الفقير، يعطى كل واحد مدا من الطعام، و هو ما يقرب من ثلاثة أرباع الأوقية- بحقة كربلاء- أو ثلاثة أرباع الكيلو، أو يطعمهم إطعاما مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ فلا يجب فی إطعامهم الحد الأعلى و هو الأرز مثلا، و لا يجوز الأدنى كإطعامهم بالدخنة مثلا أَوْ كِسْوَتُهُمْ أی يكسى كل واحد من العشرة بثوبين «المئزر و القميص» بأی جنس كان أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ أی عتق عبد أو أمة لوجه الله سبحانه، و إنما عبر عن الإنسان بالرقبة، لعلاقة الكل بالجزء فَمَنْ لَمْ يَجِدْ أحد الأمور الثلاثة للكفارة فكفارته صيام ثَلاثَةِ أَيَّامٍ متتابعات- كما ذكر الفقهاء- و ذلِكَ المتقدم من الأمور الثلاثة ثم الصيام كَفَّارَةُ أَيْمانِكُمْ جمع يمين و هو الحلف إِذا حَلَفْتُمْ ثم حنثتم وَ احْفَظُوا أَيْمانَكُمْ فلا تحنثوها بل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ١٢

[سورة المائدة (٥): الآيات ٩٠ الى ٩١]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ فِی الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)

أوفوا بها كَذلِكَ البيان، أی مثل هذا البيان الذی بيّن به الكفارة، و حكم اللغو فی اليمين يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ واضحة لا لبس فيها و لا غموض لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ الله سبحانه حيث أرشدكم إلى مصالحكم.

[۹۱] و بعد ذكر تحليل الطيبات يأتى بيان تحريم الخبائث يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ و هى كل ما أسكر سواء كان من العنب أو غيره وَ الْمَيْسِرُ هو القمار بجميع أنواعه وَ الْأَنْصابُ و هى الأصنام كانوا يذبحون لها الذبائح و يلطخونها بدمائها وَ الْأَزْلامُ قداح كانوا يستقسمون بها الذبيحة و ذلك نوع من أنواع القمار خصّص بالذكر لاشتهاره فى زمن الجاهلية، و قد مر تفسير هذه الكلمات سابقا رِجْسٌ أى خبيث مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فإن الشيطان هو الذى أمر بتعاطيها، مقابل عمل الرحمن، بمعنى: هو الذى أمر به و عمله، فإن الشيطان هو الذى عمل هذه الأشياء إما حقيقة كما يظهر من بعض الأحاديث، و إما مجازا باعتبار وسوسته و إلقائه فى قلوب الفاسقين فَاجْتَنِبُوهُ أى اجتنبوا تعاطى هذه الأشياء فلا تشربوا الخمر و لا تضربوا الميسر و لا تعبدوا الأصنام و تستقسموا بالأزلام لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أى كى تفوزوا بخير الدنيا و سعادة الآخرة.

[۹۲] إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ بوسوسته و أمره بشرب الخمر و لعب الميسر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۳

أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ أيها المسلمون الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ و الفرق بينهما أن أصل التعدى من فعل الجوارح، و أصل البغضاء من فعل الجوانح فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ أى بالنسبة إليهما، فإن «فى» تستعمل بمعنى «النسبة» كما قالوا فى قولهم: «الواجبات الشرعية فى الواجبات العقلية» أن «فى» بمعنى النسبة، أى بالنسبة إلى الواجبات العقلية.

فى المجمع: أن سعد بن أبى وقاص و رجلا من الأنصار كان مؤاخيا لسعد دعاه إلى طعام فأكلوا و شربوا نبيذا مسكرا فوقع بين الأنصارى و سعد مراء و مفاخرة فأخذ الأنصارى لحى جمل فضرب به سعدا ففزر أنفه. فأنزل الله ذلك فيهما «۱».

أقول: إن إيقاع العداوة بواسطة الخمر ظاهر، إذ السكر الموجب لذهاب العقل يوجب كل شىء، و إيقاعه بسبب القمار، من جهة الاختلاف بينهما فيمن له الغلب أولا و بغض المغلوب للغالب ثانيا.

وَ يَصُدَّكُمْ كل واحد من الخمر و الميسر عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ إذ الإسكار يوجب عدم الالتفات إلى الله سبحانه، و القمار بإشغاله الحواس، منسى له اللّه تعالى وَ عَنِ الصَّلاةِ لما هو واضح مما تقدم فَهَلْ أَنْتُمْ أيها المسلمون مُنْتَهُونَ عنهما، فتتركونهما لهذه المضار، و صيغة الاستفهام بمعنى النهى كما هو واضح.

---

(۱) مجمع البيان: ج ۳ ص ۴۱۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۴

[سورة المائدة (۵): الآيات ۹۲ الى ۹۳]

وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ احْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (۹۲) لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۹۳)

[۹۳] وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فى الأوامر و النواهى، و من المعلوم أن طاعتهما واحدة، و إنما يذكر الله لأنه الأصل فى الإطاعة، و يذكر الرسول لأنه المبلغ الذى بيّن الأمر و النهى وَ احْذَرُوا من مخالفتهما فإن ذلك موجب لخزى الدنيا و الآخرة فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ أى أعرضتم عن إطاعتهما فَاعْلَمُوا أَنَّما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ فانتظروا العقوبة حيث قد بلّغكم الرسول فلم ينفعكم البلاغ و تجاوزتم الحد.

[۹۴] و لما نزل تحريم الخمر و الميسر قال بعض الصحابة: يا رسول الله ما تقول فى إخواننا الذين مضوا و هم يشربون الخمر و يأكلون الميسر- يريدون هل من إثم على الذين قتلوا أو ماتوا قبل التحريم، و هم يتعاطونهما؟- فنزلت هذه الآية لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ أى إثم و حرج و عصيان فِيما طَعِمُوا سابقا قبل التحريم من الخمر و تعاطوا من الميسر و غلّب أحد اللفظين تخفيفا كما قال الشاعر: «علفتها تبنا و ماء باردا» إِذا مَا اتَّقَوْا «ما» زائدة، وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أى إذا كان طعامهم مصاحبا للتقوى و

الإيمان و العمل الصّالح، ثمّ إنّ الإنسان قد يكون مؤمنا و عاملا للصالحات لكنّه ليس متّقيا، أى ليس فى نفسه حالة رادعة و ملكة الخوف من الله سبحانه، و لذا ذكر سبحانه التقوى فى عداد الإيمان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ١٥

و العمل الصالح. ثمّ كرر سبحانه الجملة السابقة أى «اتّقوا و آمنوا و عملوا الصّالحات» بتعبير ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا بلا ذكر العمل الصالح و ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا بلا ذكر الإيمان، و لا يخفى أن الإحسان هو عبارة عن العمل الصالح. و لعل الوجه فى التكرار إفادة الدوام فى الصفات الثلاثة، أى أن عدم الجناح مشروط «بالإيمان و التقوى و العمل الصالح» سابقا، «و بالإيمان و التقوى و العمل الصالح» مستمرا فيما بعد، و قد كرّر «التقوى» فى الجملة الثانية لتأكيد أن كلّا من الإيمان و العمل الصالح لا ينفع بدون التقوى، و الذى يقرّب إرادة الدوام من الجملة الثانية دخول «ثمّ» فيها، فاستمرار التقوى مع الإيمان، و استمرار التقوى مع العمل الصالح، شرط فى عدم الجناح.

و هنا سؤال: إن ظاهر الآية «اشتراط عدم الجناح بالطعام، بالإيمان و التقوى و العمل الصالح» و إذا فرضنا أن الطعام كان محللا- كما عرفت فى شأن النزول، إذ كانت الخمر لم تحرم بعد- فما معنى هذا الشرط؟ فقد كان شرب الخمر- قبل تحريمها- مباحا حلالا للمسلم و الكافر، فأى معنى لتقييد التحليل بالإيمان؟

و الجواب: أن الشرط لا مفهوم له، فليس المعنى «الجناح إذا لم يؤمنوا» إذ الشرط كما يساق غالبا لبيان المفهوم، نحو «إن جاءك زيد فأكرمه» المفهوم منه «إن لم يجئك فلا تكرمه» يساق أحيانا لبيان تحقق الموضوع، نحو: «إن رزقت ولدا فاختنه» فإنه لا مفهوم له ب «إن لم ترزق ولدا فلا تختنه» إذ أن «لم يرزق ولدا» يكون من السالبة بانتفاء الموضوع، و إنما الجملة «إن رزقت» معناها: «يجب الختن للولد» ..

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ١٦

[سورة المائدة (٥): آية ٩٤]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنالُهُ أَيْدِيكُمْ وَ رِماحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلِكَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ (٩٤)

و هنا كذلك، إذ الآية مسوقة لبيان «أن المؤمنين الذين شربوا و هم متقون عاملون بالصالحات ليس عليهم جناح» فى مقابل توهم الأصحاب أن عليهم الجناح، لا أنه سيق للمفهوم حتّى يقال بعدم استقامة مفهومه ... ثم إنه من المحتمل أن يكون فى تناول الكفار للمباح حضر، كما دلّ الدليل أن فى تناول المباح للنصّاب حضر، فمن شرب من نهر الفرات من أعداء الصديقة الطاهرة عليها السلام كان شربه محرما، و على هذا فللمفهوم مجال واسع فى الآية.

وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ الذين يحسنون فى أمورهم، و كأنه حث على الإحسان و إن لم يكن المحسن من أهل الإيمان. و لا يخفى أن من طعم محرما و تذرّع لرفع الحد عنه بهذه الآية، فهو مخطئ إذ الآية تشترط فى عدم الجناح الإيمان و التقوى و العمل الصالح، و من المعلوم أن التقوى و العمل الصالح يتنافيان مع عمل المحرم.

[٩٥] و فى سياق التحليل و التحريم، و تتميما لما تقدم فى أول السورة من قوله سبحانه: «غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ» و قوله: «إِذا حَلَلْتُمْ فَاصْطادُوا» يأتى ذكر الصيد فى حال الإحرام و كفارته يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ من «بلا» بمعنى اختبر، يعنى ليختبركم الله و يمتحنكم بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ أى ببعض الصيد المحرّم على المحرم تَنالُهُ أَيْدِيكُمْ وَ رِماحُكُمْ فيكون فى طريقكم إلى الحج بعض أقسام الصيد سهل التناول حتى أن أحدكم لو مدّ يده لتمكن من أخذه، و لو شرع رمحه لتمكن من صيده، و بالأخص فراخ الطير و صغار الوحش و بيض الطير

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ١٧

[سورة المائدة (٥): آية ٩٥]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ أَوْ عَدْلُ ذلِكَ صِياماً لِيَذُوقَ وَبالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَ مَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ (۹۵)

المحرم، فقد ابتلى المؤمنين في عمرة الحديبية بكثرة الصيد في طريقهم إلى مكة و قد كان ذلك اختبارا من الله لهم، أيّهم يطيع فيتجنب و أيّهم يعصى فيصيد؟! و إنما كان ذلك الاختبار لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخافُهُ بِالْغَيْبِ أى بالسر و الخلوة، و بعيدا عن أعين الناس، و قد تقدّم سابقا أن اختبار الله ليس لأنه لا يعلم، و إنما لأجل أن يظهر معلومه، و يتم الحجة كما أن «ليعلم» يراد به «ظهور معلومه» فإن العلم حيث كان من الأمور ذات الإضافة صح أن يكون السبب له انكشاف المعلوم للعالم، و أن يكون وجود المعلوم في الخارج، و المراد بالغيب ما غاب عن الحواس، و هو إما بالنسبة إلى الله، أو بالنسبة إلى سائر الناس أى في حال عدم رؤيتكم لله سبحانه، أو عدم رؤية الناس لكم فَمَنِ اعْتَدى بَعْدَ ذلِكَ أى بعد النهى- المستفاد من الكلام- بأن صاد و خالف أوامر الله فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ مؤلم موجع.

[۹۶] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ أى في حال كونكم محرمين، و المراد بالصيد كل وحش أكل أم لم يؤكل إلّا ما استثنى، و «حرم» جمع «محرم»، يقال: أحرم الرجل إذا دخل في الحرم أو في الإحرام، فالآية تدل على حرمة الصيد الحرمى، و الصيد الإحرامى، كما أن ذلك، عام للحج و العمرة وَ مَنْ قَتَلَهُ أى قتل الصيد مِنْكُمْ أيها المحرمون مُتَعَمِّداً و هذا القيد لا مفهوم له، لأنه من مفهوم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۸

اللقب الذى ثبت عند العلماء عدم المفهوم له، فإن للخطأ أيضا كفارة، كما ثبت في السنة، و لعل فائدة القيد كونه الغالب الذى يتناوله الإنسان، بالإضافة إلى أنه يترتب على ما يأتى من قوله: «لِيَذُوقَ وَبالَ أَمْرِهِ» فَجَزاءٌ عليه كفارة مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ «من» بيان لجزاء، أن جزاءه أن يكفر بإحدى النعم الثلاث المشابهة لذلك الصيد المقتول.

فمثلا: الظبى شبيه بالشاة، و حمار الوحش و بقرته شبيهان بالبقرة، و النعامة شبيهة بالجزور يَحْكُمُ بِهِ أى بالمثل ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ أى رجلان عادلان، فيحكمان أن الحيوان الفلانى الذى اصطيد هو مثل الحيوان الفلانى من الأنعام الثلاثة- الشاة و البقرة و الإبل- فكلما حكما بأنه مثل الصيد أخذ كفارة له.

و قد ورد في الأحاديث: أن المراد بذوى العدل هم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الإمام عليه السّلام «۱» فما وجد من النصوص في مورد المماثلة وجب الحكم به، و ما لم يرد فالظاهر عدم المانع في التمسك بظاهر الآية من كفاية إخبار عادلين عارفين بالمماثلة، إن لم يوجد نص بالخلاف بالقيمة أو ما أشبه.

هَدْياً أى في حال كون الكفارة تهدى هديا بالِغَ الْكَعْبَةِ أى يذهب بها إلى صوب الكعبة فإن أصاب الصيد و هو محرم بالعمرة ذبح جزاءه بمكة و إن كان محرما بالحج ذبحه بمنى أَوْ يكون جزاء الصيد كَفَّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ فإذا لم يجد الأنعام أخذ بقيمتها الطعام

---

(۱) الكافى: ج ۴ ص ۳۹۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۹

[سورة المائدة (۵): آية ۹۶]

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ وَ لِلسَّيَّارَةِ وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (۹۶)

و تصدق به على المساكين أَوْ يكون جزاء الصيد عَدْلُ ذلِكَ أى معادل الإطعام صِياماً فلكل مدّين صوم يوم، و تفصيل هذه الأمور تطلب من الفقه في كتاب الحج.

و إنما شرعت الكفارة لِيَذُوقَ الصائد وَبالَ أى عقوبة أَمْرِهِ أى عمله و هو الاصطياد المنهى عنه عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ من الصيد فمن صاد

متعمدا و كفّر عفا سبحانه عن ذنبه وَ مَنْ عادَ إلى الصيد متعمدا مرة ثانية فلا كفارة عليه من عظم ذنبه، فإنه لا يغسل بالكفارة بل ينتقم اللَّهُ مِنْهُ فى الآخرة انتقاما لهتكه حرمة الإحرام أو حرمة الحرم.

هذا ما فسّرت به الآية الكريمة فى الأحاديث، و إن كان لا يبعد انصراف الآية الكريمة إلى «ما سلف» قبل التحريم و العفو باعتبار أنه غير جائز حتى عند الجاهليين، و ما أعيد بعد التحريم، فيكون العفو عما سلف من قبيل «الإسلام يجبّ عما قبله» و المراد بالانتقام الكفارة و العقاب وَ اللَّهُ عَزِيزٌ قادر غالب ذُو انْتِقامٍ ينتقم من كل من عصاه و خالفه.

[۹۷] أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ و المراد من البحر الأعم من النهر، فإن العرب تسمى النهر بحرا، فإن صيده مباح فى حال الإحرام، و لو فى الحرم- لو صار فيه بحر، أو أتى بصيده إليه- هذا بالنسبة إلى صيده

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۰

[سورة المائدة (۵): آية ۹۷]

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ وَ الشَّهْرَ الْحَرامَ وَ الْهَدْيَ وَ الْقَلائِدَ ذلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۹۷)

وَ طَعامُهُ مَتاعاً لَكُمْ وَ لِلسَّيَّارَةِ وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۹۷ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ وَ أما بالنسبة إلى أكله ف طَعامُهُ أى طعام البحر، قد متعتم به مَتاعاً و المتاع ما يتمتع به الإنسان لَكُمْ أيها المحرمون وَ لِلسَّيَّارَةِ أى القوافل السيارة التى تسير كثيرا، فإن السمك يجفّف للسفر، و إنما خصص بالسفر مع أنه طعام للحضر أيضا، لكثرة انتفاع المسافر، إذ لا يمكن غالبا ذبح الأنعام فى السفر، فينتفع المسافر بالسمك المجفف انتفاعا كثيرا وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ الأعم من الوحش و الطير ما دُمْتُمْ حُرُماً جمع «محرم»، أى ما دمتم فى الإحرام و ما دمتم فى الحرم- كما تقدم- يقال: رجل حرام، إذا كان محرما أو كان فى الحرم وَ اتَّقُوا اللَّهَ أى خافوا عقابه، فلا ترتكبوا نواهيه الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ الحشر هو الجمع، أى يكون مصيركم و حشركم إليه، فيجازيكم بما اقترفتم من الذنوب و الآثام.

[۹۸] و فى سياق حكم الصيد فى حال الإحرام، يأتى الكلام حول ما جعله سبحانه حراما من المكان و الزمان، ليهدى الناس فى فترات معينة و أماكن معينة عن الخصام و الانتقام، الذى يكدّر الحياة البشريّة جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ سمّيت الكعبة «كعبة» لتربيعها و إنّما قيل للمربّع: كعبة لنتوء زواياه الأربع، مقابل المدوّر، و الكعب هو النتوء و الارتفاع الْبَيْتَ الْحَرامَ عطف بيان على الكعبة، و إنّما جيء بهذا العطف، لأنّه كانت لدى الجاهليين، كعبات متعدّدة و كانوا يحجّون إليها و يطوفون بها، فهدمها النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و سمّى البيت الحرام، لحرمته

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۱

و لأنّه يحرم فيه القتال و الصّيد و غيرها قِياماً لِلنَّاسِ مفعول ثان ل «جعل» أى جعل الله الكعبة لقيام النّاس، بأن تقوم أمورهم، و تستقيم أحوالهم، اقتصاديّا و اجتماعيّا، و غيرهما، كما ذكر فى فلسفة الحجّ «۱».

وَ جعل الله الشَّهْرَ الْحَرامَ قياما للناس، فأشهر الحرم:

و هى ذو القعدة و ذو الحجة و محرم و رجب، تقوم أمور الناس و اجتماعهم، إذ تخفّف عن كواهلهم عبء الحروب، و المخاصمات و تسبب الأمن و الهدوء، مما يروّج الاقتصاد، و يهيئ الجوّ الملائم للتفاهم و غيرها، فالبيت الحرام أمن فى المكان، و الشهر الحرام أمن فى الزمان، و قد جعل سبحانه الأمن متعديا إلى خارج هذه الحدود فجعل وَ الْهَدْيَ أى محترما لا يمس بسوء، و هو ما يهدى إلى الكعبة بإشعار أو تقليد وَ الْقَلائِدَ جمع قلادة أى ما تقلّدها- بعلاقة الحال و المحل- أى جعل القلائد محترمة لا تمس بسوء. و المراد بالقلائد إما الحيوان الذى يقلّد، أو الإنسان الذى يحرم فيقلد نفسه. قالوا: كان الرجل يقلّد بعيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف.

و لا يقال: أن غير الهدى و القلائد أيضا محترم لأنه لا يجوز لأحد أن يتصرف فى مال غيره أو بدن غيره فما معنى الاختصاص هنا؟ لأن الجواب ظاهر: فإن الهدى لا يجوز أن يمس، و إن جاز مسّه لو لا كونه هديا بسبب الاقتصاص و الإفلاس و نحوهما، كما أنه لا يجوز أن يتعدّى على المحرم بما يجوز التعدى عليه فى غير حال الإحرام، فلا يجوز أخذ المحرم و حبسه و لو كان بحق- إذ الواجب إتمام العمرة

---

(۱) راجع كتاب «عبادات الإسلام» للمؤلف.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۲

[سورة المائدة (۵): الآيات ۹۸ الى ۹۹]

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ وَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۹۸) ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَكْتُمُونَ (۹۹)

و الحج لله- فكما لا يجوز لنفسه الإبطال لا يجوز لغيره الإبطال.

ذلِكَ أى إنما جعل سبحانه هذه المحرمات لِتَعْلَمُوا أيها الناس أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ فإنه عالم بأحوال الإنسان و ما يكتنفه من العداء و الشر و أنه يحتاج إلى هدوء و سكينة فى المكان و فى الزمان، و أن الناس يحتاجون إلى ما يقيم معاشهم و معادهم، و لذا جعل هذه المحرمات للاستراحة و الاستجمام، و لعل ذكر السماوات استطراد، فإنّ ما ذكر مرتبط بالأرض، لكن لو ذكرت وحدها لأوهم عدم علمه سبحانه بما فى السماوات وَ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ من أحوال الإنسان و الحيوان و الأزمان و الأماكن و غيرها.

[۹۹] و لمّا تقدّم بعض الأحكام عقّبه سبحانه بذكر الوعد و الوعيد اعْلَمُوا أيها النّاس أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ لمن عصاه و خالفه وَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لمن تاب و آمن و عمل صالحا، فإنّه يغفر ذنوبكم و يرحمكم بفضله و سعته.

[۱۰۰] ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ أى أداء الرسالة و بيان الشريعة، أما القبول من الناس فليس من شأن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا يرتبط به وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ أى تظهرون من الأقوال و الأعمال وَ ما تَكْتُمُونَ من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۳

[سورة المائدة (۵): الآيات ۱۰۰ الى ۱۰۱]

قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۱۰۰) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَ إِنْ تَسْئَلُوا عَنْها حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْها وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (۱۰۱)

النيات و الأعمال، فإنه لا يخفى عليه شىء و يجازيكم بكل ذلك، فأحسنوا و لا تخالفوا.

[۱۰۱] و لما بين سبحانه الحلال و الحرام ذكر أنهما لا يستويان، فلا يتناول أحد خبيثا مدعيا أنه لا فرق بين هذا و غيره، كما نرى اليوم كثيرا من الناس يتناولون المحرمات مدّعين عدم الفرق بينها و بين المحللات قُلْ يا رسول الله: لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ المحرم وَ الطَّيِّبُ المحلل، فإنهما ليسا متساويين وَ لَوْ أَعْجَبَكَ أيها السامع كَثْرَةُ الْخَبِيثِ و زيادته على الطيب، كما نرى من أن أنواعا من الحيوان المحرم أكثر من المحلل، فإن كثرة الخبيث لا تسبب طيبه و لعل قوله «و لو» لدفع استبعاد بعض الناس: أنه كيف يمكن أن يكون هذا الشىء الكثير حراما؟: فَاتَّقُوا اللَّهَ أى خافوا عصيانه و لا تخالفوه يا أُولِي الْأَلْبابِ أى أصحاب العقول لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أى كى تفوزوا بالثواب العاجل و الآجل.

[۱۰۲] قلنا سابقا قد جرت عادة القرآن الحكيم، بعدم إطالة أمر واحد، فيمل السامع فهو إذا أراد الإطالة، ذكر فى الأثناء ما يلطّف الجو، و يرفع الملل من السامع، ببيان حكم جديد منبه، و هكذا أتت آية السؤال هنا فى وسط الحرام و الحلال، بالإضافة إلى ارتباط الآية بالحج، حيث أنها وردت فى باب السؤال عن الحج.

فقد روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام أن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خطب فقال: إن الله كتب عليكم الحج. فقام سراقة بن مالك فقال: فى كل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۴

عام يا رسول الله؟ فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثا فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ويحك و ما يؤمنك أن أقول: نعم، و لو قلت: نعم، لوجبت، و لو وجبت ما استطعتم، و لو تركتم لكفرتم، فاتركونى ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم و اختلافهم على أنبيائهم. فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم و إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه «۱». فنزلت

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ متصفة بأنها إِنْ تُبْدَ لَكُمْ أى تظهر لكم تَسُؤْكُمْ أى تسبب سوءا أو حزنا و صعوبة عليكم وَ إِنْ تَسْئَلُوا عَنْها أى عن تلك الأشياء حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ أى فى فترة الوحى و وجود النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بين أظهركم تُبْدَ لَكُمْ لأن الوحى يأتى إليه بالجواب فيكون موجبا للصعوبة عليكم بتشريع أحكام جديدة أنتم فى غنى عنها.

و هنا سؤال: كيف يمكن عدم السؤال إن كان من الأمور المرتبطة بالدين؟ و هل أن أحكام الله اعتباطيّة حتّى يشرّعها السؤال؟ أليس كلّ حكم تابع للمصلحة و المفسدة، و يبيّن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلك لإيصال الناس إلى مصالحهم و مفاسدهم؟ و ما خصوصية «حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ» فإن الأئمة عليهم السّلام أيضا بتلك المثابة حيث أنهم يعلمون جميع الأحكام؟

و الجواب: أن الأحكام الشرعية تابعة للمصالح و المفاسد التى منها مصلحة التسهيل على المكلفين، فكثيرا ما لا يشرع حكم- كعدم وجوب السواك- لمصلحة التسهيل، و من المعلوم أن هذه المصلحة قد

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۳۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۵

عَفَا اللَّهُ عَنْها ترتفع إذا كان هناك لجاج و عناد و ظلم، كما قال سبحانه: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ «۱»، و بهذا ظهر الجواب عن السؤال الثانى.

و أما السؤال الأول: فإن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا كان فى مقام بيان جميع الأحكام، و ليست القضية شخصية، كابتلاء بإرث لا يعلم تقسيمه، أو زوجة لا يعرف حقها، أو ولد عاص لا يدرى كيف يعاشره أو أشباه ذلك، لم يكن وجه للسؤال، لأنه تعنّت و إرهاق.

و أما السؤال الثالث: فلأن المصالح التشريعية قد كملت فى زمن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى أنه لا تشريع جديد بعده، و لذا فلم يكن الأئمة عليهم السّلام بمثابة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى إمكان تشريع الحكم، و إن كان من الممكن التشريع لو حدث فى زمن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شيء، و هذه المصلحة و هى انسداد باب التشريع حتى لا يكون لأحد ذلك- بعد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- و إن كان مفوّتا لمصالح واقعية- مثلا- لكنها أقوى فى الاعتبار من مراعاة مصالح لأحكام جديدة.

و لعل الجواب على الإشكال الثانى يستفاد من حديث

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام قال «إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها، و حدّ لكم حدودا فلا تعتدوها، و نهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، و سكت لكم عن أشياء و لم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها» «۲».

عَفَا اللَّهُ عَنْها أى عن تلك الأشياء فلا تتكلفوها، أنه سبحانه

---

(۱) النساء: ۱۶۱.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ٢٦٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌٢، ص: ٢٦

[سورة المائدة (٥): الآيات ١٠٢ الى ١٠٣]

قَدْ سَأَلَها قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِها كافِرِينَ (١٠٢) ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ وَ لا وَصِيلَةٍ وَ لا حامٍ وَ لكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (١٠٣)

رجّح مصلحة التسهيل عليكم على مصلحة تلك الأحكام، فإن تسألوا عنها و تعاندوا ترفع تلك المصلحة التسهيلية فتبتلون بها وَ اللَّهُ غَفُورٌ يغفر ما سلف حَلِيمٌ يمهلكم فلا يعجل فى عقابكم.

[١٠٣] قَدْ سَأَلَها أى سأل عن تلك الأشياء التى إن تبد تسىء السائل قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ من الأمم السابقة، كما سأل اليهود عيسى عليه السّلام المائدة، ثم كفروا، و سأل بنو إسرائيل القتال، فلما أجيبوا ولّوا إلا قليلا منهم، و سأل قوم صالح الناقة ثم عقروها، أو «من المشركين» حيث سألوا من النبى أشياء ثم لما بدت لهم كفروا و لم يؤمنوا ثُمَّ أَصْبَحُوا بِها كافِرِينَ فازدادوا عذابا على عذابهم، و هذه الآية كالتعليل للنهى فى الآية السابقة.

[١٠٤] ثمّ يرجع السياق إلى ذكر بعض الأمور المحللة التى حرمها أهل الجاهلية ما جَعَلَ اللَّهُ أى لم يحرم الله- كما يزعم أهل الجاهلية- مِنْ بَحِيرَةٍ هى الناقة إذا شقّت أذنها، من «البحر» بمعنى الشق وَ لا سائِبَةٍ من «ساب الماء» إذا جرى، أى الناقة السائبة التى تجرى على الأرض بدون أن يمسها أحد- كما سيأتى- وَ لا وَصِيلَةٍ من «الصلة» ضد القطيعة و هى قسم من الناقة و الشاة كانوا يحرمونها وَ لا حامٍ من «حمى يحمى» إذا حفظ، و هو قسم من الإبل كانوا يحرمونه لأنه حمى نفسه، فقد كان أهل الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن خامسها أنثى بحروا أذنها أى شقوها و حرموها على النساء فإذا ماتت حلّت، و إذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌٢، ص: ٢٧

[سورة المائدة (٥): آية ١٠٤]

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ (١٠٤)

ولدت عشرا جعلوها سائبة لا يستحلون ظهرها و لا أكلها، و ربما تسيّب بنذر، فكان ينذر أحدهم إن برئ مريضه أو جاء مسافره فناقته سائبة، و إذا ولدت ولدين فى بطن واحد، أو الشاة ولدت فى السابع ذكر أو أنثى فى بطن واحد قالوا: وصلت فلم تذبح و لم تؤكل و حرّموا ولدى الشاة على النساء حتى يموت أحدهما فيحل. و الحام الفحل إذا ركب ولد ولده أو نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب و لا يمنع من كلأ و ماء، فأنزل الله عزّ و جلّ أنه لم يحرم من هذه الأمور شىء.

وَ لكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ فينسبون تحريم هذه الأشياء إلى الله سبحانه كذبا و بهتانا وَ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ أى ليس لهم عقل يميزون به بين الحرام و الحلال و الحق و الباطل.

[١٠٥] وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ أى لهؤلاء الذين يحرمون أشياء افتراء تَعالَوْا أى هلمّوا إِلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ من الأحكام فى القرآن وَ إِلَى الرَّسُولِ كى تصدقوه و تتبعوا سنته قالُوا فى الجواب حَسْبُنا أى يكفينا لمصالحنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا من العقائد و الأقوال و الأعمال و العادات.

و هنا يسأل سبحانه سؤال إنكار و تعجب بقوله: أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً من الحق و الباطل وَ لا يَهْتَدُونَ إلى الحق، أى:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌٢، ص: ٢٨

[سورة المائدة (٥): الآيات ١٠٥ الى ١٠٦]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ

فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِى بِهِ ثَمَناً وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبى وَ لا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ (۱۰۶)

فهل يتبعونهم و لو كانوا جهالا ضالين؟

[۱۰۶] و لما بيّن سبحانه أحوال الكفار و أنهم ضالون أمر المسلمين باتباع الحق، و أنهم لا يضرهم ضلال من ضل، بينما هم مهتدين يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ «عليك» اسم فعل بمعنى: الزم و احفظ، أى احفظوا أَنْفُسَكُمْ عن الضلال و الانحراف لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَ من الناس إِذَا اهْتَدَيْتُمْ أى إذا كنتم مهتدين. و من المعلوم أن من شروط الاهتداء الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الإرشاد و سائر الواجبات التى هى من هذا القبيل.

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ أيها الناس جَمِيعاً فإن مصير الضال و المهتدى إليه سبحانه فَيُنَبِّئُكُمْ أى يخبركم بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ من الأعمال الحسنة و القبيحة، و ليس كالدنيا يختلط فيها الحابل بالنابل فتؤخذون أنتم بذنوب الضالين اشتباها و تعمدا، أو يشتبه أمر الضالين، فلا يجازون بالعقاب.

[۱۰۷] ثم تعرّض سبحانه لبيان تشريع جديد ورد فى قصة خاصة، يرجع إلى سنّ بعض الأحكام، بعد ما فرغ من بعض أقسام الحلال و الحرام.

فقد روى عن الإمام الباقر عليه السّلام أن ثلاثة نفر خرجوا من المدينة تجارا إلى الشام: تميم بن أوس الدارى و أخوه عدى، و هما نصرانيان، و ابن أبى مارية مولى عمرو بن العاص السهمى و كان مسلما، حتّى إذا كانوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۹

ببعض الطريق مرض ابن أبى مارية فكتب وصيته بيده و دسها فى متاعه و أوصى إليهما و دفع المال إليهما و قال: أبلغا هذا إلى أهلى. فلما مات فتحا المتاع و أخذا ما أعجبهما منه ثم رجعا بالمال إلى الورثة، فلما فتش القوم المال فقدوا بعض ما كان قد خرج به صاحبهم فنظروا إلى الوصية فوجدوا المال فيها تاما فكلموا تميما و صاحبه فقالا: لا علم لنا به و ما دفعه إلينا، أبلغناه كما هو، فرفعوا أمرهم إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «۱».

فنزلت الآية

، و ستأتى تتمة القصة.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ «شهادة» مرفوع بالابتداء خبره «اثنان» أى الشهادة المعتبرة شرعا فيما بينكم شهادة نفرين إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ بأن ظهرت عليه آثار الموت حِينَ الْوَصِيَّةِ أى فى وقت الوصية اثْنانِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ أى رجلان عادلان من المسلمين أَوْ آخَرانِ أى شخصان آخران لتحمل الشهادة مِنْ غَيْرِكُمْ أى من غير المسلمين، و «أو» هنا للترتيب لا للتخيير إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ أى سافرتم و لم تجدوا مسلمين للإشهاد على الوصية فأشهدوا نفرين آخرين فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ بأن ظهرت علائمه، و الجملة الشرطية لتقييد قوله «آخران» فإن إشهادهما مشروط بالضرب فى الأرض، و هذا من باب المورد، و إلا فالمعيار عدم وجود مسلمين، و إن كان فى الحضر، فإذا تحملا الشهادة، و أرادا الإدلاء بها

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۳۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۰

فهو بهذه الكيفية تَحْبِسُونَهُما أى تقفونهما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ أى صلاة العصر و ذلك لاجتماع الناس و تكاثرهم فى ذلك الوقت، و لعله ليكون أردع للكذب إذ الاجتماع يسبب الهيبة فى قلب المدلى للشهادة فَيُقْسِمانِ أى الشاهدان غير المسلمين بِاللَّهِ و هذا دليل على أن الشاهد يجب أن يكون معترفا بالله كأهل الكتاب إِنِ ارْتَبْتُمْ أى شككتم فى شهادتهما و احتملتم التبديل و التغيير و التزييف فى الأمر،

و هذا شرط للقسم، أى أنهما يقسمان فى حال شكّكم، و إلا فيدليان بالشهادة بدون القسم لا نَشْتَرِى بِهِ أى بما ندلى من الشهادة ثَمَناً و هذا هو المقسم به، فلا نغير الشهادة و لا نبدّل و لا نزيّف الواقع، ابتغاء تحصيل ثمن، أى مال وَ لَوْ كانَ المشهود له ذا قُرْبى أى من أقربائنا، و خصص بالذكر لأن الناس دائما يميلون إلى أقربائهم فيشهدون بالباطل لنفعهم، و هذا كالتأكيد، و إلا فليس هنا مشهودا له.

و المعنى: أن لا ندلى شهادة باطلة حتى لأقربائنا وَ لا نَكْتُمُ أى لا نخفى شَهادَةَ اللَّهِ أى الشهادة التى أمرنا الله بأدائها. و الإضافة تعظيمية إِنَّا إِذاً لو كتمنا شهادة الله لَمِنَ الْآثِمِينَ أى العاصين.

و حاصل الحكم أن الإنسان إذا أراد أن يوصى فعليه أن يشهد على وصيته شاهدين مسلمين عادلين، فإن كان فى سفر و ظهرت عليه أمارات الموت، و لم يكن هناك مسلمون لتحمل الشهادة، يشهد على وصيته شاهدين كتابيّين، و تقبل شهادتهما بدون اليمين إن لم يشك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۱

[سورة المائدة (۵): آية ۱۰۷]

فَإِنْ عُثِرَ عَلى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيانِ فَيُقْسِمانِ بِاللَّهِ لَشَهادَتُنا أَحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما وَ مَا اعْتَدَيْنا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (۱۰۷)

الوارث بهما، أما إذا شك بهما و احتمل أنهما يكذبان فى الشهادة، فالحاكم الشرعى يحضرهما بعد صلاة العصر، و يحلفهما أولا بهذا الحلف: «و الله إنا لا نبتغى بالشهادة مالا و لا نبدل الشهادة حتى لأقربائنا و لا نكتم الشهادة التى ألزمها الله إيمانا و لو فعلنا ذلك لكنا آثمين» و بعد أداء هذا القسم أو شبهه فى المعنى، يدليان بشهادتهما حول الوصية، و تقبل شهادتهما حينئذ.

[۱۰۸] لما نزلت الآية الأولى صلّى رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم صلاة العصر و دعا بتميم و عدى فاستحلفهما عند المنبر بالله ما قبضنا غير هذا و لا كتمنا فخلّى رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سبيلهما، ثم اطلعوا على إناء من فضة منقوش بذهب و قلادة من جوهر معهما من مال الميت فقال أولياء الميت: هذا من متاع الميت. فقال النصرانيان: اشتريناه منه و نسينا أن نخبركم، فرفعوا أمرهما إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فنزل قوله «فإن عثر» فقام رجلان من أولياء الميت عمرو بن العاص و المطلب بن أبى وداعة فحلفا بالله أن النصرانيين خانا و كذبا، فدفع الإناء إلى أولياء الميت، و بعد مدة أسلم تميم الدارمى فكان يقول: صدق الله و صدق رسوله أنا أخذت الإناء فأتوب إلى الله و أستغفره.

فَإِنْ عُثِرَ يقال: «عثر الرجل على الشىء» إذا اطلع عليه، ف «عثر» مبنى للمجهول بمعنى: «ظهر» عَلى أَنَّهُمَا أى الوصيين غير المسلمين اسْتَحَقَّا أى استوجبا إِثْماً أى ذنبا، بأن ادّعى الأولياء أنهما كذبا فى اليمين و الشهادة بل خانا الوصية فشاهدان آخران مسلمان يَقُومانِ مَقامَهُما أى مقام غير المسلمين مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۲

[سورة المائدة (۵): آية ۱۰۸]

ذلِكَ أَدْنى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهادَةِ عَلى وَجْهِها أَوْ يَخافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمانٌ بَعْدَ أَيْمانِهِمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اسْمَعُوا وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (۱۰۸)

عَلَيْهِمُ أى من أولياء الميت الذين استحقت عليهما الوصية، و كان المال لهم الْأَوْلَيانِ تثنية «أولى»، بدل من قوله «آخران» أى يقوم شاهدان كل واحد منهما أولى بالميت، أى من أقربائه و ذى ولايته، و هذان ينقضان شهادة الوصيين الكاذبين غير المسلمين فَيُقْسِمانِ أى وليا الميت بِاللَّهِ لَشَهادَتُنا نحن أولياء الميت- فى تكذيب الوصيين- أَحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما أى من شهادة الوصيين الكاذبين، و كلمة «أحق» جرّدت من معنى التفضيل- كما سبق- وَ مَا اعْتَدَيْنا أى ما تجاوزنا الحق بل نطلب مال الميت إِنَّا إِذاً لو اعتدينا كنا لَمِنَ الظَّالِمِينَ لنفوسنا حيث قسمنا كذبا، و إذا حلف وليّا الميت كذلك نقض حلف الوصيّين، و أخذ المال منهما و أعطى إلى ولى الميت.

[۱۰۹] ذلِكَ الـذى تقدم من كيفية إحلاف الوصيين بعد الصلاة أَدْنى أى أقرب أَنْ يَأْتُوا أى يأتى الوصيان بِالشَّهادَةِ عَلى وَجْهِها فإن اليمين رادعـة لكثير من الناس عن الكـذب أَوْ يَخافُوا إذا علموا بـأنهم إن حلفوا كـاذبين أَنْ تُرَدَّ أَيْمانٌ إلى أولياء الميت فيحلفان على كذبهما و يكون الحق لهما دون الوصيين بَعْدَ أَيْمانِهِمْ فيجمعون بين فضيحة الكذب و السرقة، و فضيحة الحلف الكاذب وَ اتَّقُوا اللَّهَ فلا تحلفوا به كذبا وَ اسْمَعُوا هذه الموعظة وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ الذين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۳

[سورة المائدة (۵): الآيات ۱۰۹ الى ۱۱۰]

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ قالُوا لا عِلْمَ لَنا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (۱۰۹) إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي وَ إِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ (۱۱۰)

يفسقون بالخروج عن طاعته، و ارتكاب معصيته، فإنه لا يلطف بهم اللطف الخاص بالمطيعين.

[۱۱۰] قد سبق جانب من قصص اليهود و النصارى، و يأتى هنا جانب آخر من قصة النصارى فى ثوب بديع يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ أى اتقوا يوم الحشر الذى يجمع الله فيه الأنبياء المرسلين جميعا فَيَقُولُ لهم:

ما ذا أُجِبْتُمْ أى بماذا أجابكم الأمم هل بالإيمان و التصديق أم بالكفر و التكذيب؟ قالُوا أى قال الرسل فى جوابه: سبحانه لا عِلْمَ لَنا فإنا لم نر منهم إلا الظواهر، أما البواطن و الخفايا فأنت العالم بها وحدك إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ أى الأشياء الغائبة عن الحواس، و قصد الآية هنا الإجمال، أو ذلك فى موقف من مواقف القيامة، إذ لها مواقف كل موقف منها يخالف الموقف الآخر فى الخصوصيات و المزايا- هذا جواب الأنبياء بصورة عامة- أما جواب عيسى عليه السّلام ففيه تفصيل و سيأتى بعد آيات من قصة عيسى عليه السّلام.

[۱۱۱] إِذْ قالَ اللَّهُ أى «يقول» فإن المضارع المتحقق الوقوع ينزّل منزلة الماضى، و محل «إذ» النصب على «اتقوا» أى: اتقوا زمان يقول الله:

«يا عيسى»، أو على تقدير «اذكر» يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ و ذكر «ابن مريم» استنكار لقول النصارى إنه «ابن الله». اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلى والِدَتِكَ و المراد بالنعمة جنسها، لا نعمة واحدة، و معنى ذكر النعمة شكرها، و الإتيان بما يستحق المنعم بها. و من المعلوم أن النعمة على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۴

الوالدة بالعفاف و الطهارة و غيرهما، من أعظم النعم على الولد، فهى مما تستحق الشكر. ثم فسر سبحانه بعض نعمه بقوله: إِذْ أَيَّدْتُكَ أى قويتك و نصرتك بِرُوحِ الْقُدُسِ أى الروح المنزّه عن الأدران، و هو جبرئيل عليه السّلام أو ملك آخر، أو روح منفوخة فيه تحفظه عن الزلل فإن الأنبياء و الأئمة مزوّدون بروح طاهرة تحفظهم و ترشدهم بأمر الله سبحانه تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ أى فى حال كونك صبيا فإنه عليه السّلام، قال: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا* وَ جَعَلَنِي مُبارَكاً أَيْنَ ما كُنْتُ وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا ... «۱» وَ كَهْلًا أى فى حال كونك كهلا و هو قبل سن الشيخوخة، و هذا من تتمة الكلام، يعنى أنك تكلم الناس فى الحالين، لا كسائر الناس الذين لا يتكلمون إلا فى حالة واحدة.

وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ أى جنس الكتاب المنزل من السماء، فإنه كانت كتب نازلة على الأنبياء السابقين و قد كان عليه السّلام تعلمها بتعليم الله سبحانه وَ الْحِكْمَةَ و هى معرفة الأشياء على واقعها، فإن معرفة الكتب غير معرفة الحكمة، و أن يكون الإنسان بحيث يعلم الأمور و مواضعها وَ التَّوْراةَ و هى الكتاب المنزل على موسى عليه السّلام وَ الْإِنْجِيلَ و هو الكتاب المنزل على المسيح نفسه عليه السّلام وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ أى على قالب الطير و هيكله. و من المعلوم أن هذا النحو من

(۱) مریم: ۳۱ و ۳۲.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۵

[سورة المائدة (۵): آیة ۱۱۱]

وَ إِذْ أَوْحَیْتُ إِلَی الْحَوارِیِّینَ أَنْ آمِنُوا بِی وَ بِرَسُولِی قالُوا آمَنَّا وَ اشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ (۱۱۱)

التجسیم لم یکن حراما لأنه کان بأمر الله، و لیس التحریم عقلیا حتی لا یمکن التخصیص فیه بِإِذْنِی و لعل «بإذنی» إشارة إلی ذلک، أو أن الخلق إنما کانت بقدرته، إذ لو لم یأذن الله لم یتمکن أحد من خلق شیء و صنعه فَتَنْفُخُ فِیها أی فی تلک الهیئة التی خلقتها. و لا یخفی أن الروح جسم لطیف فیمکن أن ینفخ المسیح علیه السّلام بإذن الله ذلک الجسم فی الهیکل المصنوع فَتَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِی أی طیرا حقیقیا کسائر الطیور، بأمری و إرادتی وَ تُبْرِئُ الْأَکْمَهَ أی تشفی الذی ولد أعمی وَ الْأَبْرَصَ الذی به البرص بِإِذْنِی أی بأمری و إرادتی وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتی من القبور فتجعلهم أحیاء بِإِذْنِی و إرادتی، فإنک تدعونی لهذه الحوائج و أنا أستجیب دعاءک وَ إِذْ کَفَفْتُ أی منعت بَنِی إِسْرائِیلَ الیهود عَنْکَ فلم یقدروا علی قتلک إِذْ جِئْتَهُمْ أی حین أتیت إلیهم بِالْبَیِّناتِ أی بالأدلة القاطعة علی صحة نبوتک و صدق کلامک فَقالَ الَّذِینَ کَفَرُوا بک و جحدوک و لم یؤمنوا بما جئت به مِنْهُمْ أی من بنی إسرائیل إِنْ هذا أی ما هذا الذی نری من خوارقک إِلَّا سِحْرٌ مُبِینٌ أی سحر واضح.

[۱۱۲] وَ اذکر نعمتی علیک یا عیسی ابن مریم إِذْ أَوْحَیْتُ إِلَی الْحَوارِیِّینَ «الوحی» هنا بمعنی الإلقاء إلیهم، و لو کان ذلک بواسطة

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۶

[سورة المائدة (۵): آیة ۱۱۲]

إِذْ قالَ الْحَوارِیُّونَ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ هَلْ یَسْتَطِیعُ رَبُّکَ أَنْ یُنَزِّلَ عَلَیْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ قالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ (۱۱۲)

نفس عیسی أو یحیی علیهما السّلام أو المراد الإلهام إلی قلوبهم، بواسطة العقل الذی هو حجة باطنة. و المراد بالحواریین أصحابه الخاصون به، و سبق وجه تسمیتهم بالحواریین أَنْ آمِنُوا بِی وَ بِرَسُولِی المسیح علیه السّلام، فإن الإیمان بالله نعمة علی المسیح، کما أن تصدیقه علیه السّلام نعمة علیه، إذ الأمران موجبان لقربه علیه السّلام إلی الله سبحانه حیث تمکن من هدایتهم، بالإضافة إلی لزوم ذلک الاحترام الظاهری قالُوا أی الحواریون:

آمَنَّا أی بالله و رسوله وَ اشْهَدْ یا ربنا، أو المراد الاستشهاد بعیسی علیه السّلام بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ لله فیما یأمر و ینهی.

[۱۱۳] و اذکر نعمتی علیک یا عیسی ابن مریم حینما جری الحوار بینک و بین الحواریین حول إنزال الله المائدة فطلبت من الله فاستجاب لک و أنزل المائدة إِذْ قالَ الْحَوارِیُّونَ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ و لعلهم ذکروا اللفظ بتأدّب. و إنما نقل سبحانه المعنی، أو کان مثل هذا الخطاب بأمر عیسی علیه السّلام نفسه، أو کان لدیهم متعارفا هَلْ یَسْتَطِیعُ رَبُّکَ أَنْ یُنَزِّلَ عَلَیْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ إما المراد: الاستطاعة بحسب القدرة، و کان ذلک حین عدم کمال إیمانهم، و إما المراد: الاستطاعة بحسب الإرادة، أی: هل یرید؟ و کان سؤال استعطاف، و «المائدة» مشتقة من «ماد یمید» إذا تحرک، فهی فاعلة، سمّی بها الخوان، لأنه یمید و یتحرک من مکان لآخر وقت البسط و الجمع، و قد أرادوا إتیان عیسی بهذه المعجزة لیروها و یلمسوها و یأکلوا منها، فلا یبقی محل ریب عندهم فی صدق الدعوة.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۷

[سورة المائدة (۵): الآیات ۱۱۳ الی ۱۱۴]

قالُوا نُرِیدُ أَنْ نَأْکُلَ مِنْها وَ تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا وَ نَکُونَ عَلَیْها مِنَ الشَّاهِدِینَ (۱۱۳) قالَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَیْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَکُونُ لَنا عِیداً لِأَوَّلِنا وَ آخِرِنا وَ آیَةً مِنْکَ وَ ارْزُقْنا وَ أَنْتَ خَیْرُ الرَّازِقِینَ (۱۱۴)

و لعل ذلک کان قبل سائر الآیات من إبراء الأکمة و الأبرص، و لذا قالَ لهم عیسی علیه السّلام: اتَّقُوا اللَّهَ أی خافوه فلا تسألوا سؤال

جاهل ذی ریب إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ بالله بما له من صفات الکمال التی منها الاستطاعة علی مثل هذا الأمر الهّین.

[۱۱۴] قالُوا أی قال الحواریون: نُرِیدُ أَنْ نَأْکُلَ مِنْها أی من المائدة وَ تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا إما الاطمئنان بأصل المبدأ و أنک رسوله، أو الاطمئنان بالرؤیة، کما قال الخلیل علیه السّلام: قالَ بَلی وَ لکِنْ لِیَطْمَئِنَّ قَلْبِی «۱» وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنا بما أخبرت من الشریعة. و هذا محتمل أیضا لإرادة العلم العیانی، و لإرادة أصل العلم لکونهم فی شک وَ نَکُونَ عَلَیْها أی علی المائدة مِنَ الشَّاهِدِینَ الذین یشهدون لمن لم یحضر بأنه قد نزلت المائدة و رأیناها عیانا.

[۱۱۵] قالَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ داعیا الله سبحانه: اللَّهُمَّ رَبَّنا- و کان الإتیان بلفظ الرب، للمبالغة فی الدعاء- أنت الذی ربّیتنا، فتفضل علینا بإتمام التربیة أَنْزِلْ عَلَیْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ أی خوانا علیه طعام، یأتی من طرف العلو تَکُونُ المائدة لَنا عِیداً لِأَوَّلِنا وَ آخِرِنا أی نتخذ ذلک الیوم الذی تنزل فیه المائدة عیدا، فإن الأعیاد فی الأمم،

---

(۱) البقرة: ۲۶۱.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۸

[سورة المائدة (۵): آیة ۱۱۵]

قالَ اللَّهُ إِنِّی مُنَزِّلُها عَلَیْکُمْ فَمَنْ یَکْفُرْ بَعْدُ مِنْکُمْ فَإِنِّی أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِینَ (۱۱۵)

إنما هی بمناسبة ذکریات انتصاراتهم. و من المعلوم أن تکریم جماعة بنزول المائدة علیهم من قبل الله سبحانه من أعظم الذکریات التی ینبغی أن یحتفل بها،- أول القوم- الذین نزلت علیهم، و- آخر القوم- أی من یأتی من بعدهم من أبنائهم.

وَ آیَةً مِنْکَ أی دلیلا و علامة من قبلک علی التوحید و النبوة و ما أشبههما وَ ارْزُقْنا من المائدة وَ أَنْتَ خَیْرُ الرَّازِقِینَ فإنک تتفضل بالنعم کرما وجودا و لا ترید عوضا تنتفع به بخلاف الناس إذا أعطوا شیئا فإنهم یریدون بدلا عنه یصل إلیهم.

[۱۱۶] قالَ اللَّهُ سبحانه فی جواب عیسی علیه السّلام: إِنِّی مُنَزِّلُها أی أنزل المائدة عَلَیْکُمْ أیها السائلون لها فَمَنْ یَکْفُرْ بَعْدُ مِنْکُمْ أی بعد إنزالها علیکم فَإِنِّی أُعَذِّبُهُ عَذاباً شدیدا لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِینَ أی لا أعذب مثل ذلک العذاب أحدا من العصاة الذین هم فی ذلک الزمان، فإن إطلاق «العالمین» غالبا، یکون علی عالم زمان واحد. و السبب فی شدة العذاب أنهم کفروا بعد ما آمنوا و طلبوا المعجزة، و قبل منهم و لبّی طلبهم.

ورد عن أهل البیت علیهم السّلام أن المائدة کانت تنزل علیهم فیجتمعون علیها و یأکلون منها ثم ترتفع فقال کبراؤهم و مترفوهم: لا ندع سفلتنا یأکلون منها معنا. فرفع الله المائدة ببغیهم و مسخوا قردة و خنازیر

«۱».

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۴ ص ۲۴۸.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۹

[سورة المائدة (۵): آیة ۱۱۶]

وَ إِذْ قالَ اللَّهُ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّی إِلهَیْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قالَ سُبْحانَکَ ما یَکُونُ لِی أَنْ أَقُولَ ما لَیْسَ لِی بِحَقٍّ إِنْ کُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِی نَفْسِی وَ لا أَعْلَمُ ما فِی نَفْسِکَ إِنَّکَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُیُوبِ (۱۱۶)

[۱۱۷] تقدم أن الله سبحانه یسأل الأنبیاء عن جواب الأمم لهم، ثم ذکر جملة من معجزات عیسی المقتضیة لإیمان الناس به إیمانا عادلا، لکن النصاری رفعوه فوق مقامه إذ جعلوه إلها، و لذا یتوجه السؤال إلیه علیه السّلام فی مشهد القیامة حول هذا الافتراء الذی نسب إلیه علیه السّلام حتی تظهر براءته من ذلک، فیکون المجال فسیحا أمام عقاب من ادّعی ذلک کذبا و بهتانا، فی یوم یجمع الله

الرسل فيقول: «ماذا أجبتم»؟

وَ إِذْ قالَ اللَّهُ أى «يقول» فإن المستقبل المتحقق وقوعه ينزل منزلة الماضى يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ أى: هل أنت، على نحو الاستفهام التوبيخى لمن ادعى ذلك، و التقريرى بالنفى بالنسبة إلى المسيح عليه السّلام قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ أى سوى الله، لا أنهم لا يعتقدون بألوهية الله تعالى قالَ عيسى عليه السّلام فى جواب ذلك: أسبحك سُبْحانَكَ أى أنزهك يا رب تنزيها عن مثل هذا الكلام ما يَكُونُ لِى أى ليس يجوز بالنسبة لى أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِى بِحَقٍ فآمر الناس باتخاذى إلها إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ أى قلت للناس: اتخذونى و أمى إلهين فَقَدْ عَلِمْتَهُ لكن لا تعلم ذلك- على نحو السالبة بانتفاء الموضوع- فلست قائله تَعْلَمُ ما فِى نَفْسِى أى سريرتى، فكيف بأقوالى العلانية؟ وَ لا أَعْلَمُ ما فِى نَفْسِكَ و هذا على جهة المقابلة، و إلا فليس لله سبحانه نفس، و قوله «و لا أعلم» لبيان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٤٠

[سورة المائدة (٥): الآيات ١١٧ الى ١١٨]

ما قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ ما أَمَرْتَنِى بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَ رَبَّكُمْ وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)

ضراعته عليه السّلام إليه سبحانه و إلا فلم يكن الكلام مسوقا إليه إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ أى تعلم كل غيب عن الحواس، و لست أنا كذلك، فأنت تعلم أنى لم أقل «اتخذونى و أمى إلهين» للناس.

[١١٨] ثم بين عليه السّلام ما قاله لقومه زيادة فى التبرّى من هذا القول المختلق المنسوب إليه ما قُلْتُ لَهُمْ أى للناس إِلَّا ما أَمَرْتَنِى بِهِ من الإقرار لك بالعبودية، فقد قلت لهم: أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَ رَبَّكُمْ فأنا و أنتم متساوون فى عبادة الله و كونه ربنا و خالقنا وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً شاهدا أرى أقوالهم و أعمالهم ما دُمْتُ كنت فِيهِمْ أى فى وسطهم فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى أى أخذتنى مستوفى كاملا إلى السماء- و قد سبق وجه ذلك- كُنْتَ أَنْتَ يا إلهى الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ أى المراقب لهم فيما يعملون و يعتقدون و يقولون وَ أَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أى شاهد حاضر.

[١١٩] إن مبدأ القوم هو أنت «ربى و ربكم» و معادهم بيدك وحدك إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ لا يقدرون على رفع شيء من أنفسهم و لا يقدر غيرك على نجاتهم وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ القادر الْحَكِيمُ الذى لا يفعل شيئا إلا طبق الحكمة و المصلحة، و فى هذا تسليم الأمر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٤١

[سورة المائدة (٥): الآيات ١١٩ الى ١٢٠]

قالَ اللَّهُ هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما فِيهِنَّ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠)

لمالكه و تفويض الأمر إلى مدبره، و هذا التعبير لا ينافى علم عيسى عليه السّلام بأنهم معذبون، فإنه كما يقول أحدنا لمالك الأمر: «إنه بيدك إن شئت فعلت و إن شئت تركت» حتى مع علمنا أنه يفعل أحدهما لا محالة. هذا بالإضافة إلى أن بعضهم- و هم القاصرون- قابلون للغفران.

[١٢٠] قالَ اللَّهُ بعد ذلك الحوار، فى مشهد القيامة هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ فلا الكاذب المغالى القائل «المسيح ابن الله»، أو «هو الله»، ينفعه كذبه، و لا الكاذب المغالى القائل «بأن المسيح بشر غير نبى» ينفعه كذبه، إنه يوم الصدق، و ينفع الصادق صدقه لَهُمْ أى للصادقين جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا أى تحت قصورها و أشجارها الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً مما لا نهاية له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بما عملوا فى دار الدنيا وَ رَضُوا عَنْهُ بما أعطاهم من الجزاء و الثواب ذلِكَ المقام الذى حصلوه بما عملوا الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الذى لا فوز بعده أعظم

منه.

[۱۲۱] إن النصارى كذبوا فى جعل الشريك لله، ف لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لا شريك له فيهن، و لا ملك غيره وَ ما فِيهِنَ مما يوجد فيهما من إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد أو غيرها وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فلا يمتنع عليه شيء، و من هذه صفته لا يكون له شريك فى الملك.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۲

۶ سورة الأنعام مكيّة- مدنية/ آياتها (۱۶۶)

سميت بذلك لاشتمالها على كلمة «الأنعام».

و فى حديث: أن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة، و شيعها سبعون ألف ملك لعظمتها

«۱».

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الإله الرحمن الرحيم الذى يرحم العباد و يعطف عليهم.

---

(۱) وسائل الشيعة: ج ۶ ص ۲۳۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۳

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱ الى ۲]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (۱) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضى أَجَلاً وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (۲)

[۲] و لما كان ختام السورة السابقة أن «لِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» ابتدأت هذه السورة بمثل ذلك الختام الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ و اللام فى الحمد للجنس، أى أن جنس الحمد لله إذ جميع المحامد راجعة إليه، و «السماوات» غالبا تأتى بصيغة الجمع بخلاف الأرض التى تأتى مفردة إشعارا بأكثرية السماوات على الأرض، و إلا فالأرضون أيضا سبعة كما قال سبحانه: وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَ «۱» وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ أى كوّنهما، و «الظلمة» إن كانت عدم ملكة، فمكوّن الملكة مكون العدم لأن أعدام الملكات لها حظ من الوجود كما قالوا. و قد أتى بالظلمات جمعا بخلاف النور، للتناسب مع الجملة السابقة «السماوات و الأرض» و لعل سر الإتيان بصيغة الجمع انقسام الظلمات حوالى النور فإن النور يشق طريق الظلمة، كلما قرب النور كان أرق.

ثم أظهر سبحانه التعجب من الذين يتخذون من دون الله أندادا بينما كان كل شيء لله سبحانه ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بعد كل هذه الآيات و الدلائل بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ أى يسوونه بغيره و يجعلونه عدلا و شريكا و مثيلا لأشياء أخرى مما لا أثر لها و لم تخلق شيئا.

[۳] و حيث أن الجو العام فى هذه السورة حول العقيدة مبدءا و معادا، و الأمور الكونية التى خلقها سبحانه تنتقل بالآيات من عقيدة إلى

---

(۱) الطلاق: ۱۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۴

[سورة الأنعام (۶): آية ۳]

وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ وَ يَعْلَمُ ما تَكْسِبُونَ (۳)

عقيدة، و من خلق إلى خلق هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ إما باعتبار أبينا آدم عليه السّلام و إما باعتبار خلق كل فرد من التراب و الماء، فإن الإنسان من النطفة و هى من النبات و الحيوان و هما من الأرض و الماء ثُمَّ قَضى أى قدّر و كتب أَجَلًا أى مدة للإنسان عامة، حتّى تنقضى الدنيا، أو لكل فرد حيث أن لكل فرد مدة لا يتجاوزها وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ إما تفصيل ل «أجلا» أى أن الله سبحانه هو مصدر الأجل المسمّى الذى سمى لكل شخص فليس بيد غيره الآجال، و إما المراد أن البعث الذى هو أجل و مدة لبقاء الإنسان فى الدنيا حيا و ميتا عِنْدَهُ فبيده قيام الساعة ثُمَّ أَنْتُمْ أيها البشر تَمْتَرُونَ أى تشكّون فى الله سبحانه. إنه بيده الخلق و الموت و البعث لا بيد غيره، فكيف تشكون فيه و تتخذون غيره شريكا له؟! [۴] وَ هُوَ اللَّهُ لا إله غيره فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ أى أن الخالق و المتصرف فى هذا الكون ليس إلا الله، خلافا لمن كان يجعل للسماء إلها خاصا، و للأرض إلها غيره. و معنى «فى» الظرفية المجازية، و إلا فليس لله سبحانه مكان، إذ المكان يوجب التحديد، و التحديد يوجب التجزئة، و التجزئة من صفات المصنوع لا الصانع يَعْلَمُ سِرَّكُمْ الخفى المكتوم، أعم مما فى الصدور، أو من الأسرار وَ جَهْرَكُمْ مقابل ذلك بالمعنيين وَ يَعْلَمُ ما تَكْسِبُونَ أى ما تعملون من الأعمال، فإن العمل من كسب الإنسان. و فى هذه الآيات ردّ على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۵

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۴ الى ۶]

وَ ما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ (۴) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْباءُ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۵) أَ لَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَ أَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً وَ جَعَلْنَا الْأَنْهارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ (۶)

الدهرية القائلين بقدم السماوات و الأرض، و الثنوية القائلين بإلهين:

نور و ظلمة، و المشركين الذين يجعلون له سبحانه شريكا، و الجهّال من الفلاسفة الذين يقولون بعدم عموم علمه أو قدرته، و من أشبههم من أصحاب العقائد الزائفة حول إله الكون.

[۵] ثم أخبر سبحانه عن الكفار الذين تقدم ذكرهم فى أول السورة، قال:

وَ ما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ أى معجزة و دليل و برهان و حجة مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ الدالة على وجوده و صدق رسالتك يا رسول الله إِلَّا كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ لا يقبلونها و لا ينظرون إليها نظر منصف معتبر.

[۶] فَقَدْ كَذَّبُوا أى الكفار بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ من القرآن و الرسول و سائر الآيات فَسَوْفَ فى القيامة، أو فى الدنيا حين ظهور الرسول و وضوح صدقه بالسيطرة و الغلبة- كما أخبر- يَأْتِيهِمْ أَنْباءُ أى أخبار ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ من الحق. و فى الآية تهديد، كما تقول للمجرم: «سوف تعلم إجرامك» تريد أنه يلاقى جزاءه، إن كان المراد ب «سوف» القيامة.

[۷] ثم حذرهم سبحانه أن يصيبهم ما أصاب الأمم السالفة حيث كذبوا و عصوا و عتوا عن أمر ربهم أَ لَمْ يَرَوْا استفهام تذكيرى توبيخى، أى «ألم يعلموا»- فإن الرؤية تستعمل بمعنى العلم- كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ أى من الأمم، و «القرن» أهل كل عصر، و سمّوا بذلك لأن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۶

بعضهم يقترن ببعض، و لذا اختلف فى المدة المراد به، لاختلاف الاعتبار مَكَّنَّاهُمْ أى تلك الأمم فِي الْأَرْضِ بأن جعلناهم ملوكا و قادة و ساسة ذا عدد و عدد و إمكانيات ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ حيث كانوا هم أكثر تمكنا منكم. و الظاهر أن الخطاب خاص بالكفار فى زمن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث كان السابقون أكثر تمكنا منهم. لا- يقال: إن من المحتمل كون بعض الأمم السالفة أكثر تمكنا من جميع من يأتى إلى يوم القيامة حتى يكون الخطاب عاما؟ لأن الجواب ظاهر، إذ قوله: «ألم يروا» ينافى ذلك فإن الناس لم يعلموا أخبار هكذا أمة- كما تقولون- بل ما رواه إنما هو أخبار الأمم التى كانت أقوى من الكفار فى زمانه صلّى اللّه عليه و آله و

سلّم وَ أَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً هو من «درّ إذا هطل»، و «مدرار» صيغة مبالغة، أى كثيرة الهطول، حتّى عمّهم الخير و البركة و الثروة. و المراد بالسماء: المطر، بعلاقة الحال و المحل، كما قال الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قومرعيناه و إن كانوا غضابا

وَ جَعَلْنَا الْأَنْهارَ أى مياهها بعلاقة الحال و المحل تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمْ أى تحت قصورهم و أشجارهم، أو باعتبار أن الماء تحت سطح الأرض التى يمشون عليها. و كل ذلك لم يفدهم فى بقائهم و حسن ذكرهم فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ و المراد: هلاكهم بذهاب أثرهم و انقطاع نسلهم و عقبهم، و فناء حضارتهم، بسبب عصيانهم و كفرهم مقابل الأنبياء عليهم السّلام و الصالحين الذين بقوا إلى يوم الناس هذا، و إن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٤٧

[سورة الأنعام (٦): الآيات ٧ الى ٨]

وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ (٨)

صلاحهم و حسن أعمالهم سبب بقاء آثارهم و بقاء ذكرهم و بقاء مناهجهم وَ أَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ أى خلّفنا من بعدهم أمة أخرى و جماعة آخرين.

[٨] ثم بيّن سبحانه أن هؤلاء الكفار معاندون فى كفرهم، لا لأنهم لم يعلموا الحق وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ يا رسول الله كِتاباً فِي قِرْطاسٍ أى مكتوبا فى ورق يشهد لك بصدقك فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ أى مسّوه بيدهم، حتى يتيقنوا بأن ذلك ليس من الشعوذة و ستر العيون لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا أى ما هذا الكتاب إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ أى سحر ظاهر، فلا يصدقونك.

قالوا: نزلت هذه الآية فى جماعة من الكفار قالوا: يا محمد لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله معه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله و أنك رسوله.

[٩] وَ قالُوا أى قال هؤلاء الكفار لَوْ لا أى هلّا، و لماذا ما أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ أى على الرسول، ملك نشاهده فنصدق به، ثم رد الله عليهم مقالتهم بأنه وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً كما اقترحوه لَقُضِيَ الْأَمْرُ أى انتهى أمدهم و أجلهم ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ أى يهلكون و يموتون، و ذلك لما جرت سنة الله أن لا تنزل الملائكة بالنسبة إلى المعاندين، إلا وقت موتهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٤٨

[سورة الأنعام (٦): آية ٩]

وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ (٩)

و هنا سؤال: إن هذا لا يكون جوابا للكفار- على هذا المعنى- إذ لهم أن يقولوا: فليغيّر الله سنته، بأن ينزل الملك و يبقينا حتى نؤمن؟

و سؤال ثان: لماذا جرت سنة الله على ذلك، أليس هداية الناس غاية الخلقة، فما المانع من توفر أسباب الهداية بإنزال الملك؟

و الجواب عن الأول: إن سنة الله جرت على الهلاك عقب مجىء الملائكة، كما جرت سنته على الإحراق عقيب الإلقاء فى النار، و ليس للكفار أن يشكلوا بهذا الإشكال، إذ يقول النبى: و لماذا تريدون نزول الملائكة؟ أ للعناد؟ فلا داعى إلى إجابتكم، أم لأنه خارق و الإتيان بالخارق موجب للتصديق؟ فقد أتيت بالخوارق، أم لأنه خارق خاص؟

فالخارق الخاص لا يلزم إجابته لدى العقل و العقلاء، و هذا كما إذا حمل الطبيب شهادة الكلية فيقول له المريض: ائتنى بشهادة رئيس الحكومة، إنه سؤال سخيف لدى العقلاء ..

و الجواب عن الثانى: إنه سبحانه علم عنادهم و أنه لا يفيد معهم إنزال الملك، كما بيّن ذلك فى قوله وَ لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً «١»، و ما كان يمنعهم أن يقولوا أن ما يشاهدونه من صورة الملك إنما هو سحر مبين! [١٠] ثم بيّن سبحانه وجها آخر لعدم إجابة اقتراحهم وَ لَوْ

جَعَلْناهُ أی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مَلَکاً منزلا من السماء لَجَعَلْناهُ رَجُلًا أی فی صورة رجل، فإن خلقة البشر غیر مستعدة لرؤیة الملک فی صورته، إلا إذا بدّلت صورته إلی صورة إنسان و واقع ملک، و ذلک لا یفید اقتراحهم، فإن الملک جرم لطیف لا تراه أعین البشر، کما لا یری

---

(۱) الأنعام: ۸.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۹

[سورة الأنعام (۶): الآیات ۱۰ الی ۱۱]

وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِکَ فَحاقَ بِالَّذِینَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ (۱۰) قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الْمُکَذِّبِینَ (۱۱)

الإنسان الهواء وَ لَلَبَسْنا من اللبس بمعنی الاشتباه عَلَیْهِمْ أی علی هؤلاء المقترحین إنزال الملک ما یَلْبِسُونَ أی کما یلبسون الیوم علی أنفسهم أمر النبی لأنه إنسان مثلهم، فکان إنزال الملائکة فی صورة بشر موجبا لأن نلبس نحن علیهم الأمر- مثل لبسهم هذا الیوم- و حاصل جواب الاقتراح:

أولا: أن الملک لا ینزل إلا لأمور خاصة، کما نزل فی قصة إبراهیم علیه السّلام و لوط علیه السّلام.

ثانیا: إن الملک إذا نزل، نزل فی صورة بشر، فیبقی شکّهم علی حاله.

[۱۱] ثم قال سبحانه علی سبیل التسلیة للنبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِکَ استهزأت بهم أممهم و سخروا منهم، فلست أنت بأول رسول یستهزأ بک و یقترح علیک اقتراحات عن عناد و سخریة فَحاقَ بِالَّذِینَ سَخِرُوا مِنْهُمْ أی: فحلّ و أحاط بالساخرین بالرسل ما کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ أی أحاط بهم العذاب الذی هو جزاء سخریتهم، أو المراد أن الأنبیاء کانوا یتوعدونهم بالعذاب فکانوا یسخرون بوعیدهم، فحاق بهم العذاب المستهزأ به.

[۱۲] قُلْ یا رسول الله لهؤلاء الکفار: سِیرُوا فِی الْأَرْضِ أی سافروا فیها ثُمَّ انْظُرُوا إذا مررتم ببلدان الأنبیاء، و تفکروا کَیْفَ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۰

[سورة الأنعام (۶): آیة ۱۲] تقریب القرآن إلی الأذهان ج۲ ۹۹

قُلْ لِمَنْ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ کَتَبَ عَلی نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَیَجْمَعَنَّکُمْ إِلی یَوْمِ الْقِیامَةِ لا رَیْبَ فِیهِ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا یُؤْمِنُونَ (۱۲)

کانَ عاقِبَةُ الْمُکَذِّبِینَ أی الأمم التی کذبت أنبیاءهم، کیف أبیدت و لم تبق منهم باقیة، فإن دیار الأمم السابقة حوالی سوریا و لبنان و الأردن و فلسطین و مصر کانت باقیة و آثار الخسف و الهلاک علی بعضها، و أخبار الهلاک و التدمیر کانت عند الناس مشهورة، فإذا سافروا و سألوا علموا ذلک، و کان ذلک سببا لردعهم عن تکذیب الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الاستهزاء بالقرآن.

[۱۳] ثم احتج سبحانه علی المکذبین بحجة أخری فقال: قُلْ یا رسول الله لهؤلاء المکذبین: لِمَنْ ما فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إذ لا یتمکنون أن یجیبوا بأنها لهم، و لا أنها لأصنامهم، و إذ یتحیرون بالجواب قُلْ أنت: إنما هی کلها لِلَّهِ فلما ذا تتخذون إلها غیره؟ و إذ سبق التهدید و الوعید جاء هنا بالتبشیر کی تلین القلوب القاسیة بالتهدید مرة و التبشیر أخری کَتَبَ أی أوجب سبحانه عَلی نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ علی الخلق و اللطف بهم، و إیجاب ذلک من مقتضیات الحکمة لکی تطلبوا أیها الناس رحمته الواسعة بالإطاعة و الامتثال، لأنه إله الکون و راحمهم فی هذه النشأة و لَیَجْمَعَنَّکُمْ إِلی یَوْمِ الْقِیامَةِ أی جمعا ینتهی إلی ذلک الیوم، فإن الناس یجتمعون تدریجا لا دفعة، فکل إنسان یولد فولادته مقدمة للموت الذی- بدوره- یجمع الناس فردا فردا حتی ینتهی الجمع فی یوم القیامة، فبیده سبحانه المعاد أیضا لا رَیْبَ فِیهِ أی محل ریب، و إن ارتاب المبطلون.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۵۱

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۳ الى ۱۴]

وَ لَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۱۳) قُلْ أَ غَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ يُطْعِمُ وَ لا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۱۴)

و إذا كان المبدأ و الوسط و المعاد بيده تعالى ف الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ أى أن غير المؤمنين يكونون قد خسروا أنفسهم حيث باعوها و اشتروا عوضها العذاب، بينما باع المؤمنون أنفسهم و اشتروا بها الجنة و الثواب.

[۱۴] وَ لَهُ أى الله سبحانه ما سَكَنَ و هدأ فِي اللَّيْلِ وَ النَّهارِ أو المراد ب «ما سكن» مطلق الأشياء الساكنة و المتحركة، من قولهم: فلان يسكن بلد كذا، أى يستقر فيه، فلله كل ما استقر و حلّ فى هذين الزمانين «الليل و النهار»، أما على الثانى فوجه الكلام واضح، و أما على الأول فلعل التخصيص بالساكن- مقابل المتحرك- لإلقاء الرهبة فى النفس حيث أن الساكن يلقى ظلال الموت الرهيب، و لذا يرى الإنسان نفسه تهدأ و تسكن إذا صار فى محل ساكن لا حسّ فيه و لا حركة وَ هُوَ السَّمِيعُ لأقوال العباد و لكل صوت الْعَلِيمُ بكل شى‌ء.

[۱۵] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار: أَ غَيْرَ اللَّهِ أى هل غير الله سبحانه أَتَّخِذُ وَلِيًّا أى مالكا و مولى و ربا؟! و هو المتصف بكونه فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أى خالقهما و مبدعهما و منشئهما، إنه من السخافة أن يترك الإنسان الخالق و يتمسك بذيل المخلوق وَ هُوَ أى الله سبحانه يُطْعِمُ فإن الأطعمة و الأرزاق من عنده وَ لا يُطْعَمُ أى لا يرزقه أحد، فهل من المنطق أن يترك الإنسان الخالق الرازق و يتخذ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۵۲

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۵ الى ۱۶]

قُلْ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۱۵) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَ ذلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (۱۶)

المخلوق المرزوق وليا من دون الله، الذى ليس بيده أى شى‌ء؟

قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار: إِنِّي أُمِرْتُ أمرنى الله أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ لله و صدّق بكلماته و اتبع أوامره، و كونى أول من أسلم لعلمى التّام بالخالق سبحانه، كما قال: «إنى أول من يجاهد»، «و إنى أول من يسافر» دلالة لامتلاء النفس بذلك الشى‌ء وَ أمرنى الله بأن لا تَكُونَنَّ التأكيد للنفى مِنَ الْمُشْرِكِينَ الذين يجعلون مع الله شريكا. و الظاهر أن المراد بالشرك أعم ممن يجعل مع الله شريكا مع الاعتقاد به سبحانه، أو بدون الاعتقاد به، و المعنى: إنى أمرت بالأمرين، الإسلام، و عدم الشرك.

[۱۶] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء المشركين: إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي بمخالفة أوامره عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ أى عذاب يوم القيامة، و إنما قال «أخاف» مع أنه متيقن إما من جهة التعبير بالخوف حتى عن المتيقن، كما يقول من حكم عليه بالإعدام: «إنى أخاف الموت» أى أرهبه، و إما لاحتمال النجاة لأن رحمته وسعت كل شى‌ء، فمعنى الخوف على هذا الاحتمال رجاء العفو و الرحمة.

[۱۷] مَنْ يُصْرَفْ العذاب عَنْهُ يَوْمَئِذٍ أى فى ذلك اليوم العظيم فَقَدْ رَحِمَهُ إذ لا أحد- باستثناء المعصومين- إلا و يكون مستحقا للعذاب، و لذا كان الصرف عنه بمقتضى الرحمة وَ ذلِكَ الصرف، أو الرحمة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۵۳

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۷ الى ۱۹]

وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْ‌ءٍ قَدِيرٌ (۱۷) وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (۱۸) قُلْ أَيُّ شَيْ‌ءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ أَ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَ إِنَّنِي بَرِي‌ءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (۱۹)

الْفَوْزُ و الفلاح الْمُبِينُ الواضح الذى لا فوز مثله.

[۱۸] و يستطرد السياق بذكر بعض صفاته سبحانه فى مقابل المعاندين المنكرين وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ من «مسّ أى أمسك» بما هو ضرر من فقر أو مرض أو مـا أشـبههما فَلا كاشِفَ لَهُ أى دافع له إِلَّا هُوَ فلا أحـد مؤثر فى الكون، و إنما العلل تؤثر فى المعلولات بإذن الله سـبحانه وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ غنى أو صحة أو ما أشبههما فَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إنه القادر المطلق على الخير و الشر، أما من سواه فقدرته من قدرته، مع أنه ليس له إلا قدرة ناقصة لبعض الأشياء.

[۱۹] وَ هُوَ تعالى الْقاهِرُ أى الذى يقهر و يغلب فَوْقَ عِبادِهِ أى الجميع تحت تسخيره و سيطرته، لا الفوقية المكانية، فإنه أجل من الزمان و المكان وَ هُوَ الْحَكِيمُ فى أعماله، فليس كونه قاهرا موجبا للخوف من ظلمه، كسائر الجبابرة القاهرين الْخَبِيرُ بما يصـدر من العباد، فلا يأخذ أحدا بجرم أحد كما هو شأن القاهرين من البشر، حيث يشتبهون كثيرا لجهلهم.

[۲۰] فى بعض التفاسير: أن أهـل مكـة أتـوا الرسـول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فقـالوا: أمـا وجـد الله رسولاـ غيرك، مـا نرى أحـدا يصدقك فيما تقول، و لقد سألنا عنك اليهود و النصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر، فأرنا من يشهد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۴

أنـك رسول الله كما تزعم «۱»، فنزلت هـذه الآية: قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار: أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً أى أعظم من حيث الشـهادة، حتى آتيكم به دليلا على صدقى و صحة نبوتى، إنهم يتحيرون فى الجواب طبعا، و يفكرون فى الناس العظماء بنظرهم ليقولوا: «فلان»، لكن الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقطع تحيرهـم و تفكرهم بما علمه الله سبحانه قُلْ يا رسول الله: اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ أى هو شاهد يشـهد بصدق نبوتى. و قد مرّ سابقا أن شهادة الله هى إجراء الإعجاز على يده الكريمة وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ أنزله تعالى علىّ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ أى لأخوفكم بهذا العقاب، و أخوّف من كفر و عصـى وَ مَنْ بَلَغَ عطف على «كم» أى أنذر به من بلغه هذا القرآن إلى يوم القيامة.

و روى عن الباقر و الصادق عليه السّـلام أن «من بلغ» معناه: من بلغ أن يكون إماما من آل محمـد فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله «۲».

و عليه فهو عطف على الضـمير المرفوع فى «أنـذر» أى أنـذر أنا الرسول و الأئمـة- الذين هم مصداق «من بلغ»- الناس أَ إِنَّكُمْ أى: هل إنكم أيها السامعون الكفار لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرى اسـتفهام إنكارى، أى: كيف تشـهدون بذلك بعد وضوح أدلة التوحيد و قيام

---

(۱) مجمع البيان: ج ۴ ص ۲۲ و تفسير القمى: ج ۱ ص ۱۹۵.

(۲) الكافى: ج ۱ ص ۴۱۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۵

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۲۰ الى ۲۱]

الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۲۰) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (۲۱)

الحجة و البرهان على بطلان كل شـريك؟ و المراد الشـريك مطلقا و لو كان واحـدا، و ذكر «آلهة» من باب المورد قُلْ أنت يا رسول الله، إذا لم يعترف أولئك بالتوحيد: لا أَشْهَدُ أنا بمثل شـهادتكم بالشريك، و إنما أنا لا أعتقد إلا إلها واحدا قُلْ يا رسول الله: إِنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ لا شـريك له وَ إِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ أى من الأوثان التى تشـركون بسببها، و تدخلون أنفسـكم فى زمرة المشـركين من أجلها.

[۲۱] ثم ذكر سبحانه أن أهل الكتاب كسائر المشركين يعلمون الحق لكنهم يتجاهلونه الَّذِينَ آتَيْناهُمُ أى أعطيناهم الْكِتابَ يراد به جنس الكتاب الأعم من التوراة و الإنجيل و غيرهما يَعْرِفُونَهُ أى يعرفون الرسول كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمُ فكما يعرف الشخص ابنه بحيث لا يمكن أن يشتبه بغيره، كذلك لا يشتبه أهل الكتاب بمعرفة الرسول بوصفه و مزاياه الموجودة فى كتبهم الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بأن باعوها بالكفر، الذى عاقبته فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ إن عدم الإيمان مترتب على الخسران، فالخاسر لا يؤمن و الرابح يؤمن.

[۲۲] وَ مَنْ أَظْلَمُ أى من يكون أكثر ظلما و تعديا عن الحق مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً؟! بأن جعل له شريكا و زعم أن الله أمره بذلك، كأهل الكتاب و قسم من المشركين الذين كانوا يقولون: إن الله أمرنا باتخاذ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۶

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۲۲ الى ۲۳]

وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۲۲) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قالُوا وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ (۲۳)

الأنداد و الشركاء أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ كما لو كذب بالقرآن أو بالرسول أو بالمعجزات، فإنها كلها من آيات الله سبحانه، لكن الكتاب آية صامتة، و الرسول آية ناطقة إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ إنهم لا يفوزون بخير الدنيا، و لا سعادة الآخرة.

[۲۳] وَ اذكر يا رسول الله يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً و هو يوم القيامة الذى يجمع فيه هؤلاء المشركون و سائر المكذبين ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا و جعلوا لله شريكا أَيْنَ شُرَكاؤُكُمُ أى الشركاء لله الذين زعمتم أنهم كذلك. و الإضافة إلى «كم» باعتبار أنهم اتخذوها، كما تضاف إلى «الله» باعتبار أنه سبحانه المجعول فى رديفهم فيقال «شركائى» الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أنهم شركاء الله سبحانه؟ و الاستفهام إنكارى للتوبيخ و التقريع.

[۲۴] ثُمَّ بعد هذا السؤال منهم لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ أى معذرتهم، فإن الفتنة على معان، منها: المعذرة، أو هو على سبيل المجاز، أى: لم تكن نتيجة فتنتهم بالأصنام، إلا التبرؤ منها، كما يقال: «لم يكن درسهم و قضاؤهم إلا رشوة و خيانة» يراد أن عاقبتهما كانت الرشوة و الخيانة إِلَّا أَنْ قالُوا وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ فيحلفون بالله كذبا أنهم ما كانوا مشركين، كما اعتادوا فى الدنيا أن يحلفوا كذبا حينما يقعون فى المشاكل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۷

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۲۴ الى ۲۵]

انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (۲۴) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها حَتَّى إِذا جاؤُكَ يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلاَّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (۲۵)

[۲۵] انْظُرْ يا رسول الله إلى حلف هؤلاء كَيْفَ كَذَبُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ بأنهم ما كانوا مشركين، و هذا أمر يقصد به التعجب و الاستغراب وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ أى ضلت عنهم أوثانهم التى كانوا يعبدونها من دون الله، و يفترون الكذب على الله بقولهم: هذه شفعاؤنا عند الله، فلم يجدوها و لم ينتفعوا بها و إنما الأمر لله وحده.

[۲۶] قيل: إن نفرا من مشركى مكة جلسوا إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو يقرأ القرآن، فقال بعضهم لبعض: ما يقول محمد؟ قال: أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية. فنزلت هذه الآية وَ مِنْهُمْ أى من الكفار و المشركين مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ أى إلى كلامك يا رسول الله وَ لكن حيث أنهم أعرضوا عن الحجة بعد ما بيّنت لهم جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً هى جمع «كنان» و هى ما ستر شيئا، فإن الإنسان إذا أعرض عن الحق غشيت على قلبه غشاوة، إذ صار الإعراض له ملكة و عادة، و نسبته إلى الله سبحانه باعتبار أنه سبحانه هو الذى جعل الإنسان هكذا، فإنه علة كل شيء، و إن كان السبب المباشر هو الشخص أَنْ يَفْقَهُوهُ أى حتى لا يفقهوه بمعنى لا يفهموه وَ جعلنا فِي آذانِهِمْ وَقْراً «الوقر» هو الثقل فى الأذن، فهم كمن لا يسمع، حيث أنهم لا يستفيدون من سماعهم

وَ إِنْ یَرَوْا کُلَّ آیَةٍ و معجزة خارقة علی نبوتک و صدقک لا یُؤْمِنُوا بِها أی بتلک

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۸

[سورة الأنعام (۶): الآیات ۲۶ الی ۲۷]

وَ هُمْ یَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ یَنْأَوْنَ عَنْهُ وَ إِنْ یُهْلِکُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما یَشْعُرُونَ (۲۶) وَ لَوْ تَری إِذْ وُقِفُوا عَلَی النَّارِ فَقالُوا یا لَیْتَنا نُرَدُّ وَ لا نُکَذِّبَ بِآیاتِ رَبِّنا وَ نَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ (۲۷)

الآیات، إذ قد ران علی قلوبهم ما کانوا یعملون حَتَّی إِذا جاؤُکَ لا یطلبون الحق بل یُجادِلُونَکَ و یناقشونک یَقُولُ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هذا أی ما هذا القرآن إِلَّا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ «أساطیر» جمع أسطورة، بمعنی الخرافة، من سطر إذا کتب، یعنی: ما فی القرآن من القصص و الأحکام و غیرها لیست إلا أخبار الأقوام السابقة و ترّهاتهم.

[۲۷] وَ هُمْ أی هؤلاء الکفار الذین سبق ذکرهم یَنْهَوْنَ عَنْهُ أی عن النبی، أو القرآن، یعنی: ینهون الناس عن اتباع الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو القرآن، وَ یَنْأَوْنَ من «نأی» بمعنی تباعد، أی یتباعدون عَنْهُ أی عن الرسول أو القرآن، فهم یجمعون بین رذیلتی الکفر و الأمر بالمنکر وَ إِنْ أی: و ما یُهْلِکُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ فإنهم لا یضرون النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بل یضرون أنفسهم بخزی الدنیا و عذاب الآخرة وَ ما یَشْعُرُونَ أی لا یعلمون أنهم بذلک یهلکون أنفسهم.

[۲۸] وَ لَوْ تَری یا رسول الله أحوالهم فی الآخرة و کیف أنهم یندمون علی ما فرّطوا فی دار الدنیا إِذْ وُقِفُوا عَلَی النَّارِ أی أشرفوا و اطلعوا و وقفوا علی حافتها لدخولها فَقالُوا یا لَیْتَنا نُرَدُّ أی یرجعوننا إلی الدنیا وَ لا نُکَذِّبَ بِآیاتِ رَبِّنا دلائله و براهینه وَ نَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ بالله و الرسول و ما جاء به. و جملتا «لا نکذب» و «نکون» من مدخول التمنی،

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۹

[سورة الأنعام (۶): الآیات ۲۸ الی ۳۰]

بَلْ بَدا لَهُمْ ما کانُوا یُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ (۲۸) وَ قالُوا إِنْ هِیَ إِلاَّ حَیاتُنَا الدُّنْیا وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِینَ (۲۹) وَ لَوْ تَری إِذْ وُقِفُوا عَلی رَبِّهِمْ قالَ أَ لَیْسَ هذا بِالْحَقِّ قالُوا بَلی وَ رَبِّنا قالَ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما کُنْتُمْ تَکْفُرُونَ (۳۰)

و التقدیر: «یا لیت لنا انتفاء التکذیب، و الکون من المؤمنین».

[۲۹] بَلْ بَدا لَهُمْ أی ظهر لهؤلاء الکفار الحق جلیا بحیث لا مجال لإخفائهم له ما کانُوا یُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ فی دار الدنیا حیث کانوا یعرفونه کما یعرفون أبناءهم. و لعل وجه الإضراب ب «بل» بیان أنه لیس الأمر علی ما قالوه من أنهم: لو ردّوا إلی الدنیا لآمنوا، فإن التمنی الواقع منهم یوم القیامة لیس لأجل کونهم راغبین فی الإیمان، بل لأجل خوفهم من العقاب الذی یعاینوه وَ لَوْ رُدُّوا إلی الدنیا کما تمنوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ أی لرجعوا إلی کفرهم و عصیانهم وَ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ فی أنهم لو ردّوا لعملوا صالحا کما فی آیة أخری: رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّی أَعْمَلُ صالِحاً فِیما تَرَکْتُ «۱»، و لا یخفی أن الإنسان إذا کان ذا طبع عنادی لا ینفک عن طبیعته حتی و لو رأی المشاهد العظیمة من عناده کما هو المشاهد المجرّب.

[۳۰] و قد کان هؤلاء الکفار ینکرون المعاد و هم فی دار الدنیا وَ قالُوا إِنْ هِیَ أی ما هی إِلَّا حَیاتُنَا الدُّنْیا أی الحیاة القریبة التی نحن فیها و لیس ورائها شیء وَ ما نَحْنُ بِمَبْعُوثِینَ بعد الموت. و «البعث» هو الإرسال و الإحیاء.

[۳۱] وَ لَوْ تَری یا رسول الله أحوال هؤلاء الکفار یوم القیامة إِذْ وُقِفُوا

---

(۱) سورة المؤمنون: ۱۰۰ و ۱۰۱.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۰

[سورة الأنعام (۶): آیة ۳۱]

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذا جاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قالُوا يا حَسْرَتَنا عَلى ما فَرَّطْنا فِيها وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِمْ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ (۳۱)

عَلى رَبِّهِمْ أى فى معرض خطابه و حسابه، كالشخص الذى يقف عند الملك و هو مجرم، فإنه فى حال يأس و اضطراب ممّا ينطق الملك فى حقه من العقاب. و من المعلوم أن الله لا يرى، و ليس بجسم، و لا له مكان، فالمعنى على سبيل المجاز قالَ ربهم لهم أَ لَيْسَ هذا اليوم الذى كان يخبر به الأنبياء و كنتم تنكرونه بِالْحَقِ و هو استفهام توبيخ و تقريع قالُوا مقرّين مذعنين بَلى هو حق وَ رَبِّنا و إنما حلفوا خوفا، فإن الخائف يردف كلامه بالحلف استمالة لقلب المخوف منه و إظهارا بأنه يوافق كلام المتكلم قالَ الله سبحانه فَذُوقُوا الْعَذابَ و المراد ب «الذوق» ليس الذائقة اللسانية، بل ذوق الجسد فإنه يطلق عليهما بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ أى بسبب كفركم، و كان السؤال للإهانة و الإذلال.

[۳۲] ثم أخبر سبحانه عن حال هؤلاء الكفار بقوله: قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ المراد بِلِقاءِ اللَّهِ جزاؤه و عقابه، كما يقال: فلان لقى عمله، أى جزاء عمله، و إلا فليس لله مكان يرى حَتَّى إِذا جاءَتْهُمُ السَّاعَةُ أى يوم القيامة بَغْتَةً أى فجأة من «بغت يبغت» بمعنى فاجأ، و إنما ذكر ذلك لأنهم فى دار الدنيا كانوا لا يحسبون حساب يوم القيامة حتى يستعدوا له. و هل المراد ب «الساعة» الموت- كما ورد: من مات قامت قيامته

«۱»- حتى يلائم ما بعده، أم المراد القيامة و يكون المراد

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۵۸ ص ۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۱

[سورة الأنعام (۶): آية ۳۲]

وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۳۲)

العذاب الشديد لأن عذاب الآخرة أشد من عذاب القبر، احتمالان.

قالُوا أى قال هؤلاء الكفار عند معاينة الأهوال و العذاب: يا حَسْرَتَنا الحسرة شدة الندم يعنى: أيتها الحسرة احضرى فهذا وقتك عَلى ما فَرَّطْنا فِيها أى على ما تركنا و ضيّعنا فى الدنيا من أعمارنا و لم نقدم عملا صالحا ننتفع به فى هذا اليوم وَ هُمْ أى هؤلاء الكفار يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ «الوزر» الثقل، و حيث إن للذنوب ثقلا تسمى أوزارا عَلى ظُهُورِهِمْ هذا من باب التشبيه، فكما أن من يحمل ثقلا على ظهره يكون فى تعب و حرج، كذلك من يحمل ذنبا، و منه: «عليه دين» أَلا- للتنبيه ساءَ أى بئس ما يَزِرُونَ أى ما يحملون من وزر، بمعنى: إثم و حمل خطأ.

[۳۳] وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا أى ليست الحياة القريبة التى اغتر بها الكفار فعملوا لها و تركوا آخرتهم إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ «اللهو» هو ما يلهى الإنسان عن الجدّ إلى الهزل، فإن الدنيا ليست إلّا ألعابا و ملهيات و إنما كانت كذلك لأنه لا حقيقة لأعمالها فهى فانية زائلة، و إذا بالإنسان يرى نفسه و لم يحصّل شيئا. و غير خاف أن ذلك بالنسبة إلى الأعمال التى لا تعقب ثمرة صالحة، و إلّا فالدنيا مزرعة الآخرة. و نعم متجر العقلاء وَ لَلدَّارُ الْآخِرَةُ «اللّام» للتأكيد، أى أن الدار الثانية التى هى الجنة و نعيمها خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ معاصى الله، و قد جرد «خير» عن معنى التفضيل، أو بملاحظة أن فى الدنيا أيضا خيرا فى الجملة، ثم إنها خير

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۲

[سورة الأنعام (۶): آية ۳۳]

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (۳۳)

للمتقين، أما غيرهم فالدنيا خير لهم. و لذا

ورد: «إن الدنیا سجن المؤمن و جنة الکافر»
«۱» أ فَلا تَعْقِلُونَ أیها البشر، فإن من عقل و أدرک علم أن الباقی السرمدی الذی لا یشوبه حزن و همّ خیر من الفانی الممزوج بأنواع المصائب و الرزایا.

[۳۴] ثم سلّی سبحانه نبیه علی تکذیبهم إیاه و عدم انصیاعهم لأوامره و إرشاده بقوله: قَدْ نَعْلَمُ یا رسول الله، و «قد» تستعمل فی المضارع للتحقیق إلّا أن الغالب أنها فیه للتقلیل إِنَّهُ لَیَحْزُنُکَ الَّذِی یَقُولُونَ مما ینسبونه إلیک من أنک شاعر و کاهن و مجنون، و ما أشبه ذلک من السباب و الاستهزاء الذی کانوا یکیلونه للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فَإِنَّهُمْ أی الکفار لا یُکَذِّبُونَکَ یا رسول الله فی قرارة نفوسهم، لعلمهم أنک صادق، و هذا نوع من التسلیة إذ الإنسان إذا علم أن عدوه یجلّه فی قرارة نفسه، کان ذلک سلوة له لما علمه من الاحترام الکامن.

قالوا التقی الأخنس بن شریف و أبو جهل بن هشام فقال الأخنس:

یا أبا الحکم أخبرنی عن محمد أصادق هو أم کاذب؟ فإنه لیس هاهنا أحد غیری و غیرک یسمع کلامنا فقال أبو جهل: ویحک! و الله إن محمدا لصادق و ما کذب قط، و لکن إذا ذهب بنو قصی باللواء و الحجابة و السقایة و الندوة و النبوة فما ذا یکون لسائر قریش؟ فنزلت هذه الآیة.

---

(۱) وسائل الشیعة: ج ۱۶ ص ۱۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۳

[سورة الأنعام (۶): آیة ۳۴]

وَ لَقَدْ کُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ فَصَبَرُوا عَلی ما کُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّی أَتاهُمْ نَصْرُنا وَ لا مُبَدِّلَ لِکَلِماتِ اللَّهِ وَ لَقَدْ جاءَکَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِینَ (۳۴)

و روی عن الإمام أمیر المؤمنین علیه السّلام معنی آخر للآیة حاصله

«إنهم لا یکذبونک بحجة و لا یتمکنون من إبطال ما جئت به من برهان»

«۱».

وَ لکِنَّ الظَّالِمِینَ و هم الکفار الذین ظلموا أنفسهم بالکفر، و غیرهم بالمنع عن الإسلام بِآیاتِ اللَّهِ یَجْحَدُونَ أی ینکرون آیات الله، کما قال سبحانه وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَیْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ «۲».

[۳۵] ثم ذکر سبحانه تسلیة للنبی أنه لیس بأول رسول یکذّب، بقوله:

وَ لَقَدْ کُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ لیس تنکیر «الرسل» لأنه لیس هناک رسول یکذّب، حتّی ینافی قوله: یا حَسْرَةً عَلَی الْعِبادِ ما یَأْتِیهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ «۳»، المفید لتکذیب کل رسول، و إنما الکلام حیث جری مجری التسلیة کان یکفی ذلک الإلماع إلی أن هذا الجنس أیضا فی معرض التکذیب و الازدراء فَصَبَرُوا عَلی ما کُذِّبُوا أی علی تکذیب الناس لهم وَ أُوذُوا إما عطف علی «کذبوا» أو علی «کذبت» حَتَّی أَتاهُمْ أی جاءهم نَصْرُنا إیاهم علی المکذبین، فاصبر أنت یا رسول الله حتّی یأتیک النّصر وَ لا مُبَدِّلَ لِکَلِماتِ اللَّهِ أی لا أحد یقدر علی تغییر ما أخبر الله به من نصر الرسل، و إهلاک

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۹ ص ۸۶.

(۲) النمل: ۱۵.

(۳) یس: ۳۱.

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۶۴

[سورة الأنعام (۶): آية ۳۵]

وَ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْراضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّماءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ (۳۵)

أعدائهم وَ لَقَدْ جاءَكَ يا رسول الله مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ أى بعض أخبار الرسل السّابقين كيف نصرناهم على أعدائهم.

[۳۶] ثمّ بيّن سبحانه أنّ هؤلاء الكفّار لا يؤمنون فلا تتعب نفسك لأجلهم، و لا تحزن. و هنا نكتة بلاغيّة لا بأس ببيانها، و هى أنّ الألفاظ و الجمل وضعت للمعانى الخاصّة، لكنّها كثيرا ما تستعمل لإنشاء مفهومها الموضوع له، لكن يراد غير ذلك، كما يستعمل الاستفهام و التعجّب بالنّسبة إليه سبحانه، مع العلم أنه لا يجهل شيئا، و لا يتعجب من شىء، و إنما استعمال الاستفهام و التعجب بداعى التحريض أو الردع أو نحوهما، و هكذا الخطاب الغليظ أو الرقيق لأحد، قد يراد به المعنى الموضوع له، و قد يراد به داع آخر يفرغ فى مثل هذا القالب، فإنك إذا أردت تنبيه أحد من جيرانك، تغلظ لولدك فى الخطاب مع أنك لا تريده بالذات، فمثلا تقول: «لو أنك ألقيت النفاية بباب الدار لحبستك» فإنك لا تريده بل تنشئ هذا الكلام بداعى زجر الجار عن القيام بمثل هذا العمل، بل قد يكون عمل يستفاد منه شىء- حسب المتعارف- يأتى به الإنسان لغرض آخر، كما لو أردت تأديب ولدك لما اقترفه من عمل سيئ، فإنك تعمل إلى خادمك و ترفسه برجلك- فى هدوء- قائلا: لماذا فعلت هذا الفعل، و إنك لا تريده إطلاقا، و إنما تريد إفهام ولدك أن هذا العمل له هذا الجزاء.

و على هذا الوجه جرى الكلام فى هذه الآية الكريمة وَ إِنْ كانَ كَبُرَ إنه سبحانه يريد بيان غلظة قلوب الكفار و عنادهم، لكنه يصوغه فى أسلوب خطاب للنبى، بأنك توسلت بكل الوسائل من الصعود فى السماء، و جعل النفق فى الأرض- مما يتوسل الناس بهما فى مآربهم-

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۶۵

فإن الكفار لا يؤمنون .. كما أن قصة موسى عليه السّلام وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ «۱»، من هذا القبيل أيضا.

وَ إِنْ كانَ يا رسول الله كَبُرَ أى عظم و اشتد عَلَيْكَ إِعْراضُهُمْ أى إعراض هؤلاء الكفار عن الإسلام فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أى قدرت أَنْ تَبْتَغِيَ أى تطلب و تتخذ نَفَقاً أى سربا فِي الْأَرْضِ تشبيه للمعقول بالمحسوس، فكما أن من يريد فتح مدينة، يتخذ الإنفاق من خارج المدينة إلى داخلها ثم يدخلها فجأة ليستولى عليها، فكذلك إن تمكنت أن تصنع مثل ذلك للسيطرة على أرواح هؤلاء و قلوبهم أَوْ تبتغى و تطلب سُلَّماً أى مصعدا و مرقاة فِي السَّماءِ لتصعد عليه فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ أى حجة و برهان، غير ما أنزلنا عليك. و جواب «إن» محذوف، أى «فافعل» حذف لدلالة الكلام عليه، كما تقول: «إن تمكنت أن تتصدق» و تحذف قولك: «فافعل».

وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ أى الناس عَلَى الْهُدى بأن يلجئهم إلى قبول الإيمان، لكنه لا يشاء ذلك لأنه حينئذ يبطل الامتحان و الاختبار فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ فإنّ الجاهل هو الّذى يظنّ أنّ بالإمكان العادى اجتماع النّاس كلّهم على أمر، أمّا العاقل المجرّب فيعلم أنّه ما من شىء إلا و فيه خلاف و خصام حتّى البديهيّات الأوليّة

---

(۱) الأعراف: ۱۵۱.

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۶۶

[سورة الأنعام (۶): آية ۳۶]

إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَ الْمَوْتى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (۳۶)

كنور الشّمس، فإنّ السفسطائيين ينكرونه، و لم يكن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى معرض الجهل حتّى يكون الكلام ردعا له، و

إنما صیغ الکلام لداعی تأنیب الکفّار حتّی أن قصد هدایتهم یکون من أعمال الجاهلین.

و هنا سؤال: کیف تقولون فی الآیات النازلة بالنسبة إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بمثل هذه المحامل، و لا تقولون فی ما أشبهها من الآیات فی غیره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بمثل ذلک؟

و الجواب: القرینة الخارجیة- و هی أن النبی معصوم- أوجبت ذلک، کما أن القرینة الخارجیة أوجبت حمل «الاستفهام» من الله تعالی علی معنی آخر، بینما الاستفهام من غیره سبحانه یحمل علی معناه الحقیقی.

[۳۷] إن الذین یستجیبون لک یا رسول الله هم الأحیاء الذین لم یمت الضمیر فی جوفهم، و الذین یکفرون فهم الأموات، فکما أن المیت لا یسمع و لا ینتفع کذلک هؤلاء إِنَّما یَسْتَجِیبُ الَّذِینَ یَسْمَعُونَ أی یقبل الإیمان من کان حیا یسمع وَ الْمَوْتی لا سماع لهم حتّی یَبْعَثُهُمُ اللَّهُ فی الآخرة فیسمعون، إنهم لا علاج لهم، یقول الشاعر:

لقد أسمعت لو نادیت حیاو لکن لا حیاة لمن تنادی

ثُمَ بعد البعث و الحساب إِلَیْهِ یُرْجَعُونَ أی یرجعون إلی حکمه و قضائه، و هذا لتأکید أن الکفار أموات،

کقول الإمام

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۷

[سورة الأنعام (۶): الآیات ۳۷ الی ۳۸]

وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ آیَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلی أَنْ یُنَزِّلَ آیَةً وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ (۳۷) وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ ثُمَّ إِلی رَبِّهِمْ یُحْشَرُونَ (۳۸)

علی علیه السّلام «یا أشباه الرجال و لا رجال»

«۱»، فإن «و لا رجال» لتأکید الجملة الأولی.

[۳۸] وَ قالُوا أی قال الکفار: لَوْ لا أی هلّا نُزِّلَ عَلَیْهِ آیَةٌ أی معجزة خارقة مِنْ رَبِّهِ فإنهم بعد ما عجزوا عن مقابلة القرآن قالوا للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: أنزل علینا مثل عصا موسی و ناقة صالح و أشباههما حتی نؤمن بک، فردهم سبحانه بقوله: قُلْ یا رسول الله: إِنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلی أَنْ یُنَزِّلَ آیَةً کما تقترحون وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَعْلَمُونَ قدرة الله، بل إنه لیس فی إنزالها مصلحة، فإنهم معاندون و المعاند لا تفیده ألف آیة، کما لم تفد مع فرعون عصا موسی علیه السّلام و مع قوم صالح علیه السّلام الناقة، و لو لم یکن هؤلاء معاندون لکفاهم الکتاب الحکیم. ثمّ إن إتیان آیة موسی علیه السّلام أو ما أشبهها أبعد لقبولهم، إذ القرآن الذی هو علی لسانهم ینسبونه إلی السحر، فکیف بالعصا التی لیست من مهنتهم؟! [۳۹] و حیث أن جو هذه السورة حول التوحید و شؤونه و الآیات الکونیة و ردع الکفّار بمختلف أصنافهم عن عقائدهم الباطلة، بیّن سبحانه بعض مخلوقاته الدالة علی وجوده و صفاته الکمالیة بقوله: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ من «دبّ یدبّ» إذا تحرک، ثم عمّ کل حیوان و لو لم یتحرک،

---

(۱) نهج البلاغة: خطبة ۲۷ ص ۹۲.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۸

[سورة الأنعام (۶): آیة ۳۹]

وَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا صُمٌّ وَ بُکْمٌ فِی الظُّلُماتِ مَنْ یَشَأِ اللَّهُ یُضْلِلْهُ وَ مَنْ یَشَأْ یَجْعَلْهُ عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۳۹)

کما أنه یشمل حیوانات البر، لمقابلته بالطائر، و ذکر «فی الأرض» للتعمیم، وَ لا طائِرٍ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ کما أن ذکر «یطیر بجناحیه» للتعمیم أیضا، و السر أنه کثیرا ما یعبّر بمثل هذا التعبیر و یراد به العموم مبالغة، فإذا جاء القید أفاد العموم الاستغراقی إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ أیها البشر فإن کل نوع منهما أمة مستقلة و هی مثلکم فی الإبداع و لطف الصنع و دقة الترکیب ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ أی ما ترکنا أی کتاب

الكون، فإن الكون كتاب الله و الموجودات كلماته، و إنما سمّى الكون كتابا، لأن الكتاب بمعنى الجمع، من كتب بمعنى جمع، و هذا الكون قد جمع الأشياء فهو كتاب الله التكوينى مِنْ شَيْءٍ فهذا الكتاب قد اشتمل على جميع الأشياء و مختلف الأصناف، فهل بعد ذلك يطلب أحد دليلا على وجود الله؟ ثُمَ هذه الأمم كلها بعد الممات إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ أى يجمعهم يوم القيامة جميعا، كما قال: وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ «۱»، فمنه سبحانه بدؤها و إليه عودها.

[۴۰] وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أى بدلائلنا الدالة على وجودنا و سائر صفاتنا، بعد هذه الدلائل الواضحة صُمٌّ جمع «أصم» و هو الذى لا يسمع وَ بُكْمٌ جمع «أبكم» و هو الذى لا يتكلم، فهم كالذى لا يسمع و لا يتكلم حتّى يكتسب العلم و يدركه فإن العلم يأتى من الأذن و يخرج

---

(۱) التكوير: ۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۹

[سورة الأنعام (۶): آية ۴۰]

قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَ غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴۰)

من اللسان فِي الظُّلُماتِ فلا يبصر حتّى يرى الأشياء، فإن الكافر مثل هذا الشخص لأنه قد عطّل جوارحه فلا يدرك شيئا كما لا يدرك الأعمى الأبكم الأصم شيئا مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ أى يتركه و لا يجبره على الهداية حتى يضل الطريق و ذلك بعد ما بين له الحجة فلم يقبل بل أعرض عنها- و قد تقدم معنى ذلك- وَ مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ باللطف الخفى به، كما قال سبحانه: وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً «۱»، وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا «۲».

[۴۱] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار: أَ رَأَيْتَكُمْ أى أخبرونى؛ فإن «أ رأيت» بمعنى «أخبر»، و «كم» للخطاب، و هو يتغير حسب إفراد المخاطب و تثنيته و جمعه، كقوله سبحانه: أَ رَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَ «۳»، إِنْ أَتاكُمْ أى جاءكم عَذابُ اللَّهِ بأن نزلت صاعقة أو خسفت بكم الأرض أو ما أشبههما- كما حدث فى الأمم السابقة- أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أى القيامة بأهوالها و عذابها أَ غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ لكشف العذاب و الأهوال عنكم إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى أن هذه الأصنام آلهة؟! و هم بفطرتهم يجيبون بالنفى، و أنهم لا يدعون غير الله، بل يدعون الله وحده، و فى ذلك دلالة على بطلان الأصنام و عبادتها.

---

(۱) محمد: ۱۸.

(۲) العنكبوت: ۷۰.

(۳) الإسراء: ۶۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۷۰

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۴۱ الى ۴۳]

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ وَ تَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ (۴۱) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (۴۲) فَلَوْ لا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا وَ لكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۴۳)

[۴۲] و لذا قال سبحانه بَلْ إِيَّاهُ أى الله سبحانه تَدْعُونَ و تقبلون عليه فى شدائدكم فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ أى يرفع الضر الذى دعوتموه من أجله إِنْ شاءَ الكشف عنكم وَ تَنْسَوْنَ فى وقت الشدة ما تُشْرِكُونَ من دون الله.

[۴۳] ثم بيّن سبحانه أن الأمم الماضية لما أتتهم الرسل و لم يؤمنوا بهم أصابهم أنواع البلاء، و أن حال هؤلاء كحال أولئك إن لم يؤمنوا وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رسلنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ يا رسول الله فلم يؤمنوا فَأَخَذْناهُمْ أى أخذنا تلك الأمم بِالْبَأْساءِ أى الفقر و البؤس وَ

الضَّرَّاءِ أى الأوجاع و الأسقام لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ أى كى يتضرعوا إلى الله سبحانه، فإن الإنسان إذا ابتلى بالبلاء كان أقرب إلى الله سبحانه، و فى ذلك لطف بالنسبة إليه.

[۴۴] لكنهم لم يتضرعوا و حتى فى هذه الحالة ركبوا العناد و سلكوا سبيل اللّجاج فَلَوْ لا أى هلّا- و هى كلمة توبيخ- إِذْ جاءَهُمْ أى جاء تلك الأمم بَأْسُنا تَضَرَّعُوا و خضعوا لله وَ لكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ بسبب استمرارهم فى الكفر و العصيان فلم تجد الهداية إلى قلوبهم سبيلا وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ فرأوا أعمالهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۷۱

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۴۴ الى ۴۶]

فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ (۴۴) فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۴۵) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (۴۶)

حسنة، و لذا لم يتركوها.

[۴۵] فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ أى تركوا ما ذكّرناهم من أوامرنا و لم يعملوا بما دعاهم الرسل إليه فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ من النّعم حيث قد أقبلت الدنيا عليهم من جميع النواحى بعد تلك البأساء و الضراء.

و ذلك لأجل احتمال إفادة التذكير بالنعم حتى يشكروا بارئها و المتفضل بها عليهم حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أى بما أعطاهم الله من النعم و اشتغلوا بالتلذذ و لم يقبلوا أمر الرسل، بل صار ذلك سببا لزيادة طغيانهم و كفرهم أَخَذْناهُمْ بالهلاك و النكال بَغْتَةً أى فجأة فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ من «بلس» إذا تحسّر، أى أنهم متحيّرون آيسون من النجاة.

[۴۶] فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا «الدابر» الأصل، أى استؤصل و قطع أصل القوم بسبب العذاب وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ الذى أهلك الكفار و أراح البلاد و العباد منهم.

[۴۷] ثم احتج الله على الكفار بحجة أخرى تدل على بطلان أصنامهم و أن الأمر لله وحده قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار الذين يشركون بالله سبحانه: أَ رَأَيْتُمْ أى أخبرونى، فقد تقدم أن «أ رأيت» بمعنى أخبرنى إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصارَكُمْ أى أذهب بها فصرتم صمّ و عمى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۷۲

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۴۷ الى ۴۸]

قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (۴۷) وَ ما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَ أَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۴۸)

وَ خَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ أى سلب عقولكم حتى صرتم لا تعقلون، أو المراد الطبع عليها حتى تبتعد عن الخير مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أى بذلك الشيء المأخوذ منكم، فإنهم يعترفون بأن الأصنام لا تتمكن من إعادة الأشياء المذكورة انْظُرْ يا رسول الله كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ أى نبيّن لهم فى القرآن الآيات الدالة على التوحيد، و «تصريف الآيات» توجيهها، من «صرف» إذا أرسل ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ من «صدف» بمعنى أعرض، أى يعرضون عن الحق و عن القائل فى الآيات.

[۴۸] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار: أَ رَأَيْتَكُمْ أى أخبرونى إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ بعد ما أنذرتكم و لم تؤمنوا بَغْتَةً أو مفاجأة خفية، فإن الفجأة تلازم الخفية أَوْ جَهْرَةً علانية بلا فجأة هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ الكافرون الذين ظلموا أنفسهم، و العاصون، و المراد بالهلاك ما يسبب خسارة الدارين، أما المؤمن لو هلك، فإنه لا يخسر إلّا الدنيا، و يعوّض عنها بأنواع الإنعام، و فى هذا الاستفهام إيقاظ و تنبيه و ردع لهم من الظلم، فأى أحد يجب أن يهلك إذا أتى العذاب.

[۴۹] وَ ما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ بالجنة و الثّواب لمن آمن و أصلح

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۷۳

[سورة الأنعام (۶): آية ۴۹]

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا يَمَسُّهُمُ الْعَذابُ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۴۹)

وَ مُنْذِرِينَ بالنار و العقاب لمن كفر أو عصى فَمَنْ آمَنَ بما أمر الله الإيمان به وَ أَصْلَحَ أعماله فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ لا فى الدنيا و لا فى الآخرة، أما فى الآخرة فواضح، و أما فى الدنيا فلأن الخوف و الحزن الحقيقيين ما كانا مع الانقطاع عن العوض و الثواب و ما أشبهها، و ليس المؤمن كذلك فإنه يعلم أن ما يصيبه يعقبه الثواب و الأجر. و لذا

قال الإمام الحسين عليه السّلام يوم عاشوراء: «هوّن علىّ ما نزل بى أنه بعين الله»

«۱»، و الارتباط بين هذه الآية و الآية السابقة واضح فإن العذاب لما وعد به الكفار بيّن أن الرسل شأنهم التبشير و الإنذار.

[۵۰] وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا يَمَسُّهُمُ الْعَذابُ أى يصيبهم العذاب بِما كانُوا يَفْسُقُونَ أى بسبب فسقهم و خروجهم من طاعة الله سبحانه. ثم لا يخفى أن الغالب تفسير الآيات الدالة على العذاب بعذاب الآخرة، مع أن الإطلاق خلاف ذلك، فإن من أعرض عن ذكره سبحانه يصيبه العذاب فى الدنيا و فى الآخرة، كما قال سبحانه: وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً «۲»، و سببه واضح فإن المناهج التى يتبعها الإنسان مما وضعها غير الله سبحانه لا بد و أن تكون منحرفة، و هذا الانحراف يسبب الفوضى و الاستبداد و ما أشبه،

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۴۵ ص ۴۵.

(۲) طه: ۱۲۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۷۴

[سورة الأنعام (۶): آية ۵۰]

قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ (۵۰)

مما يؤذى الإنسان و ينغّص عيشه.

[۵۱] إن الكفار كانوا يستعظمون كيف يمكن أن يكون الإنسان رسولا- بدون أن يكون له مال عريض أو علم غيب ذاتى يعينه فى أموره و حوائجه، و يردّ الله سبحانه عليهم ذلك، بأن الرسالة لا ترتبط بهذه الأمور، و إنما هى هداية و نور قُلْ يا رسول الله: لا أَقُولُ لَكُمْ أيها الناس عِنْدِى خَزائِنُ اللَّهِ التى يهب منها لمن يشاء ما يشاء. و من المعلوم أنه ليس لله سبحانه خزائن بالمعنى المتعارف لدينا، بل خزائنه الأرض و الشمس و المعادن و ما أشبه، مما تفيض ثروة و مالا.

و فى الحديث القدسى «إنما خزائنى إذا أردت شيئا أن أقول له كن فيكون»

«۱».

و المراد ب «عدم القول» عدم الوجود، فهو من السالبة بانتفاء الموضوع وَ لا أقول أَعْلَمُ الْغَيْبَ كما يعلم الله سبحانه، بل إنما أعلم بما يوحى إلىّ بإذن الله سبحانه، كما قال عيسى عليه السّلام: وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ «۲»، و فى الآية الكريمة: فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ «۳»، وَ لا- أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ كما أنكم تتوقعون أن يكون الرسول ملكا إِنْ أَتَّبِعُ أى ليس لى شأن إلّا أن أتبع، و «إن» بمعنى «ما» إِلَّا ما يُوحى إِلَيَ من الأوامر و النواهى لأجل الإرشاد و الإصلاح قُلْ يا رسول الله لهم: إن مثل المؤمن و الكافر كمثل البصير الذى يبصر الأشياء

(۱) بحار الأنوار: ج ۴ ص ۱۳۵.

(۲) آل عمران: ۵۰.

(۳) الجن: ۲۷ و ۲۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۷۵

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۵۱ الى ۵۲]

وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (۵۱) وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ ما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (۵۲)

و الأعمى الذى لا يبصر هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ؟ كلّا، إن كل أحد يعلم بأنهما ليسا متساويين. و لعل تقديم الأعمى لأن الخطاب كان مع الكفار الذين هم بمنزلة الأعمى أ فَلا تَتَفَكَّرُونَ فى الأمر و أن مقام الرسالة لا يرتبط بما ذكرتم من الأشياء.

[۵۲] وَ أَنْذِرْ يا رسول الله بِهِ أى بالقرآن، فإنه قد تقدّم ذكره بلفظ «ما يوحى إليّ» الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ و الخوف هنا ليس بمعنى الاحتمال، كقولك: «أخاف أن يهدم البناء»، بل بمعنى الخوف القطعى، فهو كقولك: «أخاف من الجلاد» و هو يريد القتل. و المراد ب «الذين يخافون» المعترفون بالبعث، و إنما قد أنذر هؤلاء مع أن الإنذار عام، لأن هؤلاء هم المنتفعون بالإنذار، أما من أعرض فلا ينتفع به لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ أى من دون الله تعالى وَلِيٌّ يلى أمورهم هناك وَ لا شَفِيعٌ و ليس المراد أن الله يشفع إذ لا معنى لشفاعته، بل المراد أن الشفاعة بيده، فلا يشفع أحد إلّا بإذنه، كما قال سبحانه: لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى «۱»، لَعَلَّهُمْ أى هؤلاء الذين أنذرتهم يَتَّقُونَ معاصى الله، و يأتمرون بأوامره.

[۵۳] إن من يخاف الحساب، أنذره يا رسول الله و لا تطرده من عندك و إن طلب الأشراف ذلك وَ لا تَطْرُدِ من مجلسك الَّذِينَ يَدْعُونَ

(۱) الأنبياء: ۲۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۷۶

[سورة الأنعام (۶): آية ۵۳]

وَ كَذلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (۵۳)

رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ أى صباحا وَ الْعَشِيِ طرف العصر يُرِيدُونَ بالدعاء و الضراعة وَجْهَهُ أى ذاته سبحانه خالصا مخلصا. و قد ورد أنه مرّ ملأ من قريش على رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عنده صهيب و خباب و بلال و عمار و سلمان و غيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أ فنحن نكون تبعا لهم؟ أ هؤلاء الذين منّ الله عليهم؟ اطردهم عنك فلعلّك إن طردتهم تبعناك. فنزلت الآية.

و فى بعض التفاسير أنه طعن أولئك الأشراف فى سيرة هؤلاء الفقراء و أعمالهم، كى يدفعوا الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لإبعادهم عنه، فرد عليهم سبحانه بقوله: ما عَلَيْكَ أى ليس عليك مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ فأنت لا تتحمل تبعة سيرتهم وَ ما مِنْ حِسابِكَ يا رسول الله عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فإنهم لا يطالبون بحسابك، بل كلّ و عمله، فسيرتهم لو كانت كما يقولون لا تضرك فَتَطْرُدَهُمْ فإن الشخص إنما يطرد من تضره سيرته، أما من كان قلبه عامرا بالإيمان و صلاته دائمة طرفى النهار فإن فقره و سيرته لا يوجبان طرده- لو فرض أن فى سيرته ميل- فَتَكُونَ بسبب طردهم مِنَ الظَّالِمِينَ لهم، أو لنفسك، فإن الإنسان إذا ظلم غيره فقد ظلم نفسه أيضا، و سيقت هذه الجملة مبالغة فى ردع من طلب طرد أولئك.

[۵۴] وَ كَذلِكَ أى هكذا فَتَنَّا أى ابتلينا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ حيث ابتلينا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۷۷

[سورة الأنعام (۶): آية ۵۴]

وَ إِذا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۵۴)

الأشراف و الفقراء لِيَقُولُوا أولئك الأشراف: أَ هؤُلاءِ أى هل هؤلاء الفقراء مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا حتى عمّهم النبى بلطفه، و جعلهم ندماءه و موضع سره؟ نعم، ليس الإسلام ينظر للناس كما ينظر أهل الدنيا أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ أنهم شاكرون، و الشاكر أفضل من غيره عند الإسلام، و إن كان غيره فى نظر الناس شريفا، فإن الميزان عند الإسلام التقوى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ «۱».

[۵۵] و الإسلام لا يسد الأبواب على العاصى، و إنما يفتح له باب التوبة.

و قد ورد أن جماعة جاءوا إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالوا: إنا أصبنا ذنوبا عظاما، فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا، فنزل قوله تعالى وَ إِذا جاءَكَ يا رسول الله الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتِنا أى بدلائلنا و براهيننا فَقُلْ لهم: سَلامٌ عَلَيْكُمْ أى أنتم فى سلام لا فى عذاب و عقاب، يقبل عذركم و يغفر ذنبكم كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أى أنه فرض على نفسه- حسب حكمته- أن يرحم العباد و يشملهم بلطفه و إحسانه أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهالَةٍ و المراد بالجهالة هنا ليس الجهل مقابل العلم، بل عدم المبالاة، و إنما سمى بذلك لأن العالم التارك

(۱) الحجرات: ۱۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۷۸

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۵۵ الى ۵۶]

وَ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ وَ لِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (۵۵) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْواءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (۵۶)

لعلمه هو و الجاهل سواء، و كأنه للجهل بالنتائج و العواقب المرتبة على العمل، و إلا فالآية تشمل العمل، بل هو موردها.

ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ أى بعد العمل وَ أَصْلَحَ أى عمل صالحا فَأَنَّهُ أى الله سبحانه غَفُورٌ لذنبه رَحِيمٌ به. و كان الإتيان ب «رحيم» بعد «غفور» غالبا، لإفادة الفضل فى لطفه و إحسانه.

[۵۶] وَ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ أى كما سبق نفصل الأدلة و البراهين الدالة على التوحيد و سائر شؤون المبدأ و المعاد، و نشرحها و نبيّنها، حتى يتضح سبيل المهتدين وَ لِتَسْتَبِينَ أى تظهر سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ المعاندين، فإن فى بيان الحق وضوح الأمرين؛ سبيل المحق و سبيل المبطل. و لفظة «سبيل» مما يجوز التذكير و التأنيث، و لذا قال: «تستبين» بالتأنيث.

[۵۷] ثم أمر سبحانه رسوله بالبراءة مما يعبد المشركون بقوله: قُلْ يا رسول الله لهؤلاء المشركين: إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يعنى الأصنام التى كانوا يعبدونها، و المراد ب «من دون الله» ما خلا عبادة الله، فإن النهى أعم من عبادة الأصنام وحدها أو بالاشتراك مع عبادة الله، فإن عبادة الأصنام إنما أتت من هوى النفس لا من دليل عقلى أو منطقى قُلْ يا رسول الله لهم: لا أَتَّبِعُ أَهْواءَكُمْ فى عبادة الأصنام قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً إذا فعلت أنا ذلك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۷۹

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۵۷ الى ۵۸]

قُلْ إِنِّي عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ كَذَّبْتُمْ بِهِ ما عِنْدِي ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفاصِلِينَ (۵۷) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي

ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (۵۸)

وَ ما أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ لو عبدت الأصنام.

[۵۸] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار: إِنِّي عَلى بَيِّنَةٍ أي أمر واضح بيّن لا غموض فيه مِنْ رَبِّي أي أن تلك البيّنة أتتنى من جانب الله سبحانه، لا مثلكم أتبع هوى النفس وَ كَذَّبْتُمْ بِهِ أي بما أنا عليه من الدليل و البيّنة، و قد كان الكفّار يطلبون من الرسول- استهزاء- أن ينزل عليهم العذاب الذي يعدهم، كما قال سبحانه: وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ «۱»، فرد عليهم بقوله: ما عِنْدِي أي ليس باختياري و أمري ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ أي الذي تطلبون سرعته إِنِ الْحُكْمُ أي ليس الحكم في باب العذاب إِلَّا لِلَّهِ فهو وحده يَقُصُّ الْحَقَّ أي يبيّنه وَ هُوَ خَيْرُ الْفاصِلِينَ الذي يفصّل الأمور، فإذا اقتضت المصلحة أتاكم بالعذاب و يفصل الأمر و تنتهى المشكلة، و من المعلوم أن إنزال العذاب له مقاييس خاصة، و أوقات محددة، فليس كل من طلب العذاب يجاب فورا و إن كان من أكثر الناس إجراما.

[۵۹] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار الذين يطلبون سرعة العذاب لَوْ أَنَّ عِنْدِي أي بأمري و إرادتي ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ من إنزال العذاب

---

(۱) الحج: ۴۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۸۰

[سورة الأنعام (۶): آية ۵۹]

وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُها وَ لا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الْأَرْضِ وَ لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ (۵۹)

بكم لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ إذ أهلككم فأستريح منكم، لكن ذلك بإذن الله و مشيئته وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ و بمقتضى عمله يقدم العذاب تارة و يؤخره أخرى.

[۶۰] و حيث ذكر علمه سبحانه بالظالمين يأتي السياق ليذكر الكافرين بعلمه سبحانه و قدرته و أعماله، في أنفسهم و في الآفاق، إنها أقوى الأدلة على وجوده و سائر صفاته الكلامية، و هل من حاجة بعدها إلى الخوارق التي كانوا يقترحونها لإثبات كلامه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ عِنْدَهُ أي عند الله سبحانه مَفاتِحُ جمع «مفتح» بمعنى المفتاح الْغَيْبِ أي ما غاب عن الحواس و المشاعر، فكأن الغيب قد سدّت أبوابه و أقفلت فلا يتمكن الإنسان أن يرى ما ورائها، و ليس بيد أحد مفاتيح تلك الأبواب ليفتحها و يرى الغيب، و إنما هي بيد الله سبحانه وحده، فهو الذي يعلم الغيب كله و يتمكن أن يفتح تلك الأبواب لمن أراد من خلقه، كما قال: فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ «۱»، لا يَعْلَمُها أي لا يدري ما هي تلك المفاتيح إِلَّا هُوَ أي إلّا الله سبحانه، و حيث أن كشف الغيب يحتاج إلى العلم بالكشف و القدرة على الكشف، و كان المقام مقام بيان عمله سبحانه، قال سبحانه «لا يعلمها» فلا يقال أن الأنسب أن يقول: «لا يقدر عليها» لا أن يقول «لا يعلمها». فالأرزاق و الآجال و ما أشبههما، التي تأتي في المستقبل، لا يعلمها إلّا الله سبحانه وَ يَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ

---

(۱) الجن: ۲۷ و ۲۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۸۱

[سورة الأنعام (۶): آية ۶۰]

وَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۶۰)

وَ الْبَحْرِ المراد بالبر: الأعم من المدن، و البحر: الأعم من الأنهار، بقرينة المقابلة وَ ما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ من أوراق الأشجار إِلَّا يَعْلَمُها، وَ لا

من حَبَّةٍ كامنة فِی ظُلُماتِ الْأَرْضِ أی جوفها، أو لا تسقط حبة فی باطن الأرض مما تزرع أو غيره. و قد كان التقابل بين «ما تسقط من ورقة» و بين «و لا حبة» لطيفا جدا، حيث أن الأول حركة الحياة إلى الموت، و السقوط الثانی حركة الموت إلى الحياة و الارتفاع وَ لا من رَطْبٍ وَ لا- يابِسٍ من جميع الأشياء و الأصناف. و هذا و إن كان أخص من الموجودات، لأن من الأشياء ما لا يتصف برطوبة لا يبوسة كالعقل، إلّا أن العموم يشمله الفحوى، و كثيرا ما يقال اللفظ الأخص و يراد الأعم حيث أن الأخص صار مثلا، كقوله: إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً «۱»، فإن الأكثر داخل بالفحوى إِلَّا فِی كِتابٍ مُبِينٍ أی إن جميع الأشياء محفوظة عند الله سبحانه فی كتاب واضح جلیّ، و هو اللّوح المحفوظ، أو المراد بالكتاب علمه الشامل. و لعلّ التعبير بالكتاب لأجل بيان أنه محفوظ لا يزول، كما أن الكتاب كذلك.

[۶۱] وَ هُوَ سبحانه كما يعلم الأشياء كذلك تجرى الأشياء بقدرته و إرادته، فأنتم أيها البشر فی قبضته و طوع أمره، فإنه الَّذِی يَتَوَفَّاكُمْ أيها البشر بِاللَّيْلِ أی يقبض أرواحكم عن التصرف، و «التوفی» أخذ

---

(۱) التوبة: ۸۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۸۲

[سورة الأنعام (۶): آية ۶۱]

وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَ هُمْ لا يُفَرِّطُونَ (۶۱)

الشیء كاملا و منه الوفاة، فإن الإنسان إذا نام أخذ الله روحه المتصرفة التی تبصر و تسمع و تذوق و تلمس و تشم، و هذه الآية كقوله سبحانه:

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها «۱»، و إنما الفرق أن الموت توف بمعنى أتم من التوفی، بمعنى النوم وَ يَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ أی ما كسبتم و فعلتم، أی عملتم بجوارحكم بِالنَّهارِ و هذا التفصيل خارج مجرى الغالب، و إلا فهو يتوفی بالنهار لمن نام فيه، و يعلم ما جرح الإنسان بالليل لمن عمل فيه ثُمَ بعد توفيكم بالليل يَبْعَثُكُمْ أی يوقظكم و ينبهكم من نومكم فِيهِ أی فی النهار لِيُقْضى أی لينهى أَجَلٌ مُسَمًّى أی أمدكم الذی سماه سبحانه فی اللوح المحفوظ، يعنی أنه إنما يوقظكم فی النهار حتّى لا يموت الإنسان قبل وقته ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ بعد تمام المدة و انتهاء الأمد، ترجعون إليه سبحانه فی الآخرة، و المراد: إلى حسابه، و إلا فليس له سبحانه محلّ، فإنه منزّه عن الزمان و المكان ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ أی يخبركم- بعد رجوعكم إليه- بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ليعطی كلّ ذی جزاء جزائه، إن خيرا فخير، و إن شرا فشر.

[۶۲] وَ هُوَ سبحانه الْقاهِرُ أی القادر الذی يقهر و يجبر كما يشاء فَوْقَ عِبادِهِ أی مستعل عليهم، فإن من يتصرف فی الإنسان يكون

---

(۱) الزمر: ۴۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۸۳

[سورة الأنعام (۶): آية ۶۲]

ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ (۶۲)

فوقه رتبة، و ليس المراد الفوقية الحقيقية، فإنه منزه عن المكان وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً جمع حافظ، و هم الملائكة الذين يبعثهم الله تعالى لحفظ الإنسان عن العطب، و حفظ أعماله فی دفاتر سجلات ليجزى كلّا حسب ما عمل حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ و صار وقت أن يموت تركه الحافظ له و أسلمه إلى حتفه تَوَفَّتْهُ أی قبضت روحه كاملة رُسُلُنا أی الملائكة المرسلة لأجل هذه الغاية وَ هُمْ لا يُفَرِّطُونَ بأن يقدموا أخذ الروح أو يؤخروها، أو يشددوا فی النزع أو يخفّفوا، بل يفعلون ما يؤمرون، و إنما أتى بلفظ «رسلنا» جمعا، لأن لملك الموت أعوانا، كما ثبت من السنة، و لعل فی قوله: الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ «۱»، دلالة عليه.

[۶۳] ثُمَّ بعد ما أخذت الملائکة أرواحهم رُدُّوا أی رجعت أرواحهم إِلَی اللَّهِ أی فی المکان المهیأ لهم من قبله سبحانه مَوْلاهُمُ الْحَقِ أی سیدهم بالحقیقة، لا- مثل سیادة الأصنام علیهم أَلا- فلینتبه الناس أن الله لَهُ وحده الْحُکْمُ فی جمیع الأمور الکونیة، حتی قبض أرواحهم و محاسبتهم هناک وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِینَ و حسابه سریع لا یحتاج إلی ما یحتاج إلیه حساب المحاسبین من الوقت و نحوه، فلیس هناک بطء فی الحساب حتّی یکون للمحاسب مجال

---

(۱) النساء: ۹۸.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۸۴

[سورة الأنعام (۶): الآیات ۶۳ الی ۶۵]

قُلْ مَنْ یُنَجِّیکُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَ خُفْیَةً لَئِنْ أَنْجانا مِنْ هذِهِ لَنَکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرِینَ (۶۳) قُلِ اللَّهُ یُنَجِّیکُمْ مِنْها وَ مِنْ کُلِّ کَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِکُونَ (۶۴) قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلی أَنْ یَبْعَثَ عَلَیْکُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِکُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِکُمْ أَوْ یَلْبِسَکُمْ شِیَعاً وَ یُذِیقَ بَعْضَکُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ کَیْفَ نُصَرِّفُ الْآیاتِ لَعَلَّهُمْ یَفْقَهُونَ (۶۵)

واسع لکی یتمّ حسابه.

[۶۴] قُلْ یا رسول الله لهؤلاء الکفّار، دلالة علی قدرته سبحانه الکاملة:

مَنْ یُنَجِّیکُمْ و یخلصکم مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ أی من شدائدهما و أهوالهما، فإنّهم یقولون للیوم الشّدید: «یوم مظلم» تشبیها، فکما أنّ الإنسان لا یهتدی طریقه فی اللیل و الظلمة، کذلک لا یهتدی طریقه فی الشّدائد تَدْعُونَهُ أی تدعون الله تعالی إذا وقعتم فی الشّدّة و الظلمة تَضَرُّعاً ضراعة و استکانة بلسانکم وَ خُفْیَةً و سرا فی نفوسکم، فتتوافق الظواهر و البواطن فی الضراعة و المسألة لکی ینجیهم الله سبحانه، قائلین: لَئِنْ أَنْجانا ربنا مِنْ هذِهِ الشّدّة و الکارثة لَنَکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرِینَ الذین یشکرون نعمائه علیهم معترفین به و بفضله و إحسانه.

[۶۵] قُلِ یا رسول الله لهؤلاء: اللَّهُ یُنَجِّیکُمْ مِنْها أی من هذه الشدّة وَ مِنْ کُلِّ کَرْبٍ أی یخلّصکم من کلّ غمّ و همّ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِکُونَ به غیره، و ترجعون إلی شرککم و عصیانکم، کما قال سبحانه: فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَی الْبَرِّ إِذا هُمْ یُشْرِکُونَ «۱».

[۶۶] قُلْ یا رسول الله لهؤلاء الکفار: الله هُوَ الْقادِرُ عَلی

---

(۱) العنکبوت: ۶۶.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۸۵

[سورة الأنعام (۶): آیة ۶۶]

وَ کَذَّبَ بِهِ قَوْمُکَ وَ هُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَیْکُمْ بِوَکِیلٍ (۶۶)

أَنْ یَبْعَثَ أی یرسل عَلَیْکُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِکُمْ کالصواعق أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِکُمْ کالخسف أَوْ یَلْبِسَکُمْ من «لبس علیه الأمر» إذا خلط بعضه ببعض أی یخلطکم شِیَعاً جمع «شیعة» أی فرقا، مختلفی الأهواء لا تکونون أمة واحدة، بل أحزابا و أهواء وَ یُذِیقَ بَعْضَکُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فهم فی عداء مستمر و حروب دائمة، و إنما ینسب ذلک إلیه سبحانه، لأنه یکلهم إلی أمرهم بعد أن أعرضوا عن طریقه، و ترکوا منهاجه انْظُرْ یا رسول الله. و المراد بالنظر التأمل و التفکر کَیْفَ نُصَرِّفُ الْآیاتِ نردّد الدلائل علی التوحید و نکررها مرة بعد مرة لَعَلَّهُمْ یَفْقَهُونَ أی یفهموا الحق، و یذعنوا للخالق و یتجنبوا الکفر و الباطل.

[۶۷] وَ کَذَّبَ بِهِ أی بما نصرّف من الآیات قَوْمُکَ یا رسول الله، و المراد بهم إما قریش، و إما العرب، و إما الناس المبعوث إلیهم بصورة عامة، و المراد بالتکذیب: تکذیب أغلبهم لا- جمیعهم، لوضوح إیمان بعض من کلّ من الطوائف الثلاث به صلّی اللّه علیه و

آله و سلّم حين نزول الآية وَ هُوَ الْحَقُ أى ما نصرفه من الآيات حق لا مرية فيه قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار: لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ أى موكل إلىّ أمركم حتى يضرنى تكذيبكم، بل أنا مبلّغ، و قد بلغت ما أمرت بتبليغه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۸۶

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۶۷ الى ۶۸]

لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۶۷) وَ إِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَ إِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۶۸)

[۶۸] ثم بيّن سبحانه أن ما أخبر به الرسول من وعيد المكذبين بشر الدنيا و الآخرة لا بد و أن يظهر، و هناك يعلم المكذبون أنهم خسروا، و أن تكذيبهم عاد بالوبال عليهم لِكُلِّ نَبَإٍ أى لكل خبر مُسْتَقَرٌّ أى محل استقرار يظهر هناك صدقه، فما كان فى الدنيا يظهر أثره فى الدنيا و ما كان فى الآخرة يظهر أثره فى الآخرة وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ أيها المكذبون عاقبة أمركم.

[۶۹] إن أول حركة لا بد و أن يختلط المؤمنون بها و المناوئون لها، و لا بد و أن يكون ضعاف النفوس من المؤمنين يكتسبون من المعاندين بعض الأفكار المعادية، و لا أقل من أن يجبنوا عن الاستمرار و التظاهر، و لذا فمن اللازم أن يجنّب القادة أتباعهم عن الاختلاط خصوصا حالة التهجم من المعاندين وَ إِذا رَأَيْتَ يا رسول الله الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا خوض المناقشة و الاستهزاء، و الخطاب و إن كان موجها إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلا أنه عام لجميع المسلمين فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ أى فاتركهم و لا تجالسهم حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ أى غير ما خاضوا فيه أولا، بأن يتكلموا فى سائر المواضيع فلا بأس حينئذ من مجالستهم و التكلم معهم وَ إِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ بأن نسى المسلم و جلس مع الخائضين فى آيات الله، و الجملة شرطية، أى: و إن أنساك، و «ما» زائدة، و من المعلوم أن الشرط لا ينافى العصمة، فإن الجملة الشرطية تأتى حتّى مع استحالة طرفيها نحو:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۸۷

[سورة الأنعام (۶): آية ۶۹]

وَ ما عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ لكِنْ ذِكْرى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (۶۹)

إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ «۱»، فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى أى بعد التذكر، لكون مجالستهم محرمة منهى عنها مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ الذين يخوضون فى الآيات.

[۷۰] وَ ما عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ أى هل على المؤمنين المتقين مِنْ حِسابِهِمْ أى حساب الكفار الخائضين فى آيات الله مِنْ شَيْءٍ؟ فإنهم ليسوا بمسؤولين عن خوضهم فى الآيات وَ لكِنْ قيامهم عن المجالس إذا خاضوا ذِكْرى أى تذكير للخائضين بأنهم يعملون عملا سيّئا، و إنما قال «ذكرى» لأن الخائض يعلم سوء فعله فى قرارة نفسه، لكنه يغفل غالبا حين الخوض، فأمر المسلم أن يقوم من مجلسه ليتذكر لَعَلَّهُمْ أى لكى ينتهى الخائضون و يَتَّقُونَ و يتورعون عن الخوض.

روى عن الإمام الباقر عليه السّلام أنه قال لما نزلت «فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» قال المسلمون: كيف نصنع إن كان كلما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا و تركناهم فلا ندخل المسجد الحرام و لا نطوف بالبيت الحرام؟ فأنزل الله سبحانه: «وَ ما عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» أمرهم بتذكيرهم و تبصيرهم ما استطاعوا

«۲».

---

(۱) الزخرف: ۸۲.

(۲) مستدرک الوسائل: ج ۱۲ ص ۳۱۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۸۸

[سورة الأنعام (۶): آیة ۷۰]

وَ ذَرِ الَّذِینَ اتَّخَذُوا دِینَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَیاةُ الدُّنْیا وَ ذَکِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِما کَسَبَتْ لَیْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِیٌّ وَ لا شَفِیعٌ وَ إِنْ تَعْدِلْ کُلَّ عَدْلٍ لا یُؤْخَذْ مِنْها أُولئِکَ الَّذِینَ أُبْسِلُوا بِما کَسَبُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِیمٍ وَ عَذابٌ أَلِیمٌ بِما کانُوا یَکْفُرُونَ (۷۰)

[۷۱] وَ ذَرِ أی اترک یا رسول الله الَّذِینَ اتَّخَذُوا دِینَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً المراد من «دینهم»: الذی یتدینون به من عبادة الأصنام، و المسیحیة و الیهودیة و ما أشبه، و المراد باتخاذه لعبا و لهوا: أنهم کالأطفال الذین یتخذون آلة للعب و اللهو فلا علاقة لهم بها إلا علاقة التلاعب، لا أنه دین وصل إلی أعماق قلوبهم و أخذ یوجه حیاتهم، و أما دینهم الذی یجب أن یتدینوا به- أی الإسلام- و نسبته إلیهم لأجل وجوب اتخاذه دینا، و اتخاذه لعبا و لهوا استهزاؤهم به کأنه لعب و لهو وَ غَرَّتْهُمُ الْحَیاةُ الدُّنْیا زاعمین أنه لیس ورائها شیء، و شغلتهم الدنیا عن الدین وَ ذَکِّرْ یا رسول الله هؤلاء الکفار بِهِ أی بالدین أَنْ تُبْسَلَ من «بسل» بمعنی استسلم، أی لکی لا تسلم نَفْسٌ للهلکة بِما کَسَبَتْ أی بسبب عملها، فإنک إن ذکّرت لعلها تعود إلی الرشد و تنقذ من الهلکة حیث لَیْسَ لَها أی للنفس مِنْ دُونِ اللَّهِ أی غیر الله وَلِیٌّ ناصر ینصرها وَ لا شَفِیعٌ یشفع لها، فإن الشفاعة بید الله وحده وَ إِنْ تَعْدِلْ کُلَّ عَدْلٍ أی تفدی بکل ما یمکن جعله فدیة، لتنقذ نفسها من العذاب لا یُؤْخَذْ مِنْها إذ لیس المیزان هناک إلا العمل وحده أُولئِکَ الذین اتخذوا دینهم لعبا و لهوا هم الَّذِینَ أُبْسِلُوا بِما کَسَبُوا أی أهلکوا «ب» سبب «ما کسبوا» من الأعمال و العقائد الباطلة لَهُمْ شَرابٌ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۸۹

[سورة الأنعام (۶): آیة ۷۱]

قُلْ أَ نَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا یَنْفَعُنا وَ لا یَضُرُّنا وَ نُرَدُّ عَلی أَعْقابِنا بَعْدَ إِذْ هَدانَا اللَّهُ کَالَّذِی اسْتَهْوَتْهُ الشَّیاطِینُ فِی الْأَرْضِ حَیْرانَ لَهُ أَصْحابٌ یَدْعُونَهُ إِلَی الْهُدَی ائْتِنا قُلْ إِنَّ هُدَی اللَّهِ هُوَ الْهُدی وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِینَ (۷۱)

مِنْ حَمِیمٍ أی: الماء الذی یشربون إنما هو من حمیم جهنم، و هو الماء المغلی الحار وَ عَذابٌ أَلِیمٌ أی مؤلم موجع بِما کانُوا یَکْفُرُونَ أی بسبب کفرهم.

[۷۲] قُلْ یا رسول الله لهؤلاء الکفار: أَ نَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا یَنْفَعُنا أی هل ندعو الأصنام التی لا تنفعنا إن عبدناها وَ لا یَضُرُّنا إن ترکنا عبادتها وَ نُرَدُّ عَلی أَعْقابِنا أی نرجع القهقری، فإن من أتی إلی مکان ثم رجع إلی محله الأول کان خاسرا، و «الأعقاب» جمع «عقب» بَعْدَ إِذْ هَدانَا اللَّهُ إلی دینه و صراطه کَالَّذِی اسْتَهْوَتْهُ أی استغوته الشَّیاطِینُ أی الغیلان فِی الْأَرْضِ أی البیداء، بأن أخرجته الشیاطین من الجادة إلی المهلکة حَیْرانَ لا یدری أ یتبع أصحابه أم یتبع الشیاطین لَهُ أی لهذا الذی استهوته الشیاطین أَصْحابٌ یَدْعُونَهُ إِلَی الْهُدَی إلی الجادة، و أن لا یتبع الشیاطین، قائلین له:

ائْتِنا أی جئنا و کن معنا. فإن قسما من الغول- و هم سحرة الجن- یکونون فی الصحراء، یؤذون بعض المارة، فإذا رأی الشخص جماعة منهم یستهوونه قائلین له: من هنا الجادة- و یدلّونه إلی المفاوز المهلکة- فهو یتحیر بین أن یسیر مع هذه الجماعة التی تصبغ نفسها بصبغة أدلاء الطریق و أنها من أهل البادیة تعرف الطریق الموصل من

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۹۰

[سورة الأنعام (۶): الآیات ۷۲ الی ۷۳]

وَ أَنْ أَقِیمُوا الصَّلاةَ وَ اتَّقُوهُ وَ هُوَ الَّذِی إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ (۷۲) وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ یَوْمَ یَقُولُ کُنْ فَیَکُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَ لَهُ الْمُلْکُ یَوْمَ یُنْفَخُ فِی الصُّورِ عالِمُ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَةِ وَ هُوَ الْحَکِیمُ الْخَبِیرُ (۷۳)

غیره، أم یسیر مع رفاقه الذین خرج معهم، حیث أنهم رفاقه، لکنهم- بزعمه- یمشون علی غیر الطریق و یصیبهم العطب أخیرا. و هناک قسم من الناس ینکرون الجن و الغول و الشیطان، لکنه من ضیق الأفق، فإن العلمین القدیم و الحدیث أیّدا الدین و القصص المؤکدة لوجود ذلک «۱».

قُلْ یا رسول الله: إِنَّ هُدَی اللَّهِ هُوَ الْهُدی الـذی ینبغی للإنسان أن یتبعه و یترک غیره وَ أُمِرْنا أی أمرنا الله و أرشدنا العقل لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِینَ فی جمیع شؤوننا.

[۷۳] وَ أمرنا أَنْ أَقِیمُوا الصَّلاةَ أی بإقامة الصلاة، فإن حذف حرف الجر، مع أن «و أن» مطرد شائع، کما قال ابن مالک:

و الخوف مع أن و إن یطردمع أمن لبس کعجبت أن یدو

وَ اتَّقُوهُ أی احذروا عقاب الله تعالی وَ هُوَ الَّذِی إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ أی تجمعون یوم القیامة لیحاسبکم علی ما عملتم من خیر و شر.

[۷۴] وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ و المراد بالسماوات: إما الأجرام هناک، أو المدارات للکواکب بِالْحَقِّ أی لیس بالباطل فإن

---

(۱) أنظر کتاب «علی حافة العالم الاثیری» لفرید وجدی، مادة «اسبرتزم».

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۹۱

من یصنع شیئا قد یصنعه عبثا و باطلا و قد یصنعه لغایة و حکمة، فمعنی بالحق: أن الخلق لیس عبثا، کما قال سبحانه: ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا سُبْحانَکَ «۱»، وَ یَوْمَ یَقُولُ سبحانه لشیء کُنْ و اخرج من العدم إلی الوجود فَیَکُونُ و یوجد قَوْلُهُ الْحَقُّ الظاهر أنه العامل فی «یوم» أی أن قوله تعالی یکون و یتحقق فی أی یوم قال لشیء «کن» فهو سبحانه خلقه بالحق، و قوله حق، أی متحقق ثابت لا خلف فیه، و لیس کأقوال من تذهب أقواله باطلة.

وَ لَهُ الْمُلْکُ یَوْمَ یُنْفَخُ فِی الصُّورِ الصور هو الآلة التی ینفخ فیها لأجل هلاک الناس جمیعا، و هو فی آخر یوم من أیام الدنیا، أو لأجل أحیائهم جمیعا، و هو فی أول یوم من أیام الآخرة، یعنی أنه سبحانه الملک الوحید الذی لا یوجد ملک غیره، فی ذلک الیوم. و الفقرات الثلاثة فی الآیة لبیان الأحوال الثلاثة، الخلق للأشیاء، و التصرف فی الکون بما یشاء الله، و کون المعادلة له سبحانه، و هو عالِمُ الْغَیْبِ أی یعلم ما غاب عن الحواس، لعدم إدراک الحواس له، أو لکونه من الأمور المستقلة وَ الشَّهادَةِ أی ما یشاهده الناس، و أتی بهذه الجملة هنا، لیتناسق العلم مع القدرة، وَ هُوَ الْحَکِیمُ فی أفعاله الْخَبِیرُ بالأشیاء، فلا یعمل شیئا اعتباطا و عبثا

---

(۱) آل عمران: ۱۹۲.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۹۲

[سورة الأنعام (۶): الآیات ۷۴ الی ۷۵]

وَ إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ لِأَبِیهِ آزَرَ أَ تَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً إِنِّی أَراکَ وَ قَوْمَکَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ (۷۴) وَ کَذلِکَ نُرِی إِبْراهِیمَ مَلَکُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِیَکُونَ مِنَ الْمُوقِنِینَ (۷۵)

[۷۵] و بعد ما بیّن سبحانه الأدلة حول التوحید، أتی بقصة إبراهیم علیه السّلام الذی کان یدعو إلی التوحید، لیمثل الأدلة فی قصة حواریة جذابة وَ اذکر یا رسول الله إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ لِأَبِیهِ آزَرَ و المراد بالأب هنا العم، کما ورد، فإن العرب تسمی العم أبا، کما تسمی الخالة أما،

و قد ورد فی زیارة الشهید علی الأکبر علیه السّلام «السلام علیک یا بن الحسن و الحسین»

أَ تَتَّخِذُ أَصْناماً آلِهَةً علی وجه الاستنکار و التوبیخ، أی کیف تعبد الأصنام و تجعلها إلها من دون الله؟ إِنِّی أَراکَ وَ قَوْمَکَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ أی واضح، فإن الإله یجب أن یکون خالقا رازقا فکیف تکون الأصنام آلهة؟

[۷۶] وَ کَذلِکَ أی بمثل هذه الفطرة المستقیمة التی رأی بها إبراهیم بطلان عبادة الأصنام نُرِی إِبْراهِیمَ مَلَکُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أی آثار الملک الموجودة فی السماوات و الأرض من الشمس و القمر و النجوم و الجبال و البحار و الأشجار و الدواب و غیرها، مما تدل کلها علی وجود إله حکیم علیم خالق قادر، و إنما نسب الإراءة إلی نفسه تعالی لأنه هو الذی فتق بصیرة إبراهیم علیه السّلام

للتأمل فی الآیات الکونیة. و فی الأحادیث أنه علیه السّلام کان یری أغوار الأرض و آفاق السماء فقد کشف عن عینه الحجاب و کان یری ما لا یدرکه البصر الإنسانی.

وَ لِیَکُونَ مِنَ الْمُوقِنِینَ أی المتیقنین بأن الله سبحانه هو الخالق و الإله، أریناه الملکوت، فجملة «و لیکون .. إلخ» مستأنفة.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۲، ص: ۹۳

[سورة الأنعام (۶): الآیات ۷۶ الی ۷۸]

فَلَمَّا جَنَّ عَلَیْهِ اللَّیْلُ رَأی کَوْکَباً قالَ هذا رَبِّی فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِینَ (۷۶) فَلَمَّا رَأَی الْقَمَرَ بازِغاً قالَ هذا رَبِّی فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لَئِنْ لَمْ یَهْدِنِی رَبِّی لَأَکُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّینَ (۷۷) فَلَمَّا رَأَی الشَّمْسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبِّی هذا أَکْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قالَ یا قَوْمِ إِنِّی بَرِیءٌ مِمَّا تُشْرِکُونَ (۷۸)

[۷۷] إن إبراهیم علیه السّلام اصطدم بأصناف ثلاثة یعبدون من دون الله الکواکب، فکان بعضهم یعبدون «الزهرة» و بعضهم یعبد «القمر» و بعضهم یعبد «الشمس» فأراد الاحتجاج علیهم فلما جن علیه اللیل رأی الزهرة فقال لعبّادها مستنکرا: هل هذا ربی؟ ثم رد علیهم بأنه آفل ذاهب متحرک، و هذا من شأن المخلوق لا الخالق فإن الخالق لا یتغیر و لا یتحرک، و بعد ما طلع القمر، قال لعباده علی وجه الاستنکار: هل هذا ربی؟ ثم أبطل ألوهیته بما سبق و بیّن أن إلهه هو الله وحده لا شریک له.

فَلَمَّا جَنَّ أی أظلم عَلَیْهِ اللَّیْلُ و ستر بظلامه کل شیء رَأی إبراهیم علیه السّلام کَوْکَباً و جماعة یعبدونه قالَ مستنکرا علیهم: هل هذا رَبِّی فَلَمَّا أَفَلَ و غرب النجم قالَ إبراهیم: لا أُحِبُّ الْآفِلِینَ أی لا أحب أن أتخذ الشیء الذی یغرب إلها.

[۷۸] فَلَمَّا رَأی إبراهیم علیه السّلام الْقَمَرَ بازِغاً أی طالعا منیرا و جماعة یعبدونه قالَ مستنکرا علیهم: هل هذا رَبِّی فَلَمَّا أَفَلَ و غرب القمر قالَ إبراهیم علی سبیل التّعریض بأولئک لَئِنْ لَمْ یَهْدِنِی رَبِّی إلی الطّریق المستقیم لَأَکُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّینَ الذین ضلّوا الطّریق، و اتّخذوا آلهة باطلة.

[۷۹] فَلَمَّا أصبح إبراهیم علیه السّلام و رَأَی الشَّمْسَ بازِغَةً طالعة و جماعة یعبدونها قالَ مستنکرا عملهم طاعنا فی حجّتهم: هل هذا رَبِّی هذا

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۲، ص: ۹۴

[سورة الأنعام (۶): الآیات ۷۹ الی ۸۰]

إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِیفاً وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ (۷۹) وَ حاجَّهُ قَوْمُهُ قالَ أَ تُحاجُّونِّی فِی اللَّهِ وَ قَدْ هَدانِ وَ لا أَخافُ ما تُشْرِکُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ یَشاءَ رَبِّی شَیْئاً وَسِعَ رَبِّی کُلَّ شَیْءٍ عِلْماً أَ فَلا تَتَذَکَّرُونَ (۸۰)

أَکْبَرُ؟، فکأنّهم کانوا یستدلّون بکبرها علی أنها الرّب دون سواها فَلَمَّا أَفَلَتْ الشّمس و غربت قالَ إبراهیم علیه السّلام: یا قَوْمِ العبّاد لغیر الله تعالی إِنِّی بَرِیءٌ مِمَّا تُشْرِکُونَ أی ما تجعلونه من الکواکب شریکا لله سبحانه.

[۸۰] إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ و المراد بالوجه الذات، لکن حیث أن الإنسان حینما یخلص لشیء و یرید استقباله، یوجّه وجهه إلیه، و استعمل الوجه فی الذات مجازا لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أی خلقها و أوجدها حَنِیفاً أی مائلا عن الشرک إلی الإخلاص وَ ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِکِینَ الذین یشرکون بالله غیره.

[۸۱] و لما جادل إبراهیم حول الأصنام و الکواکب التی یعبدها قومه، فشی أمره فجاء إلیه الناس یحاجّونه وَ حاجَّهُ قَوْمُهُ أی خاصموه و جادلوه فی باب الألوهیة قالَ إبراهیم أَ تُحاجُّونِّی فِی اللَّهِ أی تجادلوننی بالنسبة إلی الله تعالی وَ قَدْ هَدانِ إلی الحق بلطفه و إحسانه وَ لا أَخافُ ما تُشْرِکُونَ بِهِ أی لا أخاف من آلهتکم أن یسببوا لی ضررا، فإنه لیس الصنم و النجم یضران الإنسان إِلَّا أَنْ یَشاءَ رَبِّی شَیْئاً أی ضررا بی، و الاستثناء منقطع، و قد مر سابقا أن هذه الاستثناءات إنما

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۲، ص: ۹۵

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۸۱ الى ۸۲]

وَ كَيْفَ أَخافُ ما أَشْرَكْتُمْ وَ لا تَخافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۸۱) الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ (۸۲)

هى لأجل إفادة تمام الطلب بعد جعل المستثنى منه الإطلاق، فالأصل مثلا، و لا أخاف ضررا إلا من الله سبحانه.

و لست أعلم ما يشاء ربى من ضررى أو نفعى بل وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أى سبحانه المحيط بالأشياء بعلمه الواسع و اطلاعه الشامل أَ فَلا تَتَذَكَّرُونَ أيها المشركون و تتدبرون لتعرفوا أن الأمر كما قلت لكم.

[۸۲] وَ كَيْفَ أَخافُ أنا المعتقد بالله سبحانه الضرر من قبل ما أَشْرَكْتُمْ من الأصنام و النجوم و هى لا تملك شيئا من الضرر و النفع وَ الحال أنكم لا تَخافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ الذى بيده كل ضرر و نفع ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً أى جعلتم النجوم و الأصنام شركاء لله و التى لم يدل دليل من قبل الله سبحانه على صحتها، فإن «ما» موصولة مصداقها «الأصنام و النجوم» فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ نحن و أنتم أَحَقُّ بِالْأَمْنِ بأن لا يخاف الضرر إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أى تستعملون عقولكم و علومكم فتميزون الحق من الباطل؟

[۸۳] ثم بيّن سبحانه من له الأمن بقوله: الَّذِينَ آمَنُوا بالله تعالى وَ لَمْ يَلْبِسُوا أى لم يخلطوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ بأن لم يشركوا فإن الشرك ظلم،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۹۶

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۸۳ الى ۸۴]

وَ تِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (۸۳) وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنا وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسى وَ هارُونَ وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۸۴)

كما قال سبحانه: لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ «۱» أُولئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ فإنهم لا يخافون عقاب الآخرة، و لا ضرر الدنيا بلا عوض وَ هُمْ مُهْتَدُونَ أى مهديون إلى الحق. و هذه الآية و إن كان موردها قصة إبراهيم عليه السّلام و الإيمان و الشرك إلا أنها عامة تشمل كل إيمان لم يلبس بظلم، و لذا ورد فى مصداقها الولاية لأهل البيت عليهم السّلام «۲».

[۸۴] وَ تِلْكَ الحجة التى احتج بها إبراهيم عليه السّلام فى ما سبق حُجَّتُنا أى الأدلة التى آتَيْناها إِبْراهِيمَ أعطيناها لإبراهيم عليه السّلام، و لقنّاه إياها عَلى قَوْمِهِ المشركين حتى تمكن من إيرادها عليهم و أن يغلبهم نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ كما رفعنا إبراهيم عليه السّلام درجات حيث كان مؤمنا موحدا مجاهدا إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ فبحسب حكمته البالغة يرفع الدرجات، و بحسب علمه الشامل يعلم الأشياء.

[۸۵] وَ وَهَبْنا لَهُ أى لإبراهيم عليه السّلام إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ إسحاق هو ابن إبراهيم من سارة، و يعقوب ابن اسحق عليهم السّلام، و لم يذكر إسماعيل و هو ابنه من هاجر لإرادة ذكره مستقلا حتى يظهر له من الشأن ما لا يظهر لو أدرج فى جملة «وهبنا» و قد ذكر سبحانه الشجرة النبوية من إبراهيم عليه السّلام و من نوح عليه السّلام فلا يفوت ذكره حيث يذكرون

---

(۱) لقمان: ۱۴.

(۲) بحار الأنوار: ج ۳۶ ص ۱۱۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۹۷

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۸۵ الى ۸۶]

وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيى وَ عِيسى وَ إِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (۸۵) وَ إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطاً وَ كلًّا فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ (۸۶)

كُلًّا من الثلاثة هَدَيْنا إلى الحق و الى صراط مستقيم وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ هؤلاء وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أى من ذرية إبراهيم، أو من ذرية نوح

عليه السّلام أو المراد كلّا منهما، فإنه يجوز ذلك بإرجاع الضمير إلى كل واحد، كما قال سبحانه: فَانْظُرْ إِلى طَعامِكَ وَ شَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ «۱» داوُدَ وَ سُلَيْمانَ و هو ابن داود وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وَ مُوسى بن عمران وَ هارُونَ أخو موسى عليه السّلام وَ كَذلِكَ أى هكذا يجعل النبوة فى ذريته، تكريما له نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ الذين يحسنون فى أعمالهم، فإنا نكرمهم بما يستحقون.

[۸۶] وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيى ابن زكريا وَ عِيسى ابن مريم وَ إِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ أى أن كل واحد منهم من الذين أصلحوا.

[۸۷] وَ إِسْماعِيلَ ابن إبراهيم عليه السّلام جد النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من المحتمل أن يراد به إسماعيل صادق الوعد الذى أشير إليه فى قوله سبحانه: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِسْماعِيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ «۲»، وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ ابن متّى صاحب الحوت وَ لُوطاً و الكلام فى «اللام» فى «اليسع»،

---

(۱) البقرة: ۲۶۰.

(۲) مريم: ۵۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۹۸

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۸۷ الى ۸۸]

وَ مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ إِخْوانِهِمْ وَ اجْتَبَيْناهُمْ وَ هَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۸۷) ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۸۸)

و المنصرف و غير المنصرف من الأسماء مرتبط بالمفصلات وَ كُلًّا أى كل واحد منهم فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ أى عالم زمانهم، فإن كل نبى كان أفضل من جميع الناس، باستثناء النبى الذى فى عهده، فلوط كان فى عهد إبراهيم و لم يكن أفضل منه.

[۸۸] وَ كذلك فضلنا جماعة مِنْ آبائِهِمْ أى من آباء هؤلاء الأنبياء وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ أى أولاد هؤلاء الأنبياء وَ إِخْوانِهِمْ أى إخوان هؤلاء الأنبياء وَ اجْتَبَيْناهُمْ أى اصطفيناهم و اخترناهم للرسالة وَ هَدَيْناهُمْ إِلى الحق، و ذلك لا يلازم سبق الضلالة، كما لا يخفى إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ فى كل شيء؛ العقيدة و السلوك و القول.

[۸۹] ذلِكَ الهدى الذى هدينا به الأنبياء هُدَى اللَّهِ و إرشاده الذى يأتى بأكمل السعادة و أوفر الخير يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ و المراد إما الهدى الخالص، و من المعلوم أنه لا يلزم فى الحكمة بالنسبة إلى كل أحد، و إما الهدى العام و ذلك و إن لزم بالنسبة إلى كل أحد لكن المراد هنا الإيصال إلى المطلوب لا إراءة الطريق، أو يقال: إن الذى دلّ عليه الدليل أن العقاب لا يجوز بلا بيان، أما الهداية فلا دليل عقلى على إيجابها بالنسبة إلى كل أحد، نعم فى لزوم خروج الخلق عن العبث يلزم الإرشاد فى الجملة وَ لَوْ أَشْرَكُوا أى لو أشرك هؤلاء الأنبياء لَحَبِطَ أى لبطل عَنْهُمْ فإن الحبط لما أشرب معنى الزوال و الذهاب عدّى ب «عن»

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۹۹

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۸۹ الى ۹۰]

أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ (۸۹) أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرى لِلْعالَمِينَ (۹۰)

ما كانُوا يَعْمَلُونَ من الأعمال السابقة على الشرك. ثم إن الآية فى مقام بيان أن الشرك موجب لحبط الأعمال مهما كانت سوابق الشرك، إذ من المعلوم الضرورى عدم شرك الأنبياء، فإن الشرط يأتى حتّى فى مستحيل الطرفين، كقوله: قُلْ إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ «۱»، و من هذا القبيل أيضا قوله: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ «۲».

[۹۰] أُولئِكَ الذين ذكرناهم من الأنبياء عليهم السّلام، هم الَّذِينَ آتَيْناهُمُ أى أعطيناهم الْكِتابَ المراد به الجنس وَ الْحُكْمَ أى منصب

الحکم بین الناس، فإن هـذا المنصب لیس إلّا للّه و لمن أعطاه إیاه وَ النُّبُوَّةَ حیث کانوا أنبیاء، و ذکر النبوة بعـد الکتاب، لـدفع توهم أن إعطاء الکتاب لیس من قبیل إعطاء الکتاب للاسم، کقوله سبحانه: خُذُوا ما آتَیْناکُمْ بِقُوَّةٍ «۳»، فَإِنْ یَکْفُرْ بِها أی بالکتاب و الحکم و النبوة هؤُلاءِ الکفار الـذین جحـدوا نبوتک یا رسول اللّه فَقَدْ وَکَّلْنا بِها أی بالإیمان بها، و المراد إیکال أمر دعایة النبوة و الإیمان بها، و الجهاد فی سبیلها، کالوکیل الذی یراعی أمور الموکل قَوْماً لَیْسُوا بِها بِکافِرِینَ فهم یقومون بواجب أمر النبوة خیر قیام.

[۹۱] أُولئِکَ الأنبیاء علیهم السّلام الذین سبق ذکرهم الَّذِینَ هَدَی اللَّهُ أی

---

(۱) الزخرف: ۸۲.

(۲) الزمر: ۶۶.

(۳) البقرة: ۶۴.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۰۰

[سورة الأنعام (۶): آیة ۹۱]

تقریب القرآن إلی الأذهان ج۲ ۱۴۹

وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلی بَشَرٍ مِنْ شَیْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْکِتابَ الَّذِی جاءَ بِهِ مُوسی نُوراً وَ هُدیً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَراطِیسَ تُبْدُونَها وَ تُخْفُونَ کَثِیراً وَ عُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لا آباؤُکُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِی خَوْضِهِمْ یَلْعَبُونَ (۹۱)

هـداهم اللّه، و التکرار هنا مقدمـة لقوله سـبحانه فَبِهُداهُمُ یا رسول اللّه اقْتَدِهْ فی أسـلوب الدعوة و الصبر علی الأذی و الاهتمام بالأمر، و هـذا کتسلیة للرسول صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و إشارة إلی أن الأنبیاء السابقین ابتلوا بما ابتلی به، بالإضافـة إلی أن الاقتداء بهم فی هـدی اللّه سـبحانه، لاـ فیما هو من عنـد أنفسـهم، حتی یقال: کیف یؤمن النبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم بالاقتـداء بمن هو دونه فی الفضیلة.

إنه قیام بالوظیفـة لأمر اللّه سـبحانه و لحسابه الخاص، فالأجر منه وحـده قُلْ یا رسول اللّه لمن تبلغهم: لا أَسْـئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً أی لا أطلب منکم علی تبلیغ الرسالـة و أداء الوحی ثمنا و أجرة إِنْ هُوَ أی ما تبلیغ الوحی إِلَّا ذِکْری أی تـذکیرا لِلْعالَمِینَ الذین هم فی زمانی و بعد زمانی. و کونه تذکیرا باعتبار ما أودع فی الإنسان من الفطرة الدالة علی توحیده سبحانه.

و هنا سؤال: کیف یمکن الجمع بین هذه الآیة و بین قوله: لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی «۱».

و الجواب: إن إطلاق الأجر علی المودة مجاز، و قد کان إرجاع الناس إلیهم لصالح الناس، حیث إنهم الهداة المصلحون.

[۹۲] و حیث ذکر سبحانه أنه أعطی الأنبیاء الکتاب، ردّ علی من زعم أنه سبحانه لم ینزل کتابا.

فقد ورد أن حبرا من أحبار الیهود جاء إلی

---

(۱) الشوری: ۲۴. تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۰۱

النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال له النبی: أنشدک بالذی أنزل التوراة علی موسی أما تجد فی التوراة أن اللّه سبحانه یبغض الحبر السمین- و کان الیهودی سمینا- فغضب و قال: ما أنزل اللّه علی بشر من شیء. فقال له أصحابه: ویحک و لا موسی؟ فأنزل اللّه هذه الآیة

«۱» وَ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ أی ما عظموه سبحانه حق تعظیمه الذی یلیق به إِذْ نسبوا إلیه الکذب ف قالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلی بَشَرٍ مِنْ شَیْءٍ أی لم ینزل علی رسول کتابا من السماء، کما قال ذلک الیهودی. إن معنی عدم إرسال الرسل، و إنزال الکتب أن اللّه خلق الخلق عبثا و اعتباطا. و من المعلوم أن نسبة العبث إلی شخص عادی موجب لإهانته و عدم تقدیره، فکیف باللّه الحکیم العلیم؟! قُلْ یا رسول

الله لإبطال كلامهم ف مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِی جاءَ بِهِ مُوسی علیه السّلام أ لیست التوراة من إنزال الله تعالی، و إنما ذکرها لکون طرف الکلام یهودیا نُوراً وَ هُدیً أی فی حال کون کتابه علیه السّلام نور یهدی الناس إلی مناهج الحیاة الصحیحة، و هدایة لِلنَّاسِ إلی الحق تَجْعَلُونَهُ أی تجعلون ذلک الکتاب قَراطِیسَ أی تکتبونه، و هذا لزیادة التأکید، أی: فکیف تنکرون ما تلقیتموه أنتم بالقبول، و کنتم تکتبونه فی قراطیس باعتبار أنه کتاب سماوی منزل من عند الله سبحانه؟

تُبْدُونَها أی تظهرون بعضها، حیث کانوا یکتبون بعض الأحکام

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۹ ص ۸۹.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۰۲

[سورة الأنعام (۶): آیة ۹۲]

وَ هذا کِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَکٌ مُصَدِّقُ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُری وَ مَنْ حَوْلَها وَ الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هُمْ عَلی صَلاتِهِمْ یُحافِظُونَ (۹۲)

الموجودة فی التوراة فی أوراق و یعطونها بید الناس وَ تُخْفُونَ کَثِیراً من التوراة لأجل کونها خطرا علی أموالهم أو جاههم، أو فیه دلالة علی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

وَ عُلِّمْتُمْ أیها الیهود ببرکة التوراة المنزلة علی موسی ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لا آباؤُکُمْ فإنکم لو لا کتاب الله المنزل لم تکونوا تعلمون شیئا، فکیف تنکرون إنزال الله الکتاب، و تقولون: «ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلی بَشَرٍ مِنْ شَیْءٍ»؟ قُلْ یا رسول الله: اللَّهُ أنزل الکتاب علی موسی ثُمَّ ذَرْهُمْ أی دعهم فِی خَوْضِهِمْ یَلْعَبُونَ فهم و ما خاضوا فیه من الباطل و الکذب، إنهم یلعبون بالدین، فذرهم و ما هم فیه [۹۳] وَ کما أنزلنا الکتاب علی موسی کذلک هذا القرآن کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إلیک یا رسول الله مُبارَکٌ یوجب البرکة و السعادة مُصَدِّقُ الکتاب الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ أی قبله، من التوراة و الإنجیل و سائر الکتب السماویة، و من المعلوم أن تصدیق أصل الکتاب لا یلازم تصدیق التحریفات التی طرأت علیه، وَ لِتُنْذِرَ یا رسول الله أُمَّ الْقُری أی مکة، و إنما سمیت بها لأن الأرض دحیت من تحتها وَ مَنْ حَوْلَها من سائر أهل الأرض وَ الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ من أهل الکتاب و غیرهم یُؤْمِنُونَ بِهِ أی بالقرآن المنزل علیک، فإن

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۰۳

[سورة الأنعام (۶): آیة ۹۳]

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً أَوْ قالَ أُوحِیَ إِلَیَّ وَ لَمْ یُوحَ إِلَیْهِ شَیْءٌ وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَوْ تَری إِذِ الظَّالِمُونَ فِی غَمَراتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلائِکَةُ باسِطُوا أَیْدِیهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَکُمُ الْیَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ بِما کُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَی اللَّهِ غَیْرَ الْحَقِّ وَ کُنْتُمْ عَنْ آیاتِهِ تَسْتَکْبِرُونَ (۹۳)

الإیمان بالآخرة یوجب خوفا فی القلب، ینبعث منه اتباع الحق أینما وجد، و فیه تعریض بمن لا یؤمن من أهل الکتاب، فإنه غیر مؤمن بالآخرة وَ هُمْ عَلی صَلاتِهِمْ یُحافِظُونَ فیؤدونها لأوقاتها، فمن یترک الصلاة لیس بمؤمن بالآخرة و القرآن، و إن ادّعی الإیمان.

[۹۴] و حیث کان الکلام حول الوحی، و من قال بعدم الوحی إطلاقا، ناسب ذلک التندید بمن قال بالوحی کذبا، وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً

نزلت فی ابن أبی سرح الذی استعمله عثمان علی مصر و قد هدر رسول الله دمه و کان حسن الخط من کتابة الوحی فإذا قال له الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: اکتب: «أَنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ» کتب: «إن الله علیم حکیم»

و هکذا، و کان یقول للمنافقین: إنی أقول من نفسی مثل ما یجیء به. ثم ارتد کافرا إلی مکة و صار من الطلقاء یوم فتح مکة. ثم لا یخفی أن قوله سبحانه «و من أظلم» علی سبیل الحصر الإضافی، کقوله: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللَّهِ «۱»، و غیره.

أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ كمسيلمة الكذاب الذى ادّعى النبوة كذبا، و كغيره ممن ادّعى هذا المنصب افتراء، نحو: وَ مَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ من الآيات أو الأحكام.

فى «المجمع»: قيل: المراد به عبد الله بن سعد بن أبى سرح،

---

(۱) البقرة: ۱۱۵.

أملى عليه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ذات يوم: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ إلى قوله- ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ «۱»، فجرى على لسان ابن أبى سرح: «فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ» فأملاه عليه و قال: هكذا أنزل فارتد عدو الله و قال: لئن كان محمد صادقا فقد أوحى إلىّ كما أوحى إليه و لئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال «۲».

وَ لَوْ تَرى يا رسول الله إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَراتِ الْمَوْتِ أى فى شدائد الموت عند النزع، كأن الموت بشدائده يغمرهم مرة فمرة، كما يغمر الماء الغريق وَ الْمَلائِكَةُ القابضة لأرواحهم باسِطُوا أَيْدِيهِمْ لقبض أرواحهم بأبشع الوسائل يضربون وجوههم و أدبارهم، قائلين لهم: أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ من أجسادكم، و هذا للإذلال و الإهانة، و إلا فليس خروج أنفسهم بإمكانهم، بل بقدرة الله تعالى الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ أيها الظالمون عَذابَ الْهُونِ فإنه ليس عذابا جسديا فقط بل معه ذلة و هوان بِما كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِ أى جازاكم بعذاب الهون بسبب مقالتكم الكاذبة على الله حيث كنتم تقولون: «أوحى إلينا و لم يوح إليكم» و معنى «على الله» أى بالنسبة إليه سبحانه وَ بما كُنْتُمْ عَنْ آياتِهِ و دلائله

---

(۱) المؤمنون: ۱۳- ۱۵.

(۲) مجمع البيان: ج ۴ ص ۱۱۱.

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۹۴ الى ۹۵]

وَ لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَراءَ ظُهُورِكُمْ وَ ما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۹۴) إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (۹۵)

تَسْتَكْبِرُونَ فلا تخضعون لأحكامه و أنبيائه، و جواب «لو» محذوف للتهويل، أى: لو رأيت ذلك لرأيت أمرا فظيعا مريعا.

[۹۵] و هنا يوجّه البارى سبحانه كلامه إليهم وَ لَقَدْ جِئْتُمُونا أيها الظالمون فُرادى أى فى حال كونكم وحدانا لا مال لكم و لا مدافع، بل واحدا واحدا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ حين جئتم إلى الدنيا وَ تَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ أى ما أعطيناكم من المال و الأقرباء و الخدم وَراءَ ظُهُورِكُمْ فى دار الدنيا، فإن الإنسان باعتبار إقباله على الآخرة تكون الدنيا وراء ظهره وَ ما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ الذين اتخذتموهم لأنفسكم شفعاء يشفعون لكم يوم القيامة الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكاءُ أى الأصنام التى كان المشركون يزعمون أنها شركاء الله سبحانه فى الخلق و الرزق و قضاء الحوائج، و قد كان المشركون يقولون: إنّ هذه الأصنام تشفع لنا يوم القيامة. و ورد أن سبب نزول هذه الآية أن النضر قال: سوف يشفع لى اللّات و العزّى.

لَقَدْ تَقَطَّعَ أيها الظالمون بَيْنَكُمْ و بين الأصنام فلا مواصلة تنفع للشفاعة وَ ضَلَّ عَنْكُمْ أى ضاع و تلاشى ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ من الآلهة المزعومة فلا تجلب نفعا و لا تدفع خيرا.

[۹۶] إن أصنامكم لا تشترك مع الله فى الخلق و لا فى أى شىء من الشؤون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۱۰۶

[سورة الأنعام (۶): آية ۹۶]

فالِقُ الْإِصْباحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْباناً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (۹۶)

بل إِنَّ اللَّهَ وحده فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى أى يشق الحب اليابس الميت و يخرج منه النبات و يشق نواة التمر فيخرج منها النخل يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ فالنبات حى يخرجه من الحبة التى لا حياة فيها، و الفرخ حىّ يخرجه من البيض الميت، و الولد الحىّ يخرجه من الأم الميتة، و البعوض و أشباهه يخرجه من الماء الميت، و هكذا وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِ كالحبة من النبات، و البيض من الدجاج، و الجنين الميت من الأم الحية، و الفضلات الميتة من الحىّ، و كأن التغير فى العبارة «يخرج» و «مخرج» للتفنّن فى العبارة الذى هو نوع من أنواع البلاغة ذلِكُمُ اللَّهُ أى ذلك الذى يفعل كل ذلك- أيها البشر- هو الله وحده فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ أى تصرفون عن الحق إلى الباطل.

[۹۷] فالِقُ الْإِصْباحِ أى يشق عمود الصبح عن ظلمة الليل، و يخرج الضياء من الظلمة وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً تسكنون فيه و تهدؤون عن العمل إذا أظلم وَ جعل الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْباناً تجريان فى أفلاكهما بحساب دقيق، و «حسبان» مصدر، و كونهما حسبانا أى مصدرى حساب و توقيت، نحو: «زيد عدل»، مما حمل المصدر على الذات مبالغة، فمن الشمس تتولد الأيام، و من القمر تتولد الشهور و الأعوام ذلِكَ المذكور من فلق الإصباح و جعل الليل سكنا و الشمس و القمر حسبانا تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ فى سلطانه الْعَلِيمِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۱۰۷

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۹۷ الى ۹۹]

وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۹۷) وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (۹۸) وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِباً وَ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ وَ جَنَّاتٍ مِنْ أَعْنابٍ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَ غَيْرَ مُتَشابِهٍ انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ يَنْعِهِ إِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۹۹)

بمصالح العباد، فأى شيء يرتبط بأصنامكم أيها الضالون.

[۹۸] وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ أيها البشر النُّجُومَ فى السماء لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ فإن الإنسان يعرف طريقه من النجم فى الليالى، فمن قصد مدينة نحو المشرق جعل النجم المشرقى أمامه، و من قصد مدينة نحو المغرب، جعله خلفه، و هكذا قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ الدالة على الخالق و صفاته لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ أى لهم علم و معرفة بالأوضاع.

[۹۹] وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ أى خلقكم و أبدعكم مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ هى آدم عليه السّلام و من فضل طينته خلقت حواء عليها السّلام، إنه سبحانه القادر لمثل هذا الأمر العظيم فلكم مستقر فى بطون الأمهات وَ مُسْتَوْدَعٌ فى أصلاب الآباء، و إنما سمى ذلك مستودعا لأن المنى يبقى قليلا فى الصلب حتى ينزل، فهو أشبه بالوديعة قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ أى الأدلة و الحجج لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ أى يفهمون الأدلة، كى يعلمون أن الله سبحانه هو الذى صنع كل ذلك.

[۱۰۰] وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً هو المطر، و المراد بالسماء جهة العلو، فإن ما علاك فأظلك هو السماء- فى لغة العرب- فَأَخْرَجْنا بِهِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۱۰۸

نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ أى أخرجنا بسبب الماء نبات كل شيء قابل للإنبات من مختلف أقسام النباتات فَأَخْرَجْنا مِنْهُ أى من الماء، و التكرار، لأنه أجمل أولا، ثم أريد التفصيل، أو الضمير عائد إلى النبات، فإن النبت أولا ليس أخضر، و إنما أبيض صغير ثم يصير أخضر خَضِراً هو بمعنى أخضر، أى نخرج من ذلك زرعا رطبا أخضر نُخْرِجُ مِنْهُ من ذلك الزرع الأخضر حَبًّا مُتَراكِباً قد تركّب بعضه على بعض كحب الحنطة و الشعير وَ يخرج مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها بدل «من النخل» قِنْوانٌ أى أعذاق الرطب، فإن «قنوان»: جمع «قنو» بكسر القاف و

ضمها، و هو «العذق» بالكسر دانِيَةٌ أى قريبة التناول وَ أخرجنا منه جَنَّاتٍ أى بساتين مِنْ أَعْنابٍ جمع «عنب» وَ أخرجنا منه الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَّانَ أى شجريهما مُشْتَبِهاً وَ غَيْرَ مُتَشابِهٍ فبعض الأشجار و الأثمار و الأوراق و الأزهار و الحبات متشابهة و بعضها غير متشابهة، فى اللون و الطعم و الحجم و الخاصية و غيرها. و الاختلاف بين لفظى «مشتبه و متشابه» من أحسن أنواع البلاغة، لتطابق اللفظ و الخارج انْظُرُوا أيها الناس إِلى ثَمَرِهِ أى ثمر كل واحد من المذكورات إِذا أَثْمَرَ فإن فى ذلك دلالة عجيبة على الصانع تعالى وَ انظروا إلى يَنْعِهِ أى نضجه إذ نضج، فإن من نظر إلى ذلك نظر تأمل و اعتبار، عرف عظيم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۰۹

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۰۰ الى ۱۰۱]

وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَناتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يَصِفُونَ (۱۰۰) بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۱۰۱)

الصنعة و جليل الخلقة، و دقيق الحكمة، و «ينع» فى اللغة بمعنى «النضج» و قيل: جمع «يانع»؛ كصحب و صاحب إِنَّ فِي ذلِكُمْ أى فيما تقدم من الخلقة لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ بالحقائق، و يتجنبون السخافة.

[۱۰۱] إن الله هو خالق كل شيء و هو الإله الواحد الذى لا شريك له وَ لكن الكفار جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَ فقالوا بأن لله شركاء فى الألوهية هم من الجن وَ الحال أنه سبحانه هو الذى خَلَقَهُمْ أى خلق الجن، فكيف يكون المخلوق شريكا مع الخالق فى الألوهية وَ خَرَقُوا أى جعلوا، و لا يخفى ما فى التعبير بلفظ «خرقوا» من اللطافة. لَهُ تعالى بَنِينَ وَ بَناتٍ فقد قال اليهود: عزير ابن الله، و قالوا: نحن أبناء الله، و قالت النصارى: المسيح ابن الله، و جعل المشركون الملائكة بنات الله، كما قال سبحانه: وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً «۱»، بِغَيْرِ عِلْمٍ فإن ذلك منهم كان ظنا و توهما سُبْحانَهُ منصوب بفعل محذوف، أى: «أنزهه تنزيها له» وَ تَعالى أى تقدس و ترفع عَمَّا يَصِفُونَ أى الأوصاف التى يلصقونها بساحة قدسه، من جعل الشريك و الأولاد.

[۱۰۲] إنه وحده هو بَدِيعُ أى مبدع السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ و خالقهما بلا

---

(۱) الزخرف: ۲۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۱۰

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۰۲ الى ۱۰۳]

ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (۱۰۲) لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (۱۰۳)

شريك أو ظهير، و هذا ردّ على من جعل له شريكا أَنَّى أى كيف يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ الحال أنه تعالى لَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ أى زوجة؟ و هذا رد لمن جعل له أولادا وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فهو الخالق المطلق، وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فهو العالم المطلق.

[۱۰۳] ذلِكُمُ أى ذلك المذكور له الصفات المتقدمة هو اللَّهُ تعالى، و «كم» للخطاب إلى السامعين رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فلا شريك له خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فلا شيء خارج من خلقه، حتى يكون له شريكا فَاعْبُدُوهُ وحده وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ أى حفيظ و مدبّر و قائم، فلا حافظ غيره، و لا قائم بالأمر أحد سواه.

[۱۰۴] لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ فإنه سبحانه ليس بجسم حتى يكون مرئيا، و هذا لا فرق فيه بين الدنيا و الآخرة، فهو لا يبصر فى الدنيا و لا يبصر فى الآخرة وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ روعى فى الكلام التجانس اللفظى، و إلا فهو يدرك كل شيء الأبصار و غيرها وَ هُوَ اللَّطِيفُ لا يراد به اللطف بالمعنى فى الأجسام، المراد به النافذ فى الأجسام، و الرقيق، و ما أشبه، بل من باب «خذ الغايات و اترك المبادئ» فعلمه نافذ فى الأشياء، و قدرته سارية فى الأكوان الْخَبِيرُ العالم بكل شيء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۱۱

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۰۴ الى ۱۰۶]

قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (۱۰۴) وَ كَذلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ وَ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَ لِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۱۰۵) اتَّبِعْ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (۱۰۶)

[۱۰۵] قَدْ جاءَكُمْ أيها البشر بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ «بصائر» جمع «بصيرة» و هى الدلالة البيّنة التى يبصر بها الشيء، أى جاءتكم دلالات من قبل الله سبحانه، على الأصول، و الأحكام فَمَنْ أَبْصَرَ أى من تبيّن هذه الدلالات و نظر فيها نظر معتبر بصير فَلِنَفْسِهِ فإنه يعود خير ذلك إلى ذاته و شخصه وَ مَنْ عَمِيَ عنها فلم ينظر فيها و أعرض عنها فَعَلَيْها أى أن وبال الإعراض يعود على نفسه وَ ما أَنَا المراد بالضمير الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عَلَيْكُمْ أيها الناس بِحَفِيظٍ أحفظكم عن الخطأ و الانحراف، و إنما أنا مبلغ مرشد، من آمن فلنفسه و من ضل فعليها.

[۱۰۶] وَ كَذلِكَ أى مثل تصريفنا الآيات من ذى قبل نُصَرِّفُ هذه الْآياتِ نرسلها و نبيّنها وَ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ أى يقول الكفار: درست هذه الآيات و تعلمتها من غيرك، كما كانوا ينسبون القرآن إلى تعلمه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الراهب فى طريق الشام، أو من سلمان، أو من بعض اليهود وَ لِنُبَيِّنَهُ أى نوضّح ما تقدم من الآيات لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ أى للعلماء الذين يعلمون الآيات، فإن هؤلاء هم المنتفعون بالآيات، و لذا خصّهم بالذكر.

[۱۰۷] اتَّبِعْ يا رسول الله ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ و هو لا إِلهَ إِلَّا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۱۲

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۰۷ الى ۱۰۸]

وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكُوا وَ ما جَعَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (۱۰۷) وَ لا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۰۸)

هُوَ و ذر الأصنام و الأوثان، فإن صاحب الدعوة لا يبالى بما قاله المغرضون، و لا يضره انحراف المنحرفين وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ فلا تتعرض لهم، و ليس المراد عدم دعائهم إلى الإسلام، أو عدم القتال معهم، بل معناه: «أعرض عن أقوالهم و طريقتهم»، و هذا كما يقال: «أعرض عن فلان» يراد عدم الاهتمام بقوله و الاعتناء بشأنه، و أنه لا بد من سلوك الطريق المستقيم أحبّ أم كره.

[۱۰۸] وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ أن يكرههم على عدم الشرك ما أَشْرَكُوا و لكن الدنيا دنيا اختبار و امتحان، و إنما يريهم الله سبحانه الطريق، فمن شاء آمن و من شاء أشرك وَ ما جَعَلْناكَ يا رسول الله عَلَيْهِمْ حَفِيظاً تحفظهم عن الشرك، حتى يكون إثم الشرك عليك وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ أى لست بموكل عليهم فى ذلك، و إنما عليك البلاغ و الإنذار، و لعل الفرق بين الحفيظ و الوكيل، أن الحفيظ هو الذى يحفظ الشيء عن الضرر، و الوكيل هو الذى يناط به أمره، فيجب عليه دفع الضرر عنه و جلب النفع إليه، فهو أعم من الحفيظ.

[۱۰۹] وَ لا تَسُبُّوا أيها المسلمون الآلهة الَّذِينَ يَدْعُونَ ها الكفار مِنْ دُونِ اللَّهِ أى سوى الله فَيَسُبُّوا اللَّهَ مقابلة بالمثل عَدْواً أى ظلما، بمعنى التعدى عن الحق بِغَيْرِ عِلْمٍ فإنهم جاهلون بالله، و إلا لماذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۱۳

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۰۹]

وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِها قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ ما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ (۱۰۹)

كانوا يسبونه، و يتخذون آلهة سواه؟ كَذلِكَ الاعتقاد بالآلهة الباطلة زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ فإن كل إنسان يرى عمله حسنا، و لو تفكر و قارن رأى الصحيح من عمله و أباطيله. و نسبة التزيين إلى الله سبحانه لأنه هو الذى يخالف الخلق و سبب الأسباب، و ذلك للامتحان، و ليتبين من يخالف نفسه و من يتبع هواها ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فإن الجميع يرجعون إلى حساب الله سبحانه، و ثوابه و عقابه فَيُنَبِّئُهُمْ

أی يخبرهم بِما كانُوا يَعْمَلُونَ من الأعمال الحسنة و القبيحة، و معنى ذلك أنه يجازيهم بأعمالهم، كما تقول لابنك العاصی: «أخبرك بما عملت ...» تريد التهديد و الوعيد.

و هنا سؤال: كيف نهی الله عن سبّ الأصنام، و فی القرآن كثير من القدح فيهم؟

و الجواب: إن الفرق بين سبّ الحكيم و سبّ الجاهل أن الأول يعرف موقع السب، بخلاف الثانی، كما لو نهی القاضی عن ضرب الناس، و رأينا أنه يضرب بنفسه لحدّ أو قصاص، فإن الأمرين لا يتنافيان.

[۱۱۰] وَ أَقْسَمُوا أی حلف الكفار بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ أی أيمانهم الغليظة لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ أی معجزة خارقة حسب ما طلبوا من مقترحاتهم لَيُؤْمِنُنَّ بِها أی بتلك الآية قُلْ يا رسول الله لهم:

إِنَّمَا الْآياتُ الخارقة عِنْدَ اللَّهِ و من لدنه، و ليس لدی منها شیء،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۱۴

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۱۰]

وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ نَذَرُهُمْ فِی طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ (۱۱۰)

فإن عرف الله الصلاح فی الإتيان بها أظهرها، و إن عرف الصلاح فی عدم الإتيان لم يأت بها وَ ما يُشْعِرُكُمْ أيها المؤمنون أَنَّها أی الآيات إِذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ كما جاءت الآيات من قبل فلم يؤمنوا.

و السر أن المعاند لا تفيده الآية، و الطالب للحق تكفيه ما تقدم من الآيات، فإنزال الآيات المقترحة لا فائدة فيها.

[۱۱۱] وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ جمع «فؤاد» و هو القلب وَ أَبْصارَهُمْ جمع «بصر» و هو العين كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أی بالقرآن أَوَّلَ مَرَّةٍ فإنهم جوزوا بإنكارهم أول الأمر الذی استلزم عنادهم و تماديهم فی غيهم، بأن أزعجت نفوسهم، فجعلت قلوبهم تخفق، و أبصارهم تتحرك زائغة، كما هو شأن كل مبطل أمام الحق أنه لا يدری ما يصنع، و عينه تتلفت هنا و هناك تبحث فی الأرض و السماء عن طريق المهرب و الخلاص من الأزمة التی وقع فيها وَ نَذَرُهُمْ أی ندعهم فِی طُغْيانِهِمْ الذی طغوا و تعدوا فيه الحق يَعْمَهُونَ يتردّدون فی الحيرة.

و

قد روی أنهم لما طلبوا الآيات، أراد النبی أن يسأل ربه بتلك الآيات، فجاء جبرئيل و قال: إن شئت أصبح الصفا ذهبا، و لكن إن لم يصدقوا، عذّبوا، و إن شئت تركتهم حتی يتوب تائبهم، فقال رسول الله صلّی اللّه عليه و آله و سلّم: بل أتركهم حتی يتوب تائبهم «۱».

فأنزل الله تعالی هذه الآية.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۹ ص ۹۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۱۵

تقريب القران الى الأذهان الجزء الثّامن من آية ۱۱۲ من سورة الأنعام إلى آية ۸۸ من سورة الأعراف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۱۶

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۱۷

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۱۱ الی ۱۱۲]

وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتى وَ حَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (۱۱۱) وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما يَفْتَرُونَ (۱۱۲)

[۱۱۲] ثم بيّن سبحانه أنّ هؤلاء معاندين لا يريدون بالآيات إلا الاقتراح، و لو أنزلت إليهم لم يكونوا مؤمنين وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ حتّى يرونهم مشاهدة، و يشهدون لك بالرسالة وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتى أى أحيينا الأموات حتّى تكلّمهم وَ حَشَرْنا أى جمعنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا أى مقابلة و معاينة، بأن جئنا لهم بما طلبوا من الآيات، أو المراد:

جمعنا حواليهم الأشياء الكونية، بأن يأتيهم الشجر و الحجر و الماء و الحيوان، و كان ذلك لبيان حشر صور مدهشة مرعبة ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا لعنادهم و إصرارهم إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ أن يجبرهم على الإيمان، و لكن الله لا يشاء ذلك لأنه خلاف الحكمة وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا، بل يزعمون أنهم يؤمنون إن رأوا، لجهلهم بعنادهم الكامن فى نفوسهم، الذى لا ينفع معه كل آية.

[۱۱۳] وَ كَذلِكَ أى كما جعلنا لك يا رسول الله أعداء معاندين جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا و معنى «الجعل» التخلية بينهم و بين اختيار العداوة، و ذلك اختبار لهم، و رفعا لدرجات الأنبياء. و قد سبقت الإشارة إلى أن الأمور الاختيارية للناس تنسب إلى الله سبحانه باعتبار جعله الأسباب و التخلية بين الناس و بينها، كما تنسب إلى فاعليها لأنهم السبب المريد لها شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِ نصب «شياطين» لأنه بدل «عدوا»

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۱۸

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۱۳]

وَ لِتَصْغى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ لِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ (۱۱۳)

و المراد به الجنس لا الواحد، و المراد بشياطين الإنس، إما الشياطين الموكلة بالإنسان التى تغويه و تأمره بالقبائح، و إما من قبيل «خاتم فضة» أى المردة من أفراد الإنسان، فإن الشيطان بمعنى المارد من «شطن»، قال الشاعر:

أيا شاطن عصاه عكاه ثم يلقى فى السجن و الأغلال

و هكذا يقال بالنسبة إلى شياطين الجن يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ أى يوسوس خفية زُخْرُفَ الْقَوْلِ أى: القول المزخرف، الذى يستحسن ظاهره و لا حقيقة له و لا أصل غُرُوراً أى لأجل الغرور و الإضلال وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ أى لو أراد جبرهم على عدم هذه الأعمال العدوانية ضد الأنبياء، لتمكن من ذلك، لكنه لم يشأ، لأنه خلاف الحكمة فَذَرْهُمْ أى دعهم وَ ما يَفْتَرُونَ أى افتراؤهم، فأعرض عنهم، و لا تتعرّض لهم، بل خذ طريقك، و بلّغ رسالات ربك.

[۱۱۴] إن الشياطين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول لأجل الغرور وَ لِتَصْغى لأجل أن تميل إِلَيْهِ أى إلى هذا الوحى بزخرف القول أَفْئِدَةُ أى: قلوب الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فإنهم يوسوسون ليغروا الناس و ليستميلوا أفئدة الكفار إلى مكائدهم وَ لِيَرْضَوْهُ أى يرضى من لا يؤمن بالآخرة، بالوحى و الوسوسة، بمعنى إرضاء الكفار

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۱۹

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۱۴ الى ۱۱۵]

أَ فَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتابَ مُفَصَّلاً وَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (۱۱۴) وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۱۱۵)

بمنهجهم فلا يميلوا إلى الحق وَ لِيَقْتَرِفُوا أى يرتكبوا من الكفر و المعاصى ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ أى الشيء الذى يرتكبون. و جملة المعنى أن وسوسة الشياطين لأجل أن يغروا الناس، و يستميلوا قلوبهم، و يرضون عن طريقتهم، و يرتكبون الآثام.

[۱۱۵] إنّ هناك شخصين متعاديين الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و الذى لا يؤمن بالآخرة، فمن الحكم بينهما؟ و هنا يأتى الجواب أن الحكم هو الله وحده، قل يا رسول الله لهؤلاء: أَ فَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً أى أطلب سوى الله حاكما وَ هُوَ أعلم الحكّام الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتابَ مُفَصَّلًا فيه ما يحتاج إليه الإنسان، يفصل بين الحقّ و الباطل، و معنى التفصيل: تبيين المعانى بما يوجب رفع

الاشتباه. و من المعلوم أن القادر على تنزيل الكتاب، هو الذى يتخذ حكما وَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ أى أعطيناهم الْكِتابَ من اليهود و النصارى يَعْلَمُونَ أَنَّهُ أى الكتاب و هو القرآن مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِ و ليس كلام الآدميين، و تخصيص أهل الكتاب، لأن علمهم يقتضى أن يعرفوا ذلك، فإنه «إنما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه» فَلا تَكُونَنَ يا رسول الله مِنَ الْمُمْتَرِينَ أى الشاكين. و من المعلوم أن النبى لا يشك و إنما المراد به السامع، و إن كان الخطاب موجها إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

[۱۱۶] وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ بالقرآن الكريم، فما أراده الله سبحانه من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۲۰

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۱۶]

وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (۱۱۶)

البشر، تم بإنزال هذا الكتاب، فليس وراءه كتاب آخر و كلمة أخرى صِدْقاً وَ عَدْلًا فما فيه من الأخبار صدق لا يشوبه كذب، و عدل لا يشوبه انحراف و زيغ، فكل خبر يخالف إخباره عن المبدأ و عن المعاد و عن الرسالة و عن العدل و عن الخلافة و عن غيرها، فهو كذب، و كل حكم يخالف حكمه فهو زيغ و باطل لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ فإن كلمات الله سبحانه هى الميزان لكل شيء فلا أحد يبدّل كلماته تعالى بالزيادة و النقصان، تبديلا صحيحا، و من بدّل فهو المنحرف الضال وَ هُوَ السَّمِيعُ لأقوال الناس الْعَلِيمُ بكل ما يفعلون فيجازيهم حسب أعمالهم و أقوالهم.

[۱۱۷] إن الميزان هو كلمات الله سبحانه، فليس هناك حق فيما عدا ذلك وَ لذا إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لأن غالب الناس كفّار أو ضالين، فاتّباعهم موجب للكفر و الضلال، نعم هناك قلة لم يخل منهم زمان، هم الآخذون بأحكام الله تعالى، فإطاعتهم هى إطاعة الله، و لا يوجب اتباعهم ضلالا و زيغا إِنْ يَتَّبِعُونَ أى ما يتّبع هؤلاء الكثرة من الناس إِلَّا الظَّنَ فليس لهم حجة و برهان فى كفرهم و ضلالهم، و إنما يرجّحون ظنّا ما يعتقدونه، أو يعملون به وَ إِنْ هُمْ أى ما هم إِلَّا يَخْرُصُونَ «الخرص» هو التخمين، أى يقولون تخمينا لا اعتقادا و جزما.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۲۱

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۱۷ الى ۱۱۹]

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (۱۱۷) فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ (۱۱۸) وَ ما لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ قَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَ إِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (۱۱۹)

[۱۱۸] إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ أى أعلم من سائر الناس بمن يسلك سبيل الضلال، فقوله: «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ» صادر عن علم و معرفة، فإذا قال قائل: إن الكفار يعتقدون اعتقادا جازما بما أشركوا، و يقولون ما يقولون عن قطع و جزم. فذلك غير عارف بأحوالهم، و ربك أعلم منه بهم وَ هُوَ سبحانه أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ الذين يسلكون سبيل الهدى و الرشاد.

[۱۱۹] إذا فالحكم كله لله صغيرا كان أو كبيرا، و قد كان الضّالّون يجادلون المسلمين فى شؤون كثيرة، و منها أمر الذبائح، فقد كانوا يأكلون الميتة، و يتركون المذبوح، و كانوا يحتجون على المسلمين قائلين:

أ تأكلون أنتم ما قتلتم و لا تأكلون ما قتل ربّكم؟ يريدون الاعتراض على المسلمين فى عدم أكلهم للميتة فَكُلُوا أيها المسلمون مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ عند الذبح، و اجتمع فيه سائر الشرائط، و الأمر للإباحة لأنه فى مقام توهم الحضر إِنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ بأن آمنتم بالله و رسوله و صدّقتم بما جاء به الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

[۱۲۰] وَ ما لَكُمْ أيها المسلمون أَلَّا تَأْكُلُوا أى شيء لكم فى أن لا تأكلوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ أى لم لا تأكلونه، هل أن ذلك بزعم

التحریم لأنکم تقتلونه؟ وَ قَدْ فَصَّلَ الله سبحانه لَکُمْ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۲۲

[سورة الأنعام (۶): الآیات ۱۲۰ الی ۱۲۱]

وَ ذَرُوا ظاهِرَ الْإِثْمِ وَ باطِنَهُ إِنَّ الَّذِینَ یَکْسِبُونَ الْإِثْمَ سَیُجْزَوْنَ بِما کانُوا یَقْتَرِفُونَ (۱۲۰) وَ لا تَأْکُلُوا مِمَّا لَمْ یُذْکَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَیْهِ وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ وَ إِنَّ الشَّیاطِینَ لَیُوحُونَ إِلی أَوْلِیائِهِمْ لِیُجادِلُوکُمْ وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّکُمْ لَمُشْرِکُونَ (۱۲۱)

علی لسان رسوله ما حَرَّمَ عَلَیْکُمْ و لیست الذبیحة منها إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَیْهِ فإنکم إذا اضطررتم إلی ما حرّم جاز لکم أکله بقدر الضرورة وَ إِنَّ کَثِیراً من الناس لَیُضِلُّونَ بِأَهْوائِهِمْ فإلی حیث مال هواهم ساقوا الناس إلیه، فذلک یسبب إضلال الناس بِغَیْرِ عِلْمٍ یهدیهم إلی الحق، و إن تحریم المشرکین للمذکی من هذا القبیل، فإنه من الهوی، لا- من علم و صلاح إِنَّ رَبَّکَ یا رسول الله هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِینَ الذین یتجاوزون الحق، و یتعدونه إلی الباطل.

[۱۲۱] و فی عداد ذکر الحرام و الحلال، ینهی سبحانه عن کل محرم وَ ذَرُوا أیها المسلمون ظاهِرَ الْإِثْمِ وَ باطِنَهُ أی ما ظهر من المعاصی و ما بطن مما یؤتی به سرّا.

قیل: إن أهل الجاهلیة کانوا یقولون: إذا زنا الإنسان علنا کان آثما، و إن زنا سرا لم یکن به بأس، و بهذه المناسبة نزل هذا التعمیم.

إِنَّ الَّذِینَ یَکْسِبُونَ الْإِثْمَ أی یعملون بالمعاصی سَیُجْزَوْنَ أی یعاقبون بِما کانُوا یَقْتَرِفُونَ أی یرتکبون، یقال: «اقترف الإثم» أی ارتکبه.

[۱۲۲] وَ لا تَأْکُلُوا أیها المسلمون مِمَّا لَمْ یُذْکَرِ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۲۳

[سورة الأنعام (۶): آیة ۱۲۲]

أَ وَ مَنْ کانَ مَیْتاً فَأَحْیَیْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً یَمْشِی بِهِ فِی النَّاسِ کَمَنْ مَثَلُهُ فِی الظُّلُماتِ لَیْسَ بِخارِجٍ مِنْها کَذلِکَ زُیِّنَ لِلْکافِرِینَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ (۱۲۲)

اسْمُ اللَّهِ عَلَیْهِ من الذبائح التی تذبح بدون التسمیة وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ و خروج عن طاعة الله تعالی وَ إِنَّ الشَّیاطِینَ لَیُوحُونَ أی یلقون خفیة إِلی أَوْلِیائِهِمْ أی: فی قلوب الذین اتبعوهم من الکفّار لِیُجادِلُوکُمْ قائلین: کیف تأکلون أیها المسلمون مما تقتلونه أنتم و لا تأکلون مما قتله الله، و قتیل الله أولی بالأکل من قتیلکم؟ وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ فی أکل المیتة إِنَّکُمْ لَمُشْرِکُونَ لأنّ استحلال المیتة یوجب الکفر، أو المراد: أنکم مثلهم، لا مثل المؤمنین، و هذا تعبیر خطابی، و لعل هذا أقرب لأن الاستحلال یوجب الکفر لا الشرک.

[۱۲۳] ثم ذکر سبحانه مثل الفریقین، المؤمنین و الکفار أَ وَ مَنْ کانَ مَیْتاً بالکفر فَأَحْیَیْناهُ بالإیمان، فإن الکفر شبه الموت حیث أن الکافر لا یأتی منه العمل الصالح، و الإیمان شبیه بالحیاة لذلک وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً منهاجا ینیر به دروب الحیاة یَمْشِی بِهِ أی بذلک النور فِی النَّاسِ فیعرف کیف یمشی و کیف یعاشر، لا کالأعمی الذی یصطدم بهذا و ذاک کَمَنْ مَثَلُهُ فِی الظُّلُماتِ أی کالکافر الذی هو مثل الشخص الذی لا نور له بل یمشی فی الظلمات، فمن فی الظلمة شبّه بالکافر، لأن ظلمة الکفر أشد من ظلمة عدم النور، و إن الکافر لا یعرف سبیل الحیاة السلیمة و لذا فهو دائم المشاکل و المصادمات لَیْسَ بِخارِجٍ مِنْها إذ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۲۴

[سورة الأنعام (۶): آیة ۱۲۳]

وَ کَذلِکَ جَعَلْنا فِی کُلِّ قَرْیَةٍ أَکابِرَ مُجْرِمِیها لِیَمْکُرُوا فِیها وَ ما یَمْکُرُونَ إِلاَّ بِأَنْفُسِهِمْ وَ ما یَشْعُرُونَ (۱۲۳)

الخروج من الظلمة لا یکون إلّا بانتهاج منهاج الإیمان، و إلا فمن ظلمة إلی ظلمة، و هذا سرّ ما یشاهد من ازدیاد مشاکل العالم یوما بعد یوم، و کلّما عدّلوا القوانین، و بدّلوا المناهج لم یزدهم إلا مشکلة و إعضالا.

و الاستفهام إنکاری، یراد أنهما لیسا بمتساویین، بل الحی ذو النور أفضل من المیت فی الظلمة کَذلِکَ أی کما زیّن للمؤمن الإیمان

كذلك زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ و الذى زيّن لهم هو الشيطان و النفس الأمّارة بالسوء، أو هو الله سبحانه بالمعنى المتقدم فى قوله: كَذلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ «۱»، أى خلّينا بينهم و بين ما يزيّن لهم عملهم.

[۱۲۴] وَ كَذلِكَ أى كما تركنا الكفار فى ظلمتهم يعمهون، أو كما زيّنا لهم أعمالهم، كذلك جَعَلْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابِرَ مُجْرِمِيها فتركنا المجرمين على حالهم لِيَمْكُرُوا فِيها أى فى القرية، و «اللام» للعاقبة، أى أن عاقبة تركنا إياهم مكرهم فى القرية، كقوله تعالى: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً «۲»، أو المراد: كما جعلنا ذا النور من المؤمنين، كذلك جعلنا ذا الظلمة من المجرمين وَ ما يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ فإن عاقبة مكرهم و وبال طغيانهم لا يرجع إلا إلى أنفسهم وَ ما يَشْعُرُونَ أى لا يدرون أن مكرهم يعود بالوبال

---

(۱) الأنعام: ۱۰۹.

(۲) القصص: ۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۲۵

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۲۴]

وَ إِذا جاءَتْهُمْ آيَةٌ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتى مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمْكُرُونَ (۱۲۴)

السيّئ إلى أنفسهم.

[۱۲۵] وَ إِذا جاءَتْهُمْ أى جاءت هؤلاء المجرمين آيَةٌ دلالة من الله على التوحيد و الرسالة قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بهذه الآية و بما جاءت من أجله حَتَّى نُؤْتى مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أى تأتى على أيدينا المعجزة، و يوحى إلينا حتّى نكون كالرسل. قالوا: نزلت هذه الآية فى الوليد بن المغيرة حيث قال للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و الله لو كانت النبوة حقّا لكنت أولى بها منك، لأنى أكبر منك سنّا و أكثر منك مالا. و قيل:

نزلت فى أبى جهل حيث قال: زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتّى إذا صرنا كفرس رهان قالوا: منّا نبى يوحى إليه، و الله لا نؤمن به و لا نتبعه أبدا إلّا أن يأتينا وحى كما يأتيه.

اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ فإنه سبحانه أعلم من جميع الخلق بموضع الرسالة، و ليست هى بالمال و الكبر و السن، بل بالفضائل النفسية و القابلية المحلية سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا أى عملوا الجرائم و الموبقات صَغارٌ عِنْدَ اللَّهِ أى يكونوا أذلاء فى الآخرة، أو المراد: الأعم من الدنيا و الآخرة، و معنى «عند الله» أن ذلك الصغار من عنده سبحانه وَ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمْكُرُونَ أى بسبب مكرهم، فإن الصغار و العذاب جزاء لأعمالهم القبيحة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۲۶

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۲۵]

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (۱۲۵)

[۱۲۶] إن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا جاء بالإسلام، فمن حكّم عقله و آمن كان له من الله اللطف الخفى و شرح الصدر، و من أعرض و بقى على كفره أعرض سبحانه عنه و خلّى بينه و بين ما يفعل الشيطان به من تضييق الصدر فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ إلى الإيمان يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ «الشرح» هو: التوسعة، و هذا من باب التشبيه، فكما أن الشيء الواسع له مجال أن ينفذ فيه شيء، كذلك القلب المنشرح له محل أن ينفذ فيه الإسلام وَ مَنْ يُرِدْ الله أَنْ يُضِلَّهُ لأنه ترك الإيمان و عاند، فاقتضت المشيئة أن يخلى بينه و بين الضلال حتى تكون عاقبة أمره خسرا، و يذوق و بال إعراضه يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً لا ينفذ فيه الإسلام حَرَجاً هو أضيق الضيق- كما

قالوا- كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ فإن الإنسان إذا جرّ إلى السماء جرّا، أحس بضيق شديد فى صدره، من جهة أن الهواء كلما لطف، كان التنفس فيه أصعب، و معنى «فى السماء» الولوج فى طبقات السماء، ليعطى معنى الشدة أكثر من «إلى» و كذاك التشديد فى «يصّعّد». كَذلِكَ أى كما ذكر من تضييق الصدر يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ و هو العذاب، و الصعوبة، أو المراد به المعنى الظاهرى له، فإن للكفر رجسا عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فالعقوبة لمن لا يؤمن أن يجعل صدره ضيقا حرجا، فليس ذلك ابتداء منه سبحانه، كما قد يزعم الناظر فى أول الآية، و هذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۲۷

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۲۶ الى ۱۲۸]

وَ هذا صِراطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (۱۲۶) لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۲۷) وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَ قالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ وَ بَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا قالَ النَّارُ مَثْواكُمْ خالِدِينَ فِيها إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (۱۲۸)

كقولك: «إن من يريد خيره من أبنائى أعطه المال، و إنّ من يريد شره أقطع عنه المال، و هكذا أعمل بمن لا ينصاع إلى أوامرى».

[۱۲۷] وَ هذا أى الإسلام صِراطُ رَبِّكَ يا رسول الله مُسْتَقِيماً لا اعوجاج فيه و لا انحراف، فمن لم يقبله لم يفرّ من الانحراف، و إنما زاغ و انحرف قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ أى بيّناها و شرحناها لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ أصله «يتذكّرون» ثم أدغمت التاء فى الذال، و المراد: أنه لمن يتذكّر ما أودع فيه من الفطرة الآمرة باتباع الطريق القويم.

[۱۲۸] لَهُمْ أى للذين تذكروا و عرفوا الحق دارُ السَّلامِ و هى: الجنة، فإنها دار السلامة التى لا حرب فيها، و لا بغضاء، و لا مرض، و لا همّ، و لا ما ينغّص العيش عِنْدَ رَبِّهِمْ أى أن تلك الدار عند كرامة الله و لطفه، و فى ضمانه و عهده وَ هُوَ أى الله سبحانه وَلِيُّهُمْ الذى يتولّى أمورهم بِما كانُوا يَعْمَلُونَ أى بسبب أعمالهم الصالحة و اتّباع أوامره.

[۱۲۹] وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً أى يجمعهم، و الضمير عائد إلى الجن و الإنس، الذين تقدم الكلام عنهم، بأنهم يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، و أنه جعل لكل نبى عدوّا منهم، و إذ يجمعون يقال لهم: يا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ أى اتّخذتم أتباعا كثيرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۲۸

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۲۹]

وَ كَذلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (۱۲۹)

منهم و احتشدتم حشدا عظيما من التابعين الذين اتبعوكم فى وساوسكم و غروركم. و لفظة «يوم» منصوبة، ب «يقال» المقدر، وَ قالَ أَوْلِياؤُهُمْ أى أتباع الجن مِنَ الْإِنْسِ الذين اتبعوهم و أخذوا بوساوسهم و إيحاءاتهم: رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ فلقد كان الإغواء نأخذه متاعا و استمتاعا، فإن الإنسان الذى لم يملأ فراغ قلبه الحقّ يطلب متعة يستمتع بها، و ما أجدر بالإغواء و الإيحاء أن يملأ ذلك الفراغ، و هذا كالاعتذار من الأتباع الإنسيين، كما يقول أحد الناس إذا سئل عن عمله الباطل؟ أنه اتخذه وسيلة للتسلية و سد الفراغ وَ بَلَغْنا أَجَلَنَا أى الموت الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا أى وقّته و جعلته مدة، فقد أدركنا الموت و نحن فى الاستمتاع قالَ الله تعالى: النَّارُ مَثْواكُمْ أى مقامكم، و «الثواء»: الإقامة، و الضمير عائد إلى الجن و الإنس خالِدِينَ فِيها أى فى النار أبد الآبدين إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ أن تنقطع النار و ذلك بالنسبة إلى عصاة المؤمنين إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله حَكِيمٌ و بمقتضى حكمته جعل النار مثوى لهم عَلِيمٌ يعلم الصالح من الفاسد.

[۱۳۰]- وَ كَذلِكَ أى كما تقدم من الخلة بين الجن و الإنس، ليغوى بعضهم بعضا، نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً فنجعل الظالم وليا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۲۹

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۳۰ الى ۱۳۱]

يـا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي وَ يُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هـذا قالُوا شَـهِدْنا عَلى أَنْفُسِـنا وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ (۱۳۰) ذلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها غافِلُونَ (۱۳۱)

للظالم فى الدنيا و فى الآخرة بِما كانُوا يَكْسِبُونَ أى بسبب كسبهم الأعمال السيئة و إعراضهم عن الحق.

[۱۳۱] ثم يخاطب الجن الذين أوحوا إلى الإنس و أضلوهم بهذا الخطاب:

يـا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْـإِنْسِ و «المعشـر» هو الجماعـة أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ على وجه الاسـتفهام الإنكارى، و «منكم» باعتبار أن الإنس و الجن من مادة سفلية، فبعضهم من بعض، أو باعتبار أن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أرسل رسلا من الجن إليهم يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ أى يتلون عليكم آيـاتِي أى حججى و دلائلى وَ يُنْذِرُونَكُمْ أى يخوفونكم لِقـاءَ يَوْمِكُمْ هـذا أى يوم القيامـة قـالُوا أى قـالت الجن فى جواب هـذا الاسـتفهام: شَهِدْنا عَلى أَنْفُسِـنا بمـا تستحق من العقاب حيث خالفنا و عصـينا، فإنّا معترفون بالجرائم، ثم يقول سبحانه: وَ غَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا أى تزيّنت لهم و أغوتهم وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ فى الآخرة أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ فى الدنيا فاستحقوا العقاب.

[۱۳۲] إن هؤلاء الجماعة الذين حكم عليهم بالنار لم يكن اعتباطا، و إنما كان بعد الإنذار و التبليغ و ذلِكَ الإرسال و الإنذار لأجل أَنْ لَمْ يَكُنْ أى لأنه ليس رَبُّكَ يا رسول الله مُهْلِكَ الْقُرى أى يهلك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۳۰

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۳۲ الى ۱۳۴]

وَ لِكُلٍّ دَرَجـاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (۱۳۲) وَ رَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَـةِ إِنْ يَشَأْ يُـذْهِبْكُمْ وَ يَسْـتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ كَما أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (۱۳۳) إِنَّ ما تُوعَدُونَ لَآتٍ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (۱۳۴)

و يعذب أهل المدن بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها غافِلُونَ عن الدين و الطريق، بل إنما يهلكهم إذا أتمّ الحجة عليهم، ثم خالفوا و عصوا.

[۱۳۳] ثم إنه ليس التعذيب اعتباطا بأن يحشرون جميعا فى درجة واحدة- كما قد ينساق من الآيات السابقة- بل وَ لِكُلٍ من المجرمين، أو الأعم منهم و من المطيعين دَرَجاتٌ أى مراتب خاصـة بهم مِمَّا عَمِلُوا «من» للإنشاء، أى: تنشأ تلك الـدرجات من أعمالهم فى الدنيا وَ ما رَبُّكَ يا رسول الله بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ فلا يدرى من عمل و ما عمل، بل كل شىء عنده محفوظ بقدره و خصوصياته.

[۱۳۴] إن هـذه الأوامر و تلك العقوبات، ليست لاحتياج الله سبحانه إلى هـذه أو تلك وَ رَبُّكَ يا رسول الله الْغَنِيُّ الـذى لا يحتاج إلى شىء إطلاقا ذُو الرَّحْمَةِ و من رحمته جعل الأوامر ليرحم العباد بها إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أى يهلككم أيها البشر وَ يَسْتَخْلِفْ أى يجعل خليفة لكم و فى محلكم مِنْ بَعْـدِكُمْ أى بعد الإذهاب بكم ما يَشاءُ من أنواع المخلوقات كَما أَنْشَأَكُمْ و أوجدكم مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ حيث أذهبهم و أتى بكم، فإن ذلك عليه يسير.

[۱۳۵] إِنَّ ما تُوعَدُونَ أيها البشر من القيامة و الحساب و الثواب و العقاب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۳۱

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۳۵ الى ۱۳۶]

قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (۱۳۵) وَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعامِ نَصِيباً فَقالُوا هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هذا لِشُرَكائِنا فَما كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَ ما كانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلى شُرَكائِهِمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ (۱۳۶)

لَآتٍ أى يأتى لا محالة وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ أى لستم تقدرون أن تسبّبوا عجزه سبحانه حتى لا يتمكن من إعادتكم و الإتيان بكم لساحة الحساب.

[۱۳۶] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء: يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ أى منزلتكم و مقدار تمكّنكم من الـدنيا، و هـذا الأمر للتهديـد، أى: اعملوا الكفر و المعاصـى بما تتمكنون إِنِّي عامِلٌ بما أمرنى الله سبحانه- فلكم دينكم ولى دين- فَسَوْفَ فى الآخرة تَعْلَمُونَ جزاء أعمالكم مَنْ

تَكُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدَّارِ أى العاقبة المحمودة فى دار السلام، هل أنتم أم أنا؟ لكن اعلموا أن عاقبة الدار لى ف إِنَّهُ لا يُفْلِحُ و لا يفوز بالسعادة الظَّالِمُونَ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر و المعاصى.

[۱۳۷] ثم يعود السياق إلى معالجة العقيدة فى بعض نواحيها فيحكى سبحانه ما كان يفعله أهل الجاهلية من تقسيم ما ينفقوه من الزرع و الأنعام بين الله و بين الأصنام وَ جَعَلُوا أى جعل الكفار لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ أى خلق مِنَ الْحَرْثِ أى الزرع وَ الْأَنْعامِ أى المواشى من الإبل و البقر و الغنم نَصِيباً أى حظا و قسما، و جعلوا للأصنام نصيبا فَقالُوا هذا القسم لِلَّهِ تعالى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۳۲

بِزَعْمِهِمْ و إنما نسبهم إلى الزعم لأنه لم يكن لله، فإن الله لا يقبل الشيء الذى أشرك معه فيه وَ هذا القسم لِشُرَكائِنا أى الأوثان، الشركاء الذين نحن أشركناهم مع الله- و فى الإضافة تكفى أدنى ملابسة، ككوكب الخرقاء- فَما كانَ لِشُرَكائِهِمْ من الأنعام و الحرث فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ أى أن الله لا يقبله، و كنّى بالإيصال لتشبيه المعقول بالمحسوس تقريبا للمعنى إلى الأذهان وَ ما كانَ لِلَّهِ بزعمهم فَهُوَ يَصِلُ إِلى شُرَكائِهِمْ و هذا مجاز، أى أن الأصنام تنتفع بهذا النصيب من خلال ما يترسخ لها فى قلوب المشركين من المكانة و الاحترام، أو المراد أنهم كانوا إذا خصصوا نصيبا للشركاء لا يأخذون منه لله شيئا، أما الحصة المخصصة لله سبحانه فقد يأخذون منها ليوفروا المأخوذ مع حصة الأصنام.

روى عن أهل البيت عليهم السّلام أن المشركين كانوا يعيّنون قسما من الحرث و الأنعام لله و ينفقونه على الضيوف و المساكين و قسما منهما لآلهتهم و ينفقونه على سدنتها و يذبحون عندها ثم إن رأوا أن ما عيّنوا لله أزكى بدّلوه بما لآلهتهم، و إن رأوا أن ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبا لآلهتهم و عللوا ذلك بأن الله غنىّ.

و روى أيضا: أنه كان إذا اختلط ما جعل للأصنام بما جعل لله ردّوه، و إذا اختلط ما جعل لله بما جعلوه للأصنام تركوه، و قالوا: الله غنى، و إذا انخرق الماء الذى لله فى الذى للأصنام لم يسدوه، و إذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۳۳

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۳۷]

وَ كَذلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما يَفْتَرُونَ (۱۳۷)

انخرق من الذى للأصنام فى الذى لله سدوه و قالوا: الله غنى ..

فرد عليهم سبحانه بقوله: ساءَ ما يَحْكُمُونَ أى أن حكمهم بالتشريك أو عند الاختلاط، و التزكية، سيّئ، فإن الله و إن كان غنيا، لكن هذا العمل مخالف لجلال شأنه و عظيم كبريائه.

[۱۳۸] وَ كَذلِكَ أى كما جعل المشركون فى الحرث و الأنعام ما لا يجوز، كذلك فعلوا بالنسبة إلى أولادهم ما لا يجوز زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فاعل «زين» «شركاؤهم» أى أن الشياطين الذين اتخذهم المشركون شركاء لله زينوا لهم قَتْلَ أَوْلادِهِمْ مفعول «زين» شُرَكاؤُهُمْ فقد كان كثير من المشركين يعبدون الجن، و هى توحى لهم بالأعمال السيئة. فقد كانوا يقتلون البنات خوفا من العار، كما قال سبحانه: وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ* ..

أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ «۱»، و قال: وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ «۲»، و كانوا يقتلون البنين خوف الفقر، كما قال سبحانه: وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ «۳»، لِيُرْدُوهُمْ من «أراده» بمعنى:

«أهلكه» أى أنه كانت غاية الشياطين- الشركاء- الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم، إرادة إهلاك الأولاد بالقتل، و إهلاك الآباء بالذنب وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ أى يخلطوا عليهم الحق بالباطل حتى

(۱) النحل: ۵۹ و ۶۰.

(۲) التكوير: ۹ و ۱۰.

(۳) الأنعام: ۱۵۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۳۴

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۳۸]

وَ قالُوا هذِهِ أَنْعامٌ وَ حَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُها إِلاَّ مَنْ نَشاءُ بِزَعْمِهِمْ وَ أَنْعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها وَ أَنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِراءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِما كانُوا يَفْتَرُونَ (۱۳۸)

لا يعرفوا أحدهما من الآخر، و فى الغالب يأتى أهل الباطل بضغث من الحق و ضغث من الباطل، حتى لا يصغر الحق، فيتبعه الناس وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ أى ما قتلوا أولادهم، و مشيئة الله إنما هى بجبرهم على الهدى، لكنه لا يشاء لأن الدنيا خلقت للاختبار فَذَرْهُمْ أى دعهم و اتركهم يا رسول الله وَ ما يَفْتَرُونَ أى افتراؤهم على الله سبحانه، فقد كان المشركون ينسبون أباطيلهم إليه سبحانه، و «ذرهم» تهديدا لهم، لا أن معناه عدم وجوب ردعهم و نهيهم.

[۱۳۹] وَ قالُوا أى قال المشركون فى قسم آخر من خزعبلاتهم: هذِهِ أَنْعامٌ وَ حَرْثٌ أى مواش و زرع حِجْرٌ أى حرام لا يَطْعَمُها أى لا يأكلها إِلَّا مَنْ نَشاءُ و هى التى خصّصوها لأصنامهم فقد كانت خاصة للسدنة لا يشركهم فيها أحد بِزَعْمِهِمْ أى قد كان هذا التحريم زعما منهم، إذ لم ينزل الله به من سلطان وَ عمدوا إلى قسم ثان من الأنعام فحجروها و قالوا: هذه أَنْعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها أى لا تركب، لأنها نذرت للآلهة، أو لأنها ولدت كذا ولدا، أو لأنها حمت ظهرها، من السائبة و أخواتها، كما تقدم فى سورة المائدة وَ عمدوا إلى قسم ثالث من الأنعام فهى أَنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا عند الركوب، أو عند الذبح، أو لا يحجون عليها، و قد كانوا ينسبون كل ذلك إلى الله سبحانه افْتِراءً عَلَيْهِ فقد كانوا كاذبين فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۳۵

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۳۹ الى ۱۴۰]

وَ قالُوا ما فِي بُطُونِ هذِهِ الْأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَ مُحَرَّمٌ عَلى أَزْواجِنا وَ إِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (۱۳۹) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ حَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِراءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ (۱۴۰)

هذه النسب سَيَجْزِيهِمْ الله سبحانه بِما كانُوا يَفْتَرُونَ أى بسبب افترائهم على الله سبحانه كذبا و زورا.

[۱۴۰] وَ قالُوا أى قال المشركون فى قسم آخر من أباطيلهم: ما فِي بُطُونِ هذِهِ الْأَنْعامِ من الأجنة خالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَ مُحَرَّمٌ عَلى أَزْواجِنا أى نسائنا، إن كانت حية وَ إِنْ يَكُنْ ما فى بطون الأنعام مَيْتَةً بأن خرج الجنين ميتا فَهُمْ رجالا و نساء فِيهِ شُرَكاءُ يجوز للنساء أكله كما يجوز للرجال سَيَجْزِيهِمْ الله تعالى وَصْفَهُمْ أى هذا الوصف الذى كانوا يصفون به الجنين بالتحليل و التحريم و «وصف» منصوب بنزع الخافض، أى «بوصفهم» إِنَّهُ سبحانه حَكِيمٌ يحكم عن حكمة و مصلحة عَلِيمٌ بما يصدر من هؤلاء، فيجازيهم حسب المصلحة و الحكمة.

[۱۴۱] ثم يجمع ذلك كله بقوله سبحانه: قَدْ خَسِرَ الكفار الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ خوف العار أو الفقر أو للنذر- فقد كانوا ينذرون قتل الأولاد- سَفَهاً أى جهلا و سفاهة، فإنهم اشتروا بذلك النار بِغَيْرِ عِلْمٍ بما يعملون، فإنهم كانوا يزعمون صحة عملهم هذا وَ حَرَّمُوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۳۶

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴۱]

وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وَ غَيْرَ مَعْرُوشاتٍ وَ النَّخْلَ وَ الزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَّانَ مُتَشابِهاً وَ غَيْرَ مُتَشابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصادِهِ وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (۱۴۱)

ما رَزَقَهُمُ اللَّهُ أى خسروا بتحريمهم قسما من الأنعام و الحرث الذى زعموا أنه حجر لأصنامهم افْتِراءً عَلَى اللَّهِ حيث كانوا ينسبون ذلك إليه سبحانه قَدْ ضَلُّوا الطريق المستقيم وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ فى تلك الأعمال.

[۱۴۲] وَ هُوَ الله الَّذِى أَنْشَأَ أى خلق و أبدع جَنَّاتٍ أى بساتين مَعْرُوشاتٍ أى مجعولات لها عروش من الكروم وَ غَيْرَ مَعْرُوشاتٍ من الأشجار التى لا- تحتاج إلى العروش بل هى قائمة على ساقها وَ أنشأ النَّخْلَ للتمر وَ الزَّرْعَ من مختلف المزروعات فى حال كون جميع ذلك مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ أى ثمره الذى يؤكل، و الاختلاف فى اللون و الطعم و الشكل و الخواص وَ أنشأ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَّانَ و ذكرهما لكثرتهما فى هذه البلاد فى حال كون ذلك كله، أو الأخيرين مُتَشابِهاً يشبه بعضه بعضا وَ غَيْرَ مُتَشابِهٍ من حيث اللون و الورق و الشجر و غيرها كُلُوا أيها البشر مِنْ ثَمَرِهِ أى ثمر هذا المنشأ إِذا أَثْمَرَ فإن ذلك مباح لكم وَ آتُوا حَقَّهُ أى الحق المجعول عليه، و هو إعطاء الفقراء منه شيئا، حفنة حفنة، أو كفا كفا يَوْمَ حَصادِهِ أى جنيه و قطعه وَ لا تُسْرِفُوا فى باب ما رزقناكم،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۳۷

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۴۲ الى ۱۴۳]

وَ مِنَ الْأَنْعامِ حَمُولَةً وَ فَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (۱۴۲) ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِى بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۱۴۳)

بأن تعطوا الجميع، أو تصرفوه فيما لا يعنى، أو ما أشبه إِنَّهُ سبحانه لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ أى يكرههم.

[۱۴۳] وَ أنشأ مِنَ الْأَنْعامِ الإبل و البقر و الغنم حَمُولَةً هى الإبل التى يحمل عليها، أو كل ما يحمل من الخيل و البغال و الحمير و الإبل وَ فَرْشاً أى ما يفترش من جلودها كالغنم، أو المراد بالفرش صغارها قبل أن تكون صالحة للحمل، كُلُوا أيها البشر مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ و لا تحرموا شيئا منها كما كان أهل الجاهلية يحرمون بعض الطيبات وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ كأن العاصى يضع قدمه حيث وضع الشيطان قدمه إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ أى واضح العداوة، لأنه يسبب ذهاب دنياكم و آخرتكم.

[۱۴۴] ثم بيّن سبحانه أن ليس فى شىء من الأنعام محرما، و إنما ذلك اختلاق من الجهال، إنه سبحانه أنشأ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ من الأنعام الثلاثة، و «الزوج» يقع على الواحد الذى يقع معه الآخر، و على الاثنين، فالرجل زوج و المرأة زوج، كما أن كليهما زوج مِنَ الضَّأْنِ و هى الشاة اثْنَيْنِ ذكر و أنثى و «اثنين» بدل من «ثمانية» وَ مِنَ الْمَعْزِ و هى السخل اثْنَيْنِ ذكر و أنثى قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الذين يحرمون بعض هذه الأقسام: آلذَّكَرَيْنِ دخلت همزة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۳۸

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴۴]

وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهذا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۱۴۴)

الاستفهام على همزة الوصل و فصل بينهما بالألف، و لم تسقط همزة الوصل لئلّا يلتبس الاستفهام بالخبر و إن جاز الحذف لقرينة «أم» أى:

هل أحد الذكرين من الضأن و المعز حَرَّمَ الله أَمِ إحدى الْأُنْثَيَيْنِ منها أم حرّم سبحانه ما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الْأُنْثَيَيْنِ أى الجنين الذى اشتمل عليه رحم الضأن و المعز، فإنهم كانوا يقولون: إن ما فى بطون هذه الأنعام محرم على الإناث و خالص للذكور نَبِّئُونِى أى: أخبرونى أيها الكفار المحرمون لبعض هذه الأقسام بِعِلْمٍ أى: عن دليل عملى، لا- الأوهام و الظنون إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى تحريم الله سبحانه لهذه الأقسام.

[۱۴۵] وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ ذكر و أنثى، و هو عطف على «مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ» وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ذكر و أنثى، و هذا تمام الثمانية قُلْ يا رسول الله لهؤلاء: آلذَّكَرَيْنِ أى: هل أن واحدا من الذكرين حَرَّمَ الله سبحانه أَمِ إحدى الْأُنْثَيَيْنِ من الإبل و البقر؟ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ

الْأُنْثَيَيْنِ من الجنسين- كما تقدم- أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ أي:

حضورا- مقابل «نبئوني بعلم»- أي: هل علمتم أو حضرتم التحريم؟

إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهذا التحريم، و إذ لا دليل لكم لا سماعا و لا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۳۹

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴۵]

قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۴۵)

حضورا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فإن من ينسب إلى الله سبحانه حكما بالكذب هو أظلم الناس لنفسه. و قد تقدم أن التفضيل هنا نسبى لا واقعى لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ فيوقع الناس فى الضلالة، و لا علم له بصحة عمله، بل يعلم بطلانه أو يظن ما يقوله ظنا إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ بل يتركهم و شأنهم حتى يتمادوا فى غيهم و ضلالهم.

[۱۴۶] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار: لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ أى ما أوحى به الله سبحانه فى باب تحريم هذه الأشياء التى تتناولونها أنتم و التى تحرمونها مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ أى على آكل يأكله، فكل ما تذكرون تحريمه باطل، بل هو حلال طيب إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً غير مذكى شرعا أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أى مصبوبا، و إنما خص المسفوح بالذكر، لأن ما اختلط باللحم مما يعسر تخليصه منه محلل مباح أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ و من المعلوم أن ذكر اللحم من باب المثال، و إلا فشحمه و سائر أجزائه أيضا حرام فَإِنَّهُ أى كل واحد من هذه المحرمات، أو خصوص لحم الخنزير رِجْسٌ أى قذر منفور منه أَوْ فِسْقاً عطف على «ميتة» أى لحما يكون أكله فسقا، لأنه خلاف إباحة الله، و ذلك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۴۰

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۴۶]

وَ عَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما إِلاَّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما أَوِ الْحَوايا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَ إِنَّا لَصادِقُونَ (۱۴۶)

فيما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ أى: ذكر عليه اسم الأصنام حين القتل، و لم يذكر عليه اسم الله فَمَنِ اضْطُرَّ إلى تناول أحد هذه المحرمات غَيْرَ باغٍ فى أكله وَ لا عادٍ من التعدى، بأن لم يكن طالبا لأكل الحرام، و متعديا حد سدّ الرمق- و قد تقدم المعنى فى سورة المائدة- فَإِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله غَفُورٌ يغفر لمن تناول مضطرا رَحِيمٌ بالعباد حيث رخّص لهم ذلك، و قد تقدم عدم المنافاة بين عدم المعصية و الغفران.

[۱۴۷] كان هذا الحكم بالنسبة إلى غير اليهود وَ أما عَلَى الَّذِينَ هادُوا فقد حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ من دابة ليست مشقوقة الرجل كالإبل و النّعام، أو الطير كالإوز و البط وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما كل شحم فى بدنهما إِلَّا ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما أى الشحم الذى كان على ظهرهما أو ما حملته الْحَوايا من الشحم، و هى: جمع «حاوية»، و المراد به الأمعاء، و هو الشحم الملتف بالأمعاء أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ كشحم الجنب و الإلية و نحوهما ذلِكَ التحريم عليهم لم يكن لأجل ضرر فى المحرمات عليهم بل جزيناهم بسبب بغيهم أى ظلمهم حيث كانوا يكفرون بآيات

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۴۱

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۴۷ الى ۱۴۸]

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ وَ لا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (۱۴۷) سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (۱۴۸)

الله و یقتلون الأنبیاء بغیر حق وَ إِنَّا لَصادِقُونَ فی إخبارنا عن بنی إسرائیل و ما فعلوا و ما فعلنا بهم، و ذلک بخلاف کثیر من الأعداء حیث یلفّقون أخبارا مکذوبة علی أعدائهم لحطّهم فی أعین الناس.

[۱۴۸] فَإِنْ کَذَّبُوکَ یا رسول الله فیما ذکرت للمشرکین من التحریم و التحلیل، حیث قالوا: إن حرام الله و حلاله کما نقول، أو فیما ذکرت عن الیهود من تحریم الله علیهم المذکورات بسبب بغیهم فَقُلْ لهم:

رَبُّکُمْ ذُو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ یرحم جمیع ذوی الروح، و لذا لا یعاجلکم بالعقوبة لکی تتوبوا وَ لکن مع ذلک لا یُرَدُّ بَأْسُهُ أی: لا یدفع عذابه إذا جاء وقته عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِینَ الذین ارتکبوا الجرائم.

[۱۴۹] سَیَقُولُ الَّذِینَ أَشْرَکُوا و اتخذوا شریکا لله سبحانه، للدفاع عن أنفسهم، و تبریر شرکهم لَوْ شاءَ اللَّهُ أن لا نشرک ما أَشْرَکْنا نحن وَ لا- أشرک آباؤُنا من قبل وَ لا حَرَّمْنا مِنْ شَیْءٍ فإذا أشرکنا و حرمنا و سکت الله عنا فهو یرضی بذلک و یرید شرکنا و تحریمنا کَذلِکَ أی کتکذیب هؤلاء لک یا رسول الله فی قولک:

إن الله لا یرضی بالشرک و لم یحرّم ما حرّمتموه کَذَّبَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ أنبیاءهم حَتَّی ذاقُوا بَأْسَنا أی: حتی نالوا عذابنا و نکالنا

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۴۲

[سورة الأنعام (۶): الآیات ۱۴۹ الی ۱۵۰]

قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداکُمْ أَجْمَعِینَ (۱۴۹) قُلْ هَلُمَّ شُهَداءَکُمُ الَّذِینَ یَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هذا فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ هُمْ بِرَبِّهِمْ یَعْدِلُونَ (۱۵۰)

قُلْ یا رسول الله لهم، ردّا علی حجتهم هَلْ عِنْدَکُمْ أیها المشرکون مِنْ عِلْمٍ بأن الله یرید شرککم و تحریمکم للمحللات فَتُخْرِجُوهُ لَنا و إذ لیس لکم دلیل فکلامکم خال عن الحجة إِنْ تَتَّبِعُونَ أی ما تتبعون فی أقوالکم و أعمالکم إِلَّا الظَّنَ فإنکم تظنون ما تقولونه لما اعتدتم علیه وَ إِنْ أَنْتُمْ أی: ما أنتم إِلَّا تَخْرُصُونَ الخرص، هو: التخمین.

[۱۵۰] قُلْ یا رسول الله لهم: إنکم إذا عجزتم عن إقامة الدلیل علی عقیدتکم و مدّعاکم فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ التی بلّغتکم، بأنه لا یرید الشرک، و لم یحرّم المذکورات فَلَوْ شاءَ لَهَداکُمْ أَجْمَعِینَ بالجبر و الإکراه، لکنه لا یشاء ذلک حتّی یجری الاختیار و الاختبار.

[۱۵۱] قُلْ یا رسول الله لهؤلاء الذین حرموا الأمور المذکورة: هَلُمَ أی: أحضروا شُهَداءَکُمُ الَّذِینَ یَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هذا الذی ذکرتم حرمته من أقسام الحیوان و الزرع، إنه طالبهم بالعلم فلم یکن عندهم، ثم طالبهم بالشاهد، لکنه لا شاهد عندهم، و لکنهم قد یأتون بشهود زور فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ یا رسول الله مَعَهُمْ فإن شهادتهم باطلة.

و إن قیل: کیف دعاهم إلی الشهادة، ثم لم یقبل شهادتهم؟

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۴۳

[سورة الأنعام (۶): آیة ۱۵۱]

قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّکُمْ عَلَیْکُمْ أَلَّا تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئاً وَ بِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَکُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُکُمْ وَ إِیَّاهُمْ وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِکُمْ وَصَّاکُمْ بِهِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (۱۵۱)

قلنا: إنه دعاهم إلی أن یأتوا بالشهود العدول لا من أنفسهم، و إلّا فالمدعی لا یکون شاهدا، فإن شهدوا بأنفسهم لم تقبل شهادتهم.

وَ لا تَتَّبِعْ یا رسول الله أَهْواءَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا أی هوی أنفسهم، فإن من لا یعمل بالحق لا بد و أن یکون متبعا لهواه، و حیث یرشده الهوی إلیه وَ لا- تتبع أهواء الَّذِینَ لا- یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ کالکفار الذین کانوا ینکرون البعث. و من المعلوم أن الکفار کانوا علی قسمین: منهم من یؤمن بالآخرة کأهل الکتاب، و منهم من لا یؤمن بها کالدهریة وَ هُمْ بِرَبِّهِمْ یَعْدِلُونَ أی: یجعلون له عدلا و شریکا.

[۱۵۲] و بعد استنکار ما حرمه المشرکون علی أنفسهم، و استنکار استحلالهم لبعض المحرمات، یأتی السیاق لبیان المحرمات الواقعیة التی حرّمها الله سبحانه قُلْ یا رسول الله لهؤلاء المشرکین:

تَعالَوْا أی أقبلوا و احضروا أَتْلُ أی أقرأ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ «ما» مفعول «أتل» أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ أی بالله شَيْئاً أی لا تجعلوا له سبحانه شريكا. و الجملة فی تأويل المصدر، فيكون بدلا من «ما حرم» أی أتل تحريم الشرك. فلا يقال: إن النفی فی النفی يفيد الإثبات.

وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً أی أوصاكم بهما إحسانا، إذ فی «حرّم» معنی الإيصاء، و «إحسانا» منصوب بفعل مقدّر، تقديره: «أحسنوا

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۴۴

بالوالدين إحسانا». و من المعلوم أن ترك كل واجب حرام، و لذا صحّ تعداده فی جملة «ما حرم» وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ بنين و بنات مِنْ إِمْلاقٍ هو الفقر، أی من جهة الفقر، فقد كان المشركون يقتلون أولادهم، خوف أن يفتقروا فلا يجدوا مؤونتهم. نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ أنتم أيها الآباء وَ إِيَّاهُمْ أی الأبناء، فليس رزقهم عليكم، ثم إن من المعلوم أن الرزق يحتاج إلی جدّ و تعب فليس المراد برزقه إياهم أنه ينزله من السماء فی الدلو وَ لا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ جمع فاحشة، صفة للمقدر أی «الصفة الفاحشة» ما ظَهَرَ مِنْها للناس وَ ما بَطَنَ أی أتی به سرا، و هذا يشمل جميع المحرمات غير المذكورة بالنص وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللَّهُ من المسلم و المعاهد إِلَّا بِالْحَقِّ و قد تقدم أن مثل هذه الاستثناءات من أصل الكلام، لا من قيده، أی لا تقتلوا النفس إلّا بالحق، و الحق فی القتل فی موارد خاصة، كالجهاد، و الزانی المحصن، و المرتد الفطری، و المهاجم و القصاص، و ما أشبه. ذلِكُمْ المذكور فی الآية من المحرمات وَصَّاكُمْ الله بِهِ أی أمركم به، فإن الوصية بمعنی الأمر لَعَلَّكُمْ أيها البشر تَعْقِلُونَ أی تحكمون عقولكم فی المحرم و المحلل، فلا تقولوا شيئا اعتباطا.

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۴۵

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۵۲]

وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ حَتَّی يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كانَ ذا قُرْبی وَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۱۵۲)

[۱۵۳] وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ و هو من فقد الأب و الجد، أو الأعم منه و من فقد الأم، و كلمة «لا تقربوا» للمبالغة فی الاجتناب، و تخصيص اليتيم بالذكر، مع عدم جواز التصرف فی مال كل أحد بدون رضاه، لأجل أن اليتيم لا يقدر علی الدفاع عن نفسه إِلَّا بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ أی بالطريقة التی هی أحسن من سائر الطرق، بأن يحفظ له ماله إلا بمقدار ضروری لمعاش اليتيم حيث ينفق عليه حَتَّی يَبْلُغَ أَشُدَّهُ «الأشد»: جمع «شد» نحو: أضر، جمع: ضر، و الشد: القوة، و هو استحكام قوة الشباب، أی حتی يبلغ إلی قوة شبابه، و هو إنما يحصل بالبلوغ و الرشد، و البلوغ فی الولد كمال خمس عشرة سنة، أو الإنبات، أو الاحتلام، و فی البنت غالبا كمال التسعة و الدخول فی العاشرة وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ فلا تنقصوا الكيل و الميزان عند البيع، و لا تزيدوهما عند الشراء بِالْقِسْطِ أی بالعدل، فلا إفراط و لا تفريط.

لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها أی بالمقدار الذی يسعها، و لا يوجب ضيقا و حرجا عليها، فهذه التكاليف السابقة، لا حرج فيها علی النفس، أو المراد أن الوفاء بالكيل و الوزن حسب المتعارف، لا الدقة العقلية حتی يوجب عسرا و حرجا.

و لا يقال: فكيف كلّف الإنسان بالجهاد؟

لأنا نقول: إن الجهاد خارج عن هذا العموم، فإنه لإرساء قواعد

تقريب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۴۶

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۵۳]

وَ أَنَّ هذا صِراطِی مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (۱۵۳)

الإسلام، و العموم إنما هو فی مقابل التكاليف فی سائر الشرائع- المنحرفة- و القوانين المرهقة، فإنه يريد بيان سهولة أحكام الإسلام و سماحتها.

وَ إِذا قُلْتُمْ شيئا فَاعْدِلُوا فی القول، و العدل فيه أن لا يميل القائل نحو الباطل. فالغيبة، و السبّ، و القضاء بغير الحق، و ما أشبهها، ظلم،

ليس بعدل وَ لَوْ كانَ المقول فيه ذا قُرْبى فإن الناس غالبا يقولون الباطل لصالح ذوى قرباهم، و لذا يأمرهم سبحانه بالعدل بالنسبة إليهم وَ بِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا و المراد جميع معاهداته، كما قال: أَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ «۱»، فالمراد الإتيان بالواجبات و ترك المحرمات ذلِكُمْ الذى تقدم ذكره من الأحكام وَصَّاكُمْ بِهِ على طريق اللزوم و الحتم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ أى لكى تتذكروا و تأخذوا به، و التذكر باعتبار ما هو كامن فى الفطرة من حسن هذه الأشياء، كما سبق.

[۱۵۴] وَ وصّاكم سبحانه أَنَّ هذا صِراطِى مُسْتَقِيماً أى أن الأحكام التى أنزلتها توصل إلى السعادة، فهى طريق إليها بالاستقامة، لا كسائر الطرق الملتوية، التى قد لا توصل، و قد توصل بالتواء و عناء فَاتَّبِعُوهُ أى سيروا عليه و انتهجوه وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ الأخرى من سبل الكفر و البدع

---

(۱) البقرة: ۴۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۴۷

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۵۴ الى ۱۵۵]

ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ تَماماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (۱۵۴) وَ هذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَ اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۱۵۵)

و الشبهات فَتَفَرَّقَ أى تتفرق تلك السبل بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ فتشتتكم، و تلهيكم عن طريقه سبحانه ذلِكُمْ الاتباع لسبيله وَصَّاكُمْ الله بِهِ إلزاما لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أى لكى تتقوا عقابه و تحذروا الخسران.

[۱۵۵] إن هذا الصراط كان قديما قبل موسى و عيسى و محمد عليهم السّلام، و إن الجميع كانوا مأمورين باتباعه ثُمَّ بعد سبق هذا الصراط عند الأنبياء السابقين آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ أى أعطيناه التوراة تَماماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ أى لأجل إتمام عمل موسى عليه السّلام الحسن الذى أدّاه؛ من القيام بالتبشير و الهداية، أو لأجل إتمام النعمة على موسى الذى أحسن الخدمة لله سبحانه، فإن إنزال الكتاب على النبى من أعظم المفاخر بالنسبة إليه وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ مما يحتاج إليه الناس وَ هُدىً أى دلالة على الحق وَ رَحْمَةً يرحم الله بسببه على عباده حيث ينقذهم من الشقاء إلى السعادة لَعَلَّهُمْ أى لعل الناس بِلِقاءِ رَبِّهِمْ أى بملاقاة جزائه و ثوابه و عقابه يُؤْمِنُونَ فيسعدون.

[۱۵۶] وَ هذا القرآن كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ له بركة يأتى منه الخير الكثير فَاتَّبِعُوهُ أيها الناس وَ اتَّقُوا معاصى الله سبحانه، و مخالفة كتابه لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أى لكى تشملكم الرحمة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۴۸

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۵۶ الى ۱۵۷]

أَنْ تَقُولُوا إِنَّما أُنْزِلَ الْكِتابُ عَلى طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِراسَتِهِمْ لَغافِلِينَ (۱۵۶) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتابُ لَكُنَّا أَهْدى مِنْهُمْ فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللَّهِ وَ صَدَفَ عَنْها سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنا سُوءَ الْعَذابِ بِما كانُوا يَصْدِفُونَ (۱۵۷)

[۱۵۷] و إنما أنزلنا هذا الكتاب أَنْ تَقُولُوا أى لئلّا تقولوا: إِنَّما أُنْزِلَ الْكِتابُ من قبل الله سبحانه عَلى طائِفَتَيْنِ اليهود و النصارى مِنْ قَبْلِنا و لم يرتبط الكتاب بنا حتى نؤمن به وَ إِنْ كُنَّا «إن» مخففة من المثقلة، أى أنه كنّا نحن العرب عَنْ دِراسَتِهِمْ أى دراسة أولئك الطوائف المنزلة عليهم الكتب، أى لغتهم لَغافِلِينَ فلم نعرف ما فى كتبهم حتى نؤمن بها، فقد أنزلنا إليكم الكتاب حتى لا يكون لكم عذرا فى عدم الإيمان.

[۱۵۸] أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتابُ الذى نفهمه لَكُنَّا أَهْدى مِنْهُمْ أى أكثر هداية فى التمسك و العمل على طبق الكتاب لأنا ألين

عریکة، و أکثر تمسکا بالمعتقدات فَقَدْ جاءَکُمْ أیتها الأمة المعاصرة للرسول بَیِّنَةٌ أی دلالة واضحة مِنْ رَبِّکُمْ و هو القرآن وَ هُدیً یهتدی به إلی الحق وَ رَحْمَةٌ یرحم بها الله من تمسّک به، إذ یسعده فی الدنیا و الآخرة.

فَمَنْ أَظْلَمُ أی من یکون أکثر ظلما لنفسه مِمَّنْ کَذَّبَ بِآیاتِ اللَّهِ ! و هو القرآن وَ صَدَفَ أی أعرض عَنْها أی عن الآیات سَنَجْزِی فی الآخرة، أو الأعم منها و من الدنیا الَّذِینَ یَصْدِفُونَ عَنْ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۴۹

[سورة الأنعام (۶): آیة ۱۵۸]

هَلْ یَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِیَهُمُ الْمَلائِکَةُ أَوْ یَأْتِیَ رَبُّکَ أَوْ یَأْتِیَ بَعْضُ آیاتِ رَبِّکَ یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیاتِ رَبِّکَ لا یَنْفَعُ نَفْساً إِیمانُها لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ کَسَبَتْ فِی إِیمانِها خَیْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (۱۵۸)

آیاتِنا سُوءَ الْعَذابِ أی العذاب الشدید بِما کانُوا یَصْدِفُونَ أی بسبب إعراضهم عن الحق و الآیات.

[۱۵۹] ما ینتظر هؤلاء الکفار بعد نزول القرآن؟ هَلْ یَنْظُرُونَ أی هل ینتظرون للإیمان إِلَّا أَنْ تَأْتِیَهُمُ الْمَلائِکَةُ و ذلک لا یمکن فی دار التکلیف أَوْ یَأْتِیَ رَبُّکَ و ذلک مستحیل لأن الله لا- مکان له و لا حرکة أَوْ یَأْتِیَ بَعْضُ آیاتِ رَبِّکَ أی العذاب، حتی یروا العذاب فیؤمنوا یَوْمَ یَأْتِی بَعْضُ آیاتِ رَبِّکَ یا رسول الله لا- یَنْفَعُ نَفْساً إِیمانُها لَمْ تَکُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ فإن العذاب إذا نزل لا تقبل التوبة، لأن العذاب لا ینزل إلا بعد تمام الحجة و المخالفة، و حین ذاک قد تم الاختبار و صار موعد المجازاة أَوْ کَسَبَتْ فِی إِیمانِها خَیْراً عطف علی «لم تکن آمنت»، و المعنی: أنه لا ینفع فی ذلک الیوم إیمان نفس إذا لم تکن آمنت قبل ذلک الیوم، أو ضمت إلی إیمانها أفعال الخیر، فإنها إذا آمنت فقد نفعها إیمانها، و کذلک إذا ضمت إلی الإیمان طاعة لنفعها أیضا، فلا ینفع إیمان الکافر، و لا طاعة المؤمن عند حلول العذاب، و إنما النافع الإیمان السابق، و الطاعة السابقة قُلِ یا رسول الله لهؤلاء: انْتَظِرُوا إتیان بعض آیات الله ف إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ذلک

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۵۰

[سورة الأنعام (۶): آیة ۱۵۹]

تقریب القرآن إلی الأذهان ج۲ ۱۹۹

إِنَّ الَّذِینَ فَرَّقُوا دِینَهُمْ وَ کانُوا شِیَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِی شَیْءٍ إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَی اللَّهِ ثُمَّ یُنَبِّئُهُمْ بِما کانُوا یَفْعَلُونَ (۱۵۹)

حتی یری کل واحد منّا جزاءه العادل و ما قدم لنفسه.

[۱۶۰] ثم یقرّر سبحانه أن الإسلام إنما هو دین واحد لا تفرقة فیه، فالذین یتفرقون لیسوا من الإسلام، کما أن من أشرک لیس من الإسلام إِنَّ الَّذِینَ فَرَّقُوا دِینَهُمْ تفریقا بالأهواء کالکفار المختلفین، أو بالأدیان کالیهود و النصاری و فرقهم، أو بالضلالة و الشبهات و لو فی دین الإسلام، کالفرق المبتدعة، فإن الذین یفعلون ذلک وَ کانُوا شِیَعاً جمع «شیعة» أی طوائف مختلفة لَسْتَ یا رسول الله مِنْهُمْ فِی شَیْءٍ فلا ربط بینکما أبدا، و إنما هم فی جهة و أنت فی جهة.

و لیس معنی أن الجمیع علی باطل، بل المعنی أن ما لیس فیه الرسول باطل، و إلّا فالحق دائما مع إحدی الطوائف إِنَّما أَمْرُهُمْ أی أمر هؤلاء الذین فرّقوا دینهم و کانوا شیعا إِلَی اللَّهِ فهو الذی یجازیهم لسوء أفعالهم ثُمَّ یُنَبِّئُهُمْ أی یخبرهم بِما کانُوا یَفْعَلُونَ من الأعمال. و هذا تهدید، کقولک: «لأعلمنک غدا» لمن خالف أمرک، ترید أنک تعاقبه بفعله.

و هنا سؤال: إذا علمنا نحن المسلمین بطلان سائر المذاهب و الطوائف، فما ذا نفعل بهذا الاختلاف بین المسلمین أنفسهم؟

و الجواب: إن الکتاب و السنّة یأمراننا باتباع علی و أهل بیته الأئمة الأحد عشر علیهم السّلام، و بعد ذلک فقد عیّن الفقهاء الراشدون لمرجعیة الأمة، فی

قوله علیه السّلام: «من کان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدینه،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۵۱

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۶۰]

مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (۱۶۰)

مخالفا لهواه مطيعا لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه» «۱».

و

قوله عليه السّلام: «أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتى عليكم و أنا حجة الله» «۲».

أما الاختلاف بين الفقهاء فى بعض الفروع فليس ذلك اختلافا يذكر، بل هو كالاختلاف بين كل مهندسين، أو طبيبين، أو حاكمين، مع إخلاص كل منهما و اتحاد منهجهما.

ثم إنه قد يستغرب: كيف يكون مصير هذه الكثرة من الناس الذين ليسوا بمسلمين، و كثير من المسلمين المنحرفين، النار، و من يبقى للجنة إذا؟

و الجواب: إن ما يستفاد من الآيات و الروايات أن الخلود فى النار إنما هو للمعاند، و لا دليل على أنه لا يمتحن القاصر من البشر فى الآخرة ليدخل الجنة، بل دلّ الدليل على ذلك، كما هو مذكور فى علم الكلام. و من المعلوم عدم كون أكثر الناس مقصرين معاندين، إذا فليس بالبعيد دخول كثرة هائلة من البشر الجنة، للإيمان و حسن العمل فى الدنيا، أو حسن الامتحان فى الآخرة.

[۱۶۱] و إذ تقدم الكلام حول الجزاء يقرر السياق القاعدة العامة له و أنه مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ التاء إما للمبالغة، و إما للتأنيث أى طاعة حسنة فَلَهُ من الثواب عَشْرُ أَمْثالِها على الأقل و إلا فقد يبلغ الثواب إلى سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ «۳»، وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فى التاء القولان، و إذا كانت للتأنيث فهى صفة «خصلة» فَلا

---

(۱) تفسير الإمام العسكرى: ص ۲۹۹.

(۲) وسائل الشيعة: ج ۲۷ ص ۱۴۰.

(۳) البقرة: ۲۶۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۵۲

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۶۱ الى ۱۶۲]

قُلْ إِنَّنِي هَدانِي رَبِّي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۱۶۱) قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيايَ وَ مَماتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۶۲)

يُجْزى إِلَّا مِثْلَها سيئة واحدة و إن كانت عظيمة جدا، فلا يقال: ما فائدة «الواحدة» فيما لو كانت أعظم من المعصية ككذبة واحدة جزاؤها سنة فى النار- مثلا-؟ فمثلا جزاء من يسب الملك بلفظة مائة سوط، و هو جزاء واحد، و إن كان عظيما فى نفسه وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ فى مقدار ما استحقوا من السيئات بل جزاء وفاقا.

[۱۶۲] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار: إِنَّنِي هَدانِي رَبِّي أى أرشدنى إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ و المراد: الصراط الموصل للإنسان إلى الحقائق و السعادة فى الدنيا و الآخرة، بالنسبة إلى كل شىء من الأمور دِيناً منصوب على تقدير هدانى، أى هدانى دينا، أو على الحال أى أن الصراط فى حال كونه دينا قِيَماً أى مستقيما، و هو مصدر، ك «الصغر و الكبر» مِلَّةَ إِبْراهِيمَ بدل من «دينا» و الملة: هى الشريعة، مأخوذة من «الإملاء» لأن الشرع يمليه الرسول على أمته، و إنما نسب الدين إلى إبراهيم عليه السّلام لاتفاق جميع الأديان على جلالته عليه السّلام و صحة دينه، و قد كانت الأديان كلها دينا واحدا فلا مانع أن ينسب اللاحق إلى السابق حَنِيفاً أى فى حال كون تلك الملة مائلة عن الباطل إلى الحق، من «حنف» بمعنى «مال» وَ ما كانَ إبراهيم عليه السّلام مِنَ الْمُشْرِكِينَ فلم يكن مشركا كمشركى مكة و لا

يهوديا و لا نصرانيا، فكلاهما مشركان.

[۱۶۳] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء: إِنَّ صَلاتِي و هى الصلوات التى يأتيها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۵۳

[سورة الأنعام (۶): الآيات ۱۶۳ الى ۱۶۴]

لا شَرِيكَ لَهُ وَ بِذلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (۱۶۳) قُلْ أَ غَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَ لا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْها وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۱۶۴)

الإنسان واجبة أو مندوبة وَ نُسُكِي النسك: العبادة، يقال: رجل ناسك أى متعبد، و يقال للأضحية: النسكية، للتقرب بها إلى الله، فهى عبادة وَ مَحْيايَ وَ مَماتِي أى حياتى و موتى لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ فإن عبادتى له وحده بلا شريك، و أموالى ملكه و بقدرته لا بشركة أحد معه.

[۱۶۴] لا شَرِيكَ لَهُ لا أشرك أحدا به فى العبادة، و لا أزعم أن له شريكا فى حياتى و موتى وَ بِذلِكَ أى بالتوحيد أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ من هذه الأمة، أو المراد رتبة إسلامى من أول الرتب.

[۱۶۵] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء: أَ غَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي أى أطلب رَبًّا و إلها وَ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ الاستفهام للإنكار، أى كيف أتخذ غير الله إلها- بالاستقلال أو بالشركة- و الحال أنه تعالى رب كل شىء لا رب سواه و لا إله إلا هو؟

وَ لا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْها فإذا اكتسبت المعصية بالشرك، لحقنى جزائى السيئ، وَ لا تَزِرُ أى لا تحمل من «وزر» بمعنى حمل الإثم وازِرَةٌ أى نفس حاملة وِزْرَ أى معصية نفس أُخْرى بل عصيان كل أحد على نفسه و هو يحمل تبعته.

قيل: إن الكفار قالوا للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اتبعنا و علينا وزرك إن كان خطأ، فأنزل الله هذه الآية.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۵۴

[سورة الأنعام (۶): آية ۱۶۵]

وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۶۵)

ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ أى إلى حسابه مصيركم أيها المشركون، أو أيها البشر فَيُنَبِّئُكُمْ أى يخبركم بِما أى بالشىء الذى كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ليجازى كل إنسان و ما عمله من إحسان و إساءة.

[۱۶۶] وَ هُوَ الله وحده الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ فإنكم تخلفون أهل العصر السابق فى إرث الأرض و ما عليها، كما أن من بعدكم يخلفكم و يرثكم فى أرضكم و أموالكم وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ ذكاء، و علما، و مالا، و منصبا، و من سائر الجهات، فإن الأمور التكوينية و التقديرية كلها بيده لا شريك له لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ أى استخلفكم و أعطاكم عطاء متفاوتا ليختبركم، و يظهر سرائركم، و هل أنكم تطيعون أم تعصون إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ فلا يظن الكافر و العاصى، أن العقاب بعيد، فإن أمد الدنيا قصير مهما طال، أو المراد سرعة العقاب فى الدنيا، و قبل الآخرة، إذ المعاصى توجب آثار وخيمة فورا فى الدنيا وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ لمن تاب و آمن رَحِيمٌ يرحم العباد، و يتفضل عليهم من واسع فضله.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۵۵

۷ سورة الأعراف مكية/ آياتها (۲۰۷)

سميت السورة بهذا الاسم لوجود كلمة «الأعراف» فيها. و لما ختم سبحانه «الأنعام» بالرحمة، افتتح هذه السورة بأنه أنزل كتابا فيه معالم الدين و الحكمة.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ أبتدئ بها السورة، و أجعل الإله الرحمن الرحيم، قدام قراءتى لها.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۵۶

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱ الى ۴]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

المص (۱) كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَ ذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ (۲) اتَّبِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ (۳) وَ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَياتاً أَوْ هُمْ قائِلُونَ (۴)

[۲] المص قد تقدم تفسير فواتح السور المقطعة، و أنها رموز بين الله و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، أو أن من جنس هذه الحروف.

[۳] كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ و هو القرآن فليس حروفه أمرا خارقا، و إنما التركيب أمر خارق فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ يا رسول الله حَرَجٌ و ضيق مِنْهُ أى من هذا الكتاب، حيث ترى أن قومك يكذبوك و يؤذوك فى سبيله، بل اطمئن بنصر الله سبحانه و حسن ثوابه، و إنما أنزل الكتاب إليك لِتُنْذِرَ بِهِ أى بهذا الكتاب، الكافرين و العصاة، بعقاب الله تعالى وَ ليكون ذِكْرى و تذكرة لِلْمُؤْمِنِينَ فيتذكرون به الدين و الأصول و الفروع، ليعملوا بما فيه.

[۴] اتَّبِعُوا أيها الناس ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ من القرآن و الأحكام وَ لا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أى غير ربكم تعالى أَوْلِياءَ كالأوثان، و الكفار قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ أى قليل- أيها البشر- تذكركم و اتعاظكم.

[۵] وَ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أى كثيرا من أهل القرى أَهْلَكْناها عبّر بالقرية و أريد أهلها بعلاقة الحال و المحل، و المراد بالإهلاك إرادته، فإنه كثيرا ما يقال الفعل و يراد مقدماته- كما قرّر فى علم البلاغة- فَجاءَها بَأْسُنا أى عذابنا بَياتاً أى بالليل أَوْ هُمْ قائِلُونَ أى فى وقت القيلولة و هى نصف النهار، من «أقال» بمعنى «أراح»، و من المعلوم أن العذاب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۵۷

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۵ الى ۸]

فَما كانَ دَعْواهُمْ إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا إِلَّا أَنْ قالُوا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ (۵) فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (۶) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَ ما كُنَّا غائِبِينَ (۷) وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۸)

فى هذين الوقتين أشد وقعا لغفلة الناس و راحتهم.

[۶] فَما كانَ دَعْواهُمْ أى دعاء هؤلاء الذين أهلكناهم، و كلامهم إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا وقت مجىء العذاب إِلَّا الاعتراف بذنبهم ب أَنْ قالُوا إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ فاعترفوا بما كان منهم حين رأوا العذاب.

[۷] لكن الاعتراف لم ينفعهم فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ أى الأمم الذين أرسل الله إليهم الرسل، يسألهم عن أعمالهم، و ما أجابوا به الرسل لما بعثوا إليهم وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ أى الأنبياء، فإن كل واحد من الرسل و الأمم لا بد و أن يحضر فى محضر الحساب.

[۸] و ليس السؤال لجهلنا بما صدر من الطرفين فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ أى نقص ما كان من الطرفين قصة صادرة عن علمنا بأحوالهم، فليس السؤال إلا التقرير و التأكيد على أنفسهم وَ ما كُنَّا غائِبِينَ عن أعمالهم حين عملوها بل كنّا شهودا عليهم حاضرين- علما- عند أعمالهم.

[۹] وَ الْوَزْنُ للأعمال يَوْمَئِذٍ يوم القيامة الْحَقُّ فلا ينقص حق و لا يزاد على حق، و إنما توزن الأعمال بموازين عادلة فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ الصالحة، و إنما جمع «الميزان»، باعتبار كل عمل عمل فَأُولئِكَ الذين ثقلت موازينهم هُمُ الْمُفْلِحُونَ الذين فازوا بالسعادة الأبدية.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۵۸

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۹ الى ۱۰]

وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِینُهُ فَأُولئِکَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِما کانُوا بِآیاتِنا یَظْلِمُونَ (۹) وَ لَقَدْ مَکَّنَّاکُمْ فِی الْأَرْضِ وَ جَعَلْنا لَکُمْ فِیها مَعایِشَ قَلِیلًا ما تَشْکُرُونَ (۱۰)

[۱۰] وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِینُهُ الصالحة بأن ثقلت موازین سیئاته فَأُولئِکَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فإن النفس کانت لتحصیل الجنة، فقد حصل الإنسان بها النار بِما کانُوا أی بسبب کونهم بِآیاتِنا یَظْلِمُونَ أی بسبب جحودهم بما جاء به الرسل من الآیات.

و هنا سؤال: ما هی طبیعة «الموازین» فی الآیة؟

و الجواب: من المحتمل أن یراد بها الموازین المعقولة لا المحسوسة، کما یقال: و زنت فلان، أو فلان خفیف الوزن، أو فلان له وزن، و هکذا. و الله سبحانه یعلم قیمة الأعمال، کما أنّا نعرف قیم بعض الأعمال، فنقدر المهندس و عمله أکثر مما نقدر العامل. کما أن من المحتمل أن یراد بها الموازین المحسوسة بأن تتجسّم الأعمال، فللصلاة صورة و وزن، و هکذا لسائر الأعمال الخیریة و الشریة، ثم توزن فی موازین کموازین الدنیا.

[۱۱] وَ کیف لا- تخضعون لله سبحانه، و الحال أنه بالإضافة إلی نعمة إرسال الرسل و الهدایة، ابتدأ علیکم بنعمة الحیاة؟ ف لَقَدْ مَکَّنَّاکُمْ أیها البشر فِی الْأَرْضِ بأن جعلنا الأرض تحت إرادتکم تبنون و تزرعون و تخرجون کنوزها وَ جَعَلْنا لَکُمْ فِیها مَعایِشَ أی ما تعیشون به من أنواع الرزق قَلِیلًا ما تَشْکُرُونَ أی أن شکرکم للنعم قلیل.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۵۹

[سورة الأعراف (۷): الآیات ۱۱ الی ۱۲]

وَ لَقَدْ خَلَقْناکُمْ ثُمَّ صَوَّرْناکُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِکَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِیسَ لَمْ یَکُنْ مِنَ السَّاجِدِینَ (۱۱) قالَ ما مَنَعَکَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ قالَ أَنَا خَیْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِینٍ (۱۲)

[۱۲] وَ قبل ذلک لَقَدْ خَلَقْناکُمْ أی أوجدنا أصلکم الذی هو التراب، أو المنی، أو الدم، بعد العدم ثُمَّ صَوَّرْناکُمْ أفضنا علیکم الصورة الإنسانیة، فی رحم الأمهات ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِکَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ إن أرید ب «ثم» معناها الظاهر، کان المراد من «خلقناکم» خلقنا أسلافکم، أی آدم علیه السّلام، و من البلاغة أن ینسب الإنسان ما للآباء إلی الأبناء، کما قال: فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِیاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ «۱»، بالنسبة إلی الیهود المعاصرین للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و إن أرید بها الترتیب فی الکلام، نحو «إن من ساد ثم ساد أبوه» کان الخطاب فی «خلقناکم» علی ظاهره.

و قد کان أمرنا بالسجود لآدم- جدکم- نعمة و تشریفا لکم فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِیسَ الشیطان، و یسمی إبلیسا لأنه «أبلس» و حرم من رحمة الله سبحانه لَمْ یَکُنْ مِنَ السَّاجِدِینَ فإنه أبی و استکبر، و هو لم یکن من الملائکة، و إنما کان معهم فشمله الخطاب.

[۱۳] قالَ الله تعالی لإبلیس ما مَنَعَکَ أَلَّا تَسْجُدَ «لا» زائدة فی الکلام، أی ما منعک أن تسجد، و إنما یؤتی بها لنکتة بدیعة، هی قطع الکلام عما سبقه و الابتداء بالکلام التالی، لیتکرر التوبیخ کأنه قال «ما منعک»؟ و حذف المتعلق ثم سکت هنیئة، و ابتدأ «أن لا تسجد». و مثل هذا فی المحاورات کثیر إِذْ أَمَرْتُکَ بالسجود قالَ إبلیس:

---

(۱) البقرة: ۹۲.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۶۰

[سورة الأعراف (۷): الآیات ۱۳ الی ۱۵]

قالَ فَاهْبِطْ مِنْها فَما یَکُونُ لَکَ أَنْ تَتَکَبَّرَ فِیها فَاخْرُجْ إِنَّکَ مِنَ الصَّاغِرِینَ (۱۳) قالَ أَنْظِرْنِی إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ (۱۴) قالَ إِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ (۱۵)

أَنَا خَیْرٌ مِنْهُ أی من آدم، فلا ینبغی للأرفع أن یسجد و یتواضع للأخفض، ثم علل کونه خیرا بقوله: خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ أی خلقت

آدم مِنْ طِينٍ و النـار مضيـئة و الطين كـدر. لكن قياسه كان باطلا إذ مجرد الإضاءة لا تكون سـبب الأفضـلية، و إنما الأشـياء بالكسـر و الانكسار، و إعـدام النار للأشـياء بعكس الأرض المحيـية لها جهة نقص فيها، سـبب لرفعة الأرض عليها، بالإضافة إلى أن التواضع كان للآمر لا لآدم، فمن أمر عبده بأن يحمل طبقا من طين على رأسه كان عمل العبد امتثالا للسيد لا تواضعا للطين.

[۱۴] قالَ الله سـبحانه لإبليس: فَاهْبِطْ أى اخرج خروجا انحـداريا- إما منزلـة أو حقيقة- مِنْها أى من الجنة فَما يَكُونُ لَكَ أى ليس لك حق أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهـا أى فى الجنـة لأنها ليست موضع المتكبرين فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ من «الصـغار» و هو «الذلـة»، فإنك ذليل فى مقام قربنا، حقير عندنا.

[۱۵] قالَ إبليس لله سبحانه: أَنْظِرْنِى أى أمهلنى لأن أبقى حيا إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ أى يوم القيامة الذى يبعث فيه الخلق للجزاء.

[۱۶] قـالَ الله سـبحانه: إِنَّكَ يـا إبليس مِنَ الْمُنْظَرِيـنَ أى من الـذين يمهلـون و لاـ يعجـل لهم بـالموت، و لعـلّ المراد بسـائر المنظرين «الملائكة»- أى أنت أيضا مثلهم فى الإمهال- و لكن من المعلوم أنه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۶۱

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۶ الى ۱۷]

قالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (۱۶) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ وَ لا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ (۱۷)

ليس الإنظار إلى يوم القيامة بل «إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ».

[۱۷] قالَ إبليس بعد إمهال الله سبحانه له فَبِما أَغْوَيْتَنِى أى بسبب إغوائك لى، و ليس المراد إغواءه سبحانه، بل المراد الإتيان بسبب، و أمره بـأمر سبب غوايته، و قـد ذكرنـا سابقا أن الأفعال إنما تنسب إليه سبحانه لأنه الخالق المهيئ للأسـباب و الوسائل لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ أى للبشـر صِـراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ أى أقعد فى طريقك لأغوى البشر عنه إلى الضلال و الانحراف، فإن إغوائى للبشر مقابل إغوائك لى، و قد كـان هـذا القياس من الشـيطان أيضا باطلا، و هو مثل أن يعطى الأب و لـديه رأس مال، فيأخـذ أحـدهما رأس المال و يـذهب به نحو الفسـاد، ثم لما أتم ماله، و بقى رأس مال أخيه يقول لأبيه، كما سببت فسادى أسـبب فساد أخى، و هـذا الكلام خارج عن المنطق، إذ الأب لم يسبب فساده و إنما أراد صلاحه، بخلاف عمله فى فساد أخيه فإن الفاسد يسبب فساده.

[۱۸] ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ أى من قدامهم وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَـمائِلِهِمْ و هذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، فكمـا يجلس اللص فى طريق المسـافرين، ثم يهـاجمهم من جميع جوانبهم الأربعـة ليسـرق مـا معهم، كـذلك الشـيطان يطوّق الإنسان ليضله عن طريق الله سبحانه وَ لا تَجِدُ يا رب أَكْثَرَهُمْ أى أكثر البشر شاكِرِينَ لك و لنعمك، بل يتبعون طريق الكفران، فإن من عصى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۶۲

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۸ الى ۱۹]

قالَ اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (۱۸) وَ يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ (۱۹)

الله سبحانه فقد كفر بنعمه و فضله.

و هنا سؤال: لم أطلق الله سبحانه إبليس ليضل البشر؟

و الجواب: لأن الدنيا وضعت للاختبار، و لو لم يكن الآمر بالشر كانت دنيا جبر و إكراه، و لم يكن للمطيع فضل يستحق به الجنة.

و سؤال ثان: أليس من الممكن أن يتفضل الله بالجنة على البشر بدون اختبار؟

و الجواب: كلّا، إن الإنسان بالإطاعة يكون قابلا للدرجات، كالتلميذ الذى يكون قابلا للتعليم- بالقراءة و الامتحان- فلو لم تكن إطاعة لم تكن قابليـة، و من المعلوم أن حرمان القابل لأجل غيره ظلم، ألا ترى لو أن الحكومـة لم تفتح المدرسة لتهذيب النفوس المستقيمة

الذكية، إشفاقا على البليد الذى يرسب، كان ظلما للذكى النابه.

و الكلام طويل مذكور فى كتب الكلام و الفلسفة.

[۱۹] قالَ الله تعالى لإبليس: اخْرُجْ مِنْها أى من الجنة مَذْؤُماً من «ذأم يذأم» فهو «مذءوم» بمعنى: عاب، فإن الذأم و الذيم أشد العيب مَدْحُوراً أى مطرودا، من «دحر» بمعنى: طرد لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أى: أؤكد أن من تبعك من البشر لَأَمْلَأَنَ أى أملأ بالتأكيد جَهَنَّمَ مِنْكُمْ من التابع و المتبوع أَجْمَعِينَ بلا استثناء.

[۲۰] و بعد تمام الكلام مع الشيطان توجه الخطاب إلى آدم عليه السّلام الذى خلقه سبحانه للاستخلاف فى الأرض وَ يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ حواء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۶۳

[سورة الأعراف (۷): آية ۲۰]

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما وَ قالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ (۲۰)

الْجَنَّةَ هو أمر من «السكن» دون السكون، و التقدير «و لتسكن زوجك» فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما من ثمار الجنة وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ بالأكل، و النهى عن الاقتراب مبالغة فى عدم الأكل، نحو قوله سبحانه: وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ «۱»، و قد تقدم الكلام حول ماهية الشجرة، فى سورة البقرة فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ لأنفسكما، و الظلم كان لأجل أن الأكل يسبب خروجهما.

[۲۱] فَوَسْوَسَ لَهُمَا أى لآدم و حواء، و معنى الوسوسة: الإلقاء فى الذهن إلقاء مردّدا، هل يفعل أو لا يفعل الشَّيْطانُ فى أكل الشجرة لِيُبْدِيَ لَهُما أى ليظهر لهما، و «اللام» للعاقبة، نحو: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً «۲»، ما وُورِيَ أى ما ستر من «وارى» على وزن «فاعل» عَنْهُما أى عن آدم و حواء مِنْ سَوْآتِهِما أى عورتيهما، فقد كان آدم و حواء مستورين بألبسة الجنة و كان لازم إخراجهما إذا أكلا من الشجرة أن ينزع عنهما اللباس، فكان عاقبة أكلهما إظهار عورتيهما، و سميت العورة «سوءة» لأنها يسوء الإنسان ظهورها.

وَ قالَ الشيطان فى وسوسته لهما ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ

---

(۱) الإسراء: ۳۵.

(۲) القصص: ۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۶۴

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۲۱ الى ۲۲]

وَ قاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ (۲۱) فَدَلاَّهُما بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَ طَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ ناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ (۲۲)

الشَّجَرَةِ أى عن أكلها إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ فليس النهى لأجل تحريم الأكل عليكما، بل لأجل أن تبقيا فى صورة البشر- المحببة إليكما- أما إذا لم تشاءا فلا مانع لله سبحانه عن أكلكما من الشجرة، و الحاصل أنه أوهمهما أن النهى ليس وراءه لوم، و إنما هو نهى صلاح أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ فمن أكل من الشجرة إما أن يصبح ملكا، أو يكون إنسانا خالدا.

[۲۲] وَ قاسَمَهُما أى حلف لهما بالله تعالى، فإن «قاسم» و «أقسم» بمعنى الحلف إِنِّي لَكُما يا آدم و حواء لَمِنَ النَّاصِحِينَ فإنى أنصحكم بالأكل لتكونا كسائر الملائكة، أو تبقيا مخلدين فى الجنة.

[۲۳] فَدَلَّاهُما أى دلّى الشيطان آدم و حواء، من «تدلية الدلو» و هو أن ترسلها فى البئر، بمعنى دلاهما من الجنة إلى الأرض بِغُرُورٍ أى

بما غرّهما من الكلام و القسم فَلَمَّا ذاقَا الشَّجَرَةَ بأن أكلا منها شيئا يسيرا انتزعت ملابسهما و بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما أى ظهرت عورتاهما وَ طَفِقا أى شرعا يَخْصِفانِ أى يجمعان من «الخصف» بمعنى الجمع عَلَيْهِما أى على أنفسهما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ فقد أخذا من أوراق شجرة التين، و جعلا يلفان على عورتيهما وَ ناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۱۶۵

[سورة الأعراف (۷): آية ۲۳]

قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ (۲۳)

أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ أى عن تناول هذه الشجرة، فلما ذا أكلتما منها؟ وَ أَلم أَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ أى عدو ظاهر، فلم سمعتما كلامه؟

و هنا سؤال: كيف يمكن لمثل آدم النبى المعصوم عليه السّلام أن يترك قول الله سبحانه: لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ «۱»، و يأخذ بقول الشيطان القائل: إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ

و الجواب: إن الظلم هو وضع الشىء فى غير موضعه، و لعل آدم و حواء ظنا أن المراد بالظلم أن يكونا ملكين و بالأخص لما حلف الشيطان لهما، فإنهما لم يكونا يحتملان أن أحدا يحلف بالله كاذبا- كما فى الحديث-.

و قد تكرر استعمال الظلم لوضع الشيء غير موضعه، و إن لم يكن فيه غضاضة أصلا، كما قال سبحانه حكاية عن موسى: ظَلَمْتُ نَفْسِي «۲»، و لعلهما ظنا أن الأصلح بحالهما أن يبقيا بشرا- حسب كلام الله- لكنهما شاءا الجائز، كما يترك الإنسان كثيرا ما الأصلح لما يجده أوفق بحاله، و هذا مما لا ينافى مقام العصمة إطلاقا.

[۲۴] قالا أى قال آدم و حواء عليهما السّلام: رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا بارتكاب

---

(۱) البقرة: ۳۶.

(۲) القصص: ۱۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۱۶۶

المنهى عنه و أكل الشجرة وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا أى تستر علينا، و هو كناية عن العفو عما صدر وَ تَرْحَمْنا أى تتفضل علينا برحمتك لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ الذين خسروا بعض درجاتهم. و حيث تقرر عقلا و نقلا أن الأنبياء معصومون، كان اللازم القول بعدم كون أكل الشجرة معصية إطلاقا، و إنما كان النهى للإرشاد، كما يقول الطبيب للمريض:

«لا تشرب هذا المائع فيطول مرضك»، فإنه نهى للإرشاد، و يكون ارتكابه موجبا لطول المرض فقط، و ليس هذا مما يوجب العقاب.

و كذلك كان النهى بالنسبة إلى أكل الشجرة، لأنه كان لإرشادهما إلى البقاء فى الجنة أبدا، كما قال سبحانه: إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيها وَ لا تَعْرى وَ أَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَ لا تَضْحى «۱»، و كان الأكل موجبا للخروج من الجنة، و لقاء مشاكل الدنيا، و الظلم- كما تقدم- هو وضع الشىء فى غير موضعه و يلائم ارتكاب المنهى إرشادا، كما يلائم القبيح، كما أن الغفران هو الستر، و هو يلائم العصيان و يلائم ارتكاب المنهى الإرشادى، و الخسران يلائم عدم الربح المتوقع، و لذا يقول التاجر: «خسرت» فيما إذا لم يربح المتوقع.

ألا ترى أن المريض إذا ارتكب ما يسبب طول مرضه، يقول للطبيب: «اشتبهت، فتدارك الأمر، و إلا خسرت صحتك فى هذه المدة» و لم يكن ذلك عصيانا إطلاقا. و من هنا اشتهر فى تسمية هذا النوع من الخلاف ب «ترك الأولى» أى أن الأولى كان عدم الارتكاب، و هنا سؤالان:

---

(۱) طه: ۱۱۹ و ۱۲۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۶۷

[سورة الأعراف (۷): آية ۲۴]

قالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ (۲۴)

الأول: كيف يصدر مثل هذا الترك من الأنبياء و لهم المقام الرفيع؟

الثاني: إن هذا فتح لباب التأويل و ارتكاب خلاف الظاهر و لا داعى له؟

و الجواب عن الأول: أن ذلك لئلّا يعتقد البشر ألوهية الأنبياء، فإن من عادة البشر الغلو بالنسبة إلى القديسين، و ذلك ضد الغلو، و إن غالى بعض الضعاف أيضا.

و الجواب عن الثاني: إن فتح هذا الباب مما لا بد منه، فإن الكلام مشتمل على المجاز و الكناية و ما أشبه- حتّى بالنسبة إلى كلام البشر العادى، فكيف بالبلغاء- و إلّا لزم القول بالتجسيم لقوله سبحانه: إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ «۱»، و الظلم لقوله: مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ «۲»، و الكذب لقوله:

وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ «۳»، إلى غير ذلك. و قد جرت قوانين البلاغة على أن يصرف الكلام إلى المراد منه، و إن كان خلاف الظاهر اللفظى، إذا دل دليل من العقل و النقل على المراد، أما إذا لم يكن هناك دليل، أخذ بظاهر الألفاظ.

[۲۵] قالَ الله سبحانه لآدم و حواء و إبليس: اهْبِطُوا من الجنة هبوطا نحو الأسفل حيث كانت الجنة أعلى من الأرض، أو هبوطا رتبيّا، إن كانت من جنان الدنيا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فالشيطان عدوّ لهما و هما عدوّان له، و بين المرأة و الرجل تنافس و تجاذب وَ لَكُمْ جميعا فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ أى محل قرار وَ مَتاعٌ تتمتعون به من المأكل

---

(۱) القيامة: ۲۴.

(۲) النساء: ۸۹.

(۳) الأنفال: ۱۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۶۸

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۲۵ الى ۲۶]

قالَ فِيها تَحْيَوْنَ وَ فِيها تَمُوتُونَ وَ مِنْها تُخْرَجُونَ (۲۵) يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَ رِيشاً وَ لِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (۲۶)

و الملبس و غيرهما إِلى حِينٍ الموت أو حين البعث.

[۲۶] قالَ الله تعالى ثانيا: فِيها أى فى الأرض تَحْيَوْنَ أى تعيشون، أو المراد يحيى لكم نسل وَ فِيها تَمُوتُونَ جميعا وَ مِنْها أى من الأرض تُخْرَجُونَ يوم القيامة للحساب و الجزاء.

[۲۷] ثم خاطب الله سبحانه البشر، بمناسبة نزع الشيطان لباس أبويهم، و بمناسبة ما وعد من أن لهم فى الأرض متاع، بقوله: يا بَنِي آدَمَ و الخطاب بهذا اللفظ للتذكير بجدّهم آدم عليه السّلام- لمناسبة الموضوع- قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً إما المراد «الإنزال» حقيقة، بأن أنزل اللباس من الجنة، أو «الإنزال» مجازا بنزول المطر الذى هو سبب نبات القطن و ما أشبه، و رعى الحيوانات ذات الأصواف، أو المراد «التعظيم» لعظم المعطى، كما يقال: «رفعت عريضتى إلى القاضى» تعظيما لمقامه و أنه أرفع منزلة من صاحب العريضة، و مثله وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ «۱»، وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ «۲»، أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً* رَسُولًا «۳»، يُوارِي أى يستر سَوْآتِكُمْ أى عوراتكم وَ أنزلنا عليكم رِيشاً أى أثاثا مما تحتاجون إليه، و «الريش» ما فيه الجمال، و منه ريش الطائر وَ لِباسُ التَّقْوى أى الاجتناب عن معاصى الله سبحانه، و سمى لباسا لأنه يستر الشر الكامن فى نفس الإنسان، كما يستر اللباس

(۱) الزمر: ۷.

(۲) الحدید: ۲۶.

(۳) الطلاق: ۱۱ و ۱۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۶۹

[سورة الأعراف (۷): آية ۲۷]

يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (۲۷)

مواضع القبح من بدن الإنسان، فمثلا من يغتاب غيره يظهر قبح نفسه، فإذا اتقى سترت هذه التقوى قبحه النفسى ذلِكَ خَيْرٌ من جميع أنواع اللباس الظاهرة، إذ القبائح النفسية أكثر و أبشع من القبائح البدنية، لأن القبائح الكامنة إذا ظهرت توجب النار و الخزى بخلاف قبائح الجسد ذلِكَ أى لباس التقوى مِنْ آياتِ اللَّهِ «من» إما للإنشاء، أى أن لباس التقوى ينشأ من الآيات و الحجج التى أنزلها الله سبحانه، و إما تبعيضية أى أن التقوى من جملة آيات الله و علاماته، لأنه هو الذى أمر بالتقوى لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ أى جعل الله التقوى آية لكى يتفكر الإنسان، و يتذكر فيما أودع فى فطرته، فيسعد.

[۲۸] يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ أى لا يضلنّكم بأن يدعوكم إلى المعاصى فتجيبوه فيحرمكم من السعادة و الجنة كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ آدم و حواء مِنَ الْجَنَّةِ و نسبة الإخراج إليه لأنه كان بإغوائه و وسوسته، إخراجا بصورة بشعة حيث كان يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما و النزع و إن كان من فعله سبحانه، إلّا أنه حيث كان بسبب الوسوسة، صح الانتساب إليه، كما قال سبحانه عن فرعون: يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ «۱»، مع أن الذبح كان من فعل جنود فرعون لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما أى عورتيهما. و لعل السر فى تكرار هذه اللفظة تركيز البشاعة فى نفس السامع، فمن يرغب فى أن تبدو سوءته؟

(۱) القصص: ۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۷۰

[سورة الأعراف (۷): آية ۲۸]

وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَ اللَّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۲۸)

و حيث كان هنا محل سؤال: أنه كيف يفتن الشيطان الإنسان و لا يراه؟ قال سبحانه: إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ أى نسله، فإن للشيطان نسلا كما للإنسان، كما قال سبحانه أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ «۱»، مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ فإنهم من جنس لطيف لا يرى بالعين المجردة، كالهواء اللطيف الذى لا يرى، و إن أحس به الإنسان.

و من قال: إنه كيف يأمر بذلك؟

فالجواب: إن هذه الإلقاءات فى القلب بالشر، كلها منه، كما أن الإلقاءات الخيرة من الملائكة- كما فى الأحاديث- و إلا فمن أين هذه الإلقاءات؟! إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ و معنى «جعله» سبحانه: التخلية بينهم و بين الشياطين، و معنى كونهم أولياء: أنهم يتبعونهم، و يتخذونهم محل الولى الحميم فى التصادق معهم دون المؤمنين.

[۲۹] و الذين لا يؤمنون بالإضافة إلى أنهم اتخذوا الشيطان وليا، إنهم مقلّدون تقليدا أعمى، كاذبون فى أقوالهم، عالمون بالفحشاء، فهم مجمع الرذائل حيث تركوا الإيمان وَ إِذا فَعَلُوا أى فعل الذين لا يؤمنون فاحِشَةً أى خصلة فاحشة، متعدية عن الحق، فإن «فحش» بمعنى «تعدّى»، و هذا عام شامل لجميع المعاصى قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها

(۱) الكهف: ۵۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۷۱

[سورة الأعراف (۷): آية ۲۹]

قُلْ أَمَرَ رَبِّی بِالْقِسْطِ وَ أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ ادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (۲۹)

أی علی هـذه الفاحشـة آباءَنا فإنا نقلّدهم فی عملهم هـذا وَ اللَّهُ أَمَرَنا بِها أی بهـذه الفاحشـة- و كان قولهم هذا كذبا- قُلْ يا رسول الله لهم: إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ ثم ردّ عليهم من وجه آخر هو: أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ علی نحو الاستفهام الإنكاری.

و قد ورد فی التفسير: أن الآية نزلت بمناسبة ما كان يفعله المشركون، فإنهم كانوا يبدون سوءاتهم فی طوافهم، فكان يطوف الرجال و النساء عراة، يقولون: نطوف كما ولدتنا أمهاتنا و لا نطوف فی الثياب التی قارفنا فيها الذنوب، و كانت المرأة تضع علی قبلها النسعة فی الطواف و تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كلّه‌و ما بدا منه فلا أحلّه

تعنی «العورة»، فكان التذكير بذلك بمناسبة إنعام الله علی بنی آدم باللباس، و فی سياق نزع إبليس لباس آدم و حواء عليهما السّلام.

[۳۰] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الذين إذا فعلوا الفاحشة قالوا إن الله أمرنا بها: أَمَرَ رَبِّی بِالْقِسْطِ أی بالعدل و الحق، لا بالفحش و التجاوز وَ أَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ فلا تتخذوا الشيطان وليا، كالمشركين، و هذا إما عطف علی «أمر ربی» أی قل: أقيموا، و إما عطف علی «لا يفتننكم الشيطان». و لعله المناسب للمعنی، و هو أن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۷۲

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۳۰ الی ۳۱]

فَرِيقاً هَدى وَ فَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (۳۰) يا بَنِی آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (۳۱)

الله يأمر بالقسط، و بالإخلاص، أو للقصة، و هو أن اللازم إقامة الوجه، لا إقامة الفرج- كما كانوا يطوفون عراة-.

و ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية هدم لما كان أهل الجاهلية يلتزمون به من اختصاص الشعائر بقبيلة دون قبيلة، فكان لهذا صنم و لذاك صنم و لهذه كعبة و لتلك كعبة، فإن الإسلام يری المساجد كلها لله، و اللازم علی المسلم أن لا يفرق بينها، أو أنه فی قبال المسيحيين الذين كان لكل طائفة منهم كنيسة.

وَ ادْعُوهُ أی ادعوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ أی ليكن دعاؤكم فی حال كونكم أخلصتم له دينكم كَما بَدَأَكُمْ أی خلقكم تَعُودُونَ فهو وحده الذی خلق و يعيد، فلا معنی لأن يشرك به غيره.

[۳۱] إنكم ستعودون فريقين فَرِيقاً هَدى أی هداه الله سبحانه وَ فَرِيقاً حَقَ أی ثبت عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ لأنهم أعرضوا عن الهداية و سلكوا سبيل الغواية، و إنما ضلوا بسبب إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فكانوا يتبعون أوامر الشياطين لا أوامر الله سبحانه، و لذا ضلوا وَ من اللطيف أنهم يَحْسَبُونَ أی يظنون و يزعمون أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ و أن طريقتهم حق.

[۳۲] و بمناسبة ذكر المسجد يأتی الحكم حول أمر مرتبط بالمسجد كما أن بمناسبة ذكر المحرمات سابقا يأتی بيان الحرام و الحلال، و بيان أن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۷۳

الطيب غير محرم و إنما حرّم الخبيث لمصلحة الإنسان يا بَنِی آدَمَ خطاب لكل مكلف من أبناء آدم و حواء خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ أی ثيابكم التی تتزيّنون بها، خذوها و ألبسوها إذا أردتم الذهاب إلى المسجد.

روى أن الحسن بن على عليهما السّلام كان إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه. فقيل له: يا بن رسول الله! لم تلبس أجود ثيابك؟ فقال: «إن الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربى، و هو يقول: خذوا زينتكم عند كل مسجد، فأحب أن ألبس أجود ثيابى» «۱».

و الظاهر أن الآية عامة تشمل غير الثياب أيضا و لذا

روى عن الصادق عليه السّلام تفسيرها ب «التمشيط» «۲».

وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا أى مباح لكم المأكول و المشروب، فإن الأمر هنا للإباحة وَ لا تُسْرِفُوا فى الأكل و الشرب، أو فى كل شىء، و الإسراف هو التجاوز، فقد يصل إلى حد المكروه، و قد يصل إلى حد الحرام إِنَّهُ تعالى لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ أى يكرههم و يبغضهم.

و لعل التعبير ب «لا يحب» لبيان أن الله سبحانه لعلوّ مقامه و عظمته فيجب على الإنسان أن يجتنب ما لا يحبّه، فكيف بما يكرهه، و قد جرى ديدن العظماء أن يعبروا ب «لا أحب» فيما لا يريدونه.

---

(۱) وسائل الشيعة: ج ۴ ص ۴۵۵.

(۲) وسائل الشيعة: ج ۲ ص ۱۲۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۷۴

[سورة الأعراف (۷): آية ۳۲]

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۳۲)

[۳۳] قُلْ يا رسول الله: مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ جميع أنواع الزينة من المساكن و المتنزهات و الحلىّ و الملابس و المراكب و غيرها وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ المأكل الحلال، أو المراد: كل رزق، و الاستفهام على سبيل الإنكار، أى أنها ليست بمحرمة و لا حق لأحد فى تحريمها، فما يفعله الرهبان ليس صحيحا.

قُلْ يا رسول الله هِىَ أى الزينة و الطيبات- باعتبار كل واحد منهما- لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَياةِ الدُّنْيا فما يتناوله الكفار منها حرام لا يجوز، فى حال كونها خالِصَةً للمؤمنين بلا مشاركة الكافرين لهم إطلاقا- حتى على وجه الحرام- يَوْمَ الْقِيامَةِ فإن الطيبات للمؤمنين فى الدنيا و فى الآخرة، لكن الكفار يشاركون المؤمنين زورا فى الدنيا، و لا يقدرون على ذلك فى الآخرة، و هناك احتمال آخر: أى أن الطيبات خالصة فى الآخرة لمن آمن فى الدنيا، فتكون جملة واحدة، لا جملتان، ثم لا يخفى أن كون الطيبات للمؤمن فى الدنيا- على المعنى الأول- لا يقتضى جواز تناولها من يد الكافر غير الحربى، بحجة أنها ليست له، فإن الله سبحانه جعل فى الدنيا لغير الحربى حرمة، لأجل استقامة أمور العالم.

كَذلِكَ أى كما فصلنا الأمور السابقة، واضحة لا لبس فيها نُفَصِّلُ الْآياتِ الدالة على الأصول و الفروع لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فإن العلماء هم الذين يستفيدون من هذه الآيات.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۷۵

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۳۳ الى ۳۴]

قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۳۳) وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ (۳۴)

[۳۴] و لما بيّن سبحانه المحللات عطف عليها المحرمات، فقال: قُلْ يا رسول الله: إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ جمع «فاحشة» أى الخصلة الفاحشة، المتعدّية عن الحق، من «فحش» بمعنى تعدّى، و المراد بها:

كل منكر ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ أى ما أعلن أو أخفى.

ثم بيّن سبحانه بعض أفراد الفاحشة لأهميتها وَ الْإِثْمَ أى الخمر، فإنه من أسمائها قال الشاعر:

شربت الإثم حتى زال عقلى كذاك الإثم يفعل بالعقول

وَ الْبَغْيَ أى الظلم بِغَيْرِ الْحَقِ هذا قيد توضيحى، لإفادهٔ أن البغى ليس بحق، كقوله سبحانه: وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍ «١»، وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ أى حرّم سبحانه الشرك ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً أى لم يقم له دليل، و كل شرك كذلك، فالقيد توضيحى لبيان أن الإشراك ليس بأمر الله، خلافا لما كان المشركون ينسبون شركهم إليه سبحانه وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ أى أنه تعالى حرم نسبهٔ ما لا تعلمون إليه، خلافا للكفار حيث أنهم كانوا يفعلون المعاصى و يقولون: «أمرنا الله بها».

[٣٥] ثم سلّى سبحانه نبيه، بأن لا يضيق صدره بما يفعله الكفار، من

---

(١) آل عمران: ٢٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ١٧۶

[سورة الأعراف (٧): آية ٣۵]

يا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي فَمَنِ اتَّقى وَ أَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣۵)

اقتراف هذه الجرائم كلها بقوله تعالى: وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ أى لكل جماعهٔ و أهل عصر و مصر مدهٔ لا يتجاوزونها، و لهؤلاء مدهٔ، ثم يلفّهم الموت، و ينسيهم البلى، و ستطهر الأرض منهم فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ بأن توجه الأجل إليهم لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً أى لا يتأخرون مقدارا من الزمن، فإن «الساعهٔ» فى اللغهٔ بمعنى: مقدار الزمان قصر أم طال وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ أى لا يتقدمون على موعدهم، فإذا قدّر هلاك أمهٔ فى الساعهٔ الرابعهٔ من يوم الجمعهٔ، فإذا توجه الأجل إليهم فى الصباح لا يتأخرون إلى الساعهٔ الخامسهٔ، و لا يتقدمون إلى الساعهٔ الثالثهٔ. و الظاهر أن الفعلين بمعنى «الاستفعال»، أى لا يطلبون- طلبا مفيدا- التقديم و التأخير، و ليس «جاء» بمعنى «وقع» حتى يقال: إن التقديم و التأخير لا يعقل بالنسبهٔ إلى الأمر الواقع، و ليس فى الكلام مجاز المشارفهٔ، إذ «جاء» لفظ يقع بالنسبهٔ إلى الواصل، و بالنسبهٔ إلى من فى الطريق.

[٣۶] يا بَنِي آدَمَ خطاب لعموم المكلفين إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ أى إن أتاكم، فإن «إما» مركبهٔ من «إن» الشرطيهٔ و «ما» الزائدهٔ رُسُلٌ مِنْكُمْ لا يقال: لا رسول بعد النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فما معنى ذلك؟ قلت: إن الشرط قد يصاغ لإفادهٔ التحقيق، فهو إنشاء مفهوم الشرط لغرض آخر، كما ينشأ مفهوم التعجب و الأمر و الاستفهام، لأغراض أخرى، فالمراد- هنا- أن الرسل تأتى لتبين للناس، فمن أطاع سعد، و من خالف شقى يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ أى يخبرونكم آياتِي و أحكامى فإن «قص» بمعنى «اتبع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ١٧٧

[سورة الأعراف (٧): الآيات ٣۶ الى ٣٧]

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٣۶) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ أُولئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ حَتَّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قالُوا أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَ شَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ (٣٧)

الأثر»، فالنقل عن الله سبحانه قصهٔ عنه فَمَنِ اتَّقى إنكار الرسل و الآيات، أو اتقى المعاصى وَ أَصْلَحَ عمل صالحا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ كخوف سائر الناس وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ كحزنهم، فإن أهل التقوى يعلمون أن ما يصيبهم إنما هو بإذن الله، و أن الله أعدّ لهم أعظم الجزاء، و لذا لا يكون للكوارث عليهم وقع، كما أنهم يكونون مطمئنين بثواب الله فى الآخرهٔ و رحمته، و لذا لا يكون لهم خوف من العقاب كخوف غيرهم.

[٣٧] وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أى حججنا و دلائلنا، و أنكروا الأنبياء و الرسل وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها بأن رأوا أنفسهم فوق الرسل، و فوق

الإذعان لآيات الله أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ الملازمون لها، فإن الملازم للشيء يقال له الصاحب هُمْ فِيها خالِدُونَ إلى الأبد.

[۳۸] فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً أى لا أحد أظلم منه، فهو إخبار فى صورة استفهام، ليكون أبلغ، إذ السامع يعدّ نفسه ليجيب بجواب يرضى المتكلم، فهو إخبار مع أخذ الموافقة من السامع أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ الدالة على الألوهية، أو الرسالة، أو المعاد، أو سائر الشؤون الحقة أُولئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ فينالهم جميع ما كتب لهم من الخير و الشر، و الرزق و العمر، فى دار الدنيا، فلا يقطع

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۷۸

[سورة الأعراف (۷): آية ۳۸]

قالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ فِي النّارِ كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها حَتّى إِذَا ادّارَكُوا فِيها جَمِيعاً قالَتْ أُخْراهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنا هؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النّارِ قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَ لكِنْ لا تَعْلَمُونَ (۳۸)

عنهم ما كتب لهم، بسبب كفرهم حَتّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا أى ملائكة الموت لتقبض أرواحهم، بعد أن أتموا مدّتهم المكتوبة لهم يَتَوَفَّوْنَهُمْ أى يقبضون أرواحهم قالُوا أى الملائكة، لهم: أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أى أين ذهبت أصنامكم التى تجعلونها شريكة لله؟ و هذا الاستفهام للتوبيخ و التقريع، و بيان أنها لم تنفعكم فى دفع العذاب الآن قالُوا يعنى الكفار: ضَلُّوا تلك الأصنام عَنّا فقد افتقدناهم فلا يقدرون على دفع العذاب عنا وَ شَهِدُوا أى الكفار عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ و أخذ بإقرارهم ليجزون بكفرهم.

[۳۹] و إذا كان يوم القيامة قالَ الله سبحانه لهم: ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ أى جماعات و طوائف من الكفار السابقين قَدْ خَلَتْ أى مضت و سبقتكم مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ فِي النّارِ و هذا نوع من عذاب آخر لأن الإنسان بحشره مع المجرمين يعذّب نفسيا، كما يعذب جسديّا بإدخاله النار، و هؤلاء لا صفاء بينهم، فاجتماعهم فى الدنيا على الكفر لا يسبب ارتياح بعضهم مع بعض هناك، بل بالعكس، ف كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ من تلك الأمم الكافرة، النار لَعَنَتْ أُخْتَها أى الأمة السابقة التى هى أختها فى الكفر، فإن النار محل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۷۹

خصام و تضارب بعكس الجنة التى دَعْواهُمْ فِيها سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ «۱»، إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ «۲».

حَتّى إِذَا ادّارَكُوا أى تلاحقوا و اجتمعوا، أصله «تدارك» قلبت التاء دالاء و أدغمت الدال فى الدال، و جىء بهمزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن فِيها أى فى النار جَمِيعاً أى جميع الأمم الكافرة قالَتْ أُخْراهُمْ أى الطائفة التى دخلت النار متأخرة و هم الأتباع لِأُولاهُمْ أى بالنسبة إلى الرؤساء الذين دخلوا أولا: رَبَّنا هؤُلاءِ الطائفة الأولى أَضَلُّونا حيث أغرونا لنتخذ معك شريكا و نخالف أوامر رسلك فَآتِهِمْ أى أعطهم عَذاباً ضِعْفاً أى مضاعفا: عذابا لكفرهم، و عذابا لإغوائهم إيانا مِنَ النّارِ و بهذا يريدون الانتقام من القادة المغوين.

قالَ الله تعالى فى جوابهم: لِكُلٍّ منهم و منكم ضِعْفٌ أى عذاب مضاعف، فللرؤساء الضعف للكفر و الإغواء، و للتابعين الضعف للكفر و تقوية مكانة الرؤساء، فإنه لو لا التابعين لم يتمكن المتبوعون من السيطرة و إقصاء الحق، كما

قال الإمام عليه السّلام لتابعى بنى أمية «لو لا أنتم لما غصبوا حقنا»

وَ لكِنْ لا تَعْلَمُونَ أيها الضالون

---

(۱) يونس: ۱۱.

(۲) الحجر: ۴۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۸۰

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۳۹ الى ۴۰]

وَ قالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْراهُمْ فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (۳۹) إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها لا

تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (۴۰)

و المضلون مقدار عذاب كل واحد منكم، و لا الفرق بين الضعف فى المتبوع، و بين الضعف فى التابع.

[۴۰] و حينما يسمع القادة جواب الله سبحانه للتابعين، يتوجهون إليهم بالشماتة، قائلين: لسنا أولى منكم بالعذاب ليكون لنا ضعف، فكلنا سواء فى الكفر وَ قالَتْ أُولاهُمْ القادة لِأُخْراهُمْ التابعين: فَما كانَ لَكُمْ أيها التابعون عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ و تفاوت فى الكفر، بأن يكون كفركم أخف من كفرنا، حتى تستحقون عذابا أقل فَذُوقُوا أيها التابعون الْعَذابَ بسبب ما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ من الكفر و المعاصى.

[۴۱] إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فلم يقبلوها وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْها أى تكبروا عن الخضوع لها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ

روى عن الإمام الباقر عليه السّلام أنه قال: «أما المؤمنون فترفع أعمالهم و أرواحهم إلى السماء فتفتح لهم أبوابها، و أما الكافر فيصعد بعمله و روحه حتى إذا بلغ السماء نادى مناد اهبطوا به إلى سجين»

وَ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ أى يدخل البعير فِي سَمِّ الْخِياطِ أى ثقب الإبرة، فكما يستحيل دخول الجمل فى ثقبها، كذلك يستحيل دخول الكافر فى الجنة، و هذا تمثيل بديع للاستحالة، و قيل المراد ب «الجمل» الحبل الغليظ وَ كَذلِكَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۸۱

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۴۱ الى ۴۳]

لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ وَ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (۴۱) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۴۲) وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا وَ ما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۴۳)

أى كما جزينا هؤلاء المكذبين نَجْزِي سائر الْمُجْرِمِينَ و إن كان اختلاف بين أنواع الجزاء، فكل إجرام له جزاء خاص، و عقوبة مخصوصة.

[۴۲] لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ أى فراش و مضجع وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ جمع «غاشية»، أى لحف من نار، فالنار محيطة بهم سفلا و علوا وَ كَذلِكَ أى كما جزينا المكذبين نَجْزِي الظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم باتباع أوامر الشيطان، و ترك عبادة الرحمن.

[۴۳] وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ بأن صحت عقيدتهم و عملهم، و لا يراد بأنهم عملوا كل الصالحات، بل قدر طاقتهم و وسعهم، لأنا لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا مقدار وُسْعَها و الوسع دون الطاقة أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ الملازمون لها أبد الآبدين هُمْ فِيها خالِدُونَ

[۴۴] و هناك لا تنازع و لا تخاصم- كما كان عند أهل النار- وَ نَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍ أى: أخرجنا ما فى قلوبهم من حقد و حسد و عداوة حتى لا يحسد بعضهم بعضا، فإن الإنسان مهما كان تقيا لا يخلو قلبه من شىء من الصفات الذميمة، و هناك تصفّى قلوبهم، ليكونوا إخوانا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۸۲

[سورة الأعراف (۷): آية ۴۴]

وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (۴۴)

قلبا و قالبا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ أى من تحت قصورهم و بساتينهم الْأَنْهارُ هذه جملة مستأنفة، أى أنهم يكونون هكذا فى الجنة فى قبال الكفار الذين «لهم من جهنم مهاد» وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا أى أوصلنا إلى هذا النعيم، بما هدانا سابقا فى الدنيا للعقيدة الصحيحة، و العمل الصالح وَ ما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ أى لم نقدر على الهداية بأنفسنا لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ فإن الإنسان لا يهتدى إلا بإرسال الله الرسل، و تبليغه الأحكام، و هذا شكر من أهل الجنة، و تقدير لنعم الله عليهم، فى الدنيا بالهداية، و فى الآخرة بالجنة لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِ و أنهم أرسلوا من قبله سبحانه، و كان ما قالوه حقا، و ها نحن نرى صدق ما قالوا وَ نُودُوا أى أهل الجنة ينادون من قبل الله

سبحانه: أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ التى وعدتموها فى الدنيا، هى هذه التى دخلتموها، و يحتمل أن يراد كون النداء قبل دخولها- فإن الواو لمطلق العطف أُورِثْتُمُوها أى أعطيتم إياها إرثا، و صارت إليكم كما يصير الميراث لأهل الميت بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أى جزاء لأعمالكم الصالحة فى الدنيا.

[۴۵] و حيث يستقر كلّ فريق من المؤمنين و الكافرين، فى مقرّه من الجنّة و النّار، يقع بينها الحوار على النّحو الآتى وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۸۳

[سورة الأعراف (۷): آية ۴۵]

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ كافِرُونَ (۴۵)

أى أهل الجنّة، أهل النّار، و الإتيان بلفظ الماضى «نادى» لأنّ المستقبل المتحقّق الوقوع ينزّل منزلة الماضى: أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فقد أعطينا الثواب و الجنة كما كنا نوعد فى الدنيا فَهَلْ وَجَدْتُمْ أنتم يا أهل النار ما وَعَدَ رَبُّكُمْ من العقاب حَقًّا و الوعد و إن كان بالنسبة إلى كلتا الطائفتين إلا أن انحراف العاصين و إعراضهم، و اهتداء المطيعين إلى الطريق، أورث توجه الوعد إلى أهل الجنة، و الوعيد إلى أهل النار قالُوا أى قال أصحاب النار:

نَعَمْ وجدنا وعد ربنا حقا فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أى نادى مناد بَيْنَهُمْ أى بين أهل الجنة و أهل النار أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ و

فى الأحاديث أن المؤذن هو الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام

«۱»-، و المراد ب «لعنة الله» غضبه و انتقامه و طرده و عذابه، و إنما ينادى المنادى بهذا النداء ليذكرهم بما كانوا يفعلون، و من أجله استحقوا العقاب.

[۴۶] و من هم الظالمون؟ إنهم هم الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أى يمنعون الناس عن السير فى الطريق الذى جعله الله لعباده، ليسعدوا بسلوكه فى الدنيا و الآخرة وَ يَبْغُونَها عِوَجاً أى يطلبون الطريق المعوج، فلا يسيرون فى الطريق المستقيم، فالضمير فى «يبغونها» راجع إلى المضاف و هو «السبيل» لا المضاف و المضاف إليه، و قيل:

---

(۱) الكافى: ج ۱ ص ۴۲۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۸۴

[سورة الأعراف (۷): آية ۴۶]

وَ بَيْنَهُما حِجابٌ وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ وَ نادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَ هُمْ يَطْمَعُونَ (۴۶)

معناه يطلبون لطريق الله العوج بالشّبه التى يلتبسون بها و يوهمون أنها تقدح فيها وَ هُمْ بالدار الآخرة كافِرُونَ لا يعتقدون بها.

[۴۷] وَ بَيْنَهُما أى بين أهل الجنة و أهل النار حِجابٌ أى فاصل و ستر وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ الأعراف: هى الأمكنة المرتفعة، أخذ من «عرف الفرس» و منه «عرف الديك» و كل موضع مرتفع من الأرض عرف، لأنه بظهوره أعرف مما انخفض، و هؤلاء الرجال يَعْرِفُونَ كُلًّا من أهل الجنة و أهل النار بِسِيماهُمْ «السيماء» العلامة، و هو فعل من «سام إبله» إذا أرسلها فى المرعى معلّمة، و إنما يعرفون كلا بسيماهم لأن أهل الجنة معلّمون ببياض الوجه و الجلال و الحفاوة، و أهل النار معلّمون بعلامة على أنوفهم- كما قال سبحانه: سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ «۱»-، و الهيئة المنكرة، و الغبار على الوجوه كما قال سبحانه: وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ «۲»، و غيرها.

وَ نادَوْا هؤلاء الذين على الأعراف أَصْحابَ الْجَنَّةِ الذين يرونهم من هناك آخذين فى الذهاب إلى الجنة، أو المستقرين فيها أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ تهنئة لهم بفوزهم بالجنة لَمْ يَدْخُلُوها أى لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة بعد وَ هُمْ يَطْمَعُونَ كما قال

---

(۱) القلم: ۱۷.

(۲) عبس: ۴۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۸۵

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۴۷ الى ۴۸]

وَ إِذا صُرِفَتْ أَبْصارُهُمْ تِلْقاءَ أَصْحابِ النَّارِ قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۴۷) وَ نادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ رِجالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ قالُوا ما أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (۴۸)

سبحانه عن لسان إبراهيم عليه السّلام: وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي «۱»، فإنه يستعمل لليقين و الرجاء.

[۴۸] وَ إِذا صُرِفَتْ أَبْصارُهُمْ توجهت أنظار أصحاب الأعراف تِلْقاءَ أَصْحابِ النَّارِ الذين أخذوا في الذهاب إلى جهنم، أو المستقرين فيها قالُوا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ فلا تدخلنا النار، و لا تجعلنا من أهلها. و قد وردت أحاديث متعددة أن المراد بأصحاب الأعراف الأنبياء و الأئمة عليهم السّلام و ظاهر الآية لا يأباه «۲».

[۴۹] وَ نادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ الذين عليها رِجالًا من أصحاب النار يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ بعلاماتهم، و أنهم من رؤساء المشركين، و المراد بالعلامات، إما العلامات التي كانوا معلّمين بها في الدنيا، أي صورهم التي كانوا يعرفونهم بها، و إنما عبر بلفظ «سيماهم» لأنهم تغيروا هناك فلا يعرفون إلا السحنة و سائر العلامات، و إما العلامات التي و سموا بها في الآخرة، من الزرقة، و غبار الوجه و تشوية الخلقة.

قالُوا أي قال أصحاب الأعراف لأولئك المجرمين: ما أَغْنى

---

(۱) الشعراء: ۸۳.

(۲) ورد كلمة الأنبياء عن العلامة المجلسي في بحار الأنوار: ج ۸ ص ۳۳۱، و كما ورد كلمة الأئمة في رواية عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال نحن أصحاب الأعراف: راجع بصائر الدرجات ص ۴۹۹. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۸۶

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۴۹ الى ۵۰]

أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (۴۹) وَ نادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ (۵۰)

عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ أي اجتماعكم و كثرتكم، أو جمعكم الأموال و الأولاد و الخدم و الأصدقاء وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أي استكباركم على الله و الرسول، ما أغنى عنكم كل ذلك، فلم يدفع العذاب عنكم.

[۵۰] ثم يقول أصحاب الأعراف لأهل النار: أَ هؤُلاءِ المراد ب «هؤلاء» أهل الجنة الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ فقد كان الكفار يحلفون- في الدنيا- أن الله لا ينال المؤمنين برحمة منه، و هناك يريهم أصحاب الأعراف أن المؤمنين دخلوا الجنة، و أنالهم الله رحمته.

ثم يتوجه أصحاب الأعراف إلى المؤمنين قائلين لهم: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ و بهذا النحو يقرع أهل النار، في قبال ما كانوا يقرعون المؤمنين في الدنيا.

[۵۱] و حينما يستقر الفريقان في مقامهما من الجنة و النار يقع حوار بين الجانبين بهذه الكيفية: وَ نادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أي «ينادون»، و إنما أتى بلفظ الماضي، لأن المستقبل المتحقق وقوعه ينزّل بمنزلته- كما سبق-: أَنْ أَفِيضُوا أي صبوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ لنسكن به حر النار، أو نروى به العطش و الظمأ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ من الطعام و اللباس و غيرهما، لننتفع به في محلنا الحار الفاقد لكل

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۸۷

[سورة الأعراف (۷): آیة ۵۱]

الَّذِینَ اتَّخَذُوا دِینَهُمْ لَهْواً وَ لَعِباً وَ غَرَّتْهُمُ الْحَیاةُ الدُّنْیا فَالْیَوْمَ نَنْساهُمْ کَما نَسُوا لِقاءَ یَوْمِهِمْ هذا وَ ما کانُوا بِآیاتِنا یَجْحَدُونَ (۵۱)

شیء من وسائل الراحة قالُوا أی قال أهل الجنة فی جواب أهل النار: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما أی حرّم الماء و الرزق عَلَی الْکافِرِینَ فلا یباح لنا إعطاؤکم منهما شیئا.

[۵۲] ثم وصف الکافرین بأنهم الَّذِینَ اتَّخَذُوا دِینَهُمْ لَهْواً وَ لَعِباً فدینهم الذی اختاره الله لهم- و هو الإسلام- اتخذوه أداة تلهّی و لعب، فکانوا به یستهزءون، أو المراد أن دینهم کان لهوا و لعبا، فیکون التبکیت لاتخاذهم أصل الدین- الکفری- لا اتخاذه لهوا. و ظاهر الکلام المعنی الأول، کما تقرر فی علم البلاغة أن القید إذا کان فی الکلام توجه النفی و الإثبات إلیه.

وَ غَرَّتْهُمُ أی خدعتهم الْحَیاةُ الدُّنْیا فظنوا أنهم یبقون فیها إلی الأبد، و أن نعیمها یکفیهم عن نعیم الجنة فَالْیَوْمَ فی الآخرة نَنْساهُمْ أی نترکهم فی العذاب، کفعل الناسی الذی لا- یعتنی بالمنسی، و إن أصابه ما أصابه کَما نَسُوا لِقاءَ یَوْمِهِمْ هذا أی کما نسوا فی الدنیا التأهّب لیوم القیامة وَ ما کانُوا بِآیاتِنا یَجْحَدُونَ «ما» مصدریة، أی لسبب نسیانهم، و بسبب جحودهم، و إنکارهم لآیات الله و أحکامه. و من هذه الجملة یعلم أن قوله: «الذین اتخذوا» من کلام الله استئنافا، لا من تتمة کلام أهل الجنة.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۸۸

[سورة الأعراف (۷): الآیات ۵۲ الی ۵۳]

وَ لَقَدْ جِئْناهُمْ بِکِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلی عِلْمٍ هُدیً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (۵۲) هَلْ یَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِیلَهُ یَوْمَ یَأْتِی تَأْوِیلُهُ یَقُولُ الَّذِینَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَیَشْفَعُوا لَنا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَیْرَ الَّذِی کُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما کانُوا یَفْتَرُونَ (۵۳)

[۵۳] إن أهل النار وقعوا فیها بعد البیان و إتمام الحجة، فلم یکن هذا العذاب ظلم بالنسبة إلیهم وَ لَقَدْ جِئْناهُمْ بِکِتابٍ و هو القرآن فَصَّلْناهُ تفصیلا فلم یکن مجملا- لا- یستفاد منه المطلب عَلی عِلْمٍ أی کنا عالمین بما أنزلنا، فلم یکن الکتاب کتاب جاهل لا یدری المصالح و المفاسد، و یحکم اعتباطا هُدیً أی جئنا به لأجل الهدایة وَ رَحْمَةً و لأجل الرحمة لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ و إنما اختص بهم لأن الفائدة تعود إلیهم وحدهم، و إن کان الکتاب للکل.

[۵۴] هَلْ یَنْظُرُونَ أی هل ینتظر هؤلاء الکفار الذین لم یؤمنوا بالکتاب إِلَّا تَأْوِیلَهُ أی مآل الکتاب، بمعنی: المآل الذی أخبر به الکتاب، من العذاب و العقاب النازل بالکفار. و هذا تهدید کما یقال للعاصی أمر المولی: «هل تنتظر عقابه؟» یَوْمَ یَأْتِی تَأْوِیلُهُ و ما حذّر منه یَقُولُ الَّذِینَ نَسُوهُ أی ترکوه، و فعلوا به فعل الناسی مِنْ قَبْلُ فی الدنیا:

قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِ و هناک یعترفون بما أنکروه فی الدنیا، حیث لا فائدة فی الاعتراف فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَیَشْفَعُوا لَنا حتی نتخلص من العقاب أَوْ نُرَدُّ إلی الدنیا فَنَعْمَلَ عملا صالحا غَیْرَ الَّذِی کُنَّا نَعْمَلُ سابقا من المعاصی و الآثام؟ لکن لیس لهم شفیع

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۸۹

[سورة الأعراف (۷): آیة ۵۴]

إِنَّ رَبَّکُمُ اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهارَ یَطْلُبُهُ حَثِیثاً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَکَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ (۵۴)

و لا یردون، ف قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ أهلکوها بالعذاب و العقاب، و أعطوها بمقابل النار، حیثما أعطی أهل الإیمان نفوسهم فی مقابل الجنان، و ربحوا أکبر ربح وَ ضَلَّ عَنْهُمْ أی ذهب و غاب ما کانُوا یَفْتَرُونَ أی افتراؤهم علی الله بالشرک، فإن الأصنام التی جعلوها شریکة لله، و کانوا یقولون: ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِیُقَرِّبُونا إِلَی اللَّهِ زُلْفی «۱»، ضلت عنهم فلم یجدوها، و لا شفعت لهم هناک.

[۵۵] ثم بيّن سبحانه أن الله واحد لا شريك له، و أنه الذى خلق و كوّن، لا شريك له فى شىء من الأمور الكونية إِنَّ رَبَّكُمُ أيها الناس اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ أنشأها و كوّنها وَ الْأَرْضَ أوجدها. و لعل ذكر «السماوات» غالبا بلفظ الجمع، و «الأرض» بلفظ المفرد، مع أن كلتيهما متعددة، كما قال سبحانه: وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَ «٢»، أن تعدد السماوات كان مألوفا لديهم، لما يخبر به المنجمون، من أفلاك الكواكب السيارة، بخلاف تعدد الأرض، و من البلاغة أن يكلم الإنسان المخاطبين قدر عقولهم فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ أى فى مقدار ستة أيام من أيام الدنيا، و إن لم تكن أيام ذلك الوقت، حيث لا شمس و لا قمر و لا حركة، أما مصلحة خلقها فى ستة أيام مع قدرته سبحانه فى

---

(١) الزمر: ۴.

(٢) الطلاق: ١٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ١٩٠

إنشائهما دفعة، فهى كمصلحة خلق الجنين و النبات تدريجا، مع قدرته على الإيجاد دفعة.

ثُمَ بعد خلق السماوات و الأرض اسْتَوى أى استولى عَلَى الْعَرْشِ و المراد: جعل تدبير الأمر من هناك، كما يقال:

«استوى الملك على العرش» يراد استيلائه على الملك، و «العرش» محل تشريفى خلقه سبحانه و أضافه إلى نفسه، كما خلق الكعبة فى الدنيا، و جعلها بيته، و كان ذلك لألفة الأجسام بمصدر للأحكام و التوجه يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهارَ أى يلبس النهار، و يمد رواق الليل المظلم على النهار المستنير، كما يغشى الإنسان العباءة على المصباح يَطْلُبُهُ أى يطلب الليل النهار طلبا حَثِيثاً سريعا بكل جد، كأن النهار يرفض الليل، لكن الليل يطارده مطاردة الطالب للمطلوب الهارب وَ خلق الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ فى حال كونها مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ فهى تسرى و تدور و تشرق و تغيب حسب أمره سبحانه أَلا أى تنبهوا أيها البشر أن لَهُ سبحانه الْخَلْقُ للأشياء كلها وَ الْأَمْرُ النافذ فيها، فما يكون من تغيير و تبديل إلا بأمره و إرادته، و هكذا لا أمر صحيح فى التشريعات إلا له، أما أمر سائر الآمرين، فليست لهم قيمة و اعتبار واقعى، إلا إذا كانوا تبعا لأمره تعالى تَبارَكَ اللَّهُ أى تعالى عن الشريك و سائر النقائص رَبُّ الْعالَمِينَ لا رب سواه، و لا إله إلا هو.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ١٩١

[سورة الأعراف (٧): الآيات ۵۵ الى ۵۶]

ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (۵۵) وَ لا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (۵۶)

[۵۶] ادْعُوا رَبَّكُمْ أيها البشر تَضَرُّعاً أى تخشّعا، فإن التضرع هو التذلل و التخشّع، و هو فى موضع الحال، أى فى حال كونكم متضرعين وَ خُفْيَةً أى فى حال الاختفاء، فإن الضراعة المخفية أقرب إلى تركيز التوحيد فى النفس. و لا يخفى أن هذا فى مورد، و فى مورد آخر يستحب الإجهار.

فقد نزل جبرئيل على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حال الحج قائلا: «إن ربك يأمرك بالعج و الثج» «١»

و «العج» من العجيج. كما أن فى الروايات استحباب الإجهار بالصلوات على محمد و آله الطاهرين فإنه موجب لذهاب النفاق، و كأن الجهر و الإخفات فى الدعاء، كالإعلان و الإسرار بالصدقة، الذى لكل واحد منهما مورد. و

قد روى على بن إبراهيم أن المراد بالتضرع: العلانية،

أى: «ادعوه علانية و سرا» «٢».

إِنَّهُ سبحانه لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ الذين يتجاوزون الحد، إنه سبحانه يحب الخشوع و الانكسار، لا التجاوز و الاعتداء.

[۵۷] و بمناسبة كراهيته سبحانه للاعتداء يقول تعالى: وَ لا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها فإن الأنبياء و الأئمة أصلحوا الأرض

بمنهاج السماء، و جعل كل شيء في موضعه، فالتجاوز عن ذلك إفساد في الأرض و شقاء للبشر.

قال الباقر عليه السّلام: «إن الأرض كانت فاسدة فأصلحها الله بنبيه» «٣».

---

(١) راجع معاني الأخبار: ص ٢٢۴.

(٢) نقلا عن مجمع البيان: ج ۴ ص ٢٧١.

(٣) الكافي: ج ٨ ص ۵٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ١٩٢

[سورة الأعراف (٧): آية ۵٧]

وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۵٧)

وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً أي في حال كونكم خائفين و طامعين، خوفا من عقابه و طمعا في ثوابه إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ فإنكم إذا لم تفسدوا و دعوتموه خوفا و طمعا جعلكم الله من المحسنين، فتكون رحمته قريبة منكم، و ذلك يوجب استجابة دعائكم، و لطف الله بكم.

[۵٨] وَ هُوَ الله وحده الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً أي يطلقها و يجريها لأجل البشارة بالمطر بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أي أمام رحمته- التي هي المطر- فإن الرياح إذا هبت في أيام السحاب، دلت على نزول المطر حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ أي حملت تلك الرياح سَحاباً ثِقالًا بالماء سُقْناهُ أي دفعنا السحاب لِبَلَدٍ مَيِّتٍ و موت البلد: تعفّي مزارعه و دروس مشاربه، لا نبات فيه، و لا عيون و أنهار فَأَنْزَلْنا بِهِ أي بالبلد، أو بالسحاب، و «الباء» على الأول بمعنى «في»، و على الثاني بمعنى «السبب» الْماءَ و هناك خلاف في تكوّن المطر، لكن ذلك لا يهم التفسير، و كيف كان فإنه بقدرة الحكيم القدير فَأَخْرَجْنا بِهِ أي بسبب الماء مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ المتداولة هناك، لا أن المراد جميع أنواع الثمرات، إلا إذا أخذ الماء و السحاب بصورة عامة لا بالنسبة إلى بلد معيّن.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ١٩٣

[سورة الأعراف (٧): الآيات ۵٨ الى ۵٩]

وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (۵٨) لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۵٩)

كَذلِكَ أي كما أخرجنا بالماء الثمرات نُخْرِجُ الْمَوْتى من الأرض، فنحييهم.

و في بعض الأحاديث «تمطر السماء ماء، فيسبب ذلك الماء إحياء الأموات، بقدرة الله سبحانه»

«١» لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ المعاد و الآخرة، و كأن «لعل» تفريع على إنبات الثمر من ماء السماء في الأرض الميتة، بأن يكون ذلك سببا لتذكيركم بالآخرة.

[۵٩] وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ ترابه الصالح للزرع يَخْرُجُ نَباتُهُ «نبات» فاعل «يخرج»، أي يخرج زرعه حسنا ناميا بِإِذْنِ رَبِّهِ و أمره سبحانه، بلا نكد و لا عناء و لا تعب وَ البلد الَّذِي خَبُثَ ترابه بأن كان سبخا أو ما أشبه لا يَخْرُجُ النبات إِلَّا نَكِداً قليلا عسرا لا ينتفع به، و هكذا القلب الطيب ينمو فيه الخير و الفضيلة نموا سريعا ممرعا، و القلب الخبيث لا ينمو فيه الخير إلا قليلا عسرا كَذلِكَ أي كما بيّنا هذه الآية الدالة على كمال قدرة الله سبحانه نُصَرِّفُ الْآياتِ أي نقلبها و نبيّنها لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ أي للشاكرين الذين يشكرون نعم الله سبحانه، فإنهم المنتفعون بتصريف الآيات، فغاية التصريف لهم دون غيرهم.

[۶٠] و إذ تمّ الدليل على وجوده سبحانه بما له من الصفات، و أنه لا شريك له، يأتي الكلام حول الأنبياء السالفين الذين بلغوا

(۱) راجع بحار الأنوار ج ۷ ص ۱۳.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۹۴

[سورة الأعراف (۷): الآیات ۶۰ الی ۶۲]

قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراکَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ (۶۰) قالَ یا قَوْمِ لَیْسَ بِی ضَلالَةٌ وَ لکِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ (۶۱) أُبَلِّغُکُمْ رِسالاتِ رَبِّی وَ أَنْصَحُ لَکُمْ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۶۲)

رسالات ربهم، و لم یقبل قومهم منهم، فأخذوا بالعذاب، کما سبق فی أول السورة «وَ کَمْ مِنْ قَرْیَةٍ أَهْلَکْناها» لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلی قَوْمِهِ فَقالَ یا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ حیث کان القوم یعبدون الأصنام و الأوثان ما لَکُمْ أی لیس لکم مِنْ إِلهٍ غَیْرُهُ فهو خالقکم الذی لا شریک له إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ أیها القوم، إن لم تؤمنوا عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ إما المراد یوم القیامة، أو عذابهم فی الدنیا بالطوفان.

[۶۱] قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ أی الأشراف، و سمّوا به لأنهم یملأون العیون و الصدور هیبة و جمالا: إِنَّا لَنَراکَ یا نوح فِی ضَلالٍ مُبِینٍ أی انحراف واضح حیث تذر الأصنام و تعبد الإله الذی لم تره.

[۶۲] قالَ نوح لهم: یا قَوْمِ لَیْسَ بِی ضَلالَةٌ فلم أضلّ طریق الحق وَ لکِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ الذی یملک کل شیء فهو رب کل شیء، و ما لشیء سواه ملک، فلا شریک له.

[۶۳] أُبَلِّغُکُمْ رِسالاتِ رَبِّی أی أؤدّی إلیکم ما أمرنی ربی بتبلیغه، و إنما جمعت الرسالات، باعتبار کل وحی وحی وَ أَنْصَحُ لَکُمْ أی أنصح

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۹۵

[سورة الأعراف (۷): الآیات ۶۳ الی ۶۴]

أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَکُمْ ذِکْرٌ مِنْ رَبِّکُمْ عَلی رَجُلٍ مِنْکُمْ لِیُنْذِرَکُمْ وَ لِتَتَّقُوا وَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ (۶۳) فَکَذَّبُوهُ فَأَنْجَیْناهُ وَ الَّذِینَ مَعَهُ فِی الْفُلْکِ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً عَمِینَ (۶۴)

لفائدتکم وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ من أمره و نهیه، و من صفاته و آثاره، و من ثوابه و عقابه ما لا تَعْلَمُونَ فاتبعونی حتی أهدیکم إلی الحق.

[۶۴] و قد کان القوم یبدون التعجب من أقوال نوح علیه السّلام، کیف یدّعی هذا المنصب الخطیر؟ و کیف یخبر عن أشیاء لم یعلموها؟ فکان یقول لهم: أَ وَ عَجِبْتُمْ الهمزة للاستفهام، أی هل تتعجبون أَنْ جاءَکُمْ ذِکْرٌ مِنْ رَبِّکُمْ عَلی رَجُلٍ مِنْکُمْ أی بشر من جنسکم لِیُنْذِرَکُمْ و یخوّفکم من عذاب الله إن تمردتم و کفرتم وَ لِتَتَّقُوا أی جاءکم الذکر لتتقوا و تجتنبوا عقاب الله و الکفر و المعاصی وَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ أی لکی یرحمکم ربکم؟

[۶۵] فَکَذَّبُوهُ أی کذب القوم نوحا علیه السّلام فیما دعاهم إلیه، حتی أنهم کانوا یوسعونه ضربا، و کان الرجل یأتی بابنه إلی نوح، و یقول له: یا بنی لا تؤمن بهذا فَأَنْجَیْناهُ وَ الَّذِینَ آمنوا مَعَهُ و فی بعض الروایات: أنهم کانوا ثمانیة- فِی الْفُلْکِ أی السفینة، حیث أمره الله سبحانه فعمل سفینة و رکب هو و المؤمنون فیها، ثم أمطرت السماء، و تفجرت العیون، حتی أخذ الماء وجه الأرض، و هلک الکفار بأجمعهم، ثم یبست الأرض و خرج نوح و المؤمنون، یعمرون الأرض بتقوی الله من جدید وَ أَغْرَقْنَا الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا أی بدلائلنا الدالة

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۱۹۶

[سورة الأعراف (۷): الآیات ۶۵ الی ۶۶]

وَ إِلی عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ یا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ (۶۵) قالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراکَ فِی سَفاهَةٍ وَ إِنَّا لَنَظُنُّکَ مِنَ الْکاذِبِینَ (۶۶)

على التوحيد و النبوة و المعاد إِنَّهُمْ أى المكذبون كانُوا قَوْماً عَمِينَ يقال: «رجل عم» إذا كان أعمى القلب، و رجل أعمى إذا كان أعمى البصر، و ستأتى جوانب أخرى من قصة نوح عليه السّلام فى بعض السور الآتية، كسورة هود و غيرها، و حيث كان المقصود فى الكتاب تفسير الآيات- حسب ظواهرها- نطوى القصة طيا.

[۶۶] وَ أرسلنا إِلى عادٍ أى قبيلة عاد، من أحفاد نوح عليه السّلام أَخاهُمْ فى النسب هُوداً و هو من أحفاد نوح عليه السّلام، و قد كان هود النبى من نفس القبيلة ليكون أقرب إلى القبول، فإن غالب النفوس تأبى عن إطاعة غير بنى قومهم قالَ هود لهم: يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وحده لا شريك له ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ فإن الأصنام ليست بآلهة أَ فَلا تَتَّقُونَ استفهام إنكارى، أى لماذا لا تتقون الشرك و المعاصى؟

[۶۷] قالَ الْمَلَأُ الأشراف الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ و التعبير ب «كفروا» إما لتجريد الفعل عن معنى الحدوث، و إما باعتبار الفطرة الإيمانية، كما

قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «كل مولود يولد على الفطرة»

«۱»، و إما باعتبار المجموع فإن قومه- إذا اعتبروا من زمان نوح عليه السّلام- كان فيهم بعض المؤمنين إِنَّا لَنَراكَ أى نعلمك، يا هود فِي سَفاهَةٍ فأنت سفيه، و «السفيه» هو

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲ ص ۱۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۹۷

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۶۷ الى ۶۹]

قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ وَ لكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (۶۷) أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ أَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ (۶۸) أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَ زادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۶۹)

الذى ليس له ملكة إصلاح لنفسه أو ماله وَ إِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكاذِبِينَ فتكذب فى دعوى النبوة، و أنه ليس للعالم إلّا إله واحد.

[۶۸] قالَ هود عليه السّلام فى جوابهم: يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ فإنى لست سفيها و هل السفيه من ينطق بالحق الذى دلّ عليه العقل و الفطرة؟! وَ لكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ و كلام السفيه غير كلام الرسول العاقل.

[۶۹] أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي أؤدّى إليكم ما أوحى إلىّ من الرسالات، و الجمع باعتبار كل رسالة رسالة فى مختلف الأصول و الفروع وَ أَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أنصحكم لئلّا تقعوا فى العقاب و العذاب أَمِينٌ فى تأدية الرسالة فلا أكذّب و لا أغيّر.

[۷۰] و حيث كان القوم يظهرون عجبهم من رسالة هود عليه السّلام قال لهم:

أَ وَ عَجِبْتُمْ أى هل تتعجبون أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ و وحى مِنْ قبل رَبِّكُمْ عَلى لسان رَجُلٍ مِنْكُمْ من قبيلتكم لِيُنْذِرَكُمْ و يخوّفكم من بأس الله سبحانه وَ اذْكُرُوا أيها القوم نعمة الله عليكم إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ فى الأرض، أى تخلفون من سبقكم فى أموالهم و مساكنهم مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ فقد أهلكهم و أتى بكم مكانهم، أ فلا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۱۹۸

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۷۰ الى ۷۱]

قالُوا أَ جِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَ نَذَرَ ما كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۷۰) قالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَ غَضَبٌ أَ تُجادِلُونَنِي فِي أَسْماءٍ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما نَزَّلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (۷۱)

تخافون أن يصيبكم ما أصابهم، أم لا تشكرون ما وهب الله لكم من البلاد و الأموال وَ زادَكُمْ الله سبحانه فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً هيكلا و قوّة. فقد كانوا أقوياء ذوى هياكل كبيرة عظيمة فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ آلاء جمع «إلى» بمعنى «النعم» لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أى تفوزون بنعيم الدنيا و

سعادة الآخرة.

[٧١] قالُوا أى قال قوم هود: أَ جِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ بلا شريك وَ نَذَرَ أى ندع عبادة ما كانَ يَعْبُدُ آباؤُنا من الأصنام، و كيف يكون هذا؟ فإنّا لن نترك الأصنام فَأْتِنا أى ادع ربك ليأتينا بِما تَعِدُنا من العذاب إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فى أنه إن لم نؤمن نزل علينا العذاب.

[٧٢] قالَ هود عليه السّلام لقومه: قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ أى وجب أن يقع- فإن المستقبل المتحقق الوقوع ينزّل منزلة الماضى- مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ أى عذاب وَ غَضَبٌ حيث لم تؤمنوا بعد إتيان الحجة، و وضوح الأدلة، و حيث أن الله سبحانه منزّه عن الأحوال الزائدة، كان المراد ب «غضب» عاقبة الغضب، و هو العذاب، كما قيل: «خذ الغايات و اترك المبادئ».

و عليه فالفرق بين الرجس و الغضب أن الثانى أعم من الأول.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ١٩٩

[سورة الأعراف (٧): الآيات ٧٢ الى ٧٣]

فَأَنْجَيْناهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ قَطَعْنا دابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ ما كانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) وَ إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (٧٣)

ثم ذكر هود عليه السّلام بطلان أصنامهم قائلا: أَ تُجادِلُونَنِي أى هل أنتم تناظرون معى و تخاصموننى فِي أَسْماءٍ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ أى فى أصنام سميتموها أنتم ربّا، و إلا فهى أحجار منحوتة، و إنما قال «فى أسماء» إشارة إلى أن ربوبيتها مجرد اسم لا أكثر ما نَزَّلَ اللَّهُ بِها أى بتلك الأصنام و الأسماء مِنْ سُلْطانٍ أى من دليل دال على كونها تصنع شيئا، أو كونها آلهة و أربابا. و قد كان الاحتجاج منه عليه السّلام قويا جدا، إذ مدعى الآلهة الزائدة يحتاج إلى دليل و برهان فَانْتَظِرُوا عذاب الله و نكاله إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ لنزول العذاب بكم، و سترون صدق مقالتى.

[٧٣] فجاء العذاب الموعود إليهم، و ذلك أنه سبحانه ساق إليهم سحابة أمطرتهم بالعذاب حتى هلكوا جميعا و أنجيناه أى هودا عليه السّلام وَ الَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا فلقد كان عليه السّلام و المؤمنون فى حظيرة لا يمرّ بهم العذاب وَ قَطَعْنا دابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا «الدابر» الأصل، أى قطعنا أصلهم، كما يقطع أصل الشجرة، و ذلك كناية عن إهلاكهم بأجمعهم وَ ما كانُوا مُؤْمِنِينَ أى لم يكونوا ليؤمنوا من بعد، فقد عرفنا حالهم، و علمنا نواياهم و ضمائرهم و مستقبلهم.

[٧٤] وَ أرسلنا إِلى ثَمُودَ و هى قبيلة من آل رجل يسمى «ثمود» من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٢٠٠

تقريب القرآن إلى الأذهان ج٢ ٢٤٩

أحفاد نوح عليه السّلام أَخاهُمْ فى النسب صالِحاً حيث كان صالح من نفس القبيلة قالَ صالح عليه السّلام لهم: يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وحده و لا تشركوا به شيئا ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ فتعبدوه معه قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ أى دلالة و معجزة مِنْ رَبِّكُمْ شاهدة على صدق ادعائى للنبوة هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ الإضافة إلى الله تشريفية، كإضافة مكة إلى الله يقال: «بيت الله»، و إضافة دم الحسين عليه السّلام إلى الله، يقال: «ثار الله» لَكُمْ آيَةً دالة على صدق كلامى.

و قد كان من قصة صالح ما

ورد: أنه بعث إلى قومه و هو ابن ست عشرة سنة فلبث فيهم حتى بلغ عشرين و مائة سنة لا يجيبونه إلى خير، و كان لهم سبعون صنما، يعبدونها من دون الله، فقال لهم: إن شئتم فاسألونى حتى أسأل إلهى فيجيبكم فيما سألتمونى الساعة، و إن شئتم سألت آلهتكم، فإن أجابتنى بالذى أسألها خرجت عنكم، فقد سئمتكم و سئمتمونى، فقالوا: قد أنصفت، فدعاها كلها بأسمائها فلم يجبه منها شىء فنحّوا بسطهم و فرشهم و ثيابهم و تمرغوا على التراب و طرحوا التراب على رؤوسهم، و قالوا لأصنامهم: لئن لم تجيبوا صالحا اليوم

لنفتضحنّ، ثم دعوه فقالوا: يا صالح ادعها، فدعاها فلم تجبه. قال صالح: فاسألونى حتى أدعو إلهى يجبكم الساعة، فقالوا: ادع لنا ربك يخرج لنا من هذا الجبل الساعة ناقة حمراء شقراء و براء عشراء بين جبينها ميل، فقال لهم: سألتمونى شيئا يعظم علىّ و يهون على ربى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۰۱

[سورة الأعراف (۷): آية ۷۴]

وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِها قُصُوراً وَ تَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۷۴)

تعالوا، فسأل الله ذلك، فانصدع الجبل صدعا كادت تطير منه عقولهم لما سمعوا ذلك، ثم اضطرب ذلك الجبل اضطرابا شديدا كالمرأة إذا أخذها المخاض، ثم لم يفاجئهم إلا رأسها قد طلع عليهم من ذلك الصدع فما استتمّت رقبتها حتى اجترّت، ثم خرج سائر جسدها، ثم استوت قائمة على الأرض، فلما رأوا ذلك قالوا: يا صالح ما أسرع ما أجابك ربك، ادع لنا يخرج لنا فصيلها، فسأل الله ذلك فرمت به فدبّ حولها، فقال لهم: يا قوم أبقى شيء؟ قالوا: لا، انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم بما رأينا و يؤمنون بك. قال الراوى: فرجعوا فلم يبلغ السبعون إليهم حتى ارتد منهم أربعة و ستون رجلا، و قالوا: سحر و كذب.

قال: فانتهوا إلى الجميع فقال الستة: حق، و قال الجميع: كذب و سحر، فانصرفوا على ذلك ثم ارتاب واحد فكان فيمن عقرها «۱».

فَذَرُوها أى دعوها و اتركوها و شأنها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ من نبات الأرض وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ و أذية فَيَأْخُذَكُمْ أى ينالكم و يصيبكم عَذابٌ أَلِيمٌ مؤلم موجع.

[۷۵] وَ اذْكُرُوا نعمة الله عليكم إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ فى الأرض بأن أورثكم إياها و مكّنكم فيها مِنْ بَعْدِ عادٍ الذين أهلكوا حيث عصوا ربهم وَ بَوَّأَكُمْ أى جعل لكم بيوتا و مساكن فِي الْأَرْضِ بحيث

---

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۱۱ ص ۳۷۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۰۲

[سورة الأعراف (۷): آية ۷۵]

قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (۷۵)

تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِها أى سهول الأرض قُصُوراً وَ تَنْحِتُونَ الْجِبالَ بُيُوتاً و هذه نعمة كبرى إذ جعل لكم الأرض ذلولا سهولها و جبالها فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ أى نعم الله عليكم، و قد تقدم أن «آلاء» جمع «إلى» بمعنى النعمة وَ لا تَعْثَوْا أى: لا تطغوا و تسعوا، من «العثا» بمعنى شدة الفساد فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فلا تثيروا الفساد فى الأرض.

[۷۶] قالَ الْمَلَأُ أى جماعة الأشراف الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عن قبول الحق، و رفعوا أنفسهم عن ذلك مِنْ قَوْمِهِ أى من قوم صالح لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أى للمؤمنين الذين نظر إليهم المستكبرون بنظر الضعف و الضعة لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بدل من قوله: «لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا و إنما جىء به لئلّا يظن أن المراد «المستضعف فى الدين»-: أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ و أنه رسول من الله.

و كان هذا السؤال منهم مقدمة لكلامهم أنهم غير مؤمنين به قالُوا أى: المؤمنون: إِنَّا بِما أُرْسِلَ صالح بِهِ مُؤْمِنُونَ فنعتقد بإله واحد و برسالته و بما جاء به.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۰۳

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۷۶ الى ۷۷]

قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كافِرُونَ (۷۶) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَ قالُوا يا صالِحُ ائْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الْمُرْسَلِينَ (۷۷)

[۷۷] قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا السائلون- بعد سماعهم لكلام المؤمنين-:

إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ من التوحيد و الرسالة كافِرُونَ جاحدون منكرون.

[۷۸] فَعَقَرُوا النَّاقَةَ أي: قتلوها، و «العقر» الجرح الذي يأتي على أصل النفس.

ورد أن الله أوحى إلى صالح عليه السّلام: قل لهم: إن الله قد جعل لهذه الناقة من الماء شرب يوم، و لكم شرب يوم، فكانت الناقة إذا كان يوم شربها شربت ذلك اليوم، فيحلبونها فلا يبقى صغير و لا كبير إلا شرب من لبنها يومهم ذلك، فإذا كان الليل و أصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم و لم تشرب الناقة ذلك اليوم، فمكثوا بذلك إلى ما شاء الله ثم أنهم عتوا على الله و مشى بعضهم إلى بعض و قالوا: اعقروا هذه الناقة و استريحوا منها لا نرضى أن يكون لها شرب يوم و لنا شرب يوم، فجعلوا حبلا لرجل أحمر أشقر أزرق من ولد الزنا لا يعرف له أب يقال له: «قدار» شقي من الأشقياء مشؤوم عليهم فقتلها و هرب فصيلها، و اقتسموا لحمها فيما بينهم، فأوحى الله إلى صالح: قل لهم: إني مرسل إليكم عذابي إلى ثلاثة أيام، فإن تابوا و رجعوا قبلت توبتهم عنهم، و إن لم يتوبوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثالث «۱».

وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ أي تجاوزوا الحد في الفساد وَ قالُوا

---

(۱) الكافي: ج ۸ ص ۱۸۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۰۴

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۷۸ الى ۷۹]

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ (۷۸) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَ لكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (۷۹)

يا صالِحُ ائْتِنا بِما تَعِدُنا من العذاب على قتل الناقة و البقاء في الكفر إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ثم أخبر سبحانه بما حلّ بهم من العذاب.

[۷۹] فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ «الرجف» الاضطراب فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ أي في محلهم، يقول الحاضر: «أنا في داري» أي بلدي و محلتي جاثِمِينَ أي صرعى ميّتين ساقطين لا حركة لهم.

ورد أن صالح لما وعدهم بالعذاب و أمهلهم ثلاثة أيام، قال صالح عليه السّلام: إنكم تصبحون وجوهكم مصفرّة، و اليوم الثاني محمرة، و الثالث مسودة. فجاءهم ما قاله لهم فلم يتوبوا و لم يرجعوا، فلما كان منتصف الليل أتاهم جبريل فصرخ بهم صرخة خرقت أسماعهم و فلقت قلوبهم و صدعت أكبادهم.

و في بعض التفاسير: إن النار كانت تصحب الصيحة حيث أخذتهم. و لعل تسمية ذلك بالرجفة لأجل الاضطراب الحاصل للإنسان حينما يسمع صيحة مهولة «۱».

[۸۰] فَتَوَلَّى أي أعرض صالح عليه السّلام عَنْهُمْ حين رأى إصرارهم على الكفر وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ أدّيت النصح الذي يسعدكم في دنياكم و أخراكم

---

(۱) مجمع البيان: ج ۴ ص ۲۹۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۰۵

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۸۰ الى ۸۱]

وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ (۸۰) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

مُسْرِفُونَ (٨١)

وَ لكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ فلا تقبلون نصحى. و لعل سر تأخير هذه الجملة، عن جملة «فأخذتهم الرجفة» مع تقديمها فى ظرف الوقوع عليها، إيهام السياق سرعة الخاتمة، حتى لا يكون فصل بين الإعراض و بين العذاب فى اللفظ، و هذا من فنون البلاغة، لكن حيث أن مصير صالح عليه السّلام لم يعلم مما قبل، استأنف السياق ذكر مصيره و أنه نفض يديه منهم، و تركهم ليلاقوا ما جلبوه على أنفسهم، دونه.

[٨١] وَ اذكر لُوطاً و لعلّ اختلاف السياق هنا عمّا سبقه، حيث كان يقول: «و إلى»، تنبيه عدم التعرض لمن توسطهما من الأنبياء، كإبراهيم عليه السّلام الذى كان معاصرا للوط، و إنما لم يذكر إبراهيم عليه السّلام لعله لعدم نزول عقاب على قومه كما نزل على قوم لوط، و قوم الأنبياء السابقى الذكر إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ؟

على نحو الاستفهام الإنكارى، و المراد ب «الفاحشة» المعصية المتجاوزة للحدود، و هى اللواط بالرجال ما سَبَقَكُمْ بِها أى بهذه الفاحشة مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ فإن قوم لوط أول من تعاطى هذا العمل الشنيع.

[٨٢] إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً أى إتيانا شهويا، فإن لفظ «أتى» بدون هذا القيد «الشهوة» يكون بمعنى «جاء» مِنْ دُونِ النِّساءِ فلا تأتون المباح، و تأتون المحرّم، و لعلّ عدم الإتيان لهن كان أيضا محرما، كما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٢٠٦

[سورة الأعراف (٧): الآيات ٨٢ الى ٨٤]

وَ ما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ (٨٣) وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)

أنه كذلك عندنا، بعد أربعة أشهر بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ متجاوزون فى الظلم و الفساد، فإن الإسراف بمعنى التجاوز.

[٨٣] وَ ما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ أى جواب القوم للوط عليه السّلام الذى كان ينهاهم عن اللواط إِلَّا أَنْ قالُوا أى قال بعضهم لبعض أَخْرِجُوهُمْ أى أخرجوا لوطا و أهله مِنْ قَرْيَتِكُمْ أى مدينتكم، و هى «سدوم» إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ أى يتحرّجون عن هذا العمل، من أجل الطهارة و النزاهة.

[٨٤] فَأَنْجَيْناهُ أى خلصنا لوطا وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ من العذاب النازل بقومه، حيث أمرناهم بالسير و الفرار من المدينة، ففروا جميعا إلا زوجته كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ أى الباقين فى قومه المتخلفين عن لوط، و إنما بقيت و هلكت لأنها كانت على طريقتهم، كما قال سبحانه فى آية أخرى: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما «١»، إذ لم تؤمنا بما آمن به زوجيهما.

[٨٥] وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً أى أرسلنا عليهم الحجارة كالمطر، كما قال

---

(١) التحريم: ١١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٢٠٧

[سورة الأعراف (٧): آية ٨٥]

وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥)

تعالى فى آية أخرى: وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ «١»، ثم قلبت مدينتهم حتى جعل عاليها سافلها فَانْظُرْ أى فاعلم يا رسول الله، أو أيها الناظر كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ المرتكبين للسيئات.

[۸۶] وَ أرسلنا إِلى مَدْيَنَ هم قبيلة سميت باسم جدّهم «مدين» حفيد إبراهيم عليه السّلام أَخاهُمْ شُعَيْباً و هو من أحفاد إبراهيم عليه السّلام، فهو أخ القبيلة قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وحده لا شريك له ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ من الأصنام التى تبعدونها قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ دلالة واضحة تدل على صدقى. و الظاهر أن المراد «المعجزة»، فإن الأنبياء كانوا مزوّدين بالإعجاز فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزانَ أخذا و عطاء، فلا تأخذوا زائدا و لا تعطوا ناقصا وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ من «بخس» بمعنى «نقص» أَشْياءَهُمْ أى لا تعطوهم ناقصا حيث إن الشىء المباع هو ملك المشترى، فيكون الشىء للناس، و لذا أضيف إليهم وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بأن

---

(۱) الحجر: ۷۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۰۸

[سورة الأعراف (۷): آية ۸۶]

وَ لا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ وَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ تَبْغُونَها عِوَجاً وَ اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (۸۶)

تعملوا بالمعاصى بَعْدَ إِصْلاحِها لا يراد بذلك الإصلاح التام، بل المعنى أن لا تأتوا بالفاسد مكان الصالح، فإن الفساد إنما يتدرج إلى المجتمع، أو المراد: لا تفسدوا بعد ما أصلح الأنبياء الأرض.

ذلِكُمْ الذى أمرتكم به من إتيان الواجبات و ترك المحرمات خَيْرٌ لَكُمْ أى أنفع مما أنتم فيه، و كأن الإتيان بصفة التفضيل فى أمثال المقام، للفضل المتوهم فى الطرف الآخر، مثلا: كان هؤلاء يزعمون أن ما يعملونه فى الفضل، فقيل لهم: إن ما تدعون إليه خير إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ و هؤلاء و إن لم يكونوا مؤمنين لكن الشرط فى أمثال المقام مرتبط بفعل مقدر، أى إن كنتم مؤمنين لعلمتم أنه خير لكم- كما ذكره أهل الأدب-.

[۸۷] وَ لا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ فإنهم كانوا قطاع طرق، يقعدون فى الطرق، يوعدون الناس بالقتل و الإيذاء إن لم يرضخوا للنهب و السلب وَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أى تمنعون عن إيمان الناس، فقد كانوا يمنعون الناس عن الإيمان بشعيب مَنْ آمَنَ بِهِ أى من أراد الإيمان، أو المراد صد المؤمنين عن القيام بوظائف الإيمان وَ تَبْغُونَها أى تطلبون السبيل عِوَجاً أى تريدون الطريق المعوجّ، و لا تريدون الطريق المستقيم، أو المراد تتصيدون الاعوجاج لسبيل الله تعالى، فإن أهل الباطل دائما يفكرون فى نقد الحق، حتى يروه للناس أعوج.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۰۹

[سورة الأعراف (۷): آية ۸۷]

وَ إِنْ كانَ طائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَ طائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنا وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ (۸۷)

وَ اذْكُرُوا أيها القوم إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فى العدد فَكَثَّرَكُمْ الله فإن جدّهم «مدين» كان واحدا، ثم كثروا، كما هو شأن كل قبيلة، فاشكروا أيها القوم هذه النعمة وَ انْظُرُوا تفكروا و تدبروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ من الأمم التى تقدمتكم، حيث أهلكت بعذاب الله سبحانه لما فسدوا و أفسدوا و خالفوا أوامر الله سبحانه، فخافوا أيها القوم نكال الله و عقابه.

[۸۸] و لا- يغرّنكم أيها القوم تفرق الناس عنى بين مؤمن و كافر، فإن المصلحين يتفرّق الناس عنهم فرقتين دائما، و قبل شروعهم فى الإصلاح، و يكون الناس حولهم فرقة واحدة مواليه، و لا يخفى أن هذا لا يكون سببا لأن يزعم كل من تفرّق الناس عنه فرقتين أنه مصلح و على حق، فإن العاقبة للحق و الضمائر تشهد بالصدق و الكذب، و هاتان علامتان مميزتان بين المحق و المبطل، و لذا تمسك شعيب عليه السّلام بقوله: «فاصبروا».

وَ إِنْ كانَ طائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ بأن صدقونى و قبلوا رسالتى وَ طائِفَةٌ أخرى لَمْ يُؤْمِنُوا بل جحدوا و بقوا على كفرهم

فَاصْبِرُوا أيها القوم، المؤمن منكم و الكافر حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنا فى الدنيا بإعلاء كلمة الدين و إبطال كلمة الكافرين، أما فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۱۰

الآخرة فهو شىء واضح وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ لأنه لا يجور فى الحكم، عن عمد أو غير عمد، بل يعطى كل ذى حق حقه، وَ إِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَ كَفى بِنا حاسِبِينَ «۱».

---

(۱) الأنبياء: ۴۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۱۱

تقريب القران الى الأذهان الجزء التّاسع من آية ۸۹ من سورة الأعراف إلى آية ۴۱ من سورة الأنفال

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۱۲

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۱۳

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۸۸ الى ۸۹]

قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا قالَ أَ وَ لَوْ كُنَّا كارِهِينَ (۸۸) قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها وَ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ (۸۹)

[۸۹] قالَ الْمَلَأُ جماعة الأشراف الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا رفعوا أنفسهم فوق مقدارها و عتوا و طغوا مِنْ قَوْمِهِ أى من قوم شعيب لَنُخْرِجَنَّكَ بكل تأكيد يا شُعَيْبُ وَ لنخرجنّ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أى بلدنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا «الملّة» هى الطريقة، أى ارجعوا كفارا كما كنتم، و العود فى الملة إما باعتبار الغالب، فأدخل فيه شعيبا عليه السّلام تغليبا، فإن المؤمنين به كانوا كفارا ثم آمنوا، أو لزعمهم أن شعيبا عليه السّلام كان منهم حيث كان أحدهم قبل ادّعاء النبوة، و إما بمعنى الصيرورة، فإن «عاد» يستعمل بمعنى «صار»، كما قال الشاعر:

تلك المكارم لا ثعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

قالَ شعيب عليه السّلام لهم: أ تعيدوننا فى ملتكم و تدخلوننا إليها أَ وَ لَوْ كُنَّا كارِهِينَ للدخول فيها؟ أى: أ تجبروننا على ذلك؟ و لعل القصد: إنكم لا تقدرون على ذلك فى حين كراهيتنا لذلك، فإن العقائد لا تزول بالإكراه و الإجبار.

[۹۰] ثم قال شعيب: إنه من المستحيل أن نتخذ طريقتكم، إذ قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بأن نجعل لله شريكا، و نحلّل حرامه، و نحرّم حلاله و ننسب كل ذلك إليه بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۱۴

بأن أوضح الحق و أقام الحجة عليه وَ ما يَكُونُ لَنا أى لا يجوز لنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا و هذا من التعليق على المحال، لأن الله لا يشاء الكفر و العصيان، كما قال: إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ «۱»، و قال: حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ «۲»، أو المراد مشيئة الله بسلب التوفيق منهم، و هذا ممكن بالنسبة إلى بعض المؤمنين الذين لا رسوخ لإيمانهم، كما ارتد بعضهم بعد رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و حيث أن العود بالنسبة إلى كل واحد واحد صح ذلك وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أى وسع علمه سبحانه كل شىء، فهو أعلم بالصلاح و أعلم بالواقع و الحقيقة، فما كان من عبادتنا لتوحيده، بأمره و نهيه، هو الصحيح دون ما أنتم عليه من الشرك و العناد عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنا فى أمورنا، فلا نخاف من تهديدكم بإخراجنا.

ثم دعا شعيب عليه السّلام قائلا: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِ و معنى «الفتح» النجاة و وضوح الحق، إذ الواقع فى المشكلة كأن الطريق مسدود أمامه، كما أن من يريد الهداية يرى الضلال حاجزا، فيطلب الفتح لهذا الحاجز و إزالته ليرى الحق، و قيد «بالحق»

توضيحى، لإفادة أن فتحه سبحانه بالحق، أو احترازى لأن الفتح يطلق على الفتح بالباطل- كما يفتح الكافر مدينة ما- و الفتح بالحق وَ أَنْتَ يا إلهنا

---

(۱) الزخرف: ۸۲.

(۲) الأعراف: ۴۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۱۵

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۹۰ الى ۹۱]

وَ قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ (۹۰) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ (۹۱)

خَيْرُ الْفاتِحِينَ فإن سائر الفاتحين قد يظلم عمدا أو خطأ أو جهلا، أما الله سبحانه فلا يحيد فتحه عن الحق، قيد شعرة.

[۹۱] ثم بيّن سبحانه ما قالت جماعة شعيب بعضهم لبعض وَ قالَ الْمَلَأُ أى جماعة الأشراف الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ أى من قوم شعيب، بعضهم لبعض: لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً فى دينه و طريقته إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ خسرتم منافعكم و طريقة آبائكم.

[۹۲] فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ أى الزلزلة، أو الصيحة، الموجبة للرجف و الاضطراب فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ أى محلهم و بلدهم جاثِمِينَ أى ميتين ملقين لا حراك فيهم.

فى المجمع: قيل: أرسل الله عليهم رمدة «أى هلاكا جعلهم كالرماد» و حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا أجواف البيوت، فدخل عليهم البيوت، فلم ينفعهم ظل و لا ماء و أنضجهم الحرّ، فبعث الله تعالى سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح و طيبها و ظل السحابة فتنادوا: «عليكم بها» فخرجوا إلى البرية فلما اجتمعوا تحتها ألهبها الله عليهم نارا و رجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى و صاروا رمادا و هو عذاب يوم الظلّة «۱».

---

(۱) مجمع البيان: ج ۴ ص ۳۰۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۱۶

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۹۲ الى ۹۳]

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الْخاسِرِينَ (۹۲) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسى عَلى قَوْمٍ كافِرِينَ (۹۳)

ثم

روى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: «أنه بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا» «۱».

[۹۳] الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً و لم يؤمنوا به و برسالته كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا «غنى بالمكان» يعنى: «أقام فيه» أى: كأن المكذبين لم يقيموا فى دارهم أصلا، حيث ذهبت أخبارهم و آثارهم الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً عاد اللفظ تأكيدا كانُوا هُمُ الْخاسِرِينَ فقد خسروا دينهم و دنياهم و آخرتهم، و هذا فى قبال قولهم: لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ

[۹۴] فَتَوَلَّى عَنْهُمْ شعيب، أى أعرض عنهم، إما قبل الهلاك- و تأخير هذه الجملة لما تقدم فى قصة قوم صالح- و إما حين الهلاك إذ أخذهم العذاب وَ قالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي و جمع «رسالات» باعتبار كل رسالة من مختلف الشؤون وَ نَصَحْتُ لَكُمْ بأن تتبعونى حتى تكونوا فى أمن و سلامة فَكَيْفَ آسى أى أحزن عَلى قَوْمٍ كافِرِينَ بعد أن قمت بواجب النصح و الإرشاد. و المراد بالاستفهام «كيف» النفى، أى: لا أحزن، فإنهم استحقوا العقاب بإعراضهم و استكبارهم و تمرّدهم.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۳۸۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۱۷

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۹۴ الى ۹۵]

وَ ما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنا أَهْلَها بِالْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (۹۴) ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَ قالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنَا الضَّرَّاءُ وَ السَّرَّاءُ فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۹۵)

[۹۵] ثم ذكر سبحانه أنه هكذا جرت عادة الناس بالنسبة إلى الأنبياء، و هكذا جرت سنة الله بالنسبة إلى المكذبين، تسلية للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و إيقاظا لمن أراد القيام بالأمر و النهى فى سبيل الله تعالى وَ ما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ المراد بها المدينة مِنْ نَبِيٍ لإرشادهم، فلم يؤمنوا به إِلَّا أَخَذْنا أَهْلَها أى أهل تلك القرية بِالْبَأْساءِ وَ الضَّرَّاءِ البأساء: الشدة، و الضراء: سائر أنواع الضرر لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ أى يتضرعون، بأن يتنبهوا و يتوبوا عن شركهم و كفرهم و معاصيهم.

[۹۶] ثُمَ بعد أخذهم بالبأساء و الضراء بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ بأن رفعنا عنهم الشدة و جعلنا الرفاه و الرخاء مكانها لعلهم يشكرون، كما قال سبحانه: فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ «۱»، فإن الله سبحانه يوقظ العصاة أولا بالشدة، فإن لم تنفع يوقظهم بالرفاه، فإن لم ينفع عذّبهم، حيث لم يفدهم لا الخوف و لا الإحسان حَتَّى عَفَوْا «العفو» هو:

الإغضاء عن الذنب، أى فعلوا الذنوب غاضين عنها، تاركين أنفسهم و شهواتها.

وَ إذا قيل لهم: إن الشدة و الرخاء للابتلاء و الإيقاظ، لم يصدقوا، بل قالُوا: هذه عادة الدنيا دائما ف قَدْ مَسَّ آباءَنَا الضَّرَّاءُ

---

(۱) الأنعام: ۴۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۱۸

[سورة الأعراف (۷): آية ۹۶]

وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (۹۶)

وَ السَّرَّاءُ ما يضر من الشدائد، و ما يسر من الرفاه، و ليسا للابتلاء و الإيقاظ فانسدت جميع أبواب الهداية فى وجوههم، و لم ينفعهم إرشاد الأنبياء، و لا الضراء و لا السراء فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً أى فجأة بدون إمهال وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ بالعذاب إلّا حين يرونه، و ربما كان هناك احتمال إقلاع، و هنا يأتى العذاب تدريجيا، كما حصل لقوم يونس عليه السّلام، أو إبلاغا للحجة إلى أقصاها، كما صنع بقوم صالح عليه السّلام.

ثم إن المؤمن و الكافر كلاهما يبتليان بالضراء و السراء، لكن هناك فرق؛ فضراء المؤمن مع صبر و ارتياح، و ضراء الكافر مع جزع و كمد، و سراء المؤمن مع بركة و أمن و اطمئنان، و سراء الكافر مع محق و قلق و اضطراب.

[۹۷] وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا بالله تعالى و بأنبيائه وَ اتَّقَوْا معاصيه و عملوا الصالحات لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ «البركات» الخيرات النامية، و فتح الخير من السماء بكثرة الأمطار، و طيب الهواء، و فتحه من الأرض بإخراج النبات و الثمار، و تفجّر العيون، إلى غيرهما من الخيرات المادية و المعنوية كاستجابة الدعاء و نحوها، و هذا إلى جنب كونه معنويا بلطفه سبحانه، كذلك يكون بالأسباب الظاهرة، فإن الإيمان و التقوى يوجبان سيادة مناهج الله تعالى و هى توجب الأخوة و التعاون مما يسببان ازدهار الحياة و تعميم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۱۹

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۹۷ الى ۹۹]

أَ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَ هُمْ نائِمُونَ (۹۷) أَ وَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى وَ هُمْ يَلْعَبُونَ (۹۸) أَ فَأَمِنُوا مَكْرَ

اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ (۹۹)

الرفاه و الأمن، كما أن الكفر و العصيان سببان لعكس ذلك وَ لكِنْ كَذَّبُوا الرسل و لم يؤمنوا فَأَخَذْناهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ أى بسبب كسبهم المعاصى و الآثام.

[۹۸] ثم ذكر سبحانه أن أهل المعاصى لا بد لهم أن يترقبوا العقاب و النكال أ فَأَمِنَ أى هل يأمن أَهْلُ الْقُرى المكذبون للرسل العاصون لله سبحانه أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا أى عذابنا بَياتاً أى ليلا وَ هُمْ نائِمُونَ فى أمن و راحة و اطمئنان؟ و المعنى: أنهم يجب أن لا يأمنوا ذلك.

[۹۹] أ وَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرى الهمزة للاستفهام، و الواو للعطف، أى و هل يأمن أهل البلاد أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا نكالنا و عقابنا ضُحًى نهارا عند ارتفاع الشمس وَ هُمْ يَلْعَبُونَ فى أمن و اطمئنان، أنهم إن عصوا فلن يكونوا آمنين فى أحسن أوقات أمنهم ليلا و لا نهارا.

[۱۰۰] أ فَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ المكر: العلاج الخفى، و إن غلب استعماله عرفا فى معالجة الأشياء بالباطل، أى يجب أن لا يأمن أحد من مكر الله، و تسبيبه الأسباب للنكال به فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ الذين خسروا أنفسهم، و لا ينكرون من أمرهم، و إلا فالمؤمنين يخافون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۲۰

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۰۰ الى ۱۰۱]

أ وَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (۱۰۰) تِلْكَ الْقُرى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبائِها وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الْكافِرِينَ (۱۰۱)

سوء العاقبة الموجب للنكال و العقاب، و المعصومون خارجون عن العموم لأن مصب الكلام حول العصاة- فإنه عبارة أخرى عن وجوب حذر العصاة- أو داخلون باعتبار احتمال صدور ترك الأولى منهم، الموجب لعدم بلوغ بعض الدرجات الرفيعة، كما قال سبحانه: وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً «۱».

[۱۰۱] أ وَ لَمْ يَهْدِ أى: ألم يتبه و يرشد لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها أى الذين صاروا خلفاء لآبائهم و أجدادهم، من بعد ما أفنينا أولئك، و أبحنا الأرض لهؤلاء، أى أليس يعرف الناس مما رأوه من عذاب الأمم السابقة- حينما عصوا- أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ و أخذناهم بِذُنُوبِهِمْ كما أهلكنا الأمم السابقة وَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ بأن نعلمها بعلامة الكفر، أو نغفلها حتى لا تعقل شيئا، و ذلك بسبب اقترافهم الجرائم و الآثام- كما سبق- فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ الوعظ و لا يقبلونه.

[۱۰۲] تِلْكَ الْقُرى التى هلكت و اضمحلت نَقُصُّ عَلَيْكَ يا رسول الله مِنْ أَنْبائِها أى أخبارها لتنظر فيها بنظر الاعتبار، و تخبر بها المسلمين و غير المسلمين حتى يعتبروا وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ أى الأدلة

---

(۱) طه: ۱۱۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۲۱

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۰۲ الى ۱۰۳]

وَ ما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَ إِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ (۱۰۲) ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى بِآياتِنا إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ فَظَلَمُوا بِها فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (۱۰۳)

الواضحة الدالة على المرسل و الرسول فأهلكناهم لأنهم تمادوا فى غيهم و لم يكن احتمال إقلاعهم عن كفرهم و عصيانهم إذ ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ إنهم كانوا كذلك حسب علمنا بكامن قلوبهم كَذلِكَ أى كما طبع على قلوب هؤلاء، بمعنى أنها لم تكن

قابلة للهداية بسوء صنيعها، كمن صارت المعصية ملكة له فلا يقدر عادة على تركها كذلك يَطْبَعُ اللَّهُ عَلى قُلُوبِ الْكافِرِينَ و قد مرّ مرارا معنى «الطبع» و أنه بسوء اختيار الشخص، لا أنه ظلم من الله- تعالى عن ذلك- بالنسبة إلى الكافر.

[۱۰۳] وَ ما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ أى أكثر الذين أهلكوا مِنْ عَهْدٍ أى كانوا ينقضون العهود و المواثيق، يقال: «لا عهد لفلان»، أى لا يفى بعهده، و المراد ب «العهد»، إما ما أودع فى فطرة كل أحد من الإيمان، و إما ما كان مأخوذا من الناس على لسان الأنبياء، و تصح نسبة عدم العهد إلى الأبناء، بملاحظة التعهد مع الآباء، و لذا من عاهد قبيلة أن لا يحاربها خمسين سنة، كان الأبناء ملزمين بما التزم به آباؤهم وَ إِنْ وَجَدْنا أى قد وجدنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ خارجين من الوفاء بالعهد، فإن الفسق بمعنى الخروج عن الطاعة.

[۱۰۴] ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ أى بعد الرسل الذين تقدمت أسماؤهم، أو

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۲۲

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۰۴ الى ۱۰۵]

وَ قالَ مُوسى يا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (۱۰۴) حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ (۱۰۵)

بعد هلاك الأمم السالفة مُوسى عليه السّلام بِآياتِنا أى مع دلائلنا و حججنا إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ أى قومه، أو الأشراف منهم، و إنما خصّوا لأنه عليه السّلام قصدهم أولا و بالذات فَظَلَمُوا أى ظلم فرعون و ملأه أنفسهم بها أى بسبب تلك الآيات، فإن نزولها صار سببا لظلم أنفسهم، و لو لا أنها نزلت لم يظلموا، لأنه لم تكن حينئذ شريعة أصلا، و هذا مجاز فى النسبة كقوله سبحانه: وَ لا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَساراً «۱»، فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ أى انظر يا رسول الله، أو كل من يأتى منه النظر، و المراد ب «النظر» التدبر و التفكر، فيما آل إليه أمر المفسدين، من الهلاك و الغرق.

[۱۰۵] وَ قالَ مُوسى يا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ أى إنى رسول إليك، من الله تعالى، و قد كان فرعون يقول أنه الإله، كما قال سبحانه: فَحَشَرَ فَنادى فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى «۲».

[۱۰۶] حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَ أى واجب علىّ أن أقول الحق، و لا أنسب إلى الله إلّا الصدق، فإن الجدير بالنبى أن يقول ما قاله سبحانه، لا أن ينسب إليه تعالى الباطل و الكذب قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ

(۱) الإسراء: ۸۳.

(۲) النازعات: ۲۴ و ۲۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۲۳

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۰۶ الى ۱۰۸]

قالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِها إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۱۰۶) فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ (۱۰۷) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ (۱۰۸)

مِنْ رَبِّكُمْ أى بحجة دالة على صدق كلامى، و المراد بها الجنس لا حجة واحدة فَأَرْسِلْ يا فرعون مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ فإن فرعون كان قد سخّر بنى إسرائيل للأعمال كالبناء و نحوه. و المراد بإرسالهم:

التخلية بين بنى إسرائيل و بين موسى عليه السّلام ليوجّههم حسب الشريعة.

و فى بعض التفاسير أنه عليه السّلام أرادهم ليذهب بهم إلى الأرض المقدسة موطن آبائهم و أجدادهم.

[۱۰۷] قالَ فرعون: إِنْ كُنْتَ يا موسى جِئْتَ بِآيَةٍ أى حجة تدل على صدق نبوتك فَأْتِ بِها إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فى أنك رسول رب العالمين.

[۱۰۸] فَأَلْقى موسى عليه السّلام عَصاهُ التى كانت بيده، و كانت من الجنة فَإِذا هِيَ تنقلب إلى ثُعْبانٌ مُبِينٌ أى حية كبيرة عظيمة فتحت فاها لتلتقم قصر فرعون الذى كان طوله ثمانين ذراعا. و هنا خاف فرعون و الحاشية، و هربوا، و أحدث فرعون من الخوف، و التمس موسى أن يردّها، فردّها و إذا بها ترجع عصا كالسابق.

[۱۰۹] وَ نَزَعَ موسى عليه السّلام يَدَهُ أى جعلها تحت إبطه، ثم أخرجها فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنَّاظِرِينَ أى صارت اليد أكثر ضياء من الشمس، ثم أعادها إلى إبطه و أخرجها فإذا بها كحالتها السابقة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۲۴

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۰۹ الى ۱۱۳]

قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ (۱۰۹) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَما ذا تَأْمُرُونَ (۱۱۰) قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ أَرْسِلْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (۱۱۱) يَأْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ (۱۱۲) وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ (۱۱۳)

[۱۱۰] و لما رأوا هاتين المعجزتين العظيمتين تحيروا، و هنا تدخلت الحاشية فى الأمر ليخفّفوا من روع فرعون قالَ الْمَلَأُ أى جماعة الأشراف مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هذا أى موسى عليه السّلام لَساحِرٌ عَلِيمٌ بالسحر، و أنه صنع ما صنع سحرا لا معجزة.

[۱۱۱] يُرِيدُ أى موسى عليه السّلام أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ باستمالة قلوب بنى إسرائيل و سائر الناس إلى نفسه حتى يغلب عليكم. و من الواضح أن شخصا إذا غلب يهرب أعضاء الحكومة السابقة خوفا منه فَما ذا تَأْمُرُونَ أن نصنع لاتقاء خطر موسى عليه السّلام؟

[۱۱۲] قالُوا أى قال الملأ فى جواب فرعون الذى سأل «ماذا تأمرون»:

أَرْجِهْ أمر من «أرجأ» بمعنى «أخّر»، أى أخّره و اضرب معه موعدا، و لا تعجل فى الحكم له أو عليه وَ أَخاهُ أى و أخّر أخاه هارون معه وَ أَرْسِلْ فِي الْمَدائِنِ التى حولك، جمع «مدينة» أى ابعث إلى البلدان الأخرى حاشِرِينَ أى أناسا جامعين للسحرة ليأتوا و يقابلوه بمثل سحره.

[۱۱۳] يَأْتُوكَ أولئك المبعوثون بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ فاستحسن فرعون رأيهم و أرسل فى طلب السحرة.

[۱۱۴] وَ جاءَ السَّحَرَةُ و فى عددهم خلاف: من سبعين، إلى ثمانين ألف فِرْعَوْنَ أى جاءوا إليه قالُوا إِنَّ لَنا لَأَجْراً أى عوضا على عملنا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۲۵

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۱۴ الى ۱۱۷]

قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (۱۱۴) قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (۱۱۵) قالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جاؤُ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (۱۱۶) وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ (۱۱۷)

إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ على موسى.

[۱۱۵] قالَ فرعون: نَعَمْ لكم الأجر إن غلبتموه وَ إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ إلىّ، فأكرمكم و أجعلكم فى عداد المقربين إلى.

[۱۱۶] قالُوا أى قال السحرة: يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ عصاك أنت أولا وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ لما معنا من السحر؟

[۱۱۷] قالَ لهم موسى عليه السّلام: أَلْقُوا ما معكم أولا فَلَمَّا أَلْقَوْا حبالهم و عصيّهم التى كانت آلة سحرهم سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ فقد احتالوا فى تحريك العصى و الحبال بما جعلوا فيها من الزئبق حتى تتحرك بحرارة الشمس، و غير ذلك من أنواع التمويه، و خيّل إلى الناس أنها تتحرك، و قد ظن الناس أنها حيات تتحرك، و ما شعروا أنها حبال تحرّكها حرارة الشمس بما فيها من الزئبق وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ أى أرهبوهم، فإن الناس خافوا من حيّاتهم وَ جاؤُ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ فإن الحبال الكثيرة المختلفة الألوان و الكيفية إذا صارت كلها حيات- فى أعين الناس- تركب بعضها على بعض يكون عظيما لدى الناظر.

[۱۱۸] وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى عليه السّلام حين ذاك أَنْ أَلْقِ عَصاكَ التى هى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۲۶

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۱۸ الى ۱۲۱]

فَوَقَعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۱۸) فَغُلِبُوا هُنالِكَ وَ انْقَلَبُوا صاغِرِينَ (۱۱۹) وَ أُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ (۱۲۰) قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ (۱۲۱)

معك، فألقاها فصارت ثعبانا مدهشا فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ أى تلقم و تأكل ما يَأْفِكُونَ أى إفكهم، و المراد به حيّاتهم و عصيّهم، فإن العصا أخذت تأكل الحبال ثم توجهت إلى الناس، فأخذوا فى الهرب، و قتل تحت الأيدى و الأرجل جمع كثير، ثم أخذها موسى عليه السّلام فإذا بها عصا، و هناك قال السحرة: لو كان هذا سحرا لم تأكل حبالنا، فلا بد و أن يكون إعجازا من رب السماء.

[۱۱۹] فَوَقَعَ أى ظهر الْحَقُّ و هو أمر موسى عليه السّلام و نبوته وَ بَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ من التمويهات، أى ظهر بطلانها.

[۱۲۰] فَغُلِبُوا أى غلب موسى عليه السّلام فرعون و ملأه، و بهت أولئك هُنالِكَ أى من ذلك المكان وَ انْقَلَبُوا أى انصرف فرعون و ملأه صاغِرِينَ أذلّاء مقهورين.

[۱۲۱] وَ أُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ فإن السحرة لما شاهدوا تلك الآيات، و علموا أن موسى عليه السّلام نبى من عند الله تعالى، لم يتمالكوا أنفسهم إلّا و سجدوا إذعانا لله سبحانه، و التعبير ب «ألقى» مبنى للمجهول، لأجل إفادة معنى عدم تمالك النفس، و أن ما رأوا من الآيات هى التى سببت أن يسجدوا.

[۱۲۲] قالُوا أى قال السحرة: آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ صدّقناه و اعترفنا بوجوده، و كفرنا بألوهية فرعون.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۲۷

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۲۲ الى ۱۲۴]

رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ (۱۲۲) قالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (۱۲۳) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (۱۲۴)

[۱۲۳] رَبِّ مُوسى وَ هارُونَ و إنما خصّوهما بالذكر، بعد قولهم «رب العالمين» لأنهما دعيا إلى الإيمان بالله.

[۱۲۴] قالَ فِرْعَوْنُ حين رأى إيمان السحرة: آمَنْتُمْ بِهِ أى بموسى عليه السّلام و الاستفهام للتوبيخ و الإنكار قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ أى قبل أن تحصلوا على إذنى، فإنه كان يرى نفسه المستحق لأن يأذن بالإيمان، و أن الإيمان بدون إذنه موجب للعقوبة إِنَّ هذا أى هذا الإيمان بهذه الكيفية لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ فإنه أراد أن يلبس على الناس أن إيمان السحرة ليس على علم و اعتقاد، و إنما عن تواطؤ من موسى و السحرة لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها أى صنعتم هذا المكر لأن تسودوا أنتم فى البلاد، و تخرجوا من المدينة أهلها، و المراد بهم فرعون و ملأه، فإنه إذا جاءت سلطة جديدة، تجبر أهل السلطة القديمة بالفرار وقاية لأنفسهم من السجن و القتل فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أيها السحرة عاقبة أمركم و جزاء عملكم.

[۱۲۵] لَأُقَطِّعَنَ بكل تأكيد أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ أيها السحرة مِنْ خِلافٍ أى من كل شق طرفا، كاليد اليمنى و الرجل اليسرى، أو بالعكس. و كانوا يعملون ذلك لبقاء التوازن فى الجملة للجسد، إذ لو كان القطع من طرف واحد، لم يكن لذلك الطرف رجل يمشى بها، و لا يد يتكئ بها على العصا ثُمَ بعد القطع لَأُصَلِّبَنَّكُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۲۸

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۲۵ الى ۱۲۷]

قالُوا إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ (۱۲۵) وَ ما تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِينَ (۱۲۶) وَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَ تَذَرُ مُوسى وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ قالَ سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ (۱۲۷)

و «الصلب» هو الشد على الخشبة حتى يموت، و قد كان يطول بقاء المصلوب يوما و أكثر أَجْمَعِينَ فلا أدع منكم أحدا.

[۱۲۶] قالُوا أى قال السحرة: إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ «الانقلاب» هو الرجوع، و المعنى: إنك إن صلبتنا فإنا إلى جزاء الله و ثوابه نرجع، فلا يضرنا شيء. و غرضهم بيان صبرهم على ما ينزل بهم من الشدة، و أنهم مصممون على استمرارهم في الإيمان.

[۱۲۷] وَ ما تَنْقِمُ «النقمة» الإنكار، أي: ما تكره مِنّا و ما تطعن فينا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا أى دلائله و حججه لَمَّا جاءَتْنا فليس لنا ذنب سوى ذلك رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً أى اصبب علينا الصبر عند ما يفعل بنا من القطع و الصلب وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِينَ أى وفّقنا للثبات على الإسلام إلى وقت الوفاة حتى نموت على الإيمان و الإسلام. و في أن فرعون صلب هؤلاء أم لا، خلاف بين المفسرين.

[۱۲۸] وَ قالَ الْمَلَأُ أى جماعة الأشراف مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ بعد أن رأوا غلبة موسى عليه السّلام و إيمان جمع به أَ تَذَرُ أى هل تبقى يا فرعون مُوسى وَ قَوْمَهُ و هم بنو إسرائيل لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بإظهار التوحيد، و أنك لست بإله وَ يَذَرَكَ أى يتركك موسى، فلا يعتنى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۲۹

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۲۸]

قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (۱۲۸)

بك وَ يذر آلِهَتَكَ جمع «إله»، فقد كان يدّعى الربوبية، و جعل لهم آلهة أيضا، فكانوا يعبدون البقر و الأصنام. و قد كان الاستفهام منهم تحريضا لفرعون، حتى يقضى على موسى عليه السّلام قالَ فرعون فى جوابهم: سَنُقَتِّلُ أَبْناءَهُمْ أى سوف نكثر فى أبناء قوم موسى القتل حتى لا يبقى منهم أحد يصلح للقتال و الإفساد وَ نَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ أى نستبقيهن أحياء للخدمة و الاستمتاع إذلالا لهم، و إماتة لكلماتهم وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قاهِرُونَ بيدنا القوة و الجند و السلاح و الملك فلا يتمكنون من مقاومتنا.

[۱۲۹] قد كان فرعون يفعل ذلك ببنى إسرائيل، لما علم أن زوال ملكه بيد أحدهم، و لما ظهر موسى عليه السّلام كفّ عن ذلك خوفا، و بعد ما حثه قومه على الانتقام، عزم على العودة إلى ما كان يفعله سابقا، و لما علم بذلك بنو إسرائيل شكوا إلى موسى عليه السّلام ف قالَ مُوسى عليه السّلام لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ فى دفع بلاء فرعون عن أنفسكم وَ اصْبِرُوا على أذى فرعون أياما قليلة، فلا ترجعوا عن دينكم، و لا تظهروا الجزع إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ تعالى يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أى ينقلها بإماتة السابقين أو إقصائهم، و يجعلها فى أيدى الآخرين، كما أن الإرث كذلك فى الجملة وَ الْعاقِبَةُ الحسنة لِلْمُتَّقِينَ الذين يتقون الله تعالى، فإنهم يجلبون بذلك خير الدنيا و سعادة الآخرة، مع رضا الله سبحانه عنهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۳۰

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۲۹ الى ۱۳۱]

قالُوا أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَ مِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا قالَ عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (۱۲۹) وَ لَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (۱۳۰) فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۱۳۱)

[۱۳۰] قالُوا أى قال بنو إسرائيل، لما سمعوا جواب موسى بالصبر، و أنه لا يريد دفع فرعون عاجلا: أُوذِينا أى عذّبنا من قبل فرعون مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا و تبعث فينا بالرسالة وَ مِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا و بعثت إلينا رسولا، فلم ننتفع بك فى دفع الأذى قالَ موسى عليه السّلام واعدا إياهم بالنجاة: عَسى رَبُّكُمْ أى لعل الله سبحانه أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ فرعون و ينقذكم منه وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ أى يجعلكم خلفاءه و القائمين مقامه فى البلاد فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ بعد ما ملكتم الأرض، هل تفسدون كما أفسد فرعون أم تصلحون، فإن الله سبحانه يجازى البشر بعملهم لا بعلمه فيهم.

[۱۳۱] ثم بيّن سبحانه ما فعله بآل فرعون من النكال و العقاب جزاء بما كانوا يقترفونه من المعاصى و الآثام وَ لَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ «السنين» الأعوام المقحطة، يقال: «أخذتهم السنة» إذا كانت سنة مقحطة مجدبة، أى عاقبناها بالجدب و القحط وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ فإن أشجارها كانت تحمل أثمارا قليلة، و هذا غير جدب أراضيهم لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ أى لكى يذكروا عذاب الله فيرجعوا إلى

الإيمان.

[۱۳۲] فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ أى أصابهم الخير كالخصب و السعة و الصحة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۳۱

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۳۲]

وَ قالُوا مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِها فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (۱۳۲)

و ما أشبه قالُوا لَنا هذِهِ أى إنا نستحق ذلك، و هذا من حسن حظنا، و علوّ طالعنا، فلم يكونوا يشكرون الله سبحانه على ما أنعم عليهم وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ كالجوع و القحط و المرض و نحوها يَطَّيَّرُوا أصله «يتطير» فأدغمت التاء فى الطاء بِمُوسى وَ مَنْ مَعَهُ من المؤمنين، فكانوا يقولون: هذا من شؤم موسى و سوء طالعه، و الأصل فى التطير ما كان العرب تزعمه من أن الطير إذا جاء من طرف شمال الإنسان كان شرا و إذا جاء من طرف يمينه كان خيرا، ثم غلب التطيّر فى القسم الأول، فإذا قيل: «تطيّر» أريد أنه «تشاءم».

فكان آل فرعون يرون البلايا من موسى عليه السّلام و لم يكونوا يعلمون أنها من سوء أعمالهم أَلا أى تنبيه أيها المخاطب إِنَّما طائِرُهُمْ و الشؤم الذى كان يلحق بهم لم يكن من عند موسى و لأجله بل من عِنْدَ اللَّهِ فإنه كان يضربهم بالبلاء عقوبة لأعمالهم وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ذلك بل كانوا يزعمون الشؤم من موسى عليه السّلام.

[۱۳۳] وَ قالُوا أى قال فرعون و ملأه لموسى عليه السّلام: مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا أى: أى شىء من المعجزات لتموّه علينا بها بسببها، تريد بذلك أن نؤمن بما تدعو إليه فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ و لا نصدّقك فيما جئت به من الألوهية و الرسالة و الوعد و الوعيد.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۳۲

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۳۳]

فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ وَ الْجَرادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفادِعَ وَ الدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (۱۳۳)

[۱۳۴] فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ هو الماء الغالب على أبنيتهم و أشجارهم حتّى خربها وَ الْجَرادَ حتّى أكل أشجارهم و زرعهم وَ الْقُمَّلَ هو السوس الذى يخرج من الحنطة و نحوها وَ الضَّفادِعَ جمع «ضفدع» حتى كان يثب فى أوانيهم و قدورهم و يكثر فى بيوتهم و محلاتهم حتّى عجزوا عنها وَ الدَّمَ فقد انقلب ماء النيل دما فكانوا لا يتمكنون من شرب و لا يهنؤون بأكل و طعام آياتٍ مُفَصَّلاتٍ أى معجزات فصّلت بعضها عن بعض، ظاهرات واضحات فَاسْتَكْبَرُوا أى تكبروا عن قبول الحق بعد كل ذلك وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ عاصين ذوى كفر و إجرام.

روى أن السحرة لما سجدوا و آمن بموسى جمع من آل فرعون قال هامان لفرعون- و كان وزيره-: إن الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل فى دينه فاحبسه، فحبس كل من آمن به من بنى إسرائيل، فجاء إليه موسى، فقال له: خلّ عن بنى إسرائيل، فلم يفعل، فأنزل الله عليهم فى تلك السنة الطوفان، فخرّب دورهم و مساكنهم حتى خرجوا إلى البرية و ضربوا الخيام، فقال فرعون لموسى: ادع ربك حتى يكف عنا الطوفان فأخلّى عن بنى إسرائيل و أصحابك، فدعا موسى ربه فكفّ عنهم الطوفان و همّ فرعون أن يخلى عن بنى إسرائيل، فقال له هامان: إن خليت عن بنى إسرائيل غلبك موسى و أزال ملكك، فقبل منه و لم يخلّ عن بنى إسرائيل، فأنزل عليهم فى السنة الثانية الجراد فجردت كل شىء كان لهم من النبت و الشجر حتى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۳۳

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۳۴]

وَ لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائِيلَ (۱۳۴)

كانت تجرد شعورهم و لحاهم، فجزع فرعون من ذلك جزعا شديدا، و قال: يا موسى ادع ربك أن يكف عنا الجراد حتى أخلى عن

بنى إسرائيل و أصحابك، فدعا موسى ربه فكفّ عنهم الجراد.

فلم يدعه هامان أن يخلى عن بنى إسرائيل فأنزل الله عليهم القمّل فذهب زرعهم و أصابتهم المجاعة فقال فرعون لموسى: إن دفعت عنا القمل كففت عن بنى إسرائيل، فدعا موسى ربه حتى ذهب القمل، فلم يخلى عن بنى إسرائيل، فأرسل الله عليهم بعد ذلك الضفادع فكانت تكون فى طعامهم و شرابهم، فجزعوا من ذلك جزعا شديدا، فجاءوا إلى موسى فقالوا: ادع الله يذهب عنا الضفادع فإنا نؤمن بك و نرسل معك بنى إسرائيل، فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم ذلك، فلما أبوا أن يخلوا عن بنى إسرائيل حوّل الله ماء النيل دما فكان القبطى يراه دما و الإسرائيلى يراه ماء فإذا شربه الإسرائيلى كان ماء و إذا شربه القبطى كان دما، فجزعوا من ذلك جزعا شديدا فقالوا لموسى: لئن رفع عنا الدم لنرسلن معك بنى إسرائيل، فلما رفع الله عنهم الدم غدروا و لم يخلوا عن بنى إسرائيل.

[١٣٥] وَ لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ «الرجز» العذاب، فقد أصابهم ثلج أحمر و لم يروه قبل ذلك فماتوا فيه و جزعوا و أصابهم ما لم يعهدوا من قبل قالُوا أى فرعون و ملأه: يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ أى بما تقدم إليك أن تدعوه به، فإنه يجيبك كما أجابك سابقا لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا هذا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ بما جئت به من التوحيد و النبوة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٢٣۴

[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٣۵ الى ١٣۶]

فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلى أَجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣۵) فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ كانُوا عَنْها غافِلِينَ (١٣۶)

وَ لَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائِيلَ فنطلق سراحهم من السجون و من تسخيرهم بالأعمال الشاقة.

[١٣۶] فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ بدعاء موسى عليه السّلام، و معنى «كشف الرجز» رفع العذاب إِلى أَجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ أى: إن رفعنا العذاب كان لأجل أن يبلغوا المدّة المحدودة المقدرة لهم، إذ لم يقدّر موتهم فى ذلك الوقت الذى نزل بهم الرجز فيه إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ أى يخالفون و ينقضون عهدهم فلا يؤمنون و لا يطلقون بنى إسرائيل.

[١٣٧] فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ أى عذّبناهم جزاء بما فعلوا من الكفر و المعاصى فَأَغْرَقْناهُمْ فِي الْيَمِّ أى فى البحر بِأَنَّهُمْ أى بسبب أنهم كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ كانُوا عَنْها أى عن الآيات غافِلِينَ بمعنى أنهم كانوا يعملون عمل الغافل عن الآيات، إذ الملتفت العاقل لا يخالف و لا يكذب، أو المراد غافلين عن عواقب الآيات، كما يقال: «فلان غافل عن أمر السلطة» أى عن عواقبه السيئة فيما إذا خالف.

و فى بعض الروايات: أنه بعد نزول الثلج خلّى عن بنى إسرائيل فاجتمعوا إلى موسى فى مصر و اجتمع إليه من كان هرب من مصر و بلغ فرعون ذلك، فقال هامان: قد نهيتك أن تخلّى عن بنى إسرائيل فقد استجمعوا إليه، فجزع فرعون، و فرّ موسى إلى الخارج و اتبعهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٢٣۵

[سورة الأعراف (٧): آية ١٣٧]

وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا الَّتِي بارَكْنا فِيها وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ بِما صَبَرُوا وَ دَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)

فرعون، حتى وصلوا إلى البحر، فدخل موسى و من معه البحر بعد ما انشق لهم طرقا، و لما بلغوا منتصف البحر- و هو البحر الأحمر- دخل فرعون و جنوده البحر و لما بلغ موسى آخر البحر و خرجوا، كان فرعوا قد بلغ منتصفه- و عرضه أربع فراسخ تقريبا- و هناك أطبق الماء على أصحاب فرعون، و أغرقوا أجمعين.

[١٣٨] وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كانُوا يُسْتَضْعَفُونَ يعنى: أعطينا بنى إسرائيل الذين كانوا مستضعفين، فإن القبط كانوا يستضعفونهم، فأورثهم الله مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا أى مشارق الأرض التى كانوا فيها، و مغاربها يعنى أرض الشام، فإن بنى إسرائيل ملكوها بعد

الفراعنة و العمالقة الَّتِی بارَكْنا فِیها بإخراج الزرع و الثمار و سائر صنوف النبات و الأشجار وَ تَمَّتْ و ثبتت كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنی صفة «كلمة» أی الكلمة الحسنة التی وعدها الله عَلی بَنِی إِسْرائِیلَ فإنه أنجز وعده بإهلاك أعدائهم و استخلافهم فی الأرض و كان تمام الكلمة الحسنی بسبب ما صَبَرُوا علی أذی فرعون متمسكین بدینهم، و قیل المراد ب «الكلمة الحسنی» ما بیّنه سبحانه فی محل آخر بقوله:

وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِینَ إلی قوله- یَحْذَرُونَ «۱».

---

(۱) القصص: ۶ و ۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۳۶

[سورة الأعراف (۷): الآیات ۱۳۸ الی ۱۳۹]

وَ جاوَزْنا بِبَنِی إِسْرائِیلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلی قَوْمٍ یَعْكُفُونَ عَلی أَصْنامٍ لَهُمْ قالُوا یا مُوسَی اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (۱۳۸) إِنَّ هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِیهِ وَ باطِلٌ ما كانُوا یَعْمَلُونَ (۱۳۹)

وَ دَمَّرْنا أی نسفنا و أهلكنا ما كانَ یَصْنَعُ فِرْعَوْنُ من الأبنیة و القصور وَ ما كان یصنعه قَوْمُهُ من المنازل و المزارع وَ ما كانُوا یَعْرِشُونَ من الأشجار و الأعناب و الثمار، أی یجعلون له عریشا و سقفا.

[۱۳۹] وَ جاوَزْنا بِبَنِی إِسْرائِیلَ الْبَحْرَ أی قطعنا لهم بحر مصر الأحمر بأن جعلنا لهم فیه طرقا یابسة لیعبروا فلما عبروا فَأَتَوْا عَلی قَوْمٍ أی مرّوا علی جماعة یَعْكُفُونَ عَلی أَصْنامٍ لَهُمْ أی یقبلون علیها ملازمین لها مقیمین عندها قالُوا یا مُوسَی اجْعَلْ لَنا إِلهاً مجسما حتی نعبده كَما لَهُمْ آلِهَةٌ یعبدونها قالَ موسی علیه السّلام: إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ربكم و لا تعظّمونه فإنه لا یجوز أن تعبد الأصنام، لأنه شرك بالله سبحانه.

[۱۴۰] إِنَّ هؤُلاءِ القوم الذین یعبدون الأصنام مُتَبَّرٌ أی مدمّر مهلك، من «التبار» بمعنی الهلاك ما هُمْ فِیهِ من عبادة الأصنام، أی أن هذه العبادة توجب الهلاك و الدمار وَ باطِلٌ ما كانُوا یَعْمَلُونَ أی أن عملهم باطل لا نصیب له من الحق و الحقیقة.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۳۷

[سورة الأعراف (۷): الآیات ۱۴۰ الی ۱۴۱]

قالَ أَ غَیْرَ اللَّهِ أَبْغِیكُمْ إِلهاً وَ هُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَی الْعالَمِینَ (۱۴۰) وَ إِذْ أَنْجَیْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ یَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ یُقَتِّلُونَ أَبْناءَكُمْ وَ یَسْتَحْیُونَ نِساءَكُمْ وَ فِی ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِیمٌ (۱۴۱)

[۱۴۱] ثم قالَ موسی علیه السّلام لقومه علی نحو الاستنكار و التوبیخ:

أَ غَیْرَ اللَّهِ أَبْغِیكُمْ إِلهاً أی ألتمس و أطلب لكم إلها غیر الله، إن هذا لا یكون أبدا وَ الحال أنه إلهكم الوحید و هُوَ الذی فَضَّلَكُمْ عَلَی الْعالَمِینَ أی عالمی زمانهم، فإنه هو المعطی المفضل، فكیف أتخذ إلها غیره؟! [۱۴۲] ثم خاطب الله سبحانه بنی إسرائیل الموجودین فی زمان الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیعدّد نعمه علیهم، استدراجا لهم إلی الإیمان، و تذكیرا بما سبق لهم منه سبحانه من الإحسان وَ اذكروا یا بنی إسرائیل إِذْ أَنْجَیْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خلّصناكم منهم، و المراد ب «آل فرعون» قومه و ذووا السلطة فی ملكه، حین كانوا یَسُومُونَكُمْ أی یولونكم و یفعلون بكم- من «سام فلانا» إذا عذبه و أذلّه- سُوءَ الْعَذابِ أی العذاب السیئ.

ثم بیّن سبحانه طرفا من ذلك العذاب بقوله: یُقَتِّلُونَ أَبْناءَكُمْ «التقتیل» تفعیل من القتل، أی یكثرون القتل فی الذكور منكم. فقد كان فرعون یقتل أولاد بنی إسرائیل، لئلّا یولد فیهم مولود ذكر یذهب بملكه- حسب ما أخبره المنجّمون- ثم بعد ذلك و إن علم بموسی و أرسل إلیه، أخذ یقتل الذكور ثانیة، لئلّا یجتمعون حول موسی و تقوی شوكته فیعارضوه فی سلطانه وَ یَسْتَحْیُونَ نِساءَكُمْ أی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۳۸

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۴۲]

وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَ قالَ مُوسى لِأَخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (۱۴۲)

يستبقونهن أحياء للخدمة و الاستمتاع و الإذلال وَ فِي ذلِكُمْ أى فى تخلية فرعون و ما يفعل بكم بَلاءٌ أى ابتلاء مِنْ رَبِّكُمْ من قبله سبحانه ليجازى الصابرين عَظِيمٌ أو المعنى: فى طرف ما فعل بكم من النجاة «بلاء» أى نعمة، فإنه يأتى بمعناها «من» طرف ربكم «عظيم» حيث تفضل عليكم بنعمة النجاة من ذلك الشقى.

[۱۴۳] ثم ذكر سبحانه تمام نعمه على بنى إسرائيل فقال: وَ واعَدْنا أى وعدنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً فقد روى أن موسى عليه السّلام لما كان بمصر وعد بنى إسرائيل أنه إذا أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون و ما يذرون، فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب، فوعد الله موسى أن يأتى إلى الطور و يصوم ثلاثين يوما ثم يعطيه الكتاب الذى فيه الشرائع. و لعل ذكر «ليلة» دون «يوم» لأجل أن الليل أقرب إلى المناجاة، فإن الظلمة تشع فى النفس الانقطاع و الخوف و الرجاء، مما يجعل الإنسان أقرب إلى الله سبحانه من النهار، و لذا كان العبّاد يتخذونها ميقاتا لعبادتهم وَ أَتْمَمْناها أى أكملنا الثلاثين ليلة بِعَشْرٍ ليال حتى صار المجموع أربعين فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أى الوقت المضروب لإعطاء الكتاب أَرْبَعِينَ لَيْلَةً و قد كان ذلك لأجل تهيئة موسى عليه السّلام لأهلية إعطاء الكتاب، و لئن يعرف الناس عظمة الكتاب حتى أن مثل موسى عليه السّلام لا يعطى له إلا بعد الصيام و القيام.

و لا يخفى أن الإتمام عشرا لا ينافى وعده ثلاثين، فإن المقرّر كان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۳۹

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۴۳]

وَ لَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَرانِي وَ لكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً فَلَمَّا أَفاقَ قالَ سُبْحانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (۱۴۳)

إعطاء الكتاب بعد إتمام الثلاثين، لا بمجرد إكمال الثلاثين، و إنما قال: «فتم ميقات ربه» لئلا يوهم أن المعنى: أكملنا الثلاثين بعشر حتى كملت ثلاثين، نحو: «أكملت العشرة بدرهمين».

وَ حين أراد موسى عليه السّلام الخروج إلى ميقات ربه أوحى إلى أخيه هارون عليه السّلام إذ قالَ مُوسى لِأَخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنِي أى كن خليفتى فِي قَوْمِي فإن هارون و إن كان نبيا لكنه لم يكن رئيسا، ففوض إليه موسى عليه السّلام منصب الرئاسة وَ أَصْلِحْ فيما بينهم و أصلحهم وَ لا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ الذين يأمرون بالفساد و يفسدون الناس، و هارون عليه السّلام و إن كان منزّها عن ذلك، إلّا أن ذلك لتنبيه القوم و إرشادهم إلى عمل هارون، فإن الإنسان قد يوصى لأجل الوصيّ، و قد يوصى لأجل من يسمع.

[۱۴۴] وَ لَمَّا جاءَ مُوسى عليه السّلام لِمِيقاتِنا «الميقات» هو الزمان أو المكان الذى قدّر ليعمل فيه، و لذا يقال: «ميقات الحج» للمكان المقدّر فيه الإحرام، و المعنى: أنه لمّا انتهى موسى إلى المكان الذى وقّتنا له و أمرناه بالمسير إليه لننزل عليه التوراة، أو المراد الميقات الزمانى، أى لمّا انتهى إلى زمان المواعدة وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ بأن خلق الكلام فى الفضاء حتى سمعه موسى عليه السّلام، فإن الله سبحانه منزّه عن اللسان و اللهاة و سائر الأمور المرتبطة بالكلام الجسدى.

قالَ موسى: يا رَبِّ أَرِنِي نفسك أَنْظُرْ إِلَيْكَ نظر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۴۰

العيان. و قد كان هذا السؤال من موسى إجابة لطلب قومه،

فقد روى أنه لما كلّمه الله و قرّبه نجيّا رجع إلى قومه فأخبرهم بذلك، فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعته، فاختار منهم سبعين فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم فى سفح الجبل و صعد إلى الطور و سأل الله أن يكلمه و يسمعهم كلامه، فكلمه الله فسمعوا

كلامه من فوق و أسفل و يمين و شمال و وراء و أمام، لأن الله أحدثه فى الشجرة ثم جعله منبعثا منها حتى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن بأن هذا الذى سمعناه من جميع الوجوه كلام الله حتى نرى الله جهرة، فلما قالوا هذا القول العظيم و استكبروا و عتوا بعث الله عليهم صاعقة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم فماتوا. فقال موسى: يا رب ما أقول لبنى إسرائيل إذا رجعت إليهم و قالوا إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقا فيما ادعيت من مناجاة الله إياك؟

فأحياهم و بعثهم معه فقالوا: لو أنك سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك فتخبرنا كيف هو و نعرفه حق معرفته، فقال: يا قوم إن الله لا يرى بالأبصار و لا كيفية له و إنما يعرف بآياته و يعلم بعلاماته، فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله، فقال موسى: يا رب إنك قد سمعت مقالة بنى إسرائيل و أنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله إليه: يا موسى سلنى ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسى: رب أرنى انظر إليك

قالَ الله تعالى فى جواب موسى: لَنْ تَرانِي أبدا، فإن «لن» لنفى الأبد، و ذلك لاستحالة رؤية الله سبحانه لا فى الدنيا و لا فى الآخرة، فإن للرؤية شرائط كلها مفقودة بالنسبة إليه سبحانه، و منها أن يكون المرئى جسما أو عرضا، و الله سبحانه ليس بجسم و لا عرض وَ لكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۴۱

الذى كان هناك فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكانَهُ حال التجلّى فَسَوْفَ تَرانِي و قد كان هذا من باب التعليق بالمحال، فإن استقرار الجبل مكانه مع إرادة الله عدم الاستقرار له كان مستحيلا. فيكون التعليق على ذلك مثل قوله: حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ «۱»، و قوله: إِنْ كانَ لِلرَّحْمنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعابِدِينَ «۲»، لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا «۳»، مما جرى العرف بالتعليق على شىء لا يكون، فى بيان أن الشىء الفلانى لا يكون فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ أى رب موسى عليه السّلام لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا أى مستويا مع الأرض، و المراد بالتجلى: خلق نور يشع على الجبل، أو إظهار قدرة و عظمة له وَ خَرَّ مُوسى صَعِقاً أى وقع مغشيا عليه من الرعب و الخوف فَلَمَّا أَفاقَ من غشيته و رجعت قواه إليه قالَ موسى عليه السّلام: سُبْحانَكَ أى أنزهك تنزيها عما لا يليق بك من رؤية و غيرها من النواقص تُبْتُ إِلَيْكَ أى رجعت إليك فى أمورى، و لم يكن ذلك توبة عن ذنب بل إنه على وجه الانقطاع و التخضّع، فإن الإنسان إذا رأى الأمور الجليلة يذكر الله بالتسبيح و التقديس و الاستغفار، و السر أن هذه الألفاظ صارت إعلاما للخضوع و الخشوع، لكثرة ما استعملت فيهما.

و منه الحديث: «كان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يستغفر الله من غير ذنب»

«۴» و إن شئت قلت: إنه إنشاء مفهوم التوبة

---

(۱) الأعراف: ۴۱.

(۲) الزخرف: ۸۲.

(۳) الأنبياء: ۲۳.

(۴) راجع وسائل الشيعة: ج ۷ ص ۱۸۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۴۲

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۴۴ الى ۱۴۵]

قالَ يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِي وَ بِكَلامِي فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (۱۴۴) وَ كَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْها بِقُوَّةٍ وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ (۱۴۵)

بداعى التعظيم، كما أن أدوات الاستفهام فى كلامه سبحانه هى لإنشاء مفهوم الاستفهام بداعى آخر، كالمفاضلة فى قوله: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ «۱»، وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بك و بما يليق بك من الصفات.

[۱۴۵] قالَ الله سبحانه: یا مُوسی إِنِّی اصْطَفَیْتُکَ أی اخترتک عَلَی النَّاسِ و فضّلتک علیهم بِرِسالاتِی حیث ألقیت إلیک أنواع الرسالة فی الأصول و الفروع وَ بِکَلامِی حیث کلّمتک دون سائر خلقی.

و العطف إما للبیان، أو المراد من الرسالة غیر ما کلّم فیه، بل کانت بالإلهام، و من الکلام غیر ما أرسل به، بل کان لسائر الأمور فَخُذْ یا موسی ما آتَیْتُکَ أی أعطیتک من التوراة و تمسک به وَ کُنْ مِنَ الشَّاکِرِینَ لنعمتی، و الشکر إما بالجنان بأن یعرف الإنسان قدر المنعم و فضله، و إما باللسان بأن یعترف بجمیله، و إما بالأرکان بأن یأتی الإنسان بما یستحق المنعم من التعظیم و الإجلال و الخضوع، قال تعالی: اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُکْراً «۲».

[۱۴۶] وَ کَتَبْنا لَهُ أی لموسی علیه السّلام فِی الْأَلْواحِ جمع «لوح»، و هی القطعة من الخشب أو نحوها، و قد نزلت علی موسی علیه السّلام ألواح

---

(۱) الزمر: ۱۰.

(۲) سبأ: ۱۴.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۴۳

[سورة الأعراف (۷): آیة ۱۴۶]

سَأَصْرِفُ عَنْ آیاتِیَ الَّذِینَ یَتَکَبَّرُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ وَ إِنْ یَرَوْا کُلَّ آیَةٍ لا یُؤْمِنُوا بِها وَ إِنْ یَرَوْا سَبِیلَ الرُّشْدِ لا یَتَّخِذُوهُ سَبِیلاً وَ إِنْ یَرَوْا سَبِیلَ الْغَیِّ یَتَّخِذُوهُ سَبِیلاً ذلِکَ بِأَنَّهُمْ کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَ کانُوا عَنْها غافِلِینَ (۱۴۶)

مکتوب فیها التوراة مِنْ کُلِّ شَیْءٍ مما یحتاج إلیه الناس فی أمور دینهم و دنیاهم مَوْعِظَةً هذا تفسیر لقوله «کل شیء»، و هی عبارة عن التحذیر عن القبیح، و التبصیر بمواقع الخوف وَ تَفْصِیلًا لِکُلِّ شَیْءٍ أی بیانا و توضیحا لکل أمر کانوا محتاجین إلیه. و من المعلوم أن المراد بیان الخطوط العامة للحیاة الدینیة، لا کل جزئی جزئی، و هذا هو المراد من قوله: لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلَّا فِی کِتابٍ مُبِینٍ «۱»، لو أرید بالکتاب القرآن، و هو المراد من

قول الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «ما من شیء یقربکم إلی الجنة، إلّا و قد أمرتکم به، و ما من شیء یباعدکم عن النار إلّا و قد نهیتکم عنه»

«۲»، فَخُذْها أی الألواح بِقُوَّةٍ أی بجدّ و اجتهاد، و المراد بأخذها: العمل بما فیها، کما قال سبحانه: یا یَحْیی خُذِ الْکِتابَ بِقُوَّةٍ «۳»، وَ أْمُرْ قَوْمَکَ أی بنی إسرائیل یَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها و هذا تحریض بالأخذ بالفضائل، فإن الشریعة لها عرض کبیر للأمور یبتدئ من الواجبات و ینتهی إلی أکمل الفضائل و هذا من باب شدة الجذب بقصد الاعتدال، کما یشد الحمل من جانب کثیرا لیعتدل سَأُرِیکُمْ دارَ الْفاسِقِینَ أی جهنم، فاحذروا أن تخالفوا و تفسقوا حتی تکونوا منهم.

[۱۴۷] سَأَصْرِفُ عَنْ آیاتِیَ أی أصرفهم عن الإیمان بها، أو أصرفهم عن

---

(۱) الأنعام: ۶۰.

(۲) راجع مستدرک وسائل الشیعة: ج ۱۳ ص ۳۰.

(۳) مریم: ۱۳.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۴۴

النیل منها الَّذِینَ یَتَکَبَّرُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِ فعلی المعنی الأول: أن ذلک لکونهم تکبروا، فلم یلطف بهم الله سبحانه لطفه الخفی بل صرفهم عن الإیمان و خلّی بینهم و بین إضلال الشیطان، کما یصرف الإنسان ولده العاصی عن لطفه فلا یعتنی بشأنه. و علی

المعنى الثانى: يكون المعنى حفظ الآيات عن الزيادة و النقصان كما قال سبحانه: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ «۱»، و الأول أقرب، و قوله: بِغَيْرِ الْحَقِ ليس قيدا احترازيا، بل لبيان أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق، نحو: يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَق «۲».
ثم وصف سبحانه أولئك بقوله: وَ إِنْ يَرَوْا أى يرى المتكبرين كُلَّ آيَةٍ و معجزة دالة على صدق الأنبياء و سائر الأمور الحقة لا يُؤْمِنُوا بِها حيث قد لجّوا فى الفساد و استحوذ عليهم الشيطان وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ أى طريق الهدى و الحق، الموجب للرشد و النمو العقلى و المادى، فإن الرشد بمعنى النمو لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا فلا يسلكوه وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِ أى طريق الغواية و الضلال يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا لأنفسهم فيسلكوه ذلِكَ أى سبب صرفهم عن الآيات- على المعنى الأول- أو سبب اجتنابهم طريق الرشد و اتخاذهم طريق الغى

---

(۱) الحجر: ۱۰.

(۲) البقرة: ۶۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۴۵

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۴۷ الى ۱۴۸]

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَ لِقاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۴۷) وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَ لَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَ لا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَ كانُوا ظالِمِينَ (۱۴۸)

بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا أى بحججنا و معجزات رسلنا وَ كانُوا عَنْها غافِلِينَ لا يتفكرون فيها و لا يتعظون بها، و المراد تشبيههم بالغافل الذى يغفل عن صلاحه فلا يعمل بمقتضاه.

[۱۴۸] وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أى المعجزات و الحجج وَ كذبوا ب لِقاءِ الْآخِرَةِ بأن أنكروا القيامة و البعث و النشور حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ التى عملوها، فإن كل إنسان يعمل بعض الأعمال الخيرة، فإذا كان مؤمنا يثاب عليها، و إن كان كافرا لم يثب عليها، و هذا لا ينافى خفة العذاب، كما ورد فى حاتم و أنو شروان و غيرهما هَلْ يُجْزَوْنَ أى لا- يجزى هؤلاء- المتكبرون، فإن الاستفهام للإنكار إِلَّا ما كانُوا يَعْمَلُونَ فليس حبط أعمالهم ظلما لهم.

[۱۴۹] ثم يبيّن سبحانه طرفا آخر من قصة بنى إسرائيل، و هى قصة عبادتهم للعجل حين كان موسى عليه السّلام فى الطور وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى مِنْ بَعْدِهِ أى من بعد خروج موسى عليه السّلام إلى ميقات ربه مِنْ حُلِيِّهِمْ الذهبية التى كانت لهم، من سوار و خلخال و قلادة و غيرها عِجْلًا أى صبّوا الحلى فى صورة العجل و هو ولد البقر جَسَداً أى لا روح فيه، فكان تمثال العجل و صورته، لا واقعه و حقيقته، و لعل هذا القيد لئلّا يتوهّم أن القوم ألبسوا الحلى عجلا حقيقيا، فإن موسى عليه السّلام لما أبطأ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۴۶

أشاع رجل من بنى إسرائيل و اسمه «السامرى» أن موسى قد مات ثم جمع حلى القوم و صاغها عجلا، و قال لبنى إسرائيل: إن هذا إلهكم، و قد كان العجل من آلهة مصر، و كانوا يألفون عبادته، و لذا قبلوه، و قد طلبوا سابقا من موسى عليه السّلام أن يجعل لهم إلها.
و فى بعض التفاسير: إن القوم الذين رآهم بنو إسرائيل على البحر كانوا يعبدون العجل، حين قالوا لموسى: اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ «۱»، و كان العجل الذى صنعه السامرى لَهُ خُوارٌ أى صوت كصوت العجل. و قد اختلف فى ذلك، ففى بعض التفاسير أن السامرى صنعه بحيث إذا هبّت عليه الريح دخلت فى جوفه فأحدثت صوتا. و فى تفسير آخر: إن «السامرى» رأى جبريل عليه السّلام راكبا فرسا حين عبروا البحر، فأخذ من تحت حافر فرسه التراب، فأدخله جوف العجل، و كان منه الخوار، أو أن الخوار كان منه سبحانه حيث خلقه فيه للابتلاء.

و لا يستشكل: أنه كيف يخلق ذلك، و هو موجب لافتتان الناس؟

فإن الجواب واضح: إذ المحل لم يكن محل اشتباه فقد علموا جميعا أن الله سبحانه لا- يرى و ليس بجسم، فكان ضلالهم بسوء

اختيارهم.

أَ لَمْ يَرَوْا أولئك الذين عبدوا العجل أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ فمن هو عاجز عن أقل شىء و هو الكلام كيف يكون إلها؟ وَ لا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا أى لا يرشدهم إلى خير ليأتوه و لا إلى شر ليجتنبوه

---

(١) الأعراف: ١٣٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٢٤٧

[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٤٩ الى ١٥٠]

وَ لَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا وَ يَغْفِرْ لَنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ (١٤٩) وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسى إِلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَ أَلْقَى الْأَلْواحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْداءَ وَ لا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠)

اتَّخَذُوهُ أى اتخذوا العجل إلها، فإن كثيرا منهم أطاعوا السامرى فى عبادة العجل، و لم يطيعوا هارون فيما وعظهم و أنذرهم وَ كانُوا ظالِمِينَ لأنفسهم بهذه العبادة حيث حرموها من خير الدنيا و سعادة الآخرة.

[١٥٠] وَ لَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ أى سقط البلاء فى يدهم، و هذا من باب التمثيل و التشبيه، فإن الإنسان إذا عمل عملا فندم، يقال: «سقط فى يده» كأن الشىء الذى اكتسبه لم يرج، و لم يذهب كما هو عادة المتاع الجيد، بل سقط فى يده و بقى عنده، و كأن الأصل فيه أن المتاع يسقط من محله إلى مستقره، و هو الذى يصرفه لأجل حوائجه، فإذا بقى عند الواسطة- و هو التاجر- كان ساقطا فى يده، دون يد المستهلك وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا فإنهم بعد ما عبدوا العجل ندموا فيما أفرطوا، كما هو شأن غالب الحركات الاعتباطية فإن الناس يأتون بها من فورهم ثم يندمون حينما يتفكرون قالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا رَبُّنا بقبول توبتنا وَ يَغْفِرْ لَنا ما فعلناه من عبادة العجل لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ الذين خسروا أنفسهم باستحقاق العقاب، و فوت الثواب.

[١٥١] وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسى من الميقات إِلى قَوْمِهِ و عرف الأمر صار غَضْبانَ أَسِفاً أى حزينا على ما صدر منهم من عبادة العجل، أو المراد رجع غضبان آسفا، لما أعلمه الله سبحانه من عبادتهم العجل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٢٤٨

قالَ لهم: بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي أى عملتم خلفى مِنْ بَعْدِي أى بعد ذهابى إلى الميقات، فإن عملكم بعدى كان عملا سيئا أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ أى استعجلتم قضاء الله و عقابه، فكأن العاصى لا بد و أن يلاقى العقاب، فإذا فعل فعلا شنيعا استعجل العقاب وَ أَلْقَى الْأَلْواحَ المكتوب فيها التوراة من يده تضجرا من عملهم وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ هارون يَجُرُّهُ إِلَيْهِ إما لينحيه ناحية فيناجيه فى أمر القوم، و إما إظهارا للغضب، و لم يكن ذلك إلا استنكارا عمليا لعمل القوم، كما يصيح الوالد على ولده البرىء، فيما إذا عمل بعض أهل البيت عملا مخالفا، يريد بذلك إظهار غضبه على عملهم.

قالَ هارون: يا ابْنَ أُمَّ هذه الكلمة للاستعطاف لأن ذكر الأم يشع فى النفس حنانا ولينا، و قد قصد هارون بهذا التعبير التسكين من غضب موسى عليه السّلام إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي أى اتخذونى ضعيفا، فلم يعملوا بكلامى وَ كادُوا يَقْتُلُونَنِي أى همّوا بقتلى حين شددت عليهم فى استنكارى عليهم عبادة العجل فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْداءَ فإن فعلك هذا يوهم أنك غاضب علىّ فيفرح الأعداء حيث يظنون أنهم ألقوا الخلاف بين الأخوين و جعلونى مغضوبا عليه فى نظرك. و معنى الشماتة: إظهار الفرح بوقوع عدوهم فى المحذور وَ لا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٢٤٩

[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٥١ الى ١٥٢]

قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي وَ أَدْخِلْنا فِي رَحْمَتِكَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (۱۵۱) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (۱۵۲)

الذين عبدوا العجل، فلا تشملنى معهم فى الغضب علينا جميعا، فإن ذلك من عملهم.

إن هـذا النحو من إظهار الغضب على الحبيب البرىء، لتنبيه العـدو الآثم، من أساليب البلاغة العملية حيث أن الحبيب لا يحمل موجدة على حبيبه بسبب هـذا العمـل، بخلاف مـا لو عمل بالآثم فإنه يجعله أبعـد من الصواب، إذ يسبب مثل ذلك فى نفسه بغضا و عـداوة زائدة، و مثل خطاب البرىء، ما يفعله الإنسان بنفسه عند إرادة إظهار الغضب من ضـرب نفسه، أو نتف شعره، أو شق جيبه، أو ما أشبه ذلك.

[۱۵۲] قالَ موسى عليه السّلام بعد ذلك: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي قال على وجه الانقطاع إلى الله سبحانه، لا لأنه صدر منهما عصيان أو ذنب، و قـد تقدم أن هذه الكلمة تقال عند إظهار الخضوع و الخشوع، و إن كان الأصل فيها طلب غفران الذنب وَ أَدْخِلْنا فِي رَحْمَتِكَ أى لطفـك أو جنتـك وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فـإن رحمتك أكبر من رحمـة كل راحم، و هـذا يـذكر فى آخر الـدعاء استعطافا، كما يقال: «أنت أجود الأجودين» لاستدعاء الجود، لأنه اعتراف بالأفضلية.

[۱۵۳] ثم قال موسى عليه السّلام، أو استئناف من الله سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إلها معبودا سَيَنالُهُمْ أى يلحقهم غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ فى الآخرة، و هو موجب للنار وَ ذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فإنهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۵۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۲ ۲۹۹

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۵۳ الى ۱۵۴]

وَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها وَ آمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۵۳) وَ لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْواحَ وَ فِي نُسْخَتِها هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (۱۵۴)

يصبحون أذلاء، يكثر فيهم القتل و الطرد، و يـذكرون بسوء أبـدا. و قـد مر تفسير قوله تعالى: ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الـذِّلَّةُ «۱»، وَ كما جازينا اليهود بهـذا الصنيع كَذلِكَ نَجْزِي سائر الْمُفْتَرِينَ الذين يفترون على الله سبحانه باتخاذ الأصنام شريكا له، فإنه افتراء على الحقيقة و الواقع.

[۱۵۴] وَ لكن المعصية لا تسبب يأس صاحبها، فإن من تاب، تاب الله عليه ف الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ أى الشرك و المعاصى ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِها أى بعد السيئات وَ آمَنُوا إيمانا صادقا إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله مِنْ بَعْدِها أى بعد السيئات، أو بعد التوبة، و لعل التكرار لإفادة عدم قبول التوبة مع الإصرار على المعصية، كما أنه لا توبة مع الإصرار لَغَفُورٌ يغفر الذنب رَحِيمٌ يرحم التائب بفضله و لطفه.

[۱۵۵] وَ لَمَّا سَكَتَ أى: سكن، و فيه من البلاغـة ما لا يخفى عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ بأن زالت فورته، فإن فورة الغضب تكون أول ملاقاة المكروه أَخَذَ الْأَلْواحَ التى كان عليه السّلام رماها إظهارا لضجره، مما فيها التوراة وَ فِي نُسْخَتِها أى ما نسخ و رقم فيها هُدىً يهدى إلى الحق وَ رَحْمَةٌ موجب ترحّم و تنعّم لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ أى

(۱) البقرة: ۶۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۵۱

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۵۵]

وَ اخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيَّايَ أَ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَ تَهْدِي مَنْ تَشاءُ أَنْتَ وَلِيُّنا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْغافِرِينَ (۱۵۵)

يخشونه و لا يعصونه.

[۱۵۶] ثم بيّن سبحانه قصة سبق الإشارة إليها، و هى قصة طلب القوم أن يروا الله جهرة و قد كررت أولا لأجل ذكرها فى قصة موسى، و ثانيا لأجل بيان أنها كانت من قومه، و قيل: إنها قصة ثانية، ذهبوا معه عليه السّلام للاعتذار من عبادة العجل، فإنهم طلبوا من موسى أن يصحبهم ليسمعوا كلام الله سبحانه وَ اخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ أى من قومه سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقاتِنا ليسمعوا كلام الله سبحانه بأسماعهم، فيزدادون إيمانا، و لما سمعوا كلام الله سبحانه، لم يقنعوا و طلبوا من موسى عليه السّلام أن يروا الله جهرة، رؤية الأبصار، لا رؤية العلم بالقلب فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ الصاعقة التى رجفت بسببها أبدانهم و قلوبهم و هلكوا جميعا لسؤالهم الشنيع و عنادهم فى الأمر بعد ما نصحهم موسى عليه السّلام، إن ذلك غير ممكن كما تقدمت الإشارة إليه. و هنا خاف موسى عليه السّلام أن يتهمه بنو إسرائيل أنه هو الذى قتلهم، لمّا لم يتمكن من إسماعهم كلام الله سبحانه، فيرتدوا عن الدين، و لذا قالَ موسى عليه السّلام لله: يا رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ هذا الموقف حين كانوا فى بلادهم، لكن الآن ماذا أقول لبنى إسرائيل إذا قالوا إنك قتلتهم؟ وَ إِيَّايَ و هذا للتخضع و الاستكانة، و تسليم الأمر إليه سبحانه، فإنه تعالى لو شاء أهلك الجميع و أماتهم، فكلنا تحت إرادتك و فى قبضتك.

أ تُهْلِكُنا يا رب بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا و قد جاء الرجاء بصيغة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۵۲

الاستفهام، كما أنك إذا رجوت الأمير فى سماع كلامك تقول: «هل يسمع الأمير كلامى»، أى أن الإهلاك بسبب ما طلبه السفهاء من الرؤية، خلاف رجائنا فيك، و إن كان بالاستحقاق، حيث أن مثل هذا الطلب من السفهاء و سكوت العقلاء عنهم- بعدم إنكار المنكر- موجب لاستحقاق العقوبة، و إضافة الهلاك إلى ضمير المتكلم مع الغير «نا» باعتبار كون موسى عليه السّلام و من معه كتلة واحدة، فهلاك بعضهم هلاك للجميع- مجازا-.

ثم بيّن عليه السّلام أن ذلك الهلاك لم يكن اعتباطا، حتى لا يظن الظان أن موسى عليه السّلام فى مقام الاعتراض إِنْ هِيَ ما هذه الرجفة التى أصابتهم إِلَّا فِتْنَتُكَ و اختبارك، إنك يا رب صنعت ذلك لأجل الامتحان، و الإهلاك امتحان للناس ليعتبروا، و لنفس الهالكين بعد حياتهم تُضِلُّ بِها أى بالفتنة مَنْ تَشاءُ ممن لم تنفعه الهداية، حيث تتركه و شأنه ليضل. و قد سبق أن الفعل ينسب إلى الله تعالى، لأن الأسباب و الآلات منه تعالى، كما يقال: «أفسد فلان ولده» إذا أعطاه المال و لم يؤاخذه بعمله الفاسد وَ تَهْدِي مَنْ تَشاءُ لم يذكر هنا «بها» لأن الهداية تكون بدون الاختبار أيضا، فالهداية أعم من الابتدائية و مما تتعقب الاختبار أَنْتَ يا رب وَلِيُّنا مولانا و أولى بالتصرف فينا فلك ما تفعل و لا تسأل عن فعلك فَاغْفِرْ لَنا بستر ذنوب من أذنب منّا وَ ارْحَمْنا بفضلك و رحمتك وَ أَنْتَ خَيْرُ الْغافِرِينَ فإن غفرانك بلا منة و ذلة. ثم إنه سبحانه أحيى السبعين الذين هلكوا، كما تقدم فى سورة البقرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۵۳

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۵۶]

وَ اكْتُبْ لَنا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا يُؤْمِنُونَ (۱۵۶)

[۱۵۷] وَ اكْتُبْ لَنا يا رب فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةً الشيء الحسن، و هو جنس شامل لأنواع الحسنات من أمن و صحة و رفاه و فضيلة و غيرها وَ فِي الْآخِرَةِ حسنة، بالجنة و الرضوان إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ من «هاد» بمعنى «رجع» أى رجعنا بتوبتنا إليك، فكأن العاصى يبتعد عنه سبحانه، ثم إذا تاب يرجع إليه، تشبيها للبعد و القرب عن الرحمة، بالقرب و البعد الحسّيّين.

و موسى عليه السّلام و إن لم يكن داخلا فى العصيان لكن العادة جرت على أن يتكلم الرؤساء عن جماعتهم قالَ الله سبحانه فى جواب موسى و طلبه التوبة: عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ ممن استحق ذلك بالكفر و المعصية، فالمشيئة ليست باعتبار الزيادة عمّن استحق، بل باعتبار النقصان، فإنه تعالى لا يعذب بعض المستحقين، لا أنه يعذب المستحقين وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فإن الخلق و

الرزق و غيرهما كلها رحمة منه سبحانه،

و فى الدعاء: «يا من سبقت رحمته غضبه»

«۱»، باعتبار أن الغضب لا يكون إلا بعد الخلق و الرزق و العصيان، فالرحمة سابقة.

و فى هذا الجو الرقيق، الذى ترقّقت فيه قلوب بنى إسرائيل يشير سبحانه إلى النبى الأمى، ليتركّز فى قلوبهم، فإن الأمور تتركز فى

---

(۱) مصباح الكفعمى: ص ۶۶۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۵۴

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۵۷]

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱۵۷)

القلوب أكثر إذا رقّت فَسَأَكْتُبُها أى اكتب رحمتى. و هذا على سبيل الاستخدام، فإن المراد بالرحمة أولا جميع أقسام الرحمة، و المراد بها من الضمير ثانيا: الرحمة الخاصة الزائدة لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ الكفر و المعاصى وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ أى يعطونها وَ الَّذِينَ هُمْ بِآياتِنا أى بحججنا و دلالاتنا يُؤْمِنُونَ ثم بيّن أولئك بقوله:

[۱۵۸] الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَ أى أن الذين تكتب لهم الرحمة الكاملة هم التابعون لمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الْأُمِّيَ نسبة إلى أم القرى «مكة» و بمعنى الذى لم يتعلم عند معلم- و إن كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يعلم كل شيء بوحى الله و إرادته- و العرب تسمى من لم يتعلم ب «الأمى»، نسبة إلى الأم، كأنه بقى مثل ما ولدته أمه الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ فإن الكتابين بشّرا به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أخبرا بنعته، و إنما حرّفهما- بعد ذلك- اليهود و النصارى.

و للشيخ محمد صادق فخر الإسلام، فى كتابه «أنيس الأعلام» قصة طويلة حول هذا الموضوع، و لم يكن هذا بدعا، فقد كان كل نبى سابق يبشر بالنبى اللاحق، كما أن كل نبى لا حق يصدّق النبى السابق، و نحن اليوم نرى صفة الإمام المهدى عليه السّلام فى كتبنا، حيث وعدنا بظهوره «عجل الله فرجه».

ثم بيّن سبحانه سائر صفاته التى تجعل من دينه دين الفضيلة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۵۵

و الحرية الصحيحة و السعادة يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ فما يأمرهم به يكون معروفا يقبله عرف العقلاء و يرتضيه وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ فما ينهاهم عنه يكون منكرا عند عرف العقلاء، فأمره و نهيه حسب الموازين العرفية العقلية، لا اعتباطا و اشتهاء وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ المستلذات الحسنة، من مأكل و مشرب و منكح و مسكن و مركب و غيرها وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ القبائح التى تعافها النفوس المستقيمة، فتحليله و تحريمه ليسا اعتباطين، بل لشيء فى ذات الحلال و الحرام، بخلاف تحليل سائر الناس و تحريمهم، فإنهم قد يحرمون الطيب، كما حرمت الجاهلية السائبة و ما إليها، و قد يحللون الخبيث كما أن اليهودية و النصرانية و من إليهما يحللون الخمر و لحم الخنزير. ثم لا يخفى أن الأمر و النهى أعم من التحليل و التحريم، لكن حيث تقابلا، كان لكل منهما مصداق غير مصداق الآخر.

وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ أى ثقلهم، فإن الإصر هو الحمل الثقيل و معنى «وضعه» أن مناهجه سهلة سمحة لا ثقل فيها و لا صعوبة وَ يضع عنهم الْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ أغلال جمع «غلّ»، و هو ما يقيد يد الإنسان أو رجله أو غيرهما، فإن من خواص الإسلام أنه يطلق الحريات المعقولة، فالسفر و الإقامة و الزراعة و التجارة و الصناعة و البيع و الشراء و الكلام و الكتابة و التجمع و غيرها، كلها مباحة لا قيود عليها إلا بعض الشرائط الطفيفة التى هى فى صالح المجتمع و الفرد، و لا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۵۶

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۵۸]

قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ يُحيِي وَ يُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِماتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۱۵۸)

يعلم مدى ذلك إلا بالمقايسة إلى الأنظمة و المناهج الدنيوية التى كلها كبت و استعباد و استغلال فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ أى بالرسول محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ عَزَّرُوهُ أى عظّموه و وقروه وَ نَصَرُوهُ على أعدائه وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أى القرآن، فإنه نور يهتدى به فى مسالك الحياة المظلمة، كما أن الضياء يهتدى به فى مسالك الليل المظلم، أو المراد: على و الأئمة عليهم السّلام كما فى بعض الأحاديث، أو الجميع، لأنه لفظ عام، و كل واحد من هذه الأمور مصداق، و «الإنزال» بالنسبة إلى الأئمة ليس فيه محذور، لما سبق، أن التعبير بالإنزال فى مثل هذه الموارد من جهة الله سبحانه الواهب لهذه الأشياء كما قال: وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ «۱»، و كما قيل فى قوله سبحانه: اهْبِطُوا «۲»، أُولئِكَ الذين آمنوا بهذا النبى هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفائزون بخير الدنيا و الآخرة.

[۱۵۹] و قبل أن يرجع السياق إلى تتميم قصة موسى عليه السّلام، تتميما لما سبق من وصف النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فيخاطبه سبحانه بقوله: قُلْ يا رسول الله للناس: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً أرسلنى إليكم لأدعوكم إلى الله الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فهو المالك لهما

---

(۱) الحديد: ۲۶.

(۲) البقرة: ۳۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۵۷

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۵۹]

وَ مِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ (۱۵۹)

المتصرف فيهما لا- إِلهَ إِلَّا هُوَ فلا- شريك له يُحيِي وَ يُمِيتُ فالجماد يجعله حيا نباتا أو إنسانا أو حيوانا، و الأحياء يميتهم، و لعل ذكر هذه الصفات لرد النصارى و اليهود الذين جعلوا لله شريكا و ولدا، و لرد المشركين الذين كانوا ينسبون الإحياء و الإماتة إلى الأصنام فَآمِنُوا أيها الناس بِاللَّهِ إيمانا صحيحا وَ رَسُولِهِ محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ و كأنه أتى بهذا الوصف للتناسب مع ما فى الكتابين السابقين الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ كَلِماتِهِ فإنه آمن أولا- ثم أمركم بالإيمان، لا- مثل كثير من الرؤساء الذين هم أنفسهم لا يطبقون المبادئ التى يدعون إليها.

و لعل المراد بالكلمات: الكتب السابقة و القرآن الكريم وَ اتَّبِعُوهُ فيما يأمركم و ينهاكم لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ أى لتكونوا مهديين، فإن الفعل قد ينسلخ من معناه الزمنى ليدل على أصل المعنى المادى، أو المراد تهتدون إلى الجنة و الرضوان، حتى يصح تعقّب الاهتداء لما تقدم.

[۱۶۰] و حيث فرغ السياق عن الفذلكة المرتبطة بذكر النبى محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رجع إلى قصة موسى عليه السّلام و قومه، و لمّا أن وصف سبحانه قوم موسى عليه السّلام بالكفر و عبادة العجل و غير ذلك، ذكر أن منهم من بقوا على الإيمان و الطاعة وَ مِنْ قَوْمِ مُوسى أُمَّةٌ أى جماعة يَهْدُونَ بِالْحَقِ أى يدعون إلى الحق و يرشدون إليه وَ بِهِ أى بالحق يَعْدِلُونَ أى يحكمون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۵۸

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۶۰]

وَ قَطَّعْناهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْباطاً أُمَماً وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى إِذِ اسْتَسْقاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ

عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ وَ ظَلَّلْنا عَلَيْهِمُ الْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۱۶۰)

بالحق و يعدلون فى حكمهم. و هذا واضح، فإن كل أمة انحرفت لا بد و أن يبقى فيها أناس معتدلون، و كذلك كان قوم موسى عليه السّلام فى زمانه و بعده إلى زمان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فكانوا إذا رأوا عيسى نبيا آمنوا به، و إذا رأوا الرسول مبعوثا صدقوه و اتبعوه، لكن الكثرة الساحقة منهم لمّا كانت منحرفة، كانت «عمومات الخطاب القرآنى» تنصب عليهم، فإن البلغاء غالبا يتكلمون حول الأمور بمراعاة الغالب، فيقال: «أهل مدينة كذا حسان الوجوه، أو قباح، أو كرماء، أو بخلاء أو جبناء، أو ما أشبه» و هم يريدون الكثرة الغالبة، لا الجميع.

[۱۶۱] وَ قَطَّعْناهُمُ أى فرّقنا بنى إسرائيل تفريقا قبيليا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْباطاً كل فرقة منهم قبيلة تنتهى إلى سبط من أسباط يعقوب عليه السّلام فقد كان له اثنى عشر ولدا، كل ولد ولّد قبيلة أُمَماً بيان لاثنتى عشرة أسباطا، فكل جماعة منهم أمة. و هذا من نعم الله سبحانه على بنى إسرائيل لأن القبائل المتعددة تمشى أمورها بيسر بخلاف ما لو كان الجميع قبيلة واحدة، فإن الرؤساء إذا تعددوا تنافسوا فى المكارم، و سهل مراجعة المرؤوسين إليهم، كما قال سبحانه: وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا «۱».

وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى إِذِ اسْتَسْقاهُ قَوْمُهُ أى طلبوا منه السقيا، و أن يسقيهم ماء، و ذلك حينما كانوا فى التيه أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ و هو حجر كان معه فإذا أرادوا الماء وضعوه، و ضربه موسى

---

(۱) الحجرات: ۱۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۲۵۹

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۶۱]

وَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ وَ كُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ وَ قُولُوا حِطَّةٌ وَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (۱۶۱)

بعصاه التى كانت تنقلب ثعبانا متى ما أراد فَانْبَجَسَتْ أى انفجرت. و لعل الفرق بينهما أن الانبجاس خروج الماء بقلّة، و الانفجار خروجه بكثرة. و فى بعض التفاسير: إن الماء كان يخرج من الحجر أولا بقلّة ثم بكثرة.

مِنْهُ أى من الحجر اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً لكل سبط عين، حتى لا يزاحم بعضهم بعضا فى الشرب قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ من الأسباط مَشْرَبَهُمْ أى محل شربهم و أخذ الماء منه وَ ظَلَّلْنا عَلَيْهِمُ الْغَمامَ حيث كان يؤذيهم حرّ الشمس فتأتى سحابة تظللهم ليستريحوا تحت ظلها وَ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ هو شىء حلو كالسكر وَ السَّلْوى هو الطير السمانى- كما تقدم ذلك فى سورة البقرة- كُلُوا يا بنى إسرائيل مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ و اتركوا خبائثه وَ ما ظَلَمُونا إذ كفروا و عصوا، فإن الله لا يضره كفر الكافر و عصيان العاصى وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ حيث حرموها من خير الدنيا و سعادة الآخرة.

[۱۶۲] وَ اذكر يا رسول الله إِذْ قِيلَ لَهُمُ أى لبنى إسرائيل، و القائل هو الله سبحانه على لسان نبيه موسى عليه السّلام: اسْكُنُوا هذِهِ الْقَرْيَةَ بيت المقدس أو أريحا وَ كُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ من أنواع المآكل و مختلف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۲۶۰

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۶۲ الى ۱۶۳]

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَظْلِمُونَ (۱۶۲) وَ سْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ حاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَ يَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذلِكَ نَبْلُوهُمْ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۱۶۳)

المزارع و المواضع وَ قُولُوا حِطَّةٌ إذ نطلب من الله سبحانه حطّ ذنوبنا وَ ادْخُلُوا الْبابَ أى باب القرية سُجَّداً جمع «ساجد»، أى: فى حال السجود، بمعنى أنه إذا وصلتم إلى الباب اسجدوا و ادخلوا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ متعلق بقوله: «قولوا حطة» أى إن قلتم و سجدتم نغفر لكم و سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ على غفران الخطايا بالتفضّل و التكرّم. و بين سياق هذه الآية، و ما تقدم فى سورة البقرة خلاف جزئى، و ذلك من فنون البلاغة، و أوجه الإعجاز.

[۱۶۳] فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ أى غيّر العاصون الذين لم يدخل الإيمان قلوبهم قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فبدلا من أن يقولوا: «حطة» قالوا: «حنطة حمراء خير لنا» فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِجْزاً أى عذابا مِنَ السَّماءِ من جهة العلو بِما كانُوا يَظْلِمُونَ أى بسبب ظلمهم.

[۱۶۴] وَ سْئَلْهُمْ أى اسأل يا رسول الله اليهود، لأجل تذكيرهم بما كانوا يفعلون من المعصية فابتلوا بعذاب الله، حتى لا يتكرّر منهم ذلك عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كانَتْ حاضِرَةَ الْبَحْرِ أى مجاورة للبحر و قريبة منه، من «حضر» ضد «غاب». و قد ذكر بعض المفسرين أنها كانت «إيلة».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۲۶۱

إِذْ يَعْدُونَ من التعدّى أى يتجاوزون حدود الله فِى أمر يوم السَّبْتِ فقد حرّم عليهم صيد الأسماك فى هذا اليوم- اختبارا- و حلّل عليهم فى سائر الأيام، و قد كانوا يتوصلون إلى حيلة ليحلوا بها ما حرم الله، فحفروا أخاديد تؤدى إلى حياض يتهيأ للحيتان الدخول فيها من تلك الأخاديد و لا يتهيأ لها الخروج، فإذا كان يوم السبت جاءت الحيتان جارية على أمان لها فدخلت الأخاديد و أصبحت فى الحياض و الغدران، فلما كانت عشية اليوم همّت بالرجوع منها إلى اللجج لتأمن من صائدها، فلم تقدر فبقيت ليلها فى مكان يتهيأ أخذها بلا اصطياد، و كانوا يأخذونها يوم الأحد و يقولون ما اصطدنا فى السبت إنما اصطدنا فى الأحد، و لكن كانوا كاذبين فى ذلك، فإنهم قد أخذوها يوم السبت و إنما القبض كان يوم الأحد إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتانُهُمْ جمع «حوت»، و العرب تسمى السمك حوتا و نونا يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً أى ظاهرة على وجه الماء، من «الشرّع» بمعنى الظهور، جمع «شارع»، ك «كتّب جمع كاتب»، و إنما كانت تأتى فى هذا اليوم لما علمت من كونها آمنة لا تؤخذ، و لما كان من عادة الحيوان أن يألف محل الأمان وَ يَوْمَ لا يَسْبِتُونَ أى لا يكون السبت، و التعبير بذلك، لأنهم كانوا يعتدون فى السبت لا تَأْتِيهِمْ لما عرفت من عدم أمنها، و لعل الأمر كان خارقا للامتحان، أو لعلة أخرى لا نعرفها كَذلِكَ أى بمثل ذلك الاختبار الشديد نَبْلُوهُمْ أى نختبرهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۲۶۲

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۶۴ الى ۱۶۵]

وَ إِذْ قالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً قالُوا مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (۱۶۴) فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذابٍ بَئِيسٍ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۱۶۵)

بِما كانُوا يَفْسُقُونَ أى بسبب فسقهم و عصيانهم، فإنه إنما حرّم عليهم الاصطياد فى السبت، أو إنما كان تظهر يوم السبت دون غيره، بسبب فسقهم ليشتد الامتحان عليهم.

[۱۶۵] و قد انقسم بنو إسرائيل أمام هذا العمل إلى ثلاثة فرق أحدها: الصائدة، الثانية: الساكتة، الثالثة: الناهية عن ذلك وَ إِذْ قالَتْ أُمَّةٌ أى جماعة مِنْهُمْ أى من بنى إسرائيل، و هى الساكتة، قالوا للفرقة الثالثة الناهية عن المنكر: لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أى أية فائدة فى وعظكم، فإن هؤلاء لا يرتدعون حتى يعذبهم الله أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً دون الهلاك قالُوا أى قال الواعظون فى جواب المعترضين:

مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ أى أن موعظتنا لأجل أن يكون لنا عذر عند الله سبحانه، فنقول له يوم القيامة: «يا رب إنا نهيناهم فلم ينتهوا»، حتى لا يقول لنا سبحانه: لماذا لم تنهوا عن المنكر؟ وَ لَعَلَّهُمْ بالوعظ يَتَّقُونَ و يرجعون عن غيهم و عملهم المحرم، فإن الإنسان لا يدرى من يبقى إلى الأخير فى عصيانه و من يرجع عن طغيانه.

[۱۶۶] فَلَمَّا نَسُوا أى نسى العاصون ما ذُكِّرُوا بِهِ ما ذكّرهم به الواعظون، بأن فعلوا فعل الناسى، فلم يبالوا بالنهى، بل استمروا على عادتهم فى الاصطياد يوم السبت بتلك الحيلة أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۶۳

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۶۶ الى ۱۶۷]

فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ ما نُهُوا عَنْهُ قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ (۱۶۶) وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۶۷)

و هم الواعظون وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا و هم الصائدون و الساكتون، فإن السكوت عن المنكر ظلم يرجع إلى الإنسان و باله بِعَذابٍ بَئِيسٍ هو «فعيل» من «بئس»، بمعنى الشديد البأس، أى: بعذاب شديد بِما كانُوا يَفْسُقُونَ أى بسبب فسقهم.

[۱۶۷] فَلَمَّا رأينا أنه لم يفدهم الوعظ و لا العذاب الشديد الذى عذبناهم به- لعلهم يرجعون عن غيهم- و عَتَوْا أى تكبروا عَنْ ما نُهُوا عَنْهُ أى عن قبول الوعظ قُلْنا و المراد بالقول هنا التكوين: لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ أى مسخناهم قرودا، و معنى «خسأ» ابتعد عن الخير. ورد أن الواعظين خرجوا من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء، فنزلوا قريبا منها، فلما أصبحوا غدوا لينظروا ما حال أهل المعصية، فأتوا باب المدينة فإذا هو مصمت، فدقوه فلم يجابوا و لم يسمعوا منها حس لأحد، فوضعوا سلما على سور المدينة ثم أصعدوا رجلا منهم فأشرف على المدينة فنظر فإذا هو بالقوم قردة يتعاوون، لها أذناب، فكسروا الباب و دخلوا المدينة، قال الراوى: فعرفت القردة أنسابها من الإنس، و لم يعرف الإنس أنسابهم من القردة فقال القوم للقردة: ألم ننهكم؟

[۱۶۸] وَ اذكر يا رسول الله إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ أى أعلم ربك، فإن «تأذن و أذن» بمعنى واحد لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ أى يرسلن على اليهود إِلى يَوْمِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۶۴

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۶۸]

وَ قَطَّعْناهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَ مِنْهُمْ دُونَ ذلِكَ وَ بَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَ السَّيِّئاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۱۶۸)

الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ أى من يذيقهم العذاب الشديد. و قد دل التاريخ على أن اليهود كانوا أذلاء مضطهدين، و ما تاريخ «هتلر» منّا ببعيد، و ما يرى أحيانا من دولتهم فهى مليئة بالقلق و الرعب حتى تأتيهم القاضية.

ثم أن إرساله سبحانه العذاب إنما هو بسبب عمل كل جيل جيل، لا لأعمال آبائهم إِنَّ رَبَّكَ يا رسول الله لَسَرِيعُ الْعِقابِ فإن العقاب اللاحق سريع و إن أمهل الله الظالم أياما.

روى أنه سئل الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام عن القريب و الأقرب؟

فقال: «كل آت قريب و الموت أقرب»

و لعله يريد عليه السّلام أن «الآتى» يحتمل فوته، بخلاف الموت.

وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ فلا يأس للعاصى أنه إذا تاب و عمل صالحا غفر الله له ما أذنب و رحمه.

[۱۶۹] وَ قَطَّعْناهُمْ أى فرّقنا اليهود فى البلاد فرقا مختلفة فِي الْأَرْضِ أُمَماً فى كلّ مكان و اتجاه، و ذلك إذلالا لهم، فإن الاجتماع و الوحدة يوجبان العزة و السعادة مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ هم الذين إذا رأوا الحق آمنوا به ككعب الله بن أبى و غيره وَ مِنْهُمْ دُونَ ذلِكَ أى دون الصلاح يعنى المفسدون وَ بَلَوْناهُمْ أى اختبرناهم بِالْحَسَناتِ تارة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۶۵

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۶۹]

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى وَ يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا وَ إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثاقُ الْكِتابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَ دَرَسُوا ما فِيهِ وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۱۶۹)

وَ السَّيِّئاتِ أخرى، أى بالنعم و النقم لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أى لكى يرجعوا، فإذا جاءتهم الحسنات شكروا، و إذا أتتهم السيئات استغفروا، فإن كلّا من النعمة و البلاء، رحمة من جهة التذكير و الإيقاظ.

[١٧٠] أولئك اليهود الذين كان منهم الصالحون و منهم دون ذلك، ذهبوا و ماتوا فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ قام مقامهم وَرِثُوا الْكِتابَ يعنى التوراة، و «الميراث» هو ما صار للخلف من السلف، لكن هؤلاء غير صالحين- إن وجد فيهم صالح فهو نادر- يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى أى ما وجدوه من الدنيا أخذوه بلا مراعاة للشريعة، و سمى «عرضا» لأن الدنيا فانية فما فيها عارض زائل، و سمى «أدنى» لأنه أقرب إلى الإنسان من الآخرة وَ إذا قيل لهم بأن فيه الإثم يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا و نتوب بعد ذلك وَ هم لا يستغفرون و لا يتوبون، بل يصرّون على تعاطى الحرام بدليل أنهم إِنْ يَأْتِهِمْ بعد ذلك عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أيضا.

ثم ينكر الله عليهم ذلك بقوله: أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ و لم يقل «منهم»، لإفادة أن الأخذ كان بإكراههم مِيثاقُ الْكِتابِ أى العهد الموجود فى كتاب التوراة أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَ فلا يحرّموا حلاله و لا يحلّلوا حرامه، فكيف يأخذون الرشوة و سائر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٢۶۶

[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٧٠ الى ١٧١]

وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتابِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠) وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَ ظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١)

المحرمات و يقولون أنها محللة عليهم؟ وَ دَرَسُوا ما فِيهِ أى قرءوا ما فى الكتاب فهم عالمون بذلك، و لا مجال لهم أن يقولوا: ما كنا عالمين بالميثاق وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أى أن الثواب الذى وعده الله خير من عرض هذه الدنيا الفانية، و هى و إن كانت خيرا لمطلق الناس إلّا أن تخصيص «المتقين» بلحاظ انتفاعهم به فقط دونه غيرهم أَ فَلا تَعْقِلُونَ أيها اليهود أن الأمر على ما أخبرنا به و الاستفهام للإنكار.

[١٧١] وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ أى يتمسكون بِالْكِتابِ بأن عملوا بما فيه من الميثاق و الأحكام وَ أَقامُوا الصَّلاةَ و تخصيصها بالذكر لأنها تنهى عن الفحشاء إذا أتى بها على وجهها، فكأنها جعلت علما لسائر الأعمال إِنَّا إلى آخر الجملة، خبر «و الذين» لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ الذين يصلحون أنفسهم و يقومون بما يجب عليهم، فنثيبهم بما عملوا و أصلحوا.

[١٧٢] وَ اذكر يا رسول الله إِذْ نَتَقْنَا «النتق» قلع الشىء من الأصل الْجَبَلَ أى قلعناه، و جعلناه فَوْقَهُمْ أى فوق بنى إسرائيل كَأَنَّهُ أى كأن الجبل ظُلَّةٌ أى غمامة، أو سقيفة ذات ظلّ. و قد كان الجبل كبيرا حتى أن فى بعض التفاسير أنه كان فرسخا فى فرسخ وَ ظَنُّوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٢۶٧

[سورة الأعراف (٧): آية ١٧٢]

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ (١٧٢)

بأن رجح فى نفوسهم أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ أى واقع عليهم، و لعل الإتيان ب «الباء» لإفادة أن وقوعه عليهم يسبب وقوعهم أيضا، و حينما رفع الجبل فوقهم قيل لهم: خُذُوا ما آتَيْناكُمْ من الأحكام بِقُوَّةٍ أى بشدة و جهد و اجتهاد. و ذلك أن موسى عليه السّلام لما جاءهم بالتوراة لم يقبلوها فقطع جبرئيل عليه السّلام قطعة من جبل الطور و رفعها فوق رؤوسهم، مهددا أنهم إن لم يقبلوا ألقاها عليهم حتى يهلكوا عن آخرهم، و لما رأوا ذلك خافوا و قبلوا بكل كره و إجبار وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ أى من العهود و المواثيق لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أى لكى يحصل منكم التقوى، أو لكى تخافوا عقاب الله، فتتجنبوا المعاصى، فإن من بنى على العمل بالكتاب يشع فى نفسه جوّ من الرهبة يبعثه على التقوى.

[١٧٣] و حين انتهت قصص موسى عليه السّلام مع قومه يبدأ السياق ليفتح قصصا جديدة حول التوحيد، و إذ انتهى من الكلام السابق

حول أخذ الله الميثاق من بنى إسرائيل، تأتى هنا قصة أخذ الله سبحانه الميثاق من البشر جميعا حول الوحدانية. و فى الآية قولان:

الأول: ما

روى أنه أخرج الله من ظهر آدم عليه السّلام ذريته كالذّرّ يوم القيامة فخرجوا مثل الذر فعرّفهم نفسه و أراهم صنعه، و لو لا ذلك لم يعرف أحد ربه فثبتت المعرفة و نسوا الموقف.

الثانى: إن الآية جارية مجرى الكلام العرفى البلاغى على طريقة التمثيل.

و من المعلوم أن القول الأول لا مانع فيه إطلاقا، فإن الله قادر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۶۸

على كل شيء وَ اذكر يا رسول الله إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ أى أخرج من بنى آدم مِنْ ظُهُورِهِمْ بدل من «من بنى آدم» أى أخرج من أصلاب الرجال ذُرِّيَّتَهُمْ أولادهم و ذراريهم وَ بعد ما أخرجهم و أكملهم أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أى جعلهم شهداء على أنفسهم، فإن من اعترف بشيء كان شهيدا على نفسه، قائلا لهم: أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ على نحو الاستفهام التقريرى، و قد كان ذلك بلسان الأنبياء، كما فى كثير من الآيات، مثل: وَ قُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائِيلَ «۱»، و المراد: القول لهم على لسان موسى عليه السّلام قالُوا بَلى أنت ربنا.

و هذا اعتراف بالفطرة، فإن الفطرة أذعنت بذلك، كما

قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبويه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»

و من قبيل ذلك إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها «۲»، و فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ «۳»، و إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «۴»، و أشباه ذلك مما هو كثير فى القرآن، و هو نوع من البلاغة، كقول الشاعر: «أيا جبلى نعمان بالله خليا»، و قوله: «أيا شجر الخابور ما لك مورقا» و قوله:

قال الحبيب و كيف لى بجوابكمو أنا رهين جنادل و تراب

---

(۱) الإسراء: ۱۰۵.

(۲) الأحزاب: ۷۳.

(۳) فصلت: ۱۲.

(۴) النحل: ۴۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۶۹

فإن الغالب أن يصوغ البليغ الكلام فى قالب جذاب لبيان المراد.

شَهِدْنا فالغرض من الآية أن الفطرة تشهد على توحيد الله سبحانه بما أودع فيها من درك الحقيقة و فهم الواقع. و إنما أودعنا فى الفطرة هذه الشهادة ل أَنْ لا تَقُولُوا أيها البشر يَوْمَ الْقِيامَةِ حين يعاتب المشرك على شركه، و الجاحد على جحوده: إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا الأمر و هو التوحيد غافِلِينَ فقد أودعنا فيكم ما يزيل غفلتكم.

لا يقال: فعل هذا يلزم صحة العقاب حتى بالنسبة إلى من لم تبلغه الدعوة؟

لأنه يقال: هو كذلك، إلّا أن الله سبحانه بلطفه لا يعذب حتى يتمّ الحجة الظاهرة، كما قال سبحانه: وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا «۱»، و هذا التفسير للآية الكريمة إنما هو القول الثانى الذى يأخذ بالظاهر مع غض النظر عن أخبار «عالم الذر» و الذى أظن أنه لا مانع من الجمع بين الأمرين و دلالة الآية عليهما، فإنه لم يدل دليل على امتناع استعمال اللفظ فى أكثر من معنى، بل الذى يظهر فى بعض الروايات أن بعض الآيات القرآنية تدل على أكثر من معنيين سواء كان المعنيان من باب المصداق أو لا، كما أن فى الآيات السابقة «إنّا عرضنا ..» يمكن الأمران، و كان الظاهر اللفظى البلاغى يؤكد كون الألفاظ مسوقة للمعنى العرفى، لا الخارجى- و الله أعلم-.

(۱) الإسراء: ۱۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۷۰

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۷۳ الى ۱۷۴]

أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (۱۷۳) وَ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ وَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۱۷۴)

[۱۷۴] أَوْ تَقُولُوا أي: لئلّا تقولوا: إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ شركنا وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ فلم نكن نعرف الحق من الباطل، فقلدنا آباءنا باعتقاد أنهم أعقل منا و أدرى، فلا بد و أن يكون شركهم على علم و دراية فلا تقصير لنا أَ فَتُهْلِكُنا يا رب بما لا جرم لنا فيه، فإنا قد اتّبعنا ما فَعَلَ آباؤنا الْمُبْطِلُونَ أي الذين هم على الباطل؟ فإنا قد جعلنا فيكم هذه الفطرة لتكون حاكمة و شاهدة على بطلان فعل الآباء، فلا يكون للمشرك عذر يوم القيامة بأنه لم يدر.

و هنا سؤال: إن الفطرة سواء جعلت في الإنسان أم لم تجعل، لم يصح احتجاج المشرك، إذ لو لا الأنبياء لم يعذب المشرك، و مع وجود الأنبياء يكون احتجاج الله على المشرك بأنه لم يؤمن بالنبي، لا لم لم يسمع نداء فطرته؟ فكيف يعلّل العقاب بجعل الفطرة؟

و الجواب: إنه تعليل بجزء العلة، فإنه لو لا الفطرة لم يكن الإنسان عارفا بصحة كلام الأنبياء، إذ ما لم يدل الباطل على شيء لا يؤخذ الإنسان بما قام عليه الدليل، و لذا

ورد أن لله حجتين: ظاهرة هي الأنبياء، و باطنة هي العقول.

و عليه فالتعليل إنما هو بجزء العلة، كما يقول القائل: «هيأت لك دارا لتسعد»، مع العلم أن الدار بعض من علة السعادة لا كلها.

[۱۷۵] وَ كما بيّنا لكم هذه الآية الدالة على التوحيد كَذلِكَ نُفَصِّلُ سائر الْآياتِ و البراهين و نوضحها جلية، ليعرفها كل أحد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۷۱

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۷۵]

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوِينَ (۱۷۵)

وَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أي لكي يرجعوا عن غيّهم إلى الحق و الرشاد.

و الظاهر أن «الواو» في «و لعلهم» عطف على المعنى المستفاد من «نفصّل» أي «ليعرفونها» و «لكي يرجعوا».

[۱۷۶] إنا جعلنا هذه الفطرة في الإنسان ليكون انحراف المشرك بلا عذر، و يكون انحراف من انحرف بلا مبرر، و قد وقع مثل هذا الانحراف في بعض الأفراد و هو «بلعم بن باعورا» فقد أعطى «الاسم الأعظم» الذي يستجاب به الدعاء، و كان يدعو به فيستجيب الله سبحانه له، فمال إلى فرعون، فلما مرّ فرعون في طلب موسى عليه السّلام و أصحابه، قال فرعون لبلعم: ادع الله على موسى و أصحابه ليحبسه الله علينا، فركب بلعم حمارته ليمرّ في طلب موسى، فامتنعت عليه حمارته، فأقبل يضربها، فأنطقها الله عز و جل، فقالت: ويلك على ماذا تضربني، أ تريد أن أجيء معك لتدعو على نبي الله و قوم مؤمنين، فلم يزل يضربها حتى قتلها و انسلخ الاسم الأعظم من لسانه فنسيه. و الآية و إن كانت في شأنه إلا أنها عامة لكل من انسلخ من آيات الله لترجيحه هوى نفسه، كما هو شأن الآيات القرآنية.

وَ اتْلُ أي اقرأ يا رسول الله عَلَيْهِمْ أي على الناس نَبَأَ أي خبر الَّذِي آتَيْناهُ أي أعطيناه آياتِنا أي حججنا و دلائلنا- و قد تقدم أن المراد من ذلك الاسم الأعظم- فَانْسَلَخَ مِنْها أي خرج من تلك الآيات، كالشيء الذي ينسلخ من جلده، كأن الآيات كانت كالجلد الواقي له عن شرور الدنيا و الآخرة فأخرج نفسه منها، فتعرض

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۷۲

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۷۶]

وَ لَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَ لکِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَی الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ کَمَثَلِ الْکَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَیْهِ یَلْهَثْ أَوْ تَتْرُکْهُ یَلْهَثْ ذلِکَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ (۱۷۶)

للخطر و الهلاک فَأَتْبَعَهُ الشَّیْطانُ أی لمّا خرج عن الوقایة تبعه الشیطان لیضلّه عن طریقه فکانَ مِنَ الْغاوِینَ أی الهالکین.

[۱۷۷] وَ لَوْ شِئْنا أی اقتضت مشیئتنا أن نجبره علی البقاء لَرَفَعْناهُ أی رفعنا «بلعم» بِها أی بتلک الآیات، فلو أردنا أن یبقی بالجبر لأمکننا ذلک، حتی ترتفع درجته وَ لکِنَّهُ أی «بلعم» و الضمیر یرجع إلی «الذی آتیناه» کذلک الضمیر السابق أَخْلَدَ إِلَی الْأَرْضِ فرکن إلی الدنیا و مال إلیها، کأنه جعلها موضع خلده و إقامته و أعرض عن الدار الآخرة، أو «أخلد» بمعنی لصق وَ اتَّبَعَ هَواهُ عوض أن یتبع الحق و یسیر فی طریق الرشد فَمَثَلُهُ کَمَثَلِ الْکَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَیْهِ من «الحملة» أی إن تطرده یَلْهَثْ یخرج لسانه من فمه یتنفس أَوْ تَتْرُکْهُ یَلْهَثْ بأن ترکته فلم تتعرض له، فإن کل حیوان یلهث فی حال الإعیاء و الإکلال بخلاف الکلب فإنه یلهث فی حال الراحة و الإعیاء.

و المراد أنه ضال علی کل حال سواء عارضته أم لم تعارضه، بخلاف کثیر من الناس الذین یضلون لدی المعارضة و حینما یغضبون أو یرون أن مصالحهم مهددة. إن بلعم أخرج لسانه لیدعو علی موسی- شبیها بلهث الکلب- حینما لم یعارضه موسی علیه السّلام و لم یهدد مصالحه، بل کانت أموره أحسن تحت لواء موسی حیث یجمعهما

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۷۳

[سورة الأعراف (۷): الآیات ۱۷۷ الی ۱۷۹]

ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا وَ أَنْفُسَهُمْ کانُوا یَظْلِمُونَ (۱۷۷) مَنْ یَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِی وَ مَنْ یُضْلِلْ فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ (۱۷۸) وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ کَثِیراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا یَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ أَعْیُنٌ لا یُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا یَسْمَعُونَ بِها أُولئِکَ کَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِکَ هُمُ الْغافِلُونَ (۱۷۹)

الدین، لکنه شبیه بالکلب اللاهث و إن لم تطرده.

ذلِکَ المثال بالکلب مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا فإنهم بصفة الکلب فی الإیذاء و اللهث و إن لم یتعرض لهم بسوء فَاقْصُصِ یا رسول الله الْقَصَصَ أی أخبار الماضین لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ فیرتدعوا عن غیهم، إذ یعلمون أن مصیرهم کمصیر أولئک إلی الهلاک و الدمار، إن عاندوا الحق و عارضوا الدین.

[۱۷۸] ساءَ مَثَلًا أی بئس مثلا مثل الْقَوْمُ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا و المراد:

بئس الصفة المضروب لها المثل بصفة المکذبین، فإن سوء المثل یدل علی سوء الممثل له وَ أَنْفُسَهُمْ کانُوا یَظْلِمُونَ أی أنهم بالعصیان ظلموا أنفسهم حیث حرموها من خیر الدنیا و سعادة الآخرة.

[۱۷۹] مَنْ یَهْدِ اللَّهُ أی: یهدیه الله سبحانه فَهُوَ الْمُهْتَدِی فإن هدایة الله هی الهدایة الحقة التی تورث خیر الدنیا و الآخرة وَ مَنْ یُضْلِلْ أی یضله، بأن یقطع لطفه عنه حیث یراه فی سبیل العصیان و الفساد فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ الذین خسروا أنفسهم و ما ربحوا شیئا.

[۱۸۰] وَ لَقَدْ ذَرَأْنا أی خلقنا و أنشأنا لِجَهَنَّمَ اللام للعاقبة، کما فی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۷۴

قوله تعالی: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِیَکُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً «۱»، کَثِیراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ فإنه سبحانه خلقهم لیعبدوه و یدخلوا جنته کما قال: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ «۲»، و قال: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِیُطاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ «۳»، لکنهم بسوء أعمالهم أوجبوا لأنفسهم الشقاء و دخول النار. و الکلام تعقیب لما تقدم فی الآیة السابقة من ضرب الأمثال للکفار، فکأنه قال: «مثلهم ذلک، و مصیرهم هذا». ثم إنه یدل علی أن مصیر «فلان» النار بهذه العلائم ف لَهُمْ قُلُوبٌ لا یَفْقَهُونَ بِها أی لا یفهمون الحق بسببها، و المراد عدم إذعانهم للحق، لأن التارک و الجاهل سواء، فقد قال سبحانه: یَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ یُنْکِرُونَها «۴»، وَ لَهُمْ أَعْیُنٌ لا یُبْصِرُونَ بِها الرشد، و إن رأوا بها الأمور المادیة، فإن التارک للطریق و الأعمی سواء وَ لَهُمْ آذانٌ لا یَسْمَعُونَ بِها الوعظ و الإنذار سماعا مفیدا، و إن

سمعوا ألفاظهما، فإن من لا يستجيب للوعظ هو و الأصم سواء.
أُولئِكَ الأشخاص كَالْأَنْعامِ من الإبل و البقر و الغنم، فكما أنها لا تفقه و لا تبصر الرشد، و لا تسمع إلى الوعظ كذلك هؤلاء بَلْ هُمْ أَضَلُّ من البهائم لأنها تهتدى إلى مصالحها و مفاسدها و تنبعث إذا

---

(۱) القصص: ۹.

(۲) الذاريات: ۵۷.

(۳) النساء: ۶۵.

(۴) النحل: ۸۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۷۵

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۸۰ الى ۱۸۱]

وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ سَيُجْزَوْنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۸۰) وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ (۱۸۱)

بعثت و تنزجر إذا زجرت، بخلاف هؤلاء فإنهم يلقون بأيديهم إلى التهلكة و لا ينصاعون للأوامر و الزواجر أُولئِكَ الضالون هُمُ الْغافِلُونَ عن الحق و الواقع، فإنهم كالغافل فى عدم الانتفاع بالأوامر و النواهى، و ليست الأنعام غافلة، فهم أسوأ من الأنعام.

[۱۸۱] و حيث ذكر سبحانه مصير الكافرين و أنهم الذين لا يعقلون و لا يهتدون، بيّن ما يجب أن يكون عليه أهل القلوب الفاقهة من العقلاء فقال: وَ لِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى أى الحسنة المعنى كالكريم و الغفور و الجواد و الرحيم و العفوّ و غيرها فَادْعُوهُ بِها أى فادعوا الله بهذه الأسماء بأن يقال: يا كريم يا غفور و هكذا وَ ذَرُوا أى اتركوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ أى ينحرفون فيها بتسمية أصنامهم بأسمائه سبحانه، فقد كانوا يقولون لشىء: هذا إله المطر، و هذا إله النبات، و هذا إله الأرض .. و هكذا، فكانوا يجعلون صفاته و أسمائه للأصنام أو الأوهام، أو المراد: يلحدون بأسمائه كما سموا صنما ب «اللات» مخفف «الله» و صنما ب «العزى» مخفف «عزيز»، أو المراد:

يلحدون بتسمية الله بأسماء لا تليق به كتسميته «أبا» و «زوجا» و ما أشبه ذلك. إنهم سَيُجْزَوْنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ فى الدنيا بالشقاء و فى الآخرة بالنار.

[۱۸۲] ثم بيّن سبحانه أن ليس كل الناس منحرفين فى الشرك و الظلم وَ مِمَّنْ خَلَقْنا من البشر أُمَّةٌ يَهْدُونَ الناس بِالْحَقِ و يرشدونهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۷۶

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۸۲ الى ۱۸۴]

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (۱۸۲) وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (۱۸۳) أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (۱۸۴)

إليه وَ بِهِ أى بالحق يَعْدِلُونَ أى يحكمون بالعدل لا يزيغون عن الحق و لا يميلون نحو الباطل.

[۱۸۳] وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فلم يؤمنوا، بل بقوا على عنادهم، مصرّين على كفرهم سَنَسْتَدْرِجُهُمْ «الاستدراج» هو تقريب شىء إلى المقصد درجة درجة، أى أن المكذبين نقرّبهم إلى العذاب و الهلاك درجة فدرجة مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ أنهم آخذون فى القرب من الهلاك، فإن المؤمن كلما زلت به قدم تذكّر و استغفر و ابتعد بنفسه عن الهلكة، أما المكذب فإنه حيث لا يبالى بما عمل يتقرب إلى الهلاك شيئا فشيئا و هو لا يعلم ذلك.

[۱۸۴] وَ أُمْلِي لَهُمْ «الإملاء» التأخير، أى: أمهلهم و لا أعاجلهم بالعقوبة فإنهم لا يفوتون الله سبحانه، و الإمهال لهم موجب لكثرة

عذابهم لازدیاد معصیتهم إِنَّ کَیْدِی «الکید» هو معالجة الأشیاء خفیة، إن عملی للانتقام منهم مَتِینٌ مستحکم لا یفوته شیء.

[۱۸۵] أ وَ لَمْ یَتَفَکَّرُوا أی هلّا یتفکر المشرکون فیما یقولونه و یرمون به النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من الجنون، فإنهم کانوا یقولون أنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مجنون ما بِصاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ و کیف یکون مجنونا من یأتی بما یعجز عنه البشر، و کل أقواله و أعماله فی غایة الصحة و الدقة؟! إِنْ هُوَ أی ما هو إِلَّا نَذِیرٌ مُبِینٌ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۷۷

[سورة الأعراف (۷): آیة ۱۸۵]

أ وَ لَمْ یَنْظُرُوا فِی مَلَکُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَیْءٍ وَ أَنْ عَسی أَنْ یَکُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَیِّ حَدِیثٍ بَعْدَهُ یُؤْمِنُونَ (۱۸۵)

منذر للناس إن عملوا شیئا یعاقبوا علیه، فواضح کونه منذرا، و إنما ذکر «الإنذار» فقط لأنه فی مقابل المشرکین الذین کانوا یعملون السیئات.

[۱۸۶] إنهم کیف لا- یؤمنون و الکون کله یدل علی وجود الله سبحانه؟ ثم کیف لا- یؤمنون و من الجائز أن یموتوا عاجلا- فیبتلوا بالعقاب و العذاب؟! أ وَ لَمْ یَنْظُرُوا نظر اعتبار و تعقّل فِی مَلَکُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أی آثار الملک، فإن الأثر یدل علی المؤثر حتی یعترفوا بالإله الخالق و بما یلیق به من الصفات وَ أولم یتفکروا و ینظروا فی ما خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَیْءٍ من أصناف خلقه فیعرف أنه خالق الأشیاء جمیعا وَ أَنْ عَسی أَنْ یَکُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ حتی یعدوا للموت عدّته و یحتاطوا لما بعد الموت حتی لا یندموا و یخسروا، فإن مجرد احتمال ذلک کاف فی أن یرتدع الإنسان، کما

أشار إلی ذلک الإمام علی علیه السّلام فی الأبیات المنسوبة إلیه: قال المنجم و الطبیب کلاهما* لم یحشر الأموات، قلت: إلیکما إن کان قولکما فلست بخاسر* أو کان قولی فالخسار علیکما

إنهم لم یؤمنوا بالقرآن الکریم الذی تکتنفه کل شواهد الصدق و الحق فَبِأَیِّ حَدِیثٍ و مطلب و خبر بَعْدَهُ أی بعد القرآن یُؤْمِنُونَ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۷۸

[سورة الأعراف (۷): الآیات ۱۸۶ الی ۱۸۷]

مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِیَ لَهُ وَ یَذَرُهُمْ فِی طُغْیانِهِمْ یَعْمَهُونَ (۱۸۶) یَسْئَلُونَکَ عَنِ السَّاعَةِ أَیَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّی لا یُجَلِّیها لِوَقْتِها إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لا تَأْتِیکُمْ إِلَّا بَغْتَةً یَسْئَلُونَکَ کَأَنَّکَ حَفِیٌّ عَنْها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ (۱۸۷)

أو بعد «محمد» صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیث تقدم قوله «ما بصاحبهم». و فی الکلام مجاز سواء عاد الضمیر إلی القرآن؛ لأن لیس کل القرآن حدیثا و قصة و إنما فیه إنشاء، أو الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم؛ لأنه صاحب حدیث.

[۱۸۷] مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ بأن یخلی بینه و بین الضلال، لما سبق منه من الإعراض عن الحق فَلا هادِیَ لَهُ إذ الهدایة منحصرة بالله سبحانه، فإذا لم تشع الهدایة من قبله فلم یکن للإنسان هاد سواه وَ یَذَرُهُمْ أی یترک هؤلاء المعرضین الذین لا یتفکرون و لا ینظرون إلی الحق فِی طُغْیانِهِمْ و ضلالهم، کأنهم طغوا عن الحق یَعْمَهُونَ أی یتحیّرون، فهم دائما متردّدون بین الحق و الباطل، حیث أن الضمیر ینادیهم لاتباع الحق، و شهواتهم تمنعهم. و قد تقدم أن العمی فی العین، و العمه فی القلب.

[۱۸۸] و لما تقدم الوعید بیوم القیامة، الذی یسمی ب «الساعة»، سأل جماعة عن وقت القیامة یَسْئَلُونَکَ یا رسول الله عَنِ السَّاعَةِ أی القیامة أَیَّانَ مُرْساها أی متی وقوعها، من «رسا الشیء یرسو» إذا ثبت.

و «المرسی» بمعنی المثبت، أی متی وقت ثبوتها؟ قُلْ یا رسول الله فی جوابهم: إِنَّما عِلْمُها أی علم الساعة عِنْدَ رَبِّی فهو وحده یعلم وقتها لا یُجَلِّیها أی لا یکشفها. الظاهر أن المراد: لا یأتی بها لِوَقْتِها أی حین یکون وقتها إِلَّا هُوَ تعالی، فعلمها عنده، و وقتها عند إرادته،

و إنما لم یکشف الله سبحانه عن وقتها لخلقه

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۷۹

لیکون أدعی لهم إلی الطاعة و اجتناب المعصیة، فإن الإنسان إذا لم یعرف وقت البلاء یکون خائفا دائما، أما إذا عرف أخّر الطاعات و کان خوفه لقرب وقت الساعة.

و لا یقال: إن القیامة لیس مما یخاف منه الإنسان فی الدنیا، إذ هی بعد القبر، فعلمها و عدمه سواء بالنسبة إلی الإنسان الحی، و إنما یصح هذا التعلیل بالنسبة إلی الموت.

لأننا نقول: قیام القیامة بالنسبة إلی العاصین- و هم فی القبر- من أکثر الأشیاء خوفا، کما ورد فی الأحادیث.

ثَقُلَتْ الساعة، أی وقوعها فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فإن أهل السماوات و الأرض یخافونها خوفا عظیما لشدتها و ما فیها من المحاسبة و المجازاة لا تَأْتِیکُمْ أیها البشر، أیها الشاعرون إِلَّا بَغْتَةً أی فجأة یَسْئَلُونَکَ کَأَنَّکَ حَفِیٌّ عَنْها أی أن الناس یسألونک یا رسول الله عن الساعة و عن وقت قیامتها، کأنک عالم بها، فإن «الحفی» بمعنی المستقصی فی السؤال، و یقال للعالم النحریر: «حفی» باعتبار أنه من کثرة سؤاله استوعب الأمر تماما و علم الواقع کما هو، فالمعنی: «کأنک عالم بالقیامة قد أکثرت المساءلة عنها» قُلْ یا رسول الله فی جواب السائلین: إِنَّما عِلْمُها أی علم الساعة عِنْدَ اللَّهِ کرّر هذا لیصل بقوله: وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ إن علمها

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۸۰

[سورة الأعراف (۷): آیة ۱۸۸]

قُلْ لا أَمْلِکُ لِنَفْسِی نَفْعاً وَ لا ضَرًّا إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ وَ لَوْ کُنْتُ أَعْلَمُ الْغَیْبَ لَاسْتَکْثَرْتُ مِنَ الْخَیْرِ وَ ما مَسَّنِیَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِیرٌ وَ بَشِیرٌ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (۱۸۸)

خاص بالله لا یشترک معه فی هذا العلم أحد.

[۱۸۹] إن الساعة غیب لا یعلمه إلا الله، و کذلک سائر الأمور الغائبة عن الحواس، و إن کنت أنا- الرسول- أعلم الغیب بذاتی، لکنت أعلم ما یضرّنی فاجتنبه و ما ینفعنی فارتکبه قُلْ یا رسول الله لهؤلاء السائلین: لا أَمْلِکُ لِنَفْسِی نَفْعاً وَ لا ضَرًّا فإننی لا أقدر علی جلب نفع و لا دفع ضرر إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ فما شاء أن یملکنی إیاه؛ أتمکن منه، و ما لم یملکنی إیاه؛ لا أتمکن منه، و هذا کما ملّک سبحانه الرسول بعض المنافع و دفع عنه بعض المضارّ، نعم الرسول أکثر ملکا حیث أنه مزوّد بقسم من الحصانة و علم الغیب وَ لَوْ کُنْتُ أَعْلَمُ الْغَیْبَ علما مطلقا کما یعلمه الله سبحانه، فإن الرسول لم یکن یعلم الغیب بذاته، و إنما بمقدار علم الله سبحانه، کما قال سبحانه: فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ «۱»، لَاسْتَکْثَرْتُ مِنَ الْخَیْرِ أی أکثر من الأشیاء الخیرة کالشراء الرخیص أیام الرخص لأیام الغلاء، و غیره مما لو عرفه الإنسان لانتفع به کثیرا وَ ما مَسَّنِیَ السُّوءُ الذی یمکن دفعه، فإن الإنسان إذا عرف أن هذا الغذاء یضره أو هذا الشخص یقتله، أو هذا السفر یؤذیه- مثلا- لأجتنبها.

و من الغریب أن بعض الناس یتمسکون بمثل هذه الآیة لعدم معرفة الرسول بالأشیاء المستقبلیة إطلاقا، إنه لیس إلا کتمسک المجبرة بقوله

---

(۱) الجن: ۲۷ و ۲۸.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۸۱

سبحانه: مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِیَ لَهُ «۱»، و المجسمة بقوله: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ ساقٍ «۲»، و القدریة بقوله: إِنَّا کُلَّ شَیْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ «۳»، و القائلین بحجیة التوراة و الإنجیل بقوله: إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِیها هُدیً «۴»، وَ لْیَحْکُمْ أَهْلُ الْإِنْجِیلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِیهِ «۵»، و القائلین بمعصیة الأنبیاء بقوله: وَ عَصی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوی «۶»، و القائل بجهل الله سبحانه و تعالی بقوله: قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا یَعْلَمُ فِی السَّماواتِ «۷»، و

القائل بتعدد الآلهة بقوله: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا «۸»، حيث دلل على أن الآلهة مع الله لا توجب الفساد. و هكذا من أمثال هذه الاستدلالات التى إن دلت على شيء فإنما تدل على عدم اطلاع القائل بأساليب الكلام، و عدم جمعه بين النص و الظاهر، و العام و الخاص، و المطلق و المقيد، و الحقيقة و المجاز، و معارض السياق.

إِنْ أَنَا أى ما أنا إِلَّا نَذِيرٌ أنذر الكافر و العاصى بالعقاب وَ بَشِيرٌ أبشر المؤمن المطيع بالثواب لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ اللام للعاقبة، أى أن فائدة إنذارى و بشارتى إنما هى للمؤمن، أما غيره فالرسول بشير نذير له، لكنه حيث لا ينتفع بقوله، فكأنه ليس مرسلا بالنسبة إليه.

و قد ورد فى بعض التفاسير أن أهل مكة قالوا: يا محمد! ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتريه فتربح فيه،

---

(۱) الأعراف: ۱۸۷.

(۲) القلم: ۴۳.

(۳) القمر: ۵۰.

(۴) المائدة: ۴۵.

(۵) المائدة: ۴۸.

(۶) طه: ۱۲۲.

(۷) يونس: ۱۹.

(۸) الأنبياء: ۲۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۸۲

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۸۹]

هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (۱۸۹)

و بالأرض التى تريد أن تجدب فنرتحل منها إلى أرض قد أخصبت، فأنزل الله هذه الآية.

[۱۹۰] و حيث انتهى السياق من قصة المعاد، و نبذ من يوم البعث، يأتى دور قصة أخرى من قصص البشر الذى لا يزال ينحرف عن الفطرة و يتوجه نحو الشرك و الكفر، كما تقدمت قصة «بلعم» بهذا الصدد هُوَ الله وحده الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فابتداء الخلقة بآدم عليه السّلام وحده وَ جَعَلَ أى خلق مِنْها أى من جنس تلك النفس و نوعها و صورتها زَوْجَها حواء عليها السّلام لِيَسْكُنَ آدم عليه السّلام المفهوم من قوله «نفس واحدة» إِلَيْها أى إلى الزوجة، فيستريح بها و تكون موضع سكونه و اطمئنانه و راحته فَلَمَّا تَغَشَّاها أى قاربها، إذ الرجل حين المقاربة يكون كالغشاء و الغطاء لها حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً هو الماء الذى يستقر فى الرحم أول الأمر، و فى هذا الحين لا يحسّان بالحمل حتى يعلّقا عليه آمالا، و ينذرا لأجل الجنين نذورا فَمَرَّتْ بِهِ أى استمرت بالحمل على الخفة فَلَمَّا أَثْقَلَتْ أى صارت ذات ثقل، و تبيّن الحمل و ظهر أثره فى الزوجة دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما أى دعا الزوج و الزوجة، فإن الكلام حول الإنسان لا حول آدم و حواء عليهما السّلام، فإنه سبحانه يريد بيان الطبيعة البشرية التى تستقيم فى أول الأمر ثم تنحرف لنوازع و رغبات، و الكلام فى مثله حيث يبتدأ بجهة، ثم ينصرف لجهة أخرى، يسمى استخداما، فإن اللفظ خدم معنى، و الضمير معنى آخر

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۸۳

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۹۰ الى ۱۹۱]

فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (۱۹۰) أَ يُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ (۱۹۱)

كما قال: وَ الْمُطَلَّقاتُ إلى قوله- وَ بُعُولَتُهُنَّ «۱»، فإن الضمير يرجع إلى بعض المطلقات، و هنّ الرجعيات فقط. لَئِنْ آتَيْتَنا صالِحاً أى

ولدا صالحا کاملا صحیح الخلقة لَنَکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرِینَ لک وحدک لا شریک لک، فنقدر فضلک و لطفک علینا، و نحمدک و نشکرک علی ما أعطیتنا هذا الولد الصالح.

[۱۹۱] فَلَمَّا آتاهُما أی أعطی الله الأبوین ولدا صالِحاً جَعَلا أی الأبوان لَهُ سبحانه شُرَکاءَ فِیما آتاهُما فی الشؤون المرتبطة بالولد، فتشکر الأصنام کما یشکر الله فی إعطاء الولد، و یسمیاه بعبد العزی و عبد اللات و عبد مناة، و أحیانا کانا ینذرانه للأصنام ذبحا أو خدمة؛ کما ینذر لخدمة المسجد و نحوه فَتَعالَی اللَّهُ أی أن الله أعلی و أجل عَمَّا یُشْرِکُونَ أی یشرک البشر، إنه سبحانه لیس له شریک و لا مثیل.

[۱۹۲] أ یُشْرِکُونَ استفهام توبیخی، أی کیف یشرک هؤلاء مع الله شریکا ما لا یَخْلُقُ شَیْئاً؟ فإن الأصنام لا تتمکن من خلق شیء وَ هُمْ یُخْلَقُونَ أی أولئک الشرکاء- کالأصنام- هی کلها مخلوقة، أو المراد أن الجمیع من المشرک و الأصنام مخلوقون.

---

(۱) البقرة: ۲۲۹.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۸۴

[سورة الأعراف (۷): الآیات ۱۹۲ الی ۱۹۳]

وَ لا یَسْتَطِیعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَ لا أَنْفُسَهُمْ یَنْصُرُونَ (۱۹۲) وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَی الْهُدی لا یَتَّبِعُوکُمْ سَواءٌ عَلَیْکُمْ أَ دَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ (۱۹۳)

[۱۹۳] وَ لا یَسْتَطِیعُونَ أی لا تستطیع تلک الأصنام لَهُمْ أی لعبّادها نَصْراً حیث یقعون فی المشاکل وَ لا أَنْفُسَهُمْ یَنْصُرُونَ لا تستطیع الأصنام نصر أنفسها إذا تعدّی علیها متعدّ، کما قد رأی ذلک الشاعر أن الثعلب یبول علی رأس صنمه، فکسره قائلا:

أرب یبول الثعلبان برأسه؟ لقدذلّ من بالت علیه الثعالب

و لا یخفی أن الإتیان بضمیر العاقل للأصنام للتشاکل بما کان یعتقده عابدوها من أنها تعقل و تفهم و تضر و تنفع.

[۱۹۴] وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ أیها المسلمون إن تدعوا هؤلاء المشرکین إِلَی الْهُدی لیهتدوا و یترکوا أصنامهم لا یَتَّبِعُوکُمْ حیث استحوذ الشیطان علیهم سَواءٌ عَلَیْکُمْ أَ دَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ فإن دعاءهم إلی الإیمان و السکوت عنهم متساویان، کما قال سبحانه:

سَواءٌ عَلَیْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا یُؤْمِنُونَ «۱».

و قد یستشکل بعض الملحدین: بأن الأمر إن کان بالنسبة إلی مرحلة الظاهر فالله «سبحانه» و الأصنام متساویان من هذه الجهة، فإنه لا یظهر أثر للنصرة و عدمها، و إن کان بالنسبة إلی مرحلة الواقع، فأی

---

(۱) البقرة: ۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۸۵

[سورة الأعراف (۷): آیة ۱۹۴]

إِنَّ الَّذِینَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبادٌ أَمْثالُکُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْیَسْتَجِیبُوا لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (۱۹۴)

دلیل علی الفرق، و إن الأصنام تنصر فی زعم عبادها کما أن الله ینصر فی نظر المسلمین؟

و الجواب: إن الأدلة لما دلّت علی وجوده سبحانه کانت کافیة للفرق فی مرحلة الواقع، فلو کان هناک شخصان أحدهما یملک شهادة الطب، و الآخر جاهل، و لم ینفع الدواء الذی وصفه صاحب شهادة الطب للمریض، لا یمکن أن یقال بالتساوی مع الجاهل، و إنما یجب أن یعلل بعلة أخری، و إن شئت قلت: إن الدلیل فی قوله تعالی:

لا یَسْتَطِیعُونَ لَهُمْ نَصْراً خطاب فی الظاهر، و إنما البرهان المقنع ما ذکرنا. و بهذا یجاب عن الإشکال بالنسبة إلی التوسل بالأنبیاء و

الأولياء مما دلّ الدليل عليه.

[۱۹۵] إِنَّ الَّذِينَ أى الأصنام الذين تَدْعُونَ هم مِنْ دُونِ اللَّهِ أى تجعلونهم آلهة عِبادٌ أى مخلوقة لله، فإن العبد هو المطيع. و من المعلوم أن الجمادات تطيع الله تعالى، كما يطيعه الإنسان، كما قال سبحانه: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ «۱»، أَمْثالُكُمْ أيها البشر فليسوا بآلهة حتى تعبدونهم.

فَادْعُوهُمْ فى مهماتكم و كشف الضر عنكم فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ الأمر هنا للتعجيز و التوهين، كما تقول للعاجز عن القيام: «قم إن صدقت أنك قادر» إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى أنها آلهة تنفع و تضر.

---

(۱) الإسراء: ۴۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۸۶

[سورة الأعراف (۷): آية ۱۹۵]

أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِها أَمْ لَهُمْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها قُلِ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ (۱۹۵)

و من الوهابيين من يستدل بهذه الآية بعدم صحة التوسل بالأنبياء و الأئمة، قائلا: «فادعوهم فليستجيبوا لكم».

و الجواب: نقضا؛ «فادع الله فليستجب لك» فإن قال: يستجيب، قلنا: يستجيبون بأمر الله تعالى و إذنه. و حلا؛ بأن الفارق هو الدليل، و عدم الاستجابة العاجلة لا دلالة فيه لأحد الطرفين.

[۱۹۶] ثم بيّن سبحانه أن الأصنام لا تقدر على شيء حتى على ما يقدر الإنسان العادى عليه، فمن لا يقدر على أقل شيء كيف يكون إلها معبودا؟ أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها أى: هل لهذه الأصنام أرجل يمشون بها فى مصالحكم، أو مشيا لأنفسهم، حتى يتساووا مع أقل حيوان أو إنسان؟ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها «البطش» هو الأخذ بشدة، أى يأخذون بأيديهم بشدة ما يريدون الانتقام منه، أو مطلق الأخذ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِها الأشياء؟ أَمْ لَهُمْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها الأصوات و الشكاوى و غيرهما؟ إنها لا تحس إطلاقا، فكيف تعبدون أنتم أيها البشر هذه الأشياء الفاقدة لكل حس؟

قُلِ يا رسول الله للمشركين: ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ أى الشركاء الذين جعلتموهم مع الله سبحانه ثُمَّ كِيدُونِ أى امكروا بى بأجمعكم عابدا و معبودا فَلا تُنْظِرُونِ لا تأخرونى، بل أسرعوا فى الكيد، فإن ربى ينصرنى عليكم جميعا. إن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بهذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۸۷

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۱۹۶ الى ۱۹۹]

إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (۱۹۶) وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَ لا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (۱۹۷) وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدى لا يَسْمَعُوا وَ تَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لا يُبْصِرُونَ (۱۹۸) خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ (۱۹۹)

يتحدّاهم، لبيان أن الله ناصر نبيه، لكن أصنامكم لا تنصركم.

[۱۹۷] إِنَّ وَلِيِّيَ الذى يتولى أمرى و ينصرنى اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ أى القرآن، فإنه كما أمرنى بالرسالة ضمن لى النصرة وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ يتولى أمورهم و ينصرهم على أعدائهم، و هذا لا ينافى عدم الحيلولة بينهم و بين أعدائهم أحيانا لمصالح و جهات.

[۱۹۸] وَ الأصنام الَّذِينَ تَدْعُونَ هم مِنْ دُونِهِ أى غير الله سبحانه من الآلهة لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ لا يقدرون على أن ينصروكم وَ لا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ فإذا تعدّى عليهم متعدّ لا يتمكنون من الدفاع عن أنفسهم.

[۱۹۹] وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إن تدعوا أيها المسلمون، المشركين إِلَى الْهُدى و الحق لا يَسْمَعُوا دعاءكم فإنهم معاندون، و قيل: المعنى إن

تدعوا الأصنام لا يسمعوا لأنهم جماد وَ تَراهُمْ يا رسول الله، أو كل من يتأتى منه الرؤية يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ أى المشركون، أو الأصنام، فإن الأصنام عيونها مفتوحة إلى الإنسان كالناظر وَ هُمْ لا يُبْصِرُونَ إبصارا نافعا؛ إذا كان وصفا للمشركين، أو أصل الإبصار؛ إذا كان وصفا للأصنام.

[۲۰۰] و حيث أن الإنسان إذا ورد فى خضم الاحتجاج و رأى عناد الخصم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۸۸

[سورة الأعراف (٧): آية ٢٠٠]

وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)

على الباطل يأخذه الغضب الموجب للخروج عن آداب المحاورة، أوصى الله سبحانه نبيه بمكارم الأخلاق- بمناسبة المقام- فقال: خُذِ الْعَفْوَ عن الناس أى لازم العفو عنهم، و أصفح عن السيئ منهم، أو المراد خذ الزائد من أموالهم، أى ما عفا و فضل من نفقاتهم، فإن الخمس و الزكاة و الخراج و الجزية كذلك- غالبا- و المعنى الأول أقرب إلى الظاهر، و المعنى الثانى وارد فى الحديث، و لا يبعد إرادة الأمرين، فإن استعمال اللفظ فى أكثر من معنى جائز إذا كان هناك دليل وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ أى ما يستحسنه العرف، و هو ما ليس بقبيح عند العقل، و هو ضد النكر وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ فلا تقابل جهلهم بجهل. إن المتكلم مع طبقات الناس المختلفة يحتاج إلى التزام هذه الأشياء إن أراد مراعاة الآداب، فاللازم أولا أن يعفو عمن يخشن فى الكلام و يتنكب عن طريق الحق، ثم يأمره بالمعروف لعله يرجع و يسترشد، فإذا رأى منه جهلا و إصرارا، فليعرض عنه و لا يقابله بمثل عمله.

[۲۰۱] وَ إِمَّا مركبة من «إن» الشرطية و «ما» الزائدة تأتى لتجميل الكلام و فوائد أخر يَنْزَغَنَّكَ «النزغ» هو الإزعاج بالإغراء، و أكثر ما يكون ذلك عند الغضب، أى إن تالك مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ وسوسة و نيل و نخسه فى القلب، و حركة و إزعاج بأن ثار القلب أمام الجاهل و غضب و احتد، حتى أراد الانتقام و السباب فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ أى سل الله سبحانه أن يعيذك و يحفظك من شر الشيطان إِنَّهُ سبحانه سَمِيعٌ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۸۹

[سورة الأعراف (٧): الآيات ٢٠١ الى ٢٠٢]

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١) وَ إِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)

لقولك عَلِيمٌ بقصدك و ما عرض لك.

[۲۰۲] ثم بيّن سبحانه أن هذه قاعدة المؤمنين كلما ألقى الشيطان فى قلوبهم ميلا و زيغا، أدركتهم الفطنة، فلم يميلوا إليه إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا بأن جعلوا التقوى شعارهم، و ذاقوا حلاوتها و صارت ملكة و عادة عندهم إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ بأن أتاهم من يطوف من الشياطين على قلوب بنى آدم، فأراد إغواءهم، و ميلهم عن الحق، و أعمى قلوبهم، و زين فى نفوسهم الشهوات. و قد دلت الأدلة الشرعية و العلمية «۱» على أن فى الجو أرواح شريرة شأنها الإغراء و الإغواء، و لا يراها الإنسان.

تَذَكَّرُوا و أدركتهم ملكة التقوى الكامنة فى نفوسهم فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ يبصرون الطريق و لا يعمهون عن الحق، و لا يتمكن الشيطان من تغشية قلوبهم بغشاء الشهوات و المغريات.

[۲۰۳] هذا شأن المتقين الذين لا- يسايرون الشياطين فى إغوائهم و إغرائهم وَ أما إِخْوانُهُمْ أى إخوان الشياطين الذين لا تقوى لهم ليرتدعوا عن المعاصى و الآثام فإنهم يَمُدُّونَهُمْ أى يمدون الشياطين و يسايرونهم فِي الْغَيِ و الضلال، فإذا مس العاصى طائف من الشيطان عمل بما يوحى إليه، و كان ذلك إمدادا للشياطين، لأنه مشى فى ركابهم، و مسايرة لهم ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ بل يذهبون إلى آخر

---

(۱) المس الروحى/ عبد الرزاق نوفل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۹۰

[سورة الأعراف (۷): آية ۲۰۳]

وَ إِذا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قالُوا لَوْ لا اجْتَبَيْتَها قُلْ إِنَّما أَتَّبِعُ ما يُوحى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هذا بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۲۰۳)

الشوط، بخلاف المتقين الذين لا يمدون الشياطين و يقصِّرون فى المسايرة، و لعل جملة «ثم لا يقصرون» للإشارة إلى أن المتقى إذا غفل و أغرى و مشى بعض الطريق مع الشيطان أدركته بصيرته فرجع و لا يسير إلى آخر الشوط، بخلاف إخوان الشياطين.

[۲۰۴] و فى سياق الكلام حول أدب الحوار مع الناس، و أن المتقى متأدب بالآداب يأتى دور المحاورة بين الرسول و الكفار حول القرآن كشاهد لأدب الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و كون الكفار إخوان الشياطين الذين يمدونهم فى الغى وَ إِذا لَمْ تَأْتِهِمْ يا رسول الله بِآيَةٍ أى بمعجزة يقترحونها عليك، فإن الكفار كانوا يقترحون على الرسول الأمور الخارقة للعادة لمجرد المجادلة و المعاندة، لا لإرادة الاهتداء و الاسترشاد، فإذا لم يستجب الرسول لمطلبهم قالُوا أى الكفار: لَوْ لا اجْتَبَيْتَها أى لماذا لم تختر هذه الآية المقترحة؟ و لماذا لم تأت بها؟ كأنهم، يرون الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الفاعل لما يشاء، فمهما اجتبى آية و اختارها، أتى بها قُلْ يا رسول الله: إن الآيات ليست باختيارى و اجتبائى، بل إِنَّما أَتَّبِعُ ما يُوحى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي فاللازم اختيار الله للآيات، فما رآها صلاحا أرسلها و زودنى بها، و ما لم يرها صلاحا لم يرسلها، إن كنتم تريدون الحق و الهدى- حقيقة- و قصدكم من طلب الآيات، إقامة الدليل و الحجة على صدقى ف هذا الذى جئت به من القرآن المعجز الذى لم تتمكنوا أن تأتوا بمثله بَصائِرُ و حجج و براهين مِنْ قبل رَبِّكُمْ وَ هُدىً يهدى من أراد الحق إلى الحق وَ رَحْمَةٌ يوجب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۹۱

[سورة الأعراف (۷): الآيات ۲۰۴ الى ۲۰۵]

وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۲۰۴) وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ (۲۰۵)

ترحّم الله سبحانه و لطفه بالعاملين به لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ اللام للعاقبة، إذ المنتفع بهذه الآيات هم المتقون فقط.

[۲۰۵] و إذ تقدم ذكر القرآن تلميحا بقوله «هذا بصائر» بيّن سبحانه لزوم الأدب أمام القرآن بقوله: وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ أى قارئ كان فَاسْتَمِعُوا لَهُ أى أعيروا أسماعكم له وَ أَنْصِتُوا «الإنصات» هو السكوت. و من المعلوم أن الإنصات أخص من الاستماع، فإن الإنسان ربما يستمع إلى الكلام و هو يتكلّم، و لذا نص عليه، فإن الأدب أن يستمع الإنسان، و لا يتكلّم، و هذا الأمر للاستحباب، ككثير من أوامر القرآن الكريم كقوله:

فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً «۱»، كما دلّت على ذلك الأحاديث لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أى لكى يرحمكم الله سبحانه بسبب تأدبكم أمام كتابه الكريم، أو بسبب اتعاظكم بمواعظه، حيث تستمعون لها.

[۲۰۶] و بمناسبة الإنصات عند تلاوة القرآن، يأتى بيان كيفية دعوة الله سبحانه، فإن القرآن كلام الله للخلق، و الدعاء كلام الخلق مع الله سبحانه وَ اذْكُرْ يا رسول الله، أو كل من يأتى منه الذكر رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ أما المراد به حديث النفس، و أما المراد التذكر بالهمس و الإخفات، و لعل الأول أقرب، بقرينة ما يأتى بقوله: «و دون ...» تَضَرُّعاً أى بنحو الضراعة و الاستكانة وَ خِيفَةً أى مع الخوف من

---

(۱) النور: ۳۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۹۲

[سورة الأعراف (۷): آية ۲۰۶]

إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ يُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ (۲۰۶)

الله تعالی، فإن ذلک أقرب إلی الإجابة وَ اذکره سبحانه دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ فإن الکلام المتوسط خیر، و هذا لا ینافی استحباب الإجهار لدواعی أخر، کما
نزل جبرئیل علی الرسول، و قال: «یأمرک ربک بالعج و الثج»
«۱» فی باب التلبیة و ما ورد من أن الصلوات المجهر بها تذهب بالنفاق، و ما دل علی الإتیان بالصلوات الثلاث جهریة، إلی غیر ذلک، و القول بأن الله لا- یحتاج إلی الإجهار تعلیل تافه، فإنه ینقض بأن الله لا یحتاج إلی الکلام، فلیکتف المستشکل بحدیث النفس فی قراءته و دعائه و أذکاره؟ بِالْغُدُوِّ أی الصباح وَ الْآصالِ جمع «أصل»، و أصل جمع «أصیل»، فهو جمع الجمع، و معناه «العشیات»، و هو ما بین العصر إلی غروب الشمس، و هذا کنایة عن دوام الذکر، و التفریق بین «الغدو و الآصال» بالإفراد و الجمع، تفنن بلاغی لا یخفی لطفه.
وَ لا- تَکُنْ یا رسول الله، أو المراد العموم، و المقصد العموم علی أی حال، و إنما الکلام فی مرجع الضمیر مِنَ الْغافِلِینَ الذین یغفلون عن ذکر الله سبحانه. و فی الآیة الکریمة روایات کثیرة غالبها من باب بیان المصداق، فلا تضر بعمومها.
[۲۰۷] ثم بیّن سبحانه أن الملائکة الذین هم أبعد عن النزوات، و هم دائمو الذکر، فأجدر بالإنسان أن یکون متذکّرا دائما إِنَّ الَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ

---

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۹۶ ص ۲۸۶.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۹۳

أی الملائکة، و المراد بکونهم عنده سبحانه أنهم فی قربه، قرب الجاه و المکانة، لا- القرب المکانی لا- یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ و لا یترفعون بأنفسهم عن الخضوع و الخشوع له سبحانه وَ یُسَبِّحُونَهُ أی ینزهونه عما لا- یلیق به، بذکر «سبحان الله» أو غیره وَ لَهُ تعالی یَسْجُدُونَ کسجودنا، أو المراد غایة الخضوع.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۹۴

۸ سورة الأنفال مکیة، مدنیة/ آیاتها (۷۶)

سمیت السورة بهذا الاسم لاشتمالها علی کلمة «الأنفال» و حکمها.
و الجو العام لهذه السورة حول السلم و الحرب و شؤونهما، و حیاة الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أصحابه، و مناوئیهم، و أمثلة من آل فرعون و من کذّب بآیات الله سبحانه.
و لما کانت سورة الأعراف لبیان قصص الأنبیاء، و ثم ختمت بقصة الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، افتتحت هذه السورة بذکره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ما جری بینه و بین قومه، فقال سبحانه:
[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ دلیلا علی ابتداء هذه السورة، و اختتام السورة السابقة.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۲۹۵

[سورة الأنفال (۸): آیة ۱]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ
یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَنْفالِ قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَیْنِکُمْ وَ أَطِیعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ (۱)
[۲] یَسْئَلُونَکَ یا رسول الله عَنِ الْأَنْفالِ هو جمع «نفل» بمعنی الزیادة، و المراد هنا: الغنیمة، و إنما سمیت نفلا لأنها عطیة و فضل من الله سبحانه للمسلمین، و قد اختلف التفسیر حول الأنفال، و الذی نعتقده بعد الجمع بین الآیات و الروایات أن الأشیاء التی لیست ملکا

لأحد و غنائم دار الحرب تنقسم إلى قسمين:

الأول: الغنائم؛ و هى تقسم إلى خمسة أقسام: قسم يسمى «الخمس» للّه و الرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل. و الأربعة الباقية للمقاتلين.

الثانى: الأنفال؛ و هى ما سيأتى فى الرواية، و تكون للّه و الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الإمام، و قد أبيحت فى حال الغيبة لمن يتولى الأئمة عليهم السّلام، أو لمطلق من حازها مؤمنا كان أو غير مؤمن. و ظاهر سياق الآية أن المراد بالأنفال هنا هى مطلق الغنائم، فإن السورة نزلت فى وقعة بدر، و لما هزم المسلمون الكفار، انقسموا ثلاث فرق.

روى عبادة بن الصامت قال خرجنا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فشهدت معه بدرا فهزم اللّه تعالى العدو فانطلقت طائفة فى آثارهم يهزمون و يقتلون، و أقبلت طائفة على العسكر يحوزونه و يجمعونه و أحدقت طائفة برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يصيب العدو منه غرّة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب. و قال الذين خرجوا فى طلب العدو:

لستم بأحق منا نحن منعنا عنه العدو و هزمناهم. و قال الذين أحدقوا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: خفنا أن يصيب العدو منه غرّة فاشتغلنا به. فنزلت

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۹۶

الآية: «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ»؟ قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ فقسمها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بين المسلمين.

و هذا الحديث يدل على أن المراد بالأنفال مطلق الغنائم، كما هو ظاهر السياق، و هناك حديث يفسر الأنفال بما يحضر الإمام بعد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لا منافاة بين الأمرين، فقد تكرر منا سابقا أن اللفظ المشترك يجوز استعماله فى أكثر من معنى واحد إذا كانت هناك قرينة.

فعن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال: «الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب أو قوم صالحوا و أعطوا بيدهم» «۱».

و فى حديث آخر عنه عليه السّلام: «الفىء و الأنفال ما كان من أرض خربة أو بطون أودية أو أرض لم يكن فيها مهراقة دم أو صولحوا أو أعطوا بأيديهم و لم تفتح بالسيف فهو يكون من الفىء و الأنفال، فهذه للّه و رسوله فما كان للّه فهو لرسوله يضعه حيث يشاء و هو للإمام بعد الرسول» «۲».

و فى حديث آخر عنه عليه السّلام: «الأنفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال، و كل أرض انجلى عنها أهلها بغير قتال و الأرضون الموات و الآجام و بطون الأودية و قطائع الملوك و ميراث من لا وارث له فهو للّه و لرسوله و لو من قام بنصه و من مات و ليس له مولى فماله من الأنفال» «۳».

---

(۱) الكافى: ج ۱ ص ۵۳۹.

(۲) وسائل الشيعة: ج ۹ ص ۵۲۷.

(۳) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۱۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۹۷

[سورة الأنفال (۸): آية ۲]

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (۲)

و على هذا فتسمية هذا الشيء بالأنفال لزيادة الإمام بحصة دون سائر شركائه في الخمس.

قُلِ يا رسول الله في جواب السائلين عن الأنفال: الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ ليس لأحد حتى يتنازع فيها، و إذا كانت لله و الرسول فلهما الخيار في أن يقسماها كيف شاءا فَاتَّقُوا اللَّهَ خافوا عقابه في التنازع و طلب ما ليس لكم وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ أي ما بينكم من الخصومة و المنازعة، و إنما يؤتى بكلمة «ذات» لتشبيه الصلة التي بين الناس بأمر مجسّم فيما بينهم، تشبيها للمعقول بالمحسوس وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ في الغنائم و غيرها إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ مصدقين للرسول فيما يأتيكم به من قبل الله سبحانه. قيل: إنه لما عرف المسلمين أنه لا حق لهم في الغنيمة و أنها لله و الرسول، قالوا: يا رسول الله سمعا و طاعة فاصنع ما شئت.

[۳] ثم ذكر سبحانه صفات المؤمنين الكاملين ليكون درسا للمسلمين في مستقبل حياتهم و ليكون ميزانا يزن المسلم نفسه فيه فقال: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ أي اضطربت و خافت من عظمته، و إن لم يكن خوفا من ذنب، فإن الإنسان إذا علم أنه سيحضر محضرا كبيرا و عظيما ارتجف قلبه خوفا من الفشل وَ إِذا تُلِيَتْ أي قرأت عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ الآيات إِيماناً فإن الإيمان ملكة في

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۹۸

[سورة الأنفال (۸): الآيات ۳ الى ۵]

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (۳) أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (۴) كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ (۵)

القلب، كلما كرّر المطلب على الإنسان زادت الملكة قوة و ثباتا وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ في أمرهم، فيفوّضون أمورهم إليه، في كل مرجو و مخوف.

[۴] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ بالإتيان بها مواظبين عليها، و الحث عليها بالنسبة إلى سائر الناس، فإن الإقامة غير الإتيان وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ سواء الواجب من الإنفاق أو غيره.

[۵] أُولئِكَ المتصفون بهذه الصفات هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا فهم الذين آمنوا بالله و رسوله، و هم الذين شعرت قلوبهم الإيمان و امتلت جوارحهم لتطبيقه لَهُمْ دَرَجاتٌ رفيعة عِنْدَ رَبِّهِمْ فهم مكتوبون عنده أصحاب الدرجات الرفيعة، و سينالونها في الآخرة وَ مَغْفِرَةٌ لذنوبهم وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ فهم يرزقون بإكرام و إعظام لا بإهانة و إذلال.

[۶] إن الأنفال لله و الرسول، و إن كره المسلمون ذلك، فإن في كونها لله و الرسول حسن العاقبة و المصير، كما إن إخراجك يا رسول الله لوقعة بدر كان بالحق و لعاقبة حسنة، و إن كره المسلمون ذلك، فإن الله وحده يعلم العواقب، و يأمر بما هو خير كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ يا رسول الله مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ و المراد ب «البيت» هنا محل الإقامة، و هي المدينة المنورة، و معنى «الإخراج» أمره بذلك وَ الحال إِنَّ فَرِيقاً مِنَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۲۹۹

الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ للخروج.

و قصة بدر في الجملة هي

إن الكفار في مكة لما شرّدوا قسما من المسلمين إلى الحبشة، و طاردوا الرسول و أصحابه، حتى اضطروا للهجرة تحت جنح الظلام، أخذوا بعد ذلك يؤذون المسلمين الباقين في مكة، و يشيعون حول النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أصحابه مختلف الإشاعات، فأراد النبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يضع حدا لهذه التعديات التي لا مبرر لها إلّا الحقد و الحسد. و أخيرا عزم على قطع طريق تجارتهم التي تسير بين مكة و الشام، ليتأدبوا و يأخذوا بذلك حذرهم.

فخرجت عير لقريش إلى الشام فيها كثرة وافرة من أموالهم، فأمر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أصحابه بالخروج ليأخذوها، و

أخبرهم أن الله قد وعده إحدى الطائفتين؛ غنيمة العير، أو مطاردة قريش و محاربتها و تبديدها، فخرج هو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا، فلما قارب «بدر» و هى بئر هناك أبلغ أبا سفيان ذلك، و كان فى العير فخاف خوفا شديدا، و بعث إلى قريش فأخبرهم بذلك و طلب منهم الخروج و الدفاع عن العير و أمر بالعير فأخذ بها نحو ساحل البحر، و تركوا الطريق و مروا مسرعين، و نزل جبرئيل عليه السّلام على رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأخبر أن العير قد أفلتت و أن قريشا قد أقبلت لتمنع عن عيرها و أمره بالقتال، و وعده النصر، فأخبر به رسول الله أصحابه فجزعوا من ذلك و خافوا خوفا شديدا إذ لم يتهيئوا للحرب، فقال رسول الله: أشيروا علىّ. فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله إنها قريش و خيلاؤها ما آمنت منذ كفرت و لا ذلت منذ عزّت و لم نخرج على هيئة الحرب. فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اجلس فجلس.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۰۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۲ ۳۴۹

[سورة الأنفال (۸): آية ۶]

يُجادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ (۶)

فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أشيروا علىّ. فقام عمر فقال مثل مقالة أبى بكر، فقال: اجلس، ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله إنها قريش و خيلاؤها، و قد آمنا بك و صدقناك و شهدنا أن ما جئت به حق من عند الله و لو أمرتنا أن نخوض جو الفضاء و شوك الهراس لخضنا معك و لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون» و لكنا نقول: «اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون» و لكنا نقول: «اذهب أنت و ربك إنا معكما مقاتلون». فجزاه النبى خيرا ثم جلس ثم قال: أشيروا علىّ. فقام سعد بن معاذ فقال: بأبى أنت و أمى يا رسول الله كأنك أردتنا؟ قال: نعم قال: فلعلك خرجت على أمر قد أمرت بغيره. قال: نعم. قال: بأبى أنت و أمى يا رسول الله، قد آمنا بك و صدقناك و شهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، فمر بنا بما شئت و خذ من أموالنا ما شئت.

ثم قال: و الله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك. إلى أن قال: و لكن نعد لك الرواحل و نلقى عدونا فإنا صبّر عند اللقاء أنجاد فى الحرب، و إنا لنرجوا أن يقرّ الله عينيك بنا. فقال رسول الله: كأنى بمصرع فلان هاهنا و بمصرع فلان هاهنا و بمصرع أبى جهل و عتبة و شيبة فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين و لن يخلف الله الميعاد «۱»، فنزلت الآية: كَما أَخْرَجَكَ فأمر بالرحيل حتى نزل ماء بدر و أقبلت قريش.

[۷] يُجادِلُونَكَ يا رسول الله بعض المؤمنين فيما دعوتهم إليه من محاربة قريش فِي الْحَقِ فإن الحرب واجب و حق بَعْدَ ما تَبَيَّنَ أنه حق،

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۴۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۰۱

[سورة الأنفال (۸): آية ۷]

وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ (۷)

فإنهم كانوا يقولون: هلّا أخبرتنا لنعد عدتنا للحرب، و هم يعلمون أنك لا تأمرهم إلّا بأمر الله سبحانه كما قال سبحانه: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى «۱».

كَأَنَّما هؤلاء المجادلين يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ فيظنون أن سوقهم إلى الحرب موجب لهلاكهم حيث لم يعدوا لها العدة وَ هُمْ يَنْظُرُونَ أى

ينظرون إلى الموت عيانا و يرونه بأبصارهم، فكيف يكون حال مثل هذا الإنسان، كذلك حال هؤلاء المجادلين.

[۸] وَ اذكروا أيها المسلمون إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ على لسان رسوله إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ إما طائفة العير فتغنمونها، و إما قريش فتقتلونهم و تتخلصون من بعض أعدائكم وَ تَوَدُّونَ أى تحبون و ترغبون أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ فإنهم كانوا يحبون أن يغنموا العير لئلّا يلاقوا مشقة الحرب، و الحال أن الحرب كانت لهم أكثر شوكة إذ تركز فى العدو خوفهم و شوكتهم، و كأن الشوكة مأخوذة من الشوك لأن فى الحرب شوكا و ليس الأمر سهلا، فيكون تشبيها، أو المراد بالشوكة: السلاح.

وَ يُرِيدُ اللَّهُ حيث أمركم بالحرب أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ أى

---

(۱) النجم: ۴ و ۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۰۲

[سورة الأنفال (۸): الآيات ۸ الى ۹]

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْباطِلَ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (۸) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ (۹)

يظهر الحق، بما بيّنه و أوجبه عليكم من المقاتلة وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ أى يستأصلهم، فإن «الدابر» هو الأصل، أى يجذ الكفر من أصوله، فإن وقعة بدر كانت أقوى الأسباب لنصرة المسلمين إلى الأبد و هزيمة الكافرين إلى الأبد.

[۹] و إنما أراد الله ذلك لِيُحِقَّ الْحَقَّ أى يظهر حقيقة الإسلام، و فى التكرار تركيز و توطئة لقوله: وَ يُبْطِلَ الْباطِلَ أى يظهر بطلانه بإهلاك الكفار وَ لَوْ كَرِهَ ذلك الْمُجْرِمُونَ الذين أجرموا بالكفر و العصيان.

[۱۰] و لما بلغ أصحاب رسول الله كثرة قريش و ما معها من السلاح و العتاد فزعوا و استغاثوا بالله و تضرعوا. «و» اذكروا أيها المسلمون إِذْ تَسْتَغِيثُونَ أى تطلبون الغوث و النصرة من رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ دعاءكم و تضرعكم أَنِّي مُمِدُّكُمْ أى مرسل إليكم مددا بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ أى بعضهم خلف بعض، فهم مترادفون متتابعون فى النزول إليكم.

فإن قيل: كيف يمكن الجمع بين هذه الآية و بين قوله: بِثَلاثَةِ آلافٍ «۱» بِخَمْسَةِ آلافٍ «۲»؟

---

(۱) آل عمران: ۱۲۵.

(۲) آل عمران: ۱۲۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۰۳

[سورة الأنفال (۸): آية ۱۰]

وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرى وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۱۰)

فالجواب: إن الألف كانوا مقاتلين، و البقية للبشارة و تقوية القلوب، كما يقال: إن العاملين فى المدينة عشرة، فإذا قيل: إنهم أكثر؟ أجيب بأن المائة مثلا إنما هى من حيث العدد و الحركة و العمل للعشرة. و

فى الحديث: إن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما نظر إلى كثرة عدد المشركين و قلة عدد المسلمين استقبل القبلة و قال: «اللهم أنجز لى ما وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض»

«۱». فما زال يهتف بربه مادّا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبه، فأنزل الله الملائكة، و قد قاتلت الملائكة و أسرت بعض المشركين.

[۱۱] ثم يذكر سبحانه أن إنزال الملائكة إنما كان لأجل تقوية قلوب المسلمين، و إلّا فنصر الله سبحانه لا يحتاج إلى مدد ملك أو غيره وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ أى ما جعل الله الإمداد بالملائكة إِلَّا بُشْرى أى بشارة لكم بالنصر، فإن الإنسان يستبشر بكثرة الأعوان و إن كان علم أنهم للسواد و الكثرة فقط وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ أى بالإمداد قُلُوبُكُمْ فيزول الخوف و الوسوسة عنها وَ إلّا فى الحقيقة و الواقع مَا النَّصْرُ أى

ليس النصر إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ و لا تأثير للإمداد و الإعداد و إنما هى روابط و وسائط إلّا من عند الله إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غالب بسلطانه حَكِيمٌ فيما يفعل، و هذا لا يدل على عدم تهيئة الأسباب، بل يدل على لزوم تهيئتها، فإن الملائكة و قوى ما وراء الطبيعة بشائر،

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ۳ ص ۲۵۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۰۴

[سورة الأنفال (۸): آية ۱۱]

إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَ لِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ (۱۱)

و إلّا فالنصر من الله بأسبابه الظاهرية التى قررها هو سبحانه، كما قال تعالى: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ «۱».

[۱۲] و لما أمسى القوم المساء قبل الواقعة أخذ أصحاب الرسول النوم، من كثرة التعب و قد كان إلقاء الله النوم عليهم ليذهب خوفهم، و يتقووا على القتال غدا، فإن من استراح و نام لم يقلق كما يقلق الساهر، كما أن أعصابه تهدأ، و قواه تكثر فيتمكن مما لا يتمكن عليه الساهر، و احتلم كثير من المسلمين تلك الليلة، و كان موضع نزولهم كثير الرمل، مما سبب صعوبة الحركة، فوسوس إليهم الشيطان قائلا: كيف أنتم على حق، و قد أصابتكم الجنابة، و محلّكم غير صالح، و لا ماء عندكم، بينما المشركون على الماء، فأنزل الله المطر، حتى لبد الأرض، و اغتسلوا، و ارتووا. فاذكروا أيها المسلمون إِذْ يُغَشِّيكُمُ أى يستولى عليكم النُّعاسَ أى النوم أَمَنَةً أى أمانا مِنْهُ سبحانه، فإنه لم يفعل ذلك إلّا لأجل أمنكم و راحتكم و إزالة الخوف عنكم، و «الأمنة» الدعة التى تنافى المخافة وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ من حدث الجنابة وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ أى وسوسته فإنه كان يوسوس فى قلوبهم: كيف يكونون على حق، و هم نجسون، و محلهم رمل، و هم ظماء وَ لِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ أى ليشد

---

(۱) الأنفال: ۶۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۰۵

[سورة الأنفال (۸): آية ۱۲]

إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ (۱۲)

قلوبكم و يقويها، فإن النوم و نزول المطر قوّيا قلوبهم حيث أزالا المخاوف و الوساوس و الأتعاب وَ يُثَبِّتَ بِهِ أى بالمطر الْأَقْدامَ أى أقدامكم فى الحرب بتلبد الرمل، أو المراد تقوية القلب فإنه يكنى بذلك عنه، أو المراد ذهاب الحالات الخمسة بالأمرين؛ فالنوم للدعة، و المطر لتطهير البدن عن نجاسة المنى، و الاغتسال لذهاب رجس الشيطان، و تقوية القلب عن وسوسته، و تثبيت الأقدام بتلبد الرمل.

[۱۳] و اذكروا أيها المسلمون إِذْ يُوحِي و هم و إن لم يروا ذلك و لم يسمعوه بآذانهم إلّا أنهم علموه رَبُّكَ يا رسول الله إِلَى الْمَلائِكَةِ المنزلين فى وقعة بدر أَنِّي مَعَكُمْ و هذا لتقوية قلوب المسلمين، و إلا فمن المعلوم أن الملائكة لا تفعل شيئا إلّا بأمر الله سبحانه فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا بتقوية قلوبهم و دحر الشياطين عنهم، فإن فى القلب لمّتان: لمّة من الملائكة و لمة من الشيطان، فالنوايا الحسنة و ما أشبه من الملائكة، و النوايا السيئة و ما أشبه من الشياطين.

سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ أى الخوف من المؤمنين، و قد كان ذلك، فقد سلّط الله على الكفار رعبا عظيما، حتى أن أبا لهب قال لأبى سفيان- بعد الواقعة-: كيف كان أمر الناس؟

قال: لا- شيء و الله إلّا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا و يأسروننا كيف شاءوا، و أيم الله مع ذلك مالت الناس، رأينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء و الأرض ما تليق شيئا و لا يقوم لها شيء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۰۶

[سورة الأنفال (۸): الآيات ۱۳ الى ۱۴]

ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (۱۳) ذلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَ أَنَّ لِلْكافِرِينَ عَذابَ النَّارِ (۱۴)

فَاضْرِبُوا أيها الملائكة فَوْقَ الْأَعْناقِ أى الرؤوس أو المذابح، فإنهما فوق الأعناق، أو هو كناية عن ضرب القفا للإذلال و الإهانة وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ أى من الكفار كُلَّ بَنانٍ أى أصابع اليد و الرجل، أو المعنى: جزّوا أعناقهم و اقطعوا أطرافهم.

[۱۴] ذلِكَ التعذيب و الضرب فوق الأعناق و البنان بسبب أنهم شَاقُّوا اللَّهَ أى خالفوا الله وَ رَسُولَهُ فكأنهم فى شق و الله و الرسول فى شق آخر وَ مَنْ يُشاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ و من المعلوم أنه يكتفى بذكر الله وحده أو الرسول وحده، و لكن ذلك لتعظيم الرسول حين يقرن باسم الله سبحانه، و أنه الشخص المقابل لهم فى المشاقة فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ فى الدنيا بعقوبة الكافرين على أيدى المسلمين، و فى الآخرة بإخلادهم فى النار.

[۱۵] ذلِكُمْ «ذلك» إشارة إلى العذاب فى الدنيا بالأسر و القتل، و «كم» خطاب للكفار فَذُوقُوهُ أى ذوقوا هذا العذاب. و «الفاء» دخلت لإفادة الترتب على الكفر وَ أَنَّ لِلْكافِرِينَ علاوة على هذا العقاب العاجل عَذابَ النَّارِ فى الآخرة. و لا يخفى أن «الذوق» يستعمل كثيرا فى غير الذوق باللسان، باعتبار إدراك الإنسان له كما يدرك باللسان المذوقات، و هو يستعمل بالنسبة إلى الألم الروحى، كما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۰۷

[سورة الأنفال (۸): الآيات ۱۵ الى ۱۶]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ (۱۵) وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (۱۶)

يقال: «ذق الذل»، و بالنسبة إلى الألم الجسمى، كما يقال: «ذق السوط»، قال سبحانه: فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ «۱»، و قال: ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ «۲».

[۱۶] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الخطاب عام لكل مؤمن، و إن كان نزول الآية بمناسبة قصة بدر إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا من اللقاء فى الحرب زَحْفاً «حال» أى حال كونهم و إياكم زاحفين متدانين للقتال، فإن الزحف بمعنى الدنو فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ أى لا تنهزموا بأن تجعلوا ظهوركم إليهم، فإن الإنسان لا يجعل ظهره إلى ساحة القتال إلّا إذا أراد الفرار.

[۱۷] وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ أى من يجعل ظهره إليهم يوم القتال، و إنما قال «يومئذ» لأنه فهم من قوله: إذا لَقِيتُمُ إِلَّا إذا كان مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أى تاركا موقفه إلى موقف آخر أصلح للقتال من موقفه الأول، و «التحرّف» الزوال عن جهة الاستواء إلى جهة الحرف بمعنى الطرف، و اللفظ، حال، أى: فى حال كونه قاصدا الطرف حتى يكون أمكن فى الحرب أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ طلب حيزا غير حيزه السابق، أى مكان جديد، يقال: «فلان متحيز إلى فلان» أى

---

(۱) النحل: ۱۱۳.

(۲) الدخان: ۵۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۰۸

[سورة الأنفال (۸): آية ۱۷]

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى وَ لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۱۷)

منحاز نحوه، منضم إليه. فالمعنى: أنه ولّى دبره لينضم إلى جماعة يستعين بهم في القتال، فإن الإنسان وحده يجترئ عليه العدو أكثر مما إذا كان مع جماعة فَقَدْ باءَ خبر «و من يولهم» أي أن المولى دبره يرجع بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ فكأنه كان ذاهبا إلى الحرب برضى الله، و الآن بفراره رجع يحمل الغضب وَ مَأْواهُ أي مصيره جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ و بهذا يستدل على أن الفرار من الزحف كبيرة موبقة.

[١٨] ثم ذكر سبحانه أن السبب الحقيقي في انهزام الكفار إنما كان هو الله سبحانه فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ أي لم تقتلوا الكفار أنتم أيها المسلمون.

و «النفي عنهم» باعتبار كونهم السبب الأضعف، فلو لا تشجيع الله سبحانه بإنزال الملائكة و إنزال المطر و تقوية قلوبهم و مساعدة الملائكة لهم في القتل و الأسر لم يتمكنوا من الغلبة عليهم، و من المتعارف أن ينسب الفعل إلى أقوى السببين وَ لكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ بتهيئة الأسباب و إلقاء الرعب في قلوب الكفار حيث انهارت أعصابهم وَ ما رَمَيْتَ يا رسول الله، أو أيها المسلم إِذْ رَمَيْتَ و المراد بالأول: الرمي المصيب، فإن الفعل ينفى عمن لم تكن نتيجة الفعل بقدرته، كما يقال لمن ألقى حجرا بدون معرفة فاصطاد طائرا: «فما صدت أنت و إنما صادته الصدفة». و لعل المراد ب «الرمي»، رمى القوم بالهلاك، كما يقال: «رماه الله بهلاك و نكال». وَ لكِنَّ اللَّهَ رَمى فإنه كان السبب الأقوى في هلاكهم و نكالهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٣٠٩

و ذكر جمع من المفسرين: أن المراد بذلك، رمى الكفار بالتراب،

فإن جبرئيل عليه السّلام قال للنبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم بدر: خذ قبضة من تراب فارمهم بها. فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما التقى الجمعان لعلي عليه السّلام: أعطني قبضة من حصى الوادي. فناوله كفا من حصى عليه تراب فرمى به في وجوه القوم و قال: شاهت الوجوه، فلم يبق مشرك إلّا دخل في عينه و فمه و منخريه منه شيء و تبعهم المؤمنون يقتلونهم و يأسرونهم و كانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم، و لما أن اصطف القوم برز عتبة و شيبة و الوليد للقتال و طلبوا المبارز فخرج إليهم بعض المسلمين فلم يرضوا بهم لما جرت العادة من عدم احتشام القرن إلّا بقرنه حتى برز إليهم عليّ عليه السّلام و حمزة و عبيدة، و دارت المعركة بنصرة هؤلاء، و قتل أولئك، و هنا حمى الوطيس و استعرت الحرب و لم تنكشف إلّا بهزيمة الكفار و قتل جماعة كبيرة منهم، و أخذ المسلمون يأسرونهم و الملائكة تعينهم في الأسر كما أعانتهم في القتل. فكان المسلم يشير بسيفه أو رمحه و لما يصل إلى الكافر فإذا به يخر قتيلا تقتله الملائكة، و كذلك الأسر. حتى أن العباس أسره أبو اليسر و كان العباس جسيما و أبو اليسر نحيفا، فقال له الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

كيف أسرت العباس يا أبا اليسر؟ فقال: يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك و لا بعده. فقال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لقد أعانك عليه ملك كريم «(١)».

و كل هذه كانت للبشرى و إنما النصر كان من عند الله.

وَ قد فعل الله سبحانه ما فعل لِيُبْلِيَ أي لينعم على الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ أي من عنده سبحانه بَلاءً حَسَناً أي نعمة جسيمة،

---

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٢٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٣١٠

[سورة الأنفال (٨): الآيات ١٨ الى ١٩]

ذلِكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكافِرِينَ (١٨) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ وَ إِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ إِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَ لَوْ كَثُرَتْ وَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)

ف «الواو» على هذا استئنافية متعلقة بفعل مقدّر، كما قدّرناه، أو المراد:

ليمتحن المؤمنين امتحانا حسنا، فإن البلاء يأتى بمعنى النعمة كما يأتى بمعنى الاختبار، و إنما يقال للنعمة: بلاء، لأن أصل البلاء ما يظهر به الأمر من الشكر و الصبر، فالنعمة بلاء لأنها تظهر الشكر، و المصيبة بلاء لأنها تظهر الصبر إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لأقوالكم عَلِيمٌ بضمائركم و نياتكم. و فى الحرب تظهر أقوال، و تجول فى الصدر نيات، فمن الأحرى أن يحفظ الإنسان قلبه و لسانه لئلّا ينحرفان عن نهج الصواب بمحضر من يسمع و يعلم كل شيء.

[١٩] الأمر ذلِكُمْ أى أن الأمر كما ذكرنا من القصة، و هذا كما أن من يذكر قصة يقول بعدها: «هكذا» و هذا شبه تأكيد للكلام السابق، ف «ذلك» إشارة و «كم» للخطاب، أى: أخاطبكم أيها المؤمنون أن الأمر كذلك وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكافِرِينَ هذا عطف على «ذلكم» أى أن الغرض كان بلاء المؤمنين و وهن كيد الكافرين. هذا بناء على رجوع «ذلكم» إلى البلاء المستفاد من قوله: «ليبلى المؤمنين»، و إلّا كان «و أن الله» استئنافية.

[٢٠] و حيث بيّن سبحانه أن الله يوهن كيد الكافرين خاطب الكفار بقوله: إِنْ تَسْتَفْتِحُوا أيها الكفار فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ و هذا تهكّم، فإن أبا سفيان دعا قبل الواقعة بقوله: «اللهم أهلك أضل الفريقين و أقطعهما للرحم»، فقد استجاب الله دعاءه و أهلك أضل الفريقين و أقطعهما للرحم. و المراد ب «الاستفتاح» طلب الفتح، كأن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٣١١

[سورة الأنفال (٨): الآيات ٢٠ الى ٢١]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ (٢١)

الذى يقع فى مشكلة قد انسدت عليه الأبواب فيطلب فتحها ليتخلص من المشكلة.

ثم يرغّبهم سبحانه فى الانتهاء عن كفرهم وَ إِنْ تَنْتَهُوا عن الكفر و معاداة المسلمين فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ فى دنياكم و آخرتكم وَ إِنْ لم تنتهوا و تَعُودُوا إلى كفركم و مشاقتكم لله و الرسول نَعُدْ إلى ما رأيتم من إهلاككم و إذلالكم، و بأسنا لا يقف أمامه تجمع و كثرة وَ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً أى لا تفيد بكم جماعتكم شيئا وَ لَوْ كَثُرَتْ فإن النجاح ليس بالكثرة و إنما بالقوة التى هى متوفرة لدى المؤمنين وَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ و من المعلوم انطباق هذه الآيات فى كل زمان و مكان بشرط أن يعمل المسلمون على شرائط الإيمان.

[٢١] ثم خاطب سبحانه المؤمنين أن يلتزموا بما هو سبب نجاحهم بقوله:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ و اختصاص الخطاب بالمؤمنين، مع أن الإطاعة واجبة على الجميع، لأنهم هم المصغون المنتفعون بالخطاب دون غيرهم وَ لا تَوَلَّوْا عَنْهُ أى لا تعرضوا عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ الحال أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ دعاءه لكم و أمره و نهيه إياكم، فإن المعرض بعد العلم أشد عقوبة عن المعرض بلا علم.

[٢٢] وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا و هم اليهود و المنافقون وَ هُمْ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٣١٢

[سورة الأنفال (٨): الآيات ٢٢ الى ٢٣]

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)

لا يَسْمَعُونَ حقيقة، إذ لو سمعوا و وعوا لعلموا، فعدم علمهم دليل على عدم سماعهم سماع متعظ واع، فإنه يقال للعالم التارك لعلمه: «إنه غير عالم»، كما يقال لمن سمع قول الرشد، فسلك سبيل الغى:

«أنه لم يسمع».

[٢٣] و إذ أمر الله سبحانه المؤمنين بالسماع النافع المقترن بالعمل حذّرهم أن يكونوا كالدابة التى لا تسمع إلّا نداء من غير أن تعقل و تعمل حسب ما سمعت، و لا تنطق بالخير و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الكفار، إنهم أشر من الدابة، حيث إن الدابة لا تعقل، و هؤلاء يعقلون ثم يعرضون الصُّمُّ الْبُكْمُ «صمّ» جمع «أصم»: و هو الذى لا يسمع، و «بكم» جمع «أبكم»: و

هو الـذى لاـ يتكلم الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ عقلا مثمرا، و إلا فهم عقلاء، فإن هؤلاء شـر ما دبّ على وجه الأرض من الحيوان حيث لم ينتفعوا بما سمعوا من الحق، و لم يتكلموا به.

روى عن الإمام الباقر عليه السّلام: «إنها نزلت فى بنى عبد الدار، لم يكن أسلم منهم غير مصعب بن عمير و حليف لهم يقال له: سويبط» «۱».

[۲۴] وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً قبولا للحق و إذعانا به و إنصافا فى الأمر لَأَسْمَعَهُمْ إسماعا نافعا، و لكنه علم أن ليس فيهم خير، و لا رجاء

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۹ ص ۹۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۱۳

بهم، فلـذا تركهم مغلقى القلوب، و هـذا كما تقول: «لو علمت فى هذه الأرض قابلية للزرع لحرثتها»، حيث إنها لا تصـبح قابلة للزراعة حتى بالحرث. و هكذا قلب الإنسان القابل و قلب الإنسان غير القابل، فإن أغشـية الكفر قد شـملتهما، لكن الله سـبحانه يزيل الغشاء عن قلب القابل حيث يعرف فيه الخير، و لا يزيله عن قلب غير القابل حيث يعرف فيه عدم الخير.

و بهذا تحقق أنه لا مجال للإشكال بأنه إن أريد من «الإسماع» المعنى الظاهرى، فقد أسمع الله سبحانه كل برّ و فاجر؛ فلا يناسبه التعليق على «لو» الامتناعية، و إن أريد منه تطهير القلوب تكوينا فإن الله لو فعل ذلك لكان فيه من الخير؛ فلا يناسـبه ما يفهم من الآية من عدم إمكان الخير.

و حاصل الجواب: أن هناك ثلاث مراتب: الإسـماع الظاهرى، و إزالـة الأغشـية، و طهارة القلوب ذاتا. فإزالـة الأغشـية خاصة بالمؤمن، بينما الإسـماع عام لكل واحد، فالمعنى: لو علم الله الطهارة الذاتية فى قلوبهم لأزال الأغشـية المظلمة عنها، علاوة على الإسماع، و لكن علم أن ذلك لا ينجح، فإن قلوبهم كالأرض السبخة التى لا ينفع معها الحرث، فلذا تركهم و شأنهم.

وَ لَوْ أَسْـمَعَهُمْ بهذا النحو من الإسـماع بإزالة الأغشـية لَتَوَلَّوْا أى أعرضوا، لأن قلوبهم سبخة لا ينفعها حتى إزالة الأغشية وَ هُمْ مُعْرِضُونَ عن الحق.

و ربما أورد بأنه: كيف يمكن ذلك، و الحال أن لازم هذا النحو

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۱۴

[سورة الأنفال (۸): آية ۲۴]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (۲۴)

من القياس المنطقى- بحذف الأوسط- «لو علم الله فيهم خيرا لتولوا»، مع وضوح أنه لو علم الله فيهم خيرا لم يتولوا؟

و الجواب: إن الكلام جار مجرى العرف، فليس هـذا قياسا واحـدا بل قياس و زيادة تقديره «لو علم الله فيهم خيرا لأسـمعهم، لكنه علم فيهم عـدم الخير فلم يسـمعهم»، «و لو أسـمعهم مع علمه عـدم الخير فيهم لتولوا» و هـذا كما تقول عن ولـد لك غير قابل للكسب: «لو علمت أنه غير كاسب لزودته برأس مال»، «و لو زودته لأتلف» تريد: لو زودته و الحال أنى أعلم عدم قابليته.

[۲۵] و بعـد مـا ذكر سبحانه وجوب إطاعـة الله و الرسول، ألمع إلى أن فى الاسـتجابة كـل الخير كمـا أراهم ذلك فقال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا أى أجيبوا. و لعل السر فى الإتيان بباب «الاستفعال» المفيد للطلب، إفادة أن اللازم كون الجواب عن القلب و الضمير، لا بمجرد اللفظ و الظاهر، فإن طلب الإنسان لأن يجيب إنما ينبع من قلبه و باطنه لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ و قـد تقـدم أن ذكر الرسول تعظيما له، و لأنه الـداعى الـذى يراه الإنسان و يقابله إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ فإن الحياة الكاملـة إنما هى بالإيمان، إذ الحياة بمعنى الحس و الحركة مرتبة ضـعيفة من الحياة، و المرتبة الأعلى بمعنى السـعادة الملازمة للعلم و الفضـيلة و الرفاه و الأمن و الصـحة، هذا بالنسبة إلى الدنيا و كذلك بالنسـبة إلى الآخرة، فإن حياة الجنة هى الحياة الكاملة التى تسـتحق أن تسمى حياة، أما حياة النار فإنها لا تستحق اسم الحياة، و

لذا قال سبحانه:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۱۵

لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى «۱».

و «إذا» ليست شرطا له مفهوم، بل المراد إفادة أن دعوة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنما تكون لما فيه حياة الناس. و توحيد الفعل مع أن الله و الرسول اثنان، باعتبار أن دعوتهما واحدة، أو كان باعتبار كل واحد منهما، كما قال: طَعامِكَ وَ شَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ «۲».

إنه سبحانه يريد أن تستجيبوا عن إرادة و طواعية و إن كان يقدر على كل شيء وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ فمن هذه قدرته، أليس يقدر على جبركم أن تؤمنوا؟ و معنى «الحيلولة بين المرء و قلبه» أن لا- تطيع الأعضاء القلب فيما يأمر و ينهى، بأن يريد قلبه شيئا فلا- تطيعه الأعضاء بمنع الله سبحانه عن الإطاعة، و كذا العكس بأن تنقل الأعضاء- كالعين و الأذن و الذوق و الأنف و اللامسة- إلى القلب معلومات فلا يفهمها، فإن القلب كالسلطان يعطى و يأخذ، و الله قادر على أن يفصل بينه و بين رعيته و جيوشه وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ أى و اعلموا أنكم تجمعون إليه للجزاء و الحساب. و معنى «إليه» أى إلى الموضع المقرر للجزاء، كما يقال: «ذهب إلى الله» لمن يذهب إلى الحج، فيراد المكان المقرر لإتيان الأعمال. إن قلوبكم بين يديه و حشركم إليه، فأذعنوا له حتى تحيون حياة طيبة.

---

(۱) طه: ۷۵.

(۲) البقرة: ۲۶۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۱۶

[سورة الأنفال (۸): الآيات ۲۵ الى ۲۶]

وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لا- تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (۲۵) وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآواكُمْ وَ أَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۲۶)

[۲۶] وَ اتَّقُوا أى خافوا، إن لم تستجيبوا فِتْنَةً و بلاء عامّا لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً فإن أفراد الأمة إذا سكتوا على المنكر عمّهم الله بالعقاب، أولئك بالعصيان و هؤلاء بالسكوت، كمن لا يأخذ بيدى من يريد ثقب السفينة فإنه يقرن مع الثاقب. كما مثل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. و من قرأ: «لتصيبن» أدخل الساكت فى جملة الظالمين، لأنه ظالم بسكوته. و يكون المعنى على هذا: إن الفتنة تصيبكم أيها الظلمة فقط، فلا تقولوا: كيف تصيبنا الفتنة فقط و نحن فى جملة غير الظالمين؟ تريدون بذلك عدم إصابتكم بالفتنة لأنكم بين أظهر غير الظالمين، فإن الله سبحانه قادر على إصابتكم فقط، كما أصابت الفتنة أصحاب السبت دون الذين نهوهم و وعظوهم.

هذا، و لكنا حيث نرجح عدم الزيادة و النقيصة فى القرآن الحكيم، و أن ما بين دفتيه هو القرآن المنزل حتى أن النظم أيضا منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، نوجّه الروايات الواردة «الخاصة بالقراءات» بأنها تأويل و اجتهاد لا نزول و وحى.

وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ فإذا أخذتم يكون أخذه أليما شديدا، فاستجيبوا لله و الرسول، فإن فيه حياتكم، و فى غيره النكال و العقاب.

[۲۷] و قد رأيتم كيف تفضل الله عليكم حين استجبتم له و للرسول وَ اذْكُرُوا أيها المؤمنون إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ فى العدد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۱۷

[سورة الأنفال (۸): آية ۲۷]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۲۷)

مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ يطلب الأعداء ضعفكم فينزلون بكم أنواع الإهانة و الأذى تخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ أى يأخذونكم فجأة، و «الاختطاف» إما لأجل السجن أو لأجل القتل أو لأجل الأذية، و المراد ب «الناس» الكفار فَآواكُمْ أى جعل الله سبحانه لكم مأوى تأوون إليه، و هى المدينة وَ أَيَّدَكُمْ قوّاكم بِنَصْرِهِ لكم على أعدائكم حتى صرتم أقوياء بفضله سبحانه وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ فإنهم فى مكة كانوا فقراء لا يجدون طعاما و لا شرابا، حتى إذا صاروا فى المدينة زرعوا و اتجروا فرزقوا من الطيبات لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أى لكى تشكروا فضله سبحانه، و نعمته و إحسانه عليكم.

[۲۸] و لما ذكر سبحانه وجوب استجابة المؤمن لله و رسوله، نهى عن الخيانة له و للرسول بقوله سبحانه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ بترك أوامره وَ الرَّسُولَ بترك شريعته. و قد نزلت هذه الآية فى أبى لبابة، و إن كانت هى عامة لكل من يريد الخيانة.

فقد ورد أن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حاصر يهود بنى قريضة إحدى و عشرين ليلة- لما خانوا عهده- فسألوه الصلح على ما صالح عليه بنوا النظير بأن يصيروا إلى أذرعات و أريحا من أرض الشام فأبى إلّا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة و كان مناصحا لهم لأن عياله و ماله و ولده كانوا عندهم، فبعثه رسول الله فقالوا: ما ترى يا أبا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۱۸

[سورة الأنفال (۸): آية ۲۸]

وَ اعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (۲۸)

لبابة أ ننزل على حكم سعد؟ فأشار بيده إلى حلقه «إنه الذبح» فلا تفعلوا، فأتى جبرئيل رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأخبره بذلك، قال أبو لبابة: فو الله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى خنت الله و رسوله. فلم يرجع إلى الرسول بل جاء إلى المسجد و شد نفسه بسارية من سوارى المسجد و قال: لا و الله لا أذوق طعاما و لا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على.

فمكث أياما لا يذوق طعاما و لا شرابا حتى خرّ مغشيا عليه ثم تاب الله عليه، و نزلت: وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ «۱»، فقيل له:

يا أبا لبابة قد تاب الله عليك. قال: لا و الله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله هو الذى يحلنى. فجاءه فحله بيده ثم قال أبو لبابة: إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب و أن انخلع من مالى. فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يجزيك الثلث أن تصدّق به «۲».

وَ لا تَخُونُوا أَماناتِكُمْ أى أمانة بعضكم عند بعض من مال، أو عرض، أو ما أشبه وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أن الخيانة محرّمة موجبة للعقاب و العذاب. و من الممكن أن تكون جملة «و تخونوا» استفهامية إنكارية، أى: «كيف تخونوا أماناتكم فى حال العلم»، و سميت خيانة الله و الرسول خيانة الأمانة لنفس الإنسان.

[۲۹] وَ اعْلَمُوا أى تيقنوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ امتحان و ابتلاء

---

(۱) التوبة: ۱۰۲.

(۲) راجع تفسير القمى: ج ۱ ص ۳۰۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۱۹

[سورة الأنفال (۸): الآيات ۲۹ الى ۳۰]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (۲۹) وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ (۳۰)

ليختبر الله سبحانه من يرجّح أمر الله على ماله و ولده، و من يرجّحهما على أمره سبحانه، فإن أبا لبابة حمله على ما فعل أن أمواله و أولاده كانت عند اليهود فخاف إن نصح لله و الرسول أن تذهب أمواله و أولاده. وَ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ فمن رجّح أمره سبحانه على ماله و ولده أوجر بأعظم أجر.

[٣٠] إن الأمانة حمل ثقيل لا يقوم بها إلّا من اتقى الله، و لذا يقول سبحانه:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً فإن من اتقى الله سبحانه صار ميزان الخير و الشر ملكة له، فيفرق بين الحق و الباطل بتلك الملكة الحاصلة بالتقوى، فإن عرفان الإنسان أن عليه مراقبا يحدّد موقفه من الأعمال و الأقوال. وَ يُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ التى عملتموها. و معنى «تكفير السيئات» سترها، فإن التكفير بمعنى الستر و التغطية وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذنوبكم بإزالتها، فإن الستر غير الإزالة، و هما نعمتان و فضلان وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فإنه يتفضل عليكم بالتكفير و المغفرة و جعل الفرقان.

[٣١] و إذ تقدم الكلام حول نصرة المؤمنين فى بدر بعد أن كانوا قليلا مستضعفين فى مكة، بيّن سبحانه حالة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قبل الهجرة وَ اذكر يا رسول الله إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أى يدبرون مؤامرة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٣٢٠

لِيُثْبِتُوكَ أى يقيّدوك و يسجنونك فتثبت فى مكة لا تقدر على الإرشاد و التبليغ أَوْ يَقْتُلُوكَ و يستأصلوا شأفتك أَوْ يُخْرِجُوكَ و يبعدوك، بإرسالك إلى بعض المحالّ النائية، حتى لا تتصل بأصحابك و بالناس وَ يَمْكُرُونَ تأكيد، تهيئة لقوله: وَ يَمْكُرُ اللَّهُ أى يدبر الله سبحانه الأمر خفية، فإن التدبير لا يكون إلّا خفية وَ اللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ فإنه أعرف بطرق العلاج. و الفرق بين مكر الله سبحانه و مكر الناس أن الأول لا يكون إلّا بحق، و الثانى لا يستعمل- غالبا- إلّا إذا كان بباطل.

إن هذه الآية الكريمة نزلت فى قصة هجرة النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ذلك أن قريشا اجتمعت فخرج من كل بطن أناس إلى دار الندوة ليتشاوروا فيما يصنعون برسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإذا شيخ قائم بالباب و إذ ذهبوا إليه ليخرجوه قال: أنا شيخ من مصر «أو نجد» أدخلونى معكم. قالوا: و من أنت يا شيخ؟ فقال: أنا شيخ من مصر «أو نجد» ولى رأى أشير به عليكم.

فدخلوا و جلسوا فتشاوروا و هو جالس و أجمعوا أمرهم على أن يوثقوا الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قال الشيخ: هذا ليس بالرأى، فإن فعلتم هذا ذهب أصحابه و فكّوا وثاقه، و محمد رجل حلو اللسان فإنه يفسد عليكم أبناءكم و خدمكم و ما ينفع أحدكم بهم بعد أن أفسدهم محمد. ثم تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يخرجوه من بلادهم، فقال الشيخ:

هذا ليس بالرأى؛ إنه إن خرج أحاط به الناس الأعراب لحلو منطقه و أفسد عليكم من الخارج. فاستصوبوا رأيه ثم سألوه الرأى قال:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٣٢١

أخرجوا من كل بطن من العرب إنسانا يجتمعون عليه و يضربونه ضربة رجل واحد حتى يقتلوه، فيفرّق دمه فى القبائل و لا تتمكن عشيرته من المطالبة بدمه و يجبرون على أخذ الدية، فتستريحون منه.

فأخذوا برأى الشيخ، و كان هو الشيطان «لعنه الله» تزىّ بزىّ البشر. و نزل جبرئيل على الرسول يخبره بمكر أهل الندوة، و يأمره بالفرار ليلا و أن ينيم عليا عليه السّلام مكانه ليشتبه عليهم الأمر، فلما أمسى المساء جاء الفتيان مسلّحين، و أرادوا أن يدخلوا على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لكن أبا لهب حال دون ذلك، و قال: لا أدعكم أن تدخلوا عليه بالليل فإن فى الدار صبيانا و نساء و لا نأمن أن تقع بهم يد خاطئة، فنحرسه الليلة فإذا أصبحنا دخلنا عليه. فناموا حول حجرة رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمر رسول الله أن يفرش له و قال لعلى عليه السّلام: أفدنى بنفسك. قال: نعم يا رسول الله. قال: نم على فراشى و التحف ببردتى. و كان الفتيان ينظرون من شقوق الباب فيرون فى مكان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شخصا نائما فظنوه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. و جاء جبرئيل فأخذ بيد رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأخرجه من بين ظهرانى الكفار و هم نيام و هو يقرأ عليهم: وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ «١».

و قال له جبرئيل: خذ على طريق «ثور» و هو جبل على طريق «منى» له سنام كسنام الثور فدخل غارا كان فيه، فلما أصبحت قريش و بثوا إلى الحجرة و قصدوا الفراش فقام على عليه السّلام فى وجوههم و قال:

ما شأنكم؟ قالوا له: أين محمد؟ قال: أ جعلتمونى عليه رقيبا، ألستم

---

(۱) يس: ۱۰. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۲۲

[سورة الأنفال (۸): الآيات ۳۱ الى ۳۲]

وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (۳۱) وَ إِذْ قالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ (۳۲)

قلتم: نخرجه من بلادنا؟ فقد خرج عنكم فأقبلوا يضربونه و يقولون:

أنت تخدعنا منذ الليلة، فتفرقوا فى الجبال و كان فيهم رجل من خزاعة يقال له أبو كرز يقفوا الآثار، فقالوا: يا أبا كرز اليوم اليوم، فوقف بهم على باب حجرة رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: هذه قدم محمد و الله إنها لأخت القدم التى فى المقام، فما زال بهم حتى أوقفهم على باب الغار ثم قال: ما جاوزوا هذا المكان، إما أن يكون صعد إلى السماء أو دخل تحت الأرض، و قد كان بعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار و جاء فارس من الملائكة حتى وقف على باب الغار ثم قال: ما فى الغار أحد، فتفرقوا فى الشعاب و صرفهم الله عن رسوله ثم أذن له بالهجرة «۱».

[۳۲] وَ قد كان بعض الكفار إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا من القرآن الحكيم قالُوا قَدْ سَمِعْنا بآذاننا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا المسموع، فإن العاجز المتكبر دائما يظهر القدرة، لكنه لا يظهر منه الأثر بخلاف القادر المتواضع الذى يعمل كثيرا و يقول قليلا إِنْ هذا أى ما هذا القرآن إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ جمع «أسطورة»، و المراد بها: أخبار الماضين و مختلقاتهم. قالوا: و قد كان قائل هذا النضر بن الحارث ابن كلدة و قد أسر يوم بدر و قتل.

[۳۳] وَ اذكر يا رسول الله إِذْ قالُوا أى بعض الكفار و هو أبو

---

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۵۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۲۳

جهل: اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هذا الذى جاء به محمد هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ و كنا نحن على الباطل فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً المراد بها «جنس الحجارة» و ليست «التاء» للمفرد مِنَ السَّماءِ أى من جهة العلو، كما أمطرت على قوم لوط أَوِ ائْتِنا أى صبّ علينا و جئنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ مؤلم.

فقد روى أن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: أجيبونى إلى ما أدعوكم إليه تملكون بها العرب و تدين لكم العجم. فقال أبو جهل: «اللهم إن كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» «۱».

و

فى بعض الروايات: أنها نزلت حين نصب الرسول عليّا خليفة له يوم غدير خم، فجاءه رجل يقال له الحارث بن عمرو الفهرى فحاجّ النبى فى شأن على عليه السّلام ثم سأله: هل هذا من الله أو منك؟ فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: بل من الله سبحانه. فأخذ يذهب و هو يدعو بهذا الدعاء «اللهم إن كان .. الى آخره»، حسدا و بغضا للإمام عليه السّلام. فقال له النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إما تبت و إما رحلت، فركب راحلته و خرج، و لما وصل إلى خارج المدينة أتته جندلة فرضّت هامته، و فيه نزلت: سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ «۲»، فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لبعض المنافقين: انطلقوا إلى صاحبكم فقد أتاه ما استفتح به «۳».

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۸ ص ۱۵۸.

(۲) المعارج: ۲.

(۳) راجع بحار الأنوار: ج ۳۵ ص ۳۲۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۲۴

[سورة الأنفال (۸): الآيات ۳۳ الى ۳۴]

وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (۳۳) وَ ما لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ ما كانُوا أَوْلِياءَهُ إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۳۴)

أقول: و كأن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أمره بالرحيل حتى لا يمنع عن عذابه وجوده صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عنده حيث قال سبحانه: «وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ». كما أنه لا منافاة بين الحديثين، فقد كانت بعض آى القرآن و سوره ينزل مرتين و أكثر، فلعلها نزلت مرة فى قصة أبى جهل و مرة فى قصة الحارث.

[۳۴] ثم بيّن سبحانه أنهم مع استحقاقهم العذاب لما كانوا يفعلونه، لكنه لا يعجّل لهم ما دام الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيهم، فلعلهم يرجعون و يتوبون، و ما دام أنهم- مع كفرهم- يستغفرون الله سبحانه، كما روى أن أبا جهل بعد ما ذكر الدعاء قال: و استغفر الله، فقال سبحانه: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بإمطار الحجارة عليهم- كما طلبوا- أو غيره وَ أَنْتَ فِيهِمْ جملة حالية، أى: فى حال كونك يا رسول الله بين أظهرهم، و المراد بذلك إما الرحمة بهم لأجلك، أو عدم عذابهم لاحتمال الإيمان، فإن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما دام فيهم يحتمل رجوعهم و هدايتهم. وَ ما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ و لعل اختلاف التعبير فى «ليعذبهم» و «معذبهم» لأجل أن كون الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بين أظهرهم له أمد و لذا جاء بالفعل، أما الاستغفار فإنه لا مدة له و لذا جيء بالاسم الدال على الدوام.

[۳۵] ثم بيّن سبحانه أنه و إن كان لا يعذبهم إلّا أنهم يستحقون العذاب بما يرتكبون من الآثام، فقال سبحانه: وَ ما لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ أى لم لا يعذبهم و أى أمر يوجب ترك تعذيبهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۲۵

[سورة الأنفال (۸): آية ۳۵]

وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكاءً وَ تَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (۳۵)

وَ الحال أن هُمْ يَصُدُّونَ و يمنعون الناس المؤمنين عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فقد أخرجوا الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المؤمنين، و أجبروهم إلى الهجرة نحو الحبشة و الطائف و المدينة وَ الحال أنهم ما كانُوا أَوْلِياءَهُ أى أولياء المسجد، أى لم يكن المشركون أصحاب ولاية على المسجد الحرام حتى يكون الصدّ عنه مشروعا، فإنهم حيث كفروا برب المسجد و خالفوا أوامره لوضع الأصنام فيه و هتكوا حرمته بالتصفيق فيه، لم تكن لهم ولاية عليه إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ أى ليس أولياء المسجد إلّا الذين يتقون الله سبحانه و يطيعون أوامره و هم المؤمنون، فإنهم أولياؤه الشرعيون وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ أى أكثر هؤلاء المشركين لا يَعْلَمُونَ ذلك و يظنون- حيث أنهم ورثوا سدانة البيت من آبائهم- أنهم بذلك يكونون أولى بالمسجد.

ورد فى حديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال: «كان فى الأرض أمانان من عذاب الله، و قد رفع أحدهما، فدونكم الآخر، فتمسكوا به» «۱». و قرأ الآية: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ....

[۳۶] ثم بيّن سبحانه علّة عدم كونهم أولياء المسجد، و ذلك لأن صلاتهم هتك لحرمته و إنفاقهم لأجل الصدّ عنه، و هل يكون ولىّ شيء هاتكا

(١) بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ٢٨۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٣٢۶

[سورة الأنفال (٨): آية ٣۶]

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣۶)

و صادا عنه؟ وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ أى دعاء المشركين و عبادتهم عِنْدَ الْبَيْتِ الحرام إِلَّا مُكاءً وَ تَصْدِيَةً «المكاء» الصفير، يقال: «مكا يمكو مكاء» إذا صفّر بفيه. و «التصدية» التصفيق، و هو ضرب اليد على اليد. فقد كان المشركون يطوفون بالبيت عراة يصفرون و يصفقون. و

فى حديث: أن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان إذا صلّى قام رجلان من بنى عبد الدار عن يمينه فيصفران، و رجلان عن يساره يصفقان بأيديهما فيخلطان عليه صلاته، و قد قتلوا جميعا يوم بدر «١».

فَذُوقُوا أيها الكفار الْعَذابَ فى الدنيا بالقتل و الأسر و غيرهما، و فى الآخرة فى نار حرّها شديد بسبب ما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ باللّه و رسوله.

[٣٧] إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فى قتال الرسول و المؤمنين و التأليف عليهم لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أى يمنعوا الناس بذلك عن دين اللّه و طريقه المستقيم، فكيف يمكن أن يكون الصاد عن سبيل اللّه وليا لمسجد اللّه؟ فَسَيُنْفِقُونَها أى يقع منهم الإنفاق ثُمَّ تَكُونُ الأموال المنفقة للصد عن سبيل اللّه عَلَيْهِمْ حَسْرَةً موجبة للحزن

(١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٨٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٣٢٧

[سورة الأنفال (٨): آية ٣٧]

لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (٣٧)

و التحسّر يخسرونها بلا جدوى ثُمَّ يُغْلَبُونَ فى الدنيا بظفر المسلمين عليهم، و فى الآخرة بأنها تسبب لهم النار وَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ أى يجمعون، فإنهم يجمعون كلهم هناك جزاء لما فعلوا من الكفر و العصيان.

و فى بعض التفاسير: إن الآية نزلت فيما أنفقه الكفار يوم بدر لقتال المسلمين، و قد أخبر اللّه عن العاقبة قبل وقوعها فكانت كما ذكر.

[٣٨] إن ما تقدم من إخلاء اللّه السبيل للكفار حتى ينفقوا أموالهم فى سبيل الصدّ عن طريق اللّه سبحانه لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ فتكون الأموال المنفقة فى سبيل اللّه معلومة، و تكون الأموال المنفقة فى سبيل الباطل معلومة، فقد كانت الأموال قبل الاحتكاك و حدوث الحادثة غير مميز خبيثها من طيبها، أما فى الحادثة فيتميز بعضها عن بعض وَ ل يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ فإنه كان متفرّقا فى أموال عدة، و بذلك تتجمع أجزاؤه فَيَرْكُمَهُ أى يجعله ركاما مجموعا جَمِيعاً كالنفايات و القاذورات التى تتجمع من البيوت، و يجعل بعضها على بعض فى المزبلة فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ كما تجتمع القاذورات فى المنافى خارج المدينة. و هذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ليكون أوقع فى النفس أُولئِكَ الذين أنفقوا هذه الأموال فى سبيل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٣٢٨

[سورة الأنفال (٨): الآيات ٣٨ الى ٣٩]

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ وَ إِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (٣٨) وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)

الباطل هُمُ الْخاسِرُونَ فقد خسروا الأموال، بل اشتروا بها العار و النار.

[۳۹] قُلْ يا رسول الله لِلَّذِينَ كَفَرُوا لا- تيأسوا من رحمة الله، فإن الإنسان مهما عصى، إذا تاب؛ تاب الله عليه إِنْ يَنْتَهُوا عن كفرهم و عصيانهم، بالإسلام و الطاعة يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ من ذنوبهم و معاصيهم وَ إِنْ يَعُودُوا إلى كفرهم و أعمالهم، و «العودة» باعتبار أن كل يوم كفر جديد و معصية جديدة فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ أي عادة الله فيهم بالإهلاك، فإنها تنطبق على هؤلاء، و إضافة السنة إلى الأولين، باعتبار كون سنة الله واقعة عليهم، و يكفى فى الإضافة أدنى ملابسة- كما ذكروا- و يحتمل أن يكون المراد: إن ينتهوا عن قتال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تركوا و شأنهم و لم يعاقبهم الرسول بما فعلوا- فهو مغفرة لهم- و إن عادوا إلى القتال فقد مضت سنة الله فى الأنبياء أن يكون المحاربون هم المغلوبون المنهزمون، و هذا تهديد إلى كل من تسوّل له نفسه قتال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

[۴۰] وَ قاتِلُوهُمْ أى قاتلوا الكفار أيها المسلمون حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ أى لا توجد فتنة- فإن «كان» تامة- فإن الكفار مهما وجدوا القوة و المنعة فتنوا المؤمنين عن دينهم، و أحدثوا الفتن و القلاقل، أما إذا قوتلوا و كسرت شوكتهم، ذهبت الفتن و تحطمت المؤامرات و المكايد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۲۹

[سورة الأنفال (۸): آية ۴۰]

وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ (۴۰)

وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ المراد ب «الدين» الطريقة، أى حتى تتجمع الطرائق على طريقة واحدة، هى طريقة الله سبحانه. و هذه الآية تدل على جواز المقاتلة إلى أن تتوحد الطرائق فى طريقة ارتضاها الله سبحانه للعباد، فلا يكون دين سواه فَإِنِ انْتَهَوْا أى انتهى هؤلاء الكفار عن الكفر و العصيان و محاربة الرسول و المؤمنين فَإِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فإنه يعلم السر و أخفى. و ما على المسلمين إلّا توحيد الصفوف ظاهرا أما البواطن و السرائر فليس عليهم، بل الله يعلم بها و يجازى كل واحد حسب ضميره و سرّه.

[۴۱] وَ إِنْ تَوَلَّوْا أى أعرض الكفار عن الإيمان، و لم ينتهوا عن الكفر و العصيان فَاعْلَمُوا أيها المؤمنون أَنَّ اللَّهَ مَوْلاكُمْ سيّدكم و ناصركم، فلا تخشوهم، بل أقدموا على محاربتهم، فالله نِعْمَ الْمَوْلى حيث أنه عالم قادر و فىّ بما يعد وَ نِعْمَ النَّصِيرُ لا يغلبه أحد كما قال سبحانه: إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ «۱».

---

(۱) آل عمران: ۱۶۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۳۱

تقريب القران الى الأذهان الجزء العاشر من آية ۴۲ من سورة الأنفال إلى آية ۹۳ من سورة التوبة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۳۲

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۳۳

[سورة الأنفال (۸): آية ۴۱]

وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۴۱)

[۴۲] و حيث سبق الكلام حول قصة بدر، يعود السياق ليذكر جوانب أخرى من القصة كما هو عادة القرآن الحكيم، حيث يبيّن من القصة جوانب معينة فقط، ثم يبيّن تلك الجوانب فى ثنايا آيات أخرى، لتبقى للقصة ظرافتها، و لئلّا تكون مملّة ككتب التاريخ التى

تسرد القصص، و لأن يكون للنفس شوق و تلهف إلى القرآن و إلى القصة يسوقان الإنسان إلى التملّى منها. و تبتدئ بذكر الغنيمة و الحكم فيها، كما ابتدأت السورة بذكرها فى الجملة فقال سبحانه: وَ اعْلَمُوا أيها المسلمون أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ و الغنيمة: هى الفائدة مطلقا سواء حصلت من الحرب أو من غيرها، و إن كان مورد نزول الآية غنائم دار الحرب، و كلمة «من شىء» للتأكيد، أى سواء كانت الغنيمة قليلة أو كثيرة فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى أى قرابة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و هو الإمام عليه السّلام، فالنصف من الخمس أى عشرة من المائة منه للإمام عليه السّلام، إذ حصة الله سبحانه للرسول و حصة الرسول للإمام، و فى حال الغيبة يدفع هذا النصف إلى نواب الإمام و هم الفقهاء الجامعون للشرائط، و هم يصرفونه فى ترويج الإسلام، حيث

قال الإمام عليه السّلام: «إن الخمس عوننا على ديننا» «۱».

و إنما ذكر «الله» سبحانه تعظيما لأمر الرسول و الإمام و احتراما لهما، حيث قرنا به، و إلّا فالأموال كلها لله سبحانه وَ النصف الآخر من الخمس ل الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ ممن ينتهى نسبه

---

(۱) الكافى: ج ۱ ص ۵۴۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۳۴

[سورة الأنفال (۸): آية ۴۲]

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا وَ هُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى وَ الرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَ لَوْ تَواعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعادِ وَ لكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ إِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (۴۲)

إلى هاشم جدّ الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من السادة. و يشترط فى هؤلاء الفقر، و قد عوّضهم الله عن الزكاة التى جعلت لغير السادة- إذا كانت من غير السادة- ثم أن الأربعة أخماس الباقية من الغنيمة، تقسم بين المقاتلين فى غنائم دار الحرب، و لصاحب المال فى خمس سائر الغنائم، فإن الخمس يجب فى سبعة أشياء: غنائم دار الحرب، و المكاسب مطلقا، و الغوص، و الكنز، و المعدن، و الحلال المختلط بالحرام، و الأرض المنتقلة إلى الذمى إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ أى لا تطمعوا فى كل الغنيمة إن كنتم آمنتم بالله، فهو متعلق بقوله «و اعلموا» و ليس مفهوم الشرط:

أن الخمس ليس لهؤلاء إن لم تكونوا آمنتم، بل مفهومه إن كنتم آمنتم تؤمنون بذلك.

وَ إن كنتم آمنتم ب ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يعنى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يَوْمَ الْفُرْقانِ أى يوم فرقنا بين الحق و الباطل و هو يوم بدر يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ جمع المؤمنين من أصحاب الرسول و جمع الكافرين من أهل مكة للقتال، و المراد ب «ما أنزلنا» الملائكة أو النصر، إى: إن كنتم مؤمنين بالله و بما أنزل من النصر و الملائكة على الرسول يوم بدر، تؤمنون بهذا الحكم الذى هو كون الخمس للطوائف الستة المذكورين و ليس للمقاتلين فيه حق وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر أن ينصر الجماعة القليلة على الجماعة الكثيرة.

[۴۳] إن المسلمين خرجوا من المدينة لإدراك قافلة أبى سفيان التجارية فنزلوا بضفة الوادى القريبة من المدينة و نزل جيش المشركين- الذين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۳۵

جاءوا من مكة لإنقاذ القافلة- بقيادة أبى جهل على الضفة الأخرى البعيدة من المدينة، و بين الفريقين ربوة، أما القافلة فقد مال بها أبو سفيان إلى سيف البحر أسفل من الجيش، و لم يكن كلا الجيشين يعلم بموقع الجيش الآخر حتى أنه لو كان بينهما موعد للقاء لم يجتمعا بهذه الكيفية و لكن الله جمعهما على جانبى الربوة لينصر المسلمين على الكفار و يرى الجميع من الدلائل الباهرة ما يكفى لإتمام الحجة، و قد رأى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الرؤيا جيش المشركين قليلا فأخبر أصحابه بذلك، فاستبشروا و تشجعوا و أقدموا على القتال، و لو رآهم كثيرا و أخبر أصحابه بذلك لخافوا و وجلوا ففشلوا، و لم تكن الرؤيا كاذبة فإنهم بعددهم

الكثير كانوا قليلا فى الواقع بالنسبة إلى قواهم المعنوية الضئيلة.

و القرآن الحكيم يبيّن هـذا الطرف من القصـة بقوله سبحانه: إِذْ أَنْتُمْ «إذ» متعلق بقوله: «وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا» أى أن إنزالنا كان فى وقت كنتم أيها المسلمون بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا مؤنث «أدنى» أى العدوة القريبة من المدينة، و «العدوة» شفير الوادى، فإن لكل وادى عدوتان أى جانبان وَ هُمْ أى الكفار بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى مؤنث «الأقصى» بمعنى البعيدة، أى فى الطرف البعيد من الوادى، و بعده باعتبار المدينة المنورة وَ الرَّكْبُ أى قافلة قريش التجارية، و هو جمع «راكب»، كصاحب و صحب أَسْفَلَ مِنْكُمْ أى فى مكان أسفل منكم إلى جانب البحر، و ليس المراد ب «الأسفل» الانخفاض بل الأبعد.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۳۶

و الفائدة فى ذكر هذه المواطن الإخبار الدال على قوة المشركين و ضعف المسلمين و إن غلبتهم فى مثل هذه الحالة كان بأمر إلهى و ذلك أن العدوة القصوى كان فيها الماء و لا ماء بالعدوة الدنيا، و كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل و كانت العير وراء ظهورهم مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم و تحملهم على أن لا يبرحوا مواطنهم و يبذلون نهاية جهدهم، و مع ذلك فقد نصر الله المسلمين.

وَ لَوْ تَواعَدْتُمْ أنتم و الكفار على اللقاء فى مكان واحد لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعادِ فإنكم كنتم تخافونهم لكثرتهم و استعدادهم، و هم كانوا يخافونكم لشدة بطشكم، و ما أدخل فى قلوبهم من الرعب منكم، فقد كانت أسباب عدم القتال، أو القتال بهزيمتكم متوفرة وَ لكِنْ شاء الله سبحانه و قدّر أن يجمعكم بهذه الكيفية و ينصركم عليهم لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً أى ينفذه و يأتى به إلى الوجود كانَ مَفْعُولًا أى واجبا أن يفعل و مقدرا أن يكون، فقد قضى سبحانه إعزاز الإسلام و نصرة المسلمين.

و إنما قضى ذلك لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ أى ليموت من يموت من الكافرين بعد تمام الحجة عليه، فإن نصر المسلمين بتلك الكيفية كان من البراهين الدالة على صدق الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فمن لم يؤمن بعد ذلك و مات، كان هلاكه بعد إتمام الحجة عليه وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ أى يعيش من عاش منهم بعد إتمام الحجة عليه، و هذا كما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۳۷

[سورة الأنفال (۸): آية ۴۳]

إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنامِكَ قَلِيلًا وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ لكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۴۳)

يقال: «أتممت الحجة على الأحياء و الأموات»، أو المراد من «الهلاك و الحياة» الكفر و الإسلام، فقد تقدم أن الحياة الكاملة فى الإسلام، كما أن الكافر ليس إلا ميتا فى كثير من الأمور الحيوية، و لذا يقال عن المؤمن أنه حى، و على الكافر أنه ميت، كما قال سبحانه: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ «۱»، وَ إِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ لأقوالكم عَلِيمٌ بضمائركم، فإن الحرب غالبا مثار كلام غير لائق و نيات سيئة، و لذا يذكّرهم سبحانه بوجوب حفظ الألسنة و الضمائر عن السوء.

[۴۴] و قد ذكر ما تقدم من نزول النصر إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ أى يريك اللّه الكفار فِي مَنامِكَ يا رسول الله قَلِيلًا لتخبر بذلك المؤمنين فتقوى قلوبهم وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً أى أراك الله الكفار كثيرا، ثم أخبرت بذلك المؤمنين لَفَشِلْتُمْ أيها المؤمنون و ضعفت عزيمتكم فى قتالهم، فإن الفشل هو الضعف عن فزع و خوف وَ لَتَنازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ أى فى أمر محاربتهم حيث كنتم ترهبونهم، فيقول بعضكم: نقاتلهم، و يقول بعض: لا نقاتلهم وَ لكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ أى سلّم المؤمنين عن الفشل و التنازع و اختلاف الكلمة إِنَّهُ سبحانه عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ أى بما يدور فى صدور الناس من الوساوس و تقلّب

---

(۱) الأنفال: ۲۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۳۸

[سورة الأنفال (٨): آية ۴۴]

وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (۴۴)

وجوه الرأى. و قد ذكرنا أن «الإراءة قليلا» لم تكن كذبا بل باعتبار أن الإنسان القوى دائما يرى الكثير قليلا، بخلاف الإنسان الجبان الذى يرى القليل كثيرا، هذا بالإضافة إلى أنه محسوس مجرّب، مبسوط فى علم النفس و مشروح.

[۴۵] و حيث تقابل الجيشان رأى المسلمون قلّة المشركين، لما كانوا يحملونه من القوة فى نفوسهم و التصميم و الإرادة بتسديدهم و عزمهم، و رأى المشركون قلة المسلمين حيث كانوا قليلا عددا، فإن المسلمين كانوا ثلاثمائة و ثلاث عشر بينما كان الكافرون بين التسعمائة و الألف، و حيث كان كل فريق يرى خصمه قليلا تجرّأ الطرفان على القتال مما أدى إلى نصر المسلمين وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ أى يريكم الله أيها المؤمنون، الكافرين إِذِ الْتَقَيْتُمْ أى فى زمان لقائكم و إياهم فى ساحة القتال فِي أَعْيُنِكُمْ أى فى نظركم قَلِيلًا فكان الكفار فى نظر المسلمين قليلين لما عندهم من الإرادة و القوة.

و من المعلوم أن الحالات النفسية تؤثر فى حواس الإنسان الظاهرة، و قد كان هذا بإرادة الله سبحانه حيث قوّى نفوس المسلمين حتى يروا الكافرين قليلين فيطمعوا فيهم وَ يُقَلِّلُكُمْ أيها المؤمنون فِي أَعْيُنِهِمْ أى أعين الكافرين، فقد أراد الله سبحانه أن يقلل المؤمنين فى نظر الكافرين لئلّا ينسحبوا عن قتالهم، فلا ينال المؤمنون منهم نيلا، و قد كان ذلك سبب غرور الكافرين فقد كان أبو جهل يقول لأصحابه: خذوا المسلمين بالأيدى أخذا و لا تقاتلوهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٣٣٩

[سورة الأنفال (٨): آية ۴۵]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۴۵)

و إنما فعل ذلك سبحانه، بأن قلّل كل جانب فى نظر الجانب الآخر لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولًا أى ينفذ إرادته فى غلبة المسلمين، التى كانت قد قدّرت. و قد كررت هذه الجملة تأكيدا، و لإفادة أن النصر كما كان من عند الله، كان التقليل من عنده أيضا وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ فإن الأمور كما كانت بقدر الله و قضائه، كذلك تكون مصائر الأمور إليه، فبيده المبدأ و المعاد، و هذا التشجيع للمسلمين فى أن يقدموا، فإن المبدأ و المنتهى بيد ناصرهم و معينهم و هو الله سبحانه.

[۴۶] و حيث بيّن سبحانه كيف أنه نصر المؤمنين فى موقعة بدر مع كون القوى المادية كانت بجانب الكافرين، أمر المسلمين أن يثبتوا أمام كل مشكلة، فإن الله بجانبهم دائما يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً كافرة أو مخالفة، ممن عتى عن أمر الله سبحانه فَاثْبُتُوا و لا تنهزموا أمامهم، فإن الثبات يوجب النصر، و بالعكس الانهزام و الفرار يوجبان الفشل و الخسران وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً مستعينين به فى الحرب و الدعوة، فإن ذكر الله سبحانه يشجّع الإنسان و يقوّى فيه العزيمة، كيف و الإنسان بتكرار الذكر، تتكون فيه ملكة الاتصال بالقوى الكونية، هذا بالإضافة إلى أن نصرة الله سبحانه توجب قوة و طاقة خارقة فى النفس، كما ثبت فى علم النفس لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أى لكى تنجحوا و تظفروا و تفوزوا بخير الدنيا و الآخرة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٣۴٠

[سورة الأنفال (٨): آية ۴۶]

وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (۴۶)

[۴۷] وَ أَطِيعُوا اللَّهَ فيما أمركم وَ رَسُولَهُ فيما بيّن لكم- و قد مرّ مكررا أن قرن اسم الرسول باسم الله سبحانه للتعظيم، و لأنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو المبيّن- وَ لا تَنازَعُوا فيما بينكم فيقول بعض: نقدم، و يقول بعض:

نحجم فَتَفْشَلُوا فإن التنازع يوجب تبديد القوى المعنوية بالإضافة إلى تبديده و إضاعته للقوى المادية وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ أى دولتكم، فإن الريح بمعنى الدولة لغة، أو هو من باب التشبيه، فإن الدولة تشبّه بالريح لهبوبها و سيطرتها على الأشياء و نفوذ أمرها، يقال: «هبت

ريح فلان» إذا نفذ أمره.

و التنازع، لا يجزئ القوى إلى سلب و إيجاب فقط، بل فوق ذلك يضعف القوى الإيجابية. فلو فرضنا أن طاقة زيد تقدّر بألف مقاتل، فإذا خالفه عمرو قدّرت طاقته بخمسمائة، حتى أنه لو كان وحده بدون مخالف لقدرت طاقته بألف، و ذلك لأن المخالف يحدّ من النشاط و يضعف من القوى، بخلاف التجمع فإنه يزيد الطاقة الألفية إلى الألفين. و لذا ثبت فى علم النفس أن الإنسان إذا رأى خلافا فالأفضل أن يصمّ عن المخالف حتى يبقى على قواه الذاتية، و لا تحد من نشاطه الطاقة المناوئة.

وَ اصْبِرُوا و الفرق بين الثبات و الصبر، أن الصبر يلائم حالة الهزيمة و النصر، و هو مقابل الجزع، و الثبات مقابل الانهزام، و من الواضح أن الصابر يصل إلى مطلبه و لو انهزم وقتيا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ بالنصر و الظفر، و ليس المراد المعية الجسمية، كما هو واضح.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٣٤١

[سورة الأنفال (٨): الآيات ٤٧ الى ٤٨]

وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَطَراً وَ رِئاءَ النَّاسِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ اللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّي جارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقابِ (٤٨)

[٤٨] وَ لا تَكُونُوا أيها المؤمنون كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ من أهل مكة بَطَراً «البطر» الخروج من موجب النعمة بالكفر، من «بطر» يعنى «شق»، و منه «البيطار» لأنه يشق اللحم بالمبضع، فقد خرج الكفار من مكة بالمعازف و الطبول وَ رِئاءَ النَّاسِ فإنهم لما خرجوا ملئوا خوفا و رعبا من المسلمين، و لكن خرجوا ليظهروا أنهم لا يبالون بالمسلمين و يظهروا شوكتهم وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ هذا مقابل قولهم أنهم أولى بالبيت من المسلمين. و المراد ب «الصد» المنع عنه، حيث كانوا يقفون دون تبليغ الأحكام وَ اللَّهُ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ إحاطة علم و قدرة فيجازيهم بما عملوا.

قال ابن عباس: أنه لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره، أرسل إلى قريش أن ارجعوا، فقال أبو جهل: و الله لا نرجع حتى نرد بدرا- و كان بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام- فنقيم بها ثلاثا ننحر الجزور و نطعم الطعام و نسقى الخمور و تعزف علينا القيان و تسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا «١».

و إلى هذا أشارت الآية الكريمة، فإن المسلمين يجب أن يكونوا مؤدبين بآداب الله سبحانه حتى فى حالة الحرب.

[٤٩]

فى موقعة بدر جاء إبليس إلى كفار مكة فى صورة سراقة بن مالك فقال لهم: إنى جار لكم ادفعوا إلىّ رايتكم. فدفعوها إليه و جاء

---

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٣٦. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٣٤٢

بشياطينه يهول بهم على أصحاب الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أقبلت قريش يقدمها إبليس معه الراية فنظر إليه رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال لأصحابه: غضوا أبصاركم و عضوا على النواجذ و لا تسلّوا سيفا حتى آذن لكم. ثم رفع يده إلى السماء فقال: «يا رب إن تهلك هذه العصابة لم تعبد، و إن شئت لا تعبد، لا تعبد» «١» ثم أصابه الغشى فسرى عنه و هو يسلت العرق عن وجهه و هو يقول: هذا جبرائيل قد أتاكم فى ألف من الملائكة مردفين. فنظروا فإذا بسحابة سوداء فيها برق لامع قد وقع على عسكر رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قائل يقول: أقدم حيزوم، أقدم حيزوم. و سمعوا قعقعة السلاح من الجو و نظر إبليس إلى جبرائيل فتراجع و رمى باللواء فأخذ منبه بن الحجاج بمجامع ثوبه ثم قال:

ويلك يا سراقة تفت فى أعضد الناس، فركله إبليس ركلة فى صدره و قال: إنى برىء منكم.

وَ قد كان ذلك إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ أى فى وقت حسّن الشيطان أعمال المشركين فى نظرهم بأن شجّعهم على قتال

المسلمین، و یحتمل أن یکون «إذ» معمولا لفعل مقدّر هو «اذکر» وَ قالَ الشیطان للکفار: لا غالِبَ لَکُمُ الْیَوْمَ مِنَ النَّاسِ أی لا یغلبکم أحد من الناس لکثرتکم و قوتکم فانهضوا لقتال المسلمین- فی بدر- وَ إِنِّی جارٌ لَکُمْ من الإجارة، ناصر لکم علی عدوّکم فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ أی التقت، فرقتا المسلمین و الکافرین

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۲۵۵.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۴۳

[سورة الأنفال (۸): آیة ۴۹]

إِذْ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هؤُلاءِ دِینُهُمْ وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۴۹)

نَکَصَ الشیطان أی رجع عَلی عَقِبَیْهِ أی متقهقرا منهزما، فإن الإنسان إذا أراد أن یتقهقر اعتمد علی عقب رجلیه، و هذا تشبیه لإفادة الفرار مع الجبن، فإن الجبان لا یدبر خوفا من أن یلحقه الطلب.

وَ قالَ الشیطان للکفار: إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکُمْ فلا صلة بیننا، و لا أفی بما ضمنت لکم من الإجارة و النصر إِنِّی أَری ما لا تَرَوْنَ فقد رأی الشیطان الملائکة و کان یعرفهم، و علم أنه لا طاقة له بهم، کما أن الملائکة کانت تعرف الشیطان إِنِّی أَخافُ اللَّهَ بأن یعذبنی علی أیدی الملائکة وَ اللَّهُ شَدِیدُ الْعِقابِ لا یطاق عذابه.

و فی بعض التفاسیر: و إنما قام الشیطان بهذا العمل- أی تشجیع الکفار- لأن الله سبحانه شاء أن یخرجهم إلی حرب المسلمین، فتنکسر شوکتهم و تذهب ریحهم و یتحطم کبریاؤهم.

و من الانهزامیة المادیة أن نأوّل هذه الآیة کسائر الآیات المبینة لما وراء المادة، بتأویلات لا تنافی الأمور المادیة، فإن التأویل إنما یصح إذا دل عقل أو نقل قطعی علی خلاف الظاهر، أما إذا لم یدل دلیل و لم تکن هناک قرینة، فأی مبرّر لأن نترک الظاهر بمجرد أنه یلائم الأمور المادیة، و لو فتح هذا الباب للزم أن نقول بذلک حتی فی القرآن الحکیم نفسه، إذ هو أیضا أمر خارج عن طوق المادة.

[۵۰] کان تزیین الشیطان للمشرکین قتالهم مع المسلمین إِذْ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۴۴

[سورة الأنفال (۸): آیة ۵۰]

وَ لَوْ تَری إِذْ یَتَوَفَّی الَّذِینَ کَفَرُوا الْمَلائِکَةُ یَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ وَ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِیقِ (۵۰)

أی فی حال صدور هذه المقالة عن المنافقین، و المراد بهم إما الکفار، فإن الکافر باعتبار أنه یعلم الواقع و یظهر خلافه یسمی منافقا، و إما المسلمون المنافقون وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ إما عطف بیان، أو یراد أحد اللفظین المسلمون المنافقون، و بالتالی الکفار، و المراد بالمرض مرض الانحراف عن المنهج المستقیم، فإن البدن کما یصاب بالأمراض الجسمیة، کذلک الروح تصاب بالأمراض الخلقیة، فالبخل و الحسد و الجبن و ما أشبه أمراض غَرَّ هؤُلاءِ دِینُهُمْ أی غرّ المسلمین دینهم حتی خرجوا مع قلّتهم و صمّموا علی قتال الکفار الأقویاء عددا و عدّة وَ لیس الأمر کذلک فإنه مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللَّهِ فیسلم أمره إلیه و یثق به فَإِنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ لا یغلب، و کذلک لا یغلب المتوکلون علیه حَکِیمٌ فیما یفعل، یضع الأمور مواضعها، فلا یترک المسلمین و لا یخذلهم، بل ینصرهم علی الکافرین، فإنه له القوة یمنحها المتوکلین علیه، و له الحکمة یدبّر بها الأمور.

[۵۱] إن الکافرین کان مبدأ أمرهم- فی مقابلة المسلمین- الانهزام، فلننظر إلی مصیرهم وَ لَوْ تَری یا رسول الله، أو المراد کل من تتأتی منه الرؤیة إِذْ یَتَوَفَّی الَّذِینَ کَفَرُوا الْمَلائِکَةُ أی تقبض الملائکة أرواح الکفار عند موتهم یَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبارَهُمْ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۴۵

[سورة الأنفال (۸): آية ۵۱]

ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (۵۱)

أى يضربونهم من الأمام و من الخلف، كما يضرب المجرم الكثير الاجرام وَ يقال لهم: ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ أى العذاب الذى يحرق. و

قد روى أن الملائكة كانت تضرب قتلى المشركين فى بدر بالمقامع فتلهب جراحاتهم بالنار و تزهق أرواحهم

«۱». و الإتيان بصيغة الأمر فى «ذوقوا» لتصوير المشهد كأنه مجسّم أمام المخاطب، و هو من باب الإلفات، كما ذكر فى علم البلاغة.

[۵۲] ذلِكَ العقاب لكم أيها الكفار بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ أى بما قدّمتم و فعلتم من الكفر و المعاصى، و إنما نسب إلى اليد، للتغليب، فإن كثيرا من الأعمال تأتى بواسطة اليد وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ «ظلّام» صيغة للنسبة، لا مبالغة، كتمّار بمعنى المنسوب إلى التمر. قال ابن مالك:

و مع فاعل، و فعّال، فعل‌فى نسب أغنى عن اليا فقبل

و من المحتمل أن تكون مبالغة، و ذلك لإفادة أنه سبحانه لو كان ظالما لكان كثير الظلم لأن كل صفة تصحّ فيه تعالى لا بد و أن تبلغ شأنا كثيرا، فنفى المبالغة نفى للأصل، و المعنى: إن العقاب ليس إلا بسبب جناية العبد، لا أنه اعتباطى منه سبحانه.

---

(۱) راجع مجمع البيان: ج ۴ ص ۴۸۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۴۶

[سورة الأنفال (۸): الآيات ۵۲ الى ۵۳]

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ (۵۲) ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۵۳)

[۵۳] كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ الدأب: العادة، و الكاف للتشبيه، أى أن عادة هؤلاء المشركين فى الكفر بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، كعادة آل فرعون و هم قومه و أتباعه وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من أقوام الأنبياء، فى الكفر بالرسل و تكذيبهم، فليس تكذيب هؤلاء جديدا، فإن السابقين عليهم أيضا كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ و ما أنزل على الأنبياء فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ بأن عاقبهم و أنزل عليهم أنواع العذاب إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ لا يقدر أحد على التمرد عليه، فإذا أراد أخذ أحد أخذه أخذ عزيز مقتدر شَدِيدُ الْعِقابِ و ليس عقابه يسيرا هيّنا حتى لا يخشى منه.

[۵۴] ذلِكَ العقاب الذى حلّ بأولئك و هؤلاء، ليس اعتباطا و ابتلاء من الله سبحانه بلا استحقاق بل بسبب عملهم، لأن اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما أى الحالة الصحيحة التى كانت بِأَنْفُسِهِمْ إن الصحة و الرخاء و الأمن و الغنى أحوال لاصقة بأنفس الناس، منحها الله إياهم، و طلب أن يعملوا برضاه فيها، فإذا غيروا ما طلب منهم بالنسبة إليها، بأن صرفوا تلك النعم إلى المعاصى، غيّر الله تلك النعم فأبدل الصحة مرضا، و الرخاء ضنكا، و الأمن اضطرابا، و الغنى فقرا. و هذا بالإضافة إلى كونه مرتبطا بما وراء المادة، مرتبط بالمادة أيضا، فإن الصحة تنحرف باستعمال

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۴۷

[سورة الأنفال (۸): آية ۵۴]

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ كُلٌّ كانُوا ظالِمِينَ (۵۴)

المحرمات الضارة، و الرخاء ينحرف بعدم التعاون و العداء مما يسبب تفكك المجتمع فلا يزرع بمقدار ما كان التعاون يسببه، و هكذا، و الأمن ينحرف إذا نوى كل إنسان الشر بأخيه، و الغنى ينحرف إذا كسل الناس عن العمل أو عملوا أعمالا غير مثمرة لا تفيد

مالا.

و من المعلوم أنه لا يلزم أن يكون الناس مؤمنين ثم يكفرون، بل هنالك مناهج بشرية عامة قرّرها سبحانه إذا سادت المجتمع كانوا فى أمن و رفاه، فإذا غيّروها تغيرت النعمة، مثلا الظلم و القتل قبيحان، و التعاون و الإحسان حسنان، أما بالنسبة إلى من بدّل الإيمان كفرا و مناهج الشريعة أهواء، فذلك أوضح وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ يسمع أقوال الناس عَلِيمٌ بضمائرهم، فإذا رأى تغييرا فى النيات، و انحرافا فى الكلمات غيّر ما أعطاهم من نعمة و ما تفضّل عليهم من أمن و راحة.

[۵۵] كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ أى أن عادة هؤلاء الكفار كعادة آل فرعون وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من سائر الأمم. و إنما كرّر لتأكيد أن الحالة هى الحالة، فإن كثيرا من الناس لا يصدقون أن ما جرى فى الأمم السابقة تجرى فى هذه الأمة، و لذا يحتاج الأمر إلى تركيز و تقرير، و ذلك لا يكون إلا بالتكرار و التذكير مرة فمرة كَذَّبُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ دلائله و حججه فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فلم يموتوا ميتة طبيعية، و إنما أخذوا بالعذاب وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ مع فرعون نفسه، فإنه قد يطلق «الآل» على الأعم من الشخص

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۴۸

[سورة الأنفال (۸): الآيات ۵۵ الى ۵۶]

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۵۵) الَّذِينَ عاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَ هُمْ لا يَتَّقُونَ (۵۶)

للتغليب، كما تقدم فى قوله: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ «۱»، وَ كُلٌّ من تلك الأمم التى أهلكناهم كانُوا ظالِمِينَ و تخصيص الكلام بآل فرعون، لأن كفرهم و عقوبتهم كانت ظاهرة واضحة لدى السامعين.

[۵۶] إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِ الدابة: كل ما يدبّ على وجه الأرض، لكن المنصرف منها الحيوان، و شرّ الجميع عِنْدَ اللَّهِ فى حكمه الَّذِينَ كَفَرُوا و استمروا على كفرهم فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ «الفاء» لعطف جملة على جملة. و لا يقال: إن الدواب لا شر فيها، فكيف يجعل الكافر شرا منها، لأنه يجاب عنه: بأن من الدواب ما فيها شر كالسامة و المؤذيات. و التى ليس فيها شر، يعدّ شرا باعتبار أنها لا تهتدى طريقا، و ليس المراد بالشر هذا المعنى فقط.

[۵۷] ثم بيّن سبحانه المصداق الظاهر لذلك بقوله: الكفار الَّذِينَ عاهَدْتَ مِنْهُمْ عهد حسن الجوار بأن تكون فى أمن منهم، و هم فى أمن منك ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أى كلّما عاهدوا نقضوا العهد و لم يفوا به وَ هُمْ لا يَتَّقُونَ الله و لا يخافون عقابه، أو لا يتقون نقض العهد. و الظاهر من الآية أن ذلك كان دأب بعض الكفار.

و فى «المجمع»: عن مجاهد أنه أراد به يهود بنى قريظة فإنهم قد

---

(۱) آل عمران: ۳۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۴۹

[سورة الأنفال (۸): الآيات ۵۷ الى ۵۸]

فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (۵۷) وَ إِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ (۵۸)

عاهدوا النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على أن لا يضرّوا به و لا يمالئوا عليه عدوا، ثم مالئوا عليه الأحزاب يوم الخندق و أعانوهم عليه بالسلاح، و عاهدوا مرة بعد أخرى فنقضوا «۱»».

[۵۸] و ما هو جزاء هذه الفئة التى هى شرّ من الدواب و لا تلتزم حتى بالعهود؟! فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ «إن» الشرطية و «ما» زائدة، و «ثقف» بمعنى: ظفر، أى إن ظفرت بهم يا رسول الله فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ «التشريد» هو التفريق، أى نكّل بهؤلاء تنكيلا و فرّقهم تفريقا حتى يتعثّر بهم من هم ورائهم من الذين عاهدوا معك، حتى يخافوا فلا ينقضوا العهد. فتكون الآية دالّة على أمرين: الأول:

تأديب هؤلاء الناقضين للعهد. الثانى: إلقاء الرعب فى قلوب الآخرين لئلّا ينقضوا عهدهم لَعَلَّهُمْ أى لعلّ من خلفهم يَذَّكَّرُونَ أى يتذكرون أن نقض العهد يوجب مثل هذا التأديب فلا يقدموا على مثله، فإن نقض العهد من أسوأ الأعمال، إذ يدل ذلك على أن المعاهدة كانت للضعف، فكلّما وجد أحد المعاهدين سبيلا إلى نقضه نقضه، و هذا يوجب سقوط قيمة المعاهدات، و أن لا يكون المتعاهدون بعضهم فى أمن من بعض. أما الخدعة فى الحرب فليست قبيحة إذ تلك بعد تأهّب كل فريق.

[۵۹] وَ إِمَّا تَخافَنَ «إمّا» مركّبة من «إن» الشرطية و «ما» الزائدة، تأتى

---

(۱) مجمع البيان: ج ۴ ص ۴۸۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۵۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۲ ۳۹۹

[سورة الأنفال (۸): آية ۵۹]

وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ (۵۹)

للتوسع فى معنى الشرط، يعنى: و لو كان الاحتمال ضعيفا، إن لم تدخل نون التأكيد، و إلّا أفادت التأكيد فى الشرط، بأن يكون الاحتمال قويا مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً أى إن خفت يا رسول الله من قوم من هؤلاء المعاهدين خيانة، بأن يخونوا عهدك و يحاربوك فجأة بعد إبرام الميثاق فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ أى ألق المعاهدة بينك و بينهم، إلقاء منتهيا إليهم، بمعنى أعلمهم عن إلقاءك للعهد، حتى يكون كلا الطرفين على سواء فى الأمر، لا أن يكونوا هم بصدد المباغتة و أنتم فى أمن و دعة منهم، فإن الإنسان إذا علم أن خصمه فى عهد يأمن، أما إذا علم أنه فى حرب يستعد، أما أن يبقى متزلزلا يخاف خيانته، فإنه فى اضطراب و ارتباك، و العهد فى نظر العرف ليس مما إذا أبرم دام، بل معلق بنقضه من الطرفين مع الاعلام إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخائِنِينَ أى فلا تخنهم يا رسول الله بالقتال فجأة بدون إعلام، بل أعلمهم النقض ثم إذا أردت قتالهم، فقاتلهم بعد الاعلام.

و عن بعض المفسرين: إن الآية نزلت فى بنى قينقاع من اليهود، فإنه كان بين النبى و بين أولئك معاهدة، و حيث أن اليهود كان من طبعهم الخيانة خاف الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلك، و لذا حلّ العهد الذى بينهم، لئلّا يباغتوه و هو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى أمن منهم. ثم صارت بينهم المحاربة «۱».

[۶۰] إن الكفار بنقضهم العهد دون الاعلام، و خيانتهم و غدرهم- كما صدر

---

(۱) مجمع البيان: ج ۴ ص ۴۸۵، عن الواقدى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۵۱

[سورة الأنفال (۸): آية ۶۰]

وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (۶۰)

من بنى قريظة- يظنون أنهم قد سبقوا، و أدركوا فرصة ذهبية سببت عجز المسلمين، لكنه ليس كذلك وَ لا يَحْسَبَنَ يا رسول الله الَّذِينَ كَفَرُوا بنقضهم العهد و غدرهم سَبَقُوا و استفادوا من فرصة المباغتة و السبق إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ أى أن هؤلاء الكفار لا يعجزون المسلمين، بمعنى أنهم بغدرهم لا يسببون عجز المسلمين، بل الله سبحانه ناصرهم، فإن الله سبحانه فى عون الوفىّ لا الغادر، و لذا ذهب بنو قريظة أدراج خيانتهم، بينما غلبهم المسلمون.

[۶۱] وَ أَعِدُّوا أيها المسلمون، و الإعداد هو التهيئة قبل وقوع الأمر لَهُمْ أى للكفار مَا اسْتَطَعْتُمْ ما قدرتم عليه مِنْ قُوَّةٍ دفاعية و هجومية،

بتهيئة وسائل الحرب، حتى تكونوا دائمى الاستعداد، سواء هاجمتم أو هوجمتم. و لعل إطلاق القوة يشمل جميع أنحاء القوى المادية و المعنوية و غيرها وَ ما استطعتم مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ أى ربط الخيل و اقتناءها للجهاد و الحرب تُرْهِبُونَ بِهِ أى تخوّفون بسبب إعداد ما استطعتم عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ فإن الكافر عدو الله لمخالفته له، و عدو المسلمين كما هو واضح. و لعل المراد بهم: أهل مكة، فإنهم كانوا ظاهرى العداوة وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ أى ترهبون به كفارا آخرين دون أولئك فى العداوة، أى أن عداوتهم أضعف، أو دون أولئك فى المحل كبنى قريظة الذين كانوا قريبين من المدينة لا تَعْلَمُونَهُمُ أى لا تعلمون أيها المسلمون أنهم أعداء لكم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۵۲

[سورة الأنفال (۸): الآيات ۶۱ الى ۶۲]

وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۶۱) وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ (۶۲)

اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ حيث يعلم ما بطن من الأمور.

و هذا درس للمسلمين بأن يستعدوا لأى عدو لئلّا يباغتوا وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فإن الحرب تحتاج إلى الإنفاق، و لذا يقرن غالبا الجهاد بالإنفاق فى الآيات الكريمة يُوَفَّ إِلَيْكُمْ أى يرجع إليكم فى الدنيا بالغنيمة و شبهها، و فى الآخرة بالثواب الجزيل وَ أَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ لا يظلمكم الله تعالى بأن يعطيكم أقل مما أخذ منكم.

[۶۲] وَ إِنْ جَنَحُوا الجنوح: الميل، و منه جناح الطائر لأنه يميل به فى أحد طرفيه، أى إن مال الكفار لِلسَّلْمِ و عدم الحرب فَاجْنَحْ لَها أى مل إليها و اقبلها منهم، و «السلم» مؤنث سماعى، و لذا جىء بالضمير مؤنثا وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ أى فوّض أمرك إليه، فلا تخف أن تفوتك الفرصة، فإن السلم أحرى أن تلين القلوب فيه و يكفى مؤونة أتعاب الحرب إِنَّهُ سبحانه هُوَ السَّمِيعُ لأقوال الطرفين الْعَلِيمُ بنياتهم، فلا يفوته غدر غادر و سلم مسالم. و من المعلوم أن الجنوح للسلم إذا كان من مصلحة المسلمين فلا ينسخ قوله: قاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ «۱»، هذه الآية، بل كلّ فى مقام المصلحة.

[۶۳] وَ إِنْ يُرِيدُوا أولئك الذين يجنحون للسلم أَنْ يَخْدَعُوكَ بأن

---

(۱) التوبة: ۳۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۵۳

[سورة الأنفال (۸): الآيات ۶۳ الى ۶۴]

وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۶۳) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۶۴)

يجدوا فرصة لتهيئة العدّة للغدر بك و قتالك فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هو يكفيك شرهم، و يتولى أمورك، فإنه كما كفاك سابقا يكفيك الآن هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ أى قوّاك بِنَصْرِهِ أى النصرة التى أنزلها عليك وَ بِالْمُؤْمِنِينَ أى أيدك بالمؤمنين الذين التفوا حولك، فتمكنت أن تبارز بهم الأعداء.

[۶۴] وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ المتنافرة حتى يكونوا قوة واحدة فى وجه الأعداء، فإن وحدة الكلمة من أهم أسباب النصر، و قد كانوا قبل الإسلام فى أشد حالة من العداوة و البغضاء حتى أنه كان بين الأوس و الخزرج عداوة و قتال دام أكثر من مائة سنة لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فإن المال يزيد العداوة، فإنه يكون وقودا لها، و إنما أزال الله سبحانه الضغائن بتصفية القلوب و تطهير أدران النفوس وَ لكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ بهدايتهم للإسلام المطهّر للعداوة عن الأفئدة إِنَّهُ سبحانه عَزِيزٌ غالب على أمره، فإذا أراد شيئا أوجده حَكِيمٌ بحكمته و تدبيره يدبّر الأمور و يديرها.

[۶۵] یا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَسْبُکَ اللَّهُ أی یکفیک فی مقابلة الأعداء وَ مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ فإنهم کافون بالنسبة إلی القوی الظاهرة، و هذا تشجیع

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۵۴

[سورة الأنفال (۸): الآیات ۶۵ الی ۶۶]

یا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِینَ عَلَی الْقِتالِ إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ وَ إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ مِائَةٌ یَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا یَفْقَهُونَ (۶۵) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْکُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِیکُمْ ضَعْفاً فَإِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ وَ إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ أَلْفٌ یَغْلِبُوا أَلْفَیْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِینَ (۶۶)

للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لئلّا ینظر إلی کثرة الأعداء، کما جرت العادة فی الحروب العادیة.

قال بعض المفسرین: نزلت فی البیداء قبل الشروع فی القتال فی وقعة بدر «۱».

[۶۶] یـا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَرِّضِ أی رغب الْمُؤْمِنِینَ عَلَی الْقِتـالِ بـذکر فوائـده و آثـاره و أنهم یسودون بسـببه و یحوزون الأجر و الثواب فی الآخرة لأجله إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ أیها المؤمنون عِشْرُونَ صابِرُونَ علی القتال یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ من الکفار فکل واحد من المؤمنین فی قبال عشرة من الکافرین وَ إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ مِائَةٌ یَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِینَ کَفَرُوا و ذلک لأن الإیمان و التضـحیة طاقتان عظیمتان تبدّلان الإنسان العادی إلی شخص شجاع مقدام، و ذلک الضعف فی الکفار بسبب أنهم قَوْمٌ لا یَفْقَهُونَ أی لا یفهمون، فمن یحارب عن معرفة و إیمان یزوّد بمـا لا یزوّد به الإنسان الخلیّ من العقیـدة و الـدین، و إن من عرف أنه إن قتل دخل الجنـة و إن قتل دخل الجنـة، کان قوی القلب فی مقابل من لا یفقه ذلک.

[۶۷] إن الفئـة إذا کانت قلیلـة کانت الطاقـة الإیمانیـة فیها قویة جدا، و ذلک لأنها تتقوّی حتی تتمکن من مقابلة القوی، و هذا أمر بیّن فی علم

(۱) مجمع البیان: ج ۴ ص ۴۹۰، عن الکلبی.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۵۵

[سورة الأنفال (۸): آیة ۶۷]

ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْری حَتَّی یُثْخِنَ فِی الْأَرْضِ تُرِیدُونَ عَرَضَ الدُّنْیا وَ اللَّهُ یُرِیدُ الْآخِرَةَ وَ اللَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ (۶۷)

النفس، فالنفس القویـة تأتی بما تحیر العقول فیه، إما إذا کثرت الفئـة فإن روح الاتکالیـة تقوی فیهم، و بمقـدار ارتفاع نسبة الاتکالیة، تنخفض القوة و الطاقة، و لذا نری الأمم أول تکوّنها أنشط منها فی أواسط حیاتها، فکیف بأواخرها، و هذا هو السبب فی أن خفّف الله الحکم عن المؤمنین بعـد أن کـثروا، الْآنَ و بعـد أن کـثرتم أیهـا المؤمنون خَفَّفَ اللَّهُ عَنْکُمْ فی لزوم مقابلـة الواحـد منکم لعشـرة من الکفار وَ عَلِمَ الله أَنَّ فِیکُمْ ضَعْفاً عطف علی «الآن» لا علی «خفف» و المراد بالضـعف: ضعف الطاقة، لا ضعف الجسد فَإِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ أیها المسلمون مِائَةٌ صابِرَةٌ تصبر علی المکاره یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ من الکفار وَ إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ أَلْفٌ صابرین یَغْلِبُوا أَلْفَیْنِ من الکفار بِإِذْنِ اللَّهِ و إرادته حیث أراد لکم أن تکونوا أقوی من عـدوکم بمـا وهب لکم من الإیمـان، فـإن الرجل منکم یعادل رجلین من العـدو، فإنه و إن کان أضعف من الحکم السابق و لکنه أیضا بإذنه سبحانه وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِینَ ینصرهم و یعینهم.

و لعل الحکمین تابعان لحالة نفوس المسلمین فی کل دور، فمتی رأوا قوة من أنفسهم کان العشرة منهم بمائة، و متی رأوا الضعف من أنفسهم کان العشرة منهم بعشرین، فلا نسخ فی البین، و الله العالم.

[۶۸] أسر المسلمون یوم بدر سبعین أسیرا فقتل النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم منهم ثلاثة، و خاف

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۵۶

المسلمون أن يقتلهم جميعا فتقدموا إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأخذ الفداء منهم رغبة فى المال، و قد كان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يعلم أن قتل بعضهم أصلح، كما كان كذلك شأن الأنبياء قبله، و ذلك لأن رؤوس المؤامرات إذا أطلقوا عاثوا فى الأرض فسادا و عادوا إلى المجتمع بأكثر قتلا و فتكا، لكن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قبل طلب هؤلاء لأمر أصلح و هو أن لا يختلف أصحابه بما يعود بأكثر ضررا، فنزلت هذه الآية توبيخا للمسلمين:

ما كانَ لِنَبِيٍ أى ليس له، و لم يكن فى عهد الله إليه أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى بأن يأخذ الأسير ثم يطلقه منّا، أو فى مقابل الفدية حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ الإثخان: التغليظ، أى يحمل الأرض ثقلا بالقتلى، أو المعنى: حتى يغلب فى الأرض ليخاف الكفار سطوته، فإنهم إن علموا أنهم إن وقعوا أسرى فدّوا و تحرروا، جرّأهم ذلك على الاستمرار فى المؤامرة و المكايدة، لكنهم إن عرفوا أن وراءهم القتل، قلت جرأتهم، و سلمت الدولة من شرهم.

فهل تُرِيدُونَ أيها المسلمون عَرَضَ الدُّنْيا أى المصالح الدنيوية، و سمى عرضا لأنه لا يبقى، و المراد به هنا: المال المأخوذ فدية وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ فإنكم إن صرفتم النظر عن المال لأجل ثواب الله سبحانه، كان خيرا لكم وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذو قوة و منعة، فاعملوا بأوامره حتى يقويكم حَكِيمٌ يدبر الأمور بحكمته البالغة، فما يأمر به هو المصلحة دون ما تظنون.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٣٥٧

[سورة الأنفال (٨): الآيات ٦٨ الى ٦٩]

لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)

[٦٩] لَوْ لا كِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ أى لو لا أن الله سبحانه كتب سابقا أن لا يعذب الناس حتى يبيّن لهم، كما قال سبحانه: وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا «١»، لَمَسَّكُمْ أيها المسلمون فِيما أَخَذْتُمْ من الفدية عَذابٌ عَظِيمٌ إن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يكن عليه غضاضة لأنه لاحظ الأصلح من توحيد كلمة أصحابه حيث قبل أخذ الفدية مكرها، أما المسلمون فقد استحقوا العقوبة حيث رجّحوا المال على ما فيه خيرهم و رغبة نبيهم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و

قد ورد فى الحديث: أن الفدية كانت أربعين أوقية من الفضة، كل أوقية أربعين مثقالا، إلّا العباس عم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث أخذ منه مائة أوقية «٢».

[٧٠] أما إذا انتهى الأمر و أخذتم الفدية فلا بأس فى أكلكم لها فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ من الكفار حَلالًا طَيِّباً و الطيب إذا قورن بالحلال أفاد معنى عدم نفرة الطبع منه فى مقابل الحلال الذى ينفر منه الطبع وَ اتَّقُوا اللَّهَ فلا تخالفوا أوامره إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ قد غفر ذنبكم فى أخذكم الفدية رَحِيمٌ يرحمكم فيما بعد بلطفه، مقابل بعض الكبار الذين إذا غفر ذنب المذنب، ينتهى الأمر عند ذلك، فلا يرحمه بعد ذلك.

---

(١) الإسراء: ١٦.

(٢) عوالى اللآلى: ج ٢ ص ١٠١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٣٥٨

[سورة الأنفال (٨): الآيات ٧٠ الى ٧١]

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠) وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيانَتَكَ فَقَدْ خانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١)

[٧١] يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ أى تحت استيلائكم، و ذكر «اليد» لأنها تكون الآخذة للأشياء غالبا مِنَ الْأَسْرى جمع أسير، و المراد بهم أسرى بدر الذين أسرهم المسلمون إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً بأن لم تكن قلوبكم محشوة بالحقد و العداوة بل طاهرة

نظيفة يُؤْتِكُمْ أى يعطيكم خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ من الفداء، و إنما يعطيكم ذلك لطفا و رحمة لا استحقاقا و عوضا وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذنوبكم. و من المعلوم أن ذلك مشروط بالإيمان وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ و قد كان العباس بن عبد المطلب يقول: نزلت هذه الآية فيّ و فى أصحابى، كان معى عشرون أوقية ذهبا فأخذت منى فأعطانى الله مكانها عشرين عبدا كل منهم يضرب بمال كثير و أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية.

[۷۲] ثم سلّى الله سبحانه نبيّه حول إطلاق الأسرى بالفداء نزولا عند رغبة أصحابه، بأنه لا يهمّه ما لعل الطلقاء يقومون به من مؤامرة جديدة ضده وَ إِنْ يُرِيدُوا أى يريد الطلقاء خِيانَتَكَ بأن يكون فى نيّتهم تجديد المؤامرة فَقَدْ خانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فى قصة خروجهم إلى بدر فَأَمْكَنَ الله المسلمين مِنْهُمْ فقتلوهم و أسروهم، و الله قادر على أن يمكّن المسلمين منهم ثانية إن خافوا منهم. و سمى خروجهم إلى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۵۹

[سورة الأنفال (۸): آية ۷۲]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا وَ إِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۷۲)

بدر خيانة باعتبار وجوب شكر المنعم، لا باعتبار سبق معاهدة، فإنك إذا أنعمت و تفضلت على أحد، ثم قام ضدك يقال: أنه خانك وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بإرادتهم الخيانة و عدمها حَكِيمٌ يدير الأمور حسب الحكمة، فهم فى قبضة علمه و إرادته لا يتمكنون من الإضرار بك.

[۷۳] و بمناسبة ذكر الحرب و علاقة المسلمين بالمشركين، يأتى ذكر علاقة المسلمين بعضهم ببعض، و أنها علاقة الإيمان و العقيدة و الهجرة إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بالله و رسوله و بما جاء به الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ هاجَرُوا من مكة إلى المدينة وَ جاهَدُوا أى حاربوا الكفار بِأَمْوالِهِمْ بأن بذلوها فى سبيل الجهاد وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ و يأتى ذكر «سبيل الله» فى كل مناسبة للتنبيه على أن حركة المسلمين ليست إلا لإعلاء كلمة الله وَ الَّذِينَ آوَوْا أى الأنصار من أهل المدينة الذين جعلوا للرسول و المهاجرين مأوى بأن أسكنوهم فى منازلهم، فإن المهاجرين لم يكن لهم مسكنا حين وردوا المدينة فأسكنهم الأنصار معهم فى بيوتهم وَ نَصَرُوا أى نصروا الرسول و المهاجرين على أعدائهم أُولئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ و ليست هنالك ولاية بين المسلم و قريبه الكافر، و الولاية كلمة عامة تشمل أقسام الولاية و النصرة.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهاجِرُوا إلى المدينة، بل بقوا فى مكة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۶۰

[سورة الأنفال (۸): آية ۷۳]

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَ فَسادٌ كَبِيرٌ (۷۳)

اختيارا ما لَكُمْ أى ليس لكم أيها المسلمون مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ لأنهم خالفوا أمر الرسول و أضعفوا- ببقائهم فى مكة- كيان المسلمين حَتَّى يُهاجِرُوا كما هاجرتم وَ إِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ أى طلب المؤمنون غير المهاجرين منكم أيها المهاجرون أن تنصروهم على أعدائهم الكفار، فى الأمور الدينية فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ و من المعلوم أن النصرة غير الولاية المطلقة، لأن المسلمين فى المدينة كان ينصر بعضهم بعضا، و يسكن أحدهم الآخر فى داره، و يجتمعون فى السلم و الحرب، و أخذ الغنائم، و يتفقد أحدهم الآخر، كأهل بيت واحد، بخلاف النصر المجرّد على الكافر الذى قرّره سبحانه للمسلمين فى مكة.

إِلَّا عَلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ أيها المسلمون المهاجرون وَ بَيْنَهُمْ مِيثاقٌ فإذا استنصركم المسلمون فى مكة على كفار معاهدين معكم، فلا تخرقوا المعاهدة، و لا تنصروا المسلمين، لأن المسلم لا يغدر بعهده، و لا ينقض ميثاقه و إن كان مع الكافر وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فلا تتركوا

موالاة المهاجرین، و لا تتولوا غیر المهاجرین.

[۷۴] وَ الَّذِینَ کَفَرُوا لیسوا لکم بأولیاء و إن کانوا أقرباؤکم بالنسب أو باللغة أو بالوطن بل بَعْضُهُمْ أَوْلِیاءُ بَعْضٍ ینصر بعضهم بعضا

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۶۱

[سورة الأنفال (۸): الآیات ۷۴ الی ۷۵]

وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ الَّذِینَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ کَرِیمٌ (۷۴) وَ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا مَعَکُمْ فَأُولئِکَ مِنْکُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلی بِبَعْضٍ فِی کِتابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (۷۵)

ضدکم و إن اختلفوا. و بهذا المعنی

ورد: «الکفر کله ملة واحدة»

إِلَّا تَفْعَلُوهُ أی إن لم تفعلوا ما أمرتم به من ولایة المؤمنین، و اعتبار الکفار کلهم ملّة واحدة، بأن عادیتم المؤمنین أو والیتم الکافرین تَکُنْ فِتْنَةٌ فِی الْأَرْضِ وَ فَسادٌ کَبِیرٌ لأن فی ذلک تعزیزا للکفر و إذلالا للإسلام، و قد دلّ منطق التاریخ أن کل وقت اتخذ فیه المسلمون الکافرین أولیاء، ضعفت شوکتهم و ذهبت ریحهم، و بالعکس کل وقت اتخذوهم فیه أعداء، و اتخذوا سائر المسلمین أولیاء، قویت شوکتهم و هبت ریحهم.

[۷۵] وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا من مکة إلی المدینة وَ جاهَدُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ لإعلاء کلمته و تطبیق حکمه وَ الَّذِینَ آوَوْا وَ نَصَرُوا من أهل المدینة الذین أعطوا المسلمین مأوی و نصروهم علی أعدائهم أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لقیامهم بجمیع شرائط الإیمان لَهُمْ مَغْفِرَةٌ من الله لذنوبهم وَ رِزْقٌ کَرِیمٌ أی مع الکرامة فی الدنیا و فی الآخرة، فإن المؤمنین إذا ما عملوا بشرائط الإیمان تمّت علیهم برکات من السماء و الأرض.

[۷۶] وَ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ فی المستقبل- حتی لا- یظن أن الأمر تمّ فی زمن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم- وَ هاجَرُوا و الهجرة باقیة مهما کان الإنسان فی دار

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۶۲

الکفر مما لا- یتمکن معه من إظهار معالم الإسلام وَ جاهَدُوا مَعَکُمْ و لو بنحو المعیة المعنویة بأن کان جهادهم مع المؤمنین و فی جماعتهم فَأُولئِکَ مِنْکُمْ فی الأجر و الثواب و خیر الدنیا وَ أُولُوا الْأَرْحامِ أی ذوو الأرحام و القرابة بَعْضُهُمْ أَوْلی بِبَعْضٍ فِی کِتابِ اللَّهِ أی فی حکم الله. و هذا أخص من الحکم الأول، فالقریب المسلم الجامع للشرائط أولی بقریبه المسلم الجامع للشرائط من البعید المسلم الجامع للشرائط فی جمیع الجهات التی منها الإرث. و یفهم من الآیة أن الأقرب من الرحم أولی من الأبعد إِنَّ اللَّهَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ فما یذکره من الأحکام إنما هو حسب الحکمة و المصلحة، لأنه یصدر عن علم و اطلاع.

و فی بعض التفاسیر: إن هذه الآیة نسخت الآیة السابقة أُولئِکَ بَعْضُهُمْ أَوْلِیاءُ بَعْضٍ فإن کان هناک دلیل صحیح فی الدین یدل علی ذلک فهو، و إلا فظاهر الآیتین غیر متناف حتی نحتاج إلی القول بالنسخ، و الله العالم «۱».

---

(۱) راجع تفسیر القمی: ج ۱ ص ۲۸۰.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۶۳

۹ سورة التوبة مدینة/ آیاتها (۱۲۹)

تسمی هذه السور ب «سورة براءة» لأنها تبتدئ بهذه الکلمة، کما تسمی بالتوبة، لکثرة اشتمالها علی مشتقات هذه الکلمة. و لم تبتدئ

هـذه السورة ب «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ لأنهـا نزلت لإعلان الحرب على الكفار و المنافقين، و ذلك ينافى «البسملة» التى تحمل فى معناها الرحمة و السلام.

و لما اختتمت سورة الأنفال بعلاقة المسلمين بعضهم مع بعض ابتدأت هذه السورة بعلاقة المسلمين بالكافرين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۶۴

[سورة التوبة (۹): الآيات ۱ الى ۲]

بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۱) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَ أَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكافِرِينَ (۲)

[۱] بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أى هـذه براءة، على أنها خبر مبتدأ محذوف، أو «براءة» مبتدأ خبره «إلى الذين». و معنى البراءة: انقطاع العصمة، يقال: «برأ يبرأ من فلان» إذا قطع ما بينهما من الصلة. و المعنى: أن لا عصمة بين المسلمين و بين الذين عاهدوهم من المشركين، فقد كان بين الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بين المشركين معاهدات، لكنهم غدروا، و لذا أجّلهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أربعة أشهر، فمن كان له معاهدة أعلمه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه يبقى على المعاهدة إلى أربعة أشهر، ثم هو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حرب عليه فليتخذ حذره.

و لم يكن هذا نقضا من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بل نقضا منهم، و لذا قال سبحانه: إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَ لَمْ يُظاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلى مُدَّتِهِمْ «۱». و قد شاء الله سبحانه أن يطهر الجزيرة التى أصبحت عاصمة الإسلام عن رجس الشرك و النفاق لتتوحد فيها الكلمة و يكون للمسلمين دولة مرهوبة الجانب ليفرغوا إلى الروم و الفرس.

[۲] فَسِيحُوا أيها الكفار فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ معنى «السيح» السير، يقال: «ساح» إذا سار على مهل. أى: أنتم فى مهلة بأن تسيروا آمنين و تتصرفوا فى حوائجكم بكل تأن و طمأنينة إلى أربعة أشهر من ابتداء الإعلان، و هو من يوم النحر إلى العاشر من ربيع الآخر، فإذا

---

(۱) التوبة: ۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۶۵

انقضت هـذه المدة فليس لكم عهد و لا أمان، و المحاربة معكم لا تعتبر غدرا و مباغتة وَ اعْلَمُوا أيها الكفار أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ أى لا تتمكنون من أن تعجزوه و تغلبوه، بل هو القادر على أن يخزيكم بأيدى المسلمين، فلا تفكروا فى محاربة المسلمين وَ أَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكافِرِينَ «الخزى» النكال، أى أنه سبحانه ينكل بهم و ينتصر عليهم.

روى المفسرون أنـه لما نزلت سورة براءة دفعها الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى أبى بكر ليـذهب إلى الحج فيقرأها على المشركين، فلما مضى بعض الطريق جاء جبرئيل عليه السّلام إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال له: إن السورة لا يبلغها إلا أنت أو رجل من أهل بيتك، فأمر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عليا أن يخرج و يأخذها من أبى بكر، فرجع أبو بكر و ذهب على عليه السّلام و قرأ السورة على الكفار فى منى ثلاثة أيام، يوم العاشر من ذى الحجة، و الحادى عشر، و الثانى عشر منه، فكان يخرط سيفه و يقول: لا يحج بعد عامنا هذا مشرك، و لا يدخل البيت إلا مؤمن، و لا يطوف بالبيت عريان، و من كانت بينه و بين رسول الله مدة فإن أجله إلى أربعة أشهر «۱».

و لما أعلم الكفار بذلك، أظهروا تبرؤهم، فلم تبق صلة بينهم، و قد كان هذا العمل خطرا، حيث أن الكثرة الغالبة من الحجاج كانوا مشركين، فالاصطدام بهم بهذه الصورة الخشنة كان مظنة الإيقاع بالإمام عليه السّلام لكن الله سبحانه عصمه عن ذلك، و قد كان نزول سورة براءة فى السنة التاسعة من الهجرة، بعد فتح مكة، و فى العام القابل حج الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حجة الوداع، و لما أن رجع عن الحج نصب عليا

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۲۶۶.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۶۶

[سورة التوبة (۹): آیة ۳]

وَ أَذانٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَی النَّاسِ یَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِیءٌ مِنَ الْمُشْرِكِینَ وَ رَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَیْرٌ لَكُمْ وَ إِنْ تَوَلَّیْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَیْرُ مُعْجِزِی اللَّهِ وَ بَشِّرِ الَّذِینَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِیمٍ (۳)

خلیفة فی غدیر خم، و قبض فی شهر صفر من تلك السنة.

[۳] وَ أَذانٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ أی إعلام منهما إِلَی النَّاسِ من المسلمین و المشركین یَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ و هو یوم النحر، مقابل الحج الأصغر الذی هو العمرة، و سمی بالأكبر لأن أعماله أكثر، و إنما كان یوم النحر یوم الحج الأكبر لأن طواف الحج الذی هو أعظم أعماله یأتی فیه، و یحتمل أن یراد بذلك جمیع أیام الحج، كما یقال: یوم الجمل، و یوم صفین، و یراد به الحین و الزمان الذی وقعت فیه هذه الحوادث.

و المعنی أن الله و رسوله یعلنان فی هذا الوقت أَنَّ اللَّهَ بَرِیءٌ مِنَ الْمُشْرِكِینَ فلا علاقة له بهم، و لا عهد له معهم وَ رَسُولِهِ أیضا بریء منهم. و قد تقدم أن ذكره سبحانه هو الأصل، و ذكر الرسول للاحترام و لأنه المنفّذ المواجه فَإِنْ تُبْتُمْ أی رجعتم عن الشرك أیها المشركون فَهُوَ خَیْرٌ لَكُمْ فی دنیاكم حیث تسودون و تبقون مرفهین وَ إِنْ تَوَلَّیْتُمْ أی أعرضتم عن الإیمان و بقیتم علی الشرك فَاعْلَمُوا أنكم فی معرض عقاب الله و عذابه و أَنَّكُمْ غَیْرُ مُعْجِزِی اللَّهِ أی لا تتمكنون من أن تعجزوه و تغلبوه، بل هو ینتصر علیكم و یهلككم و یخزیكم وَ بَشِّرِ یا رسول الله الَّذِینَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِیمٍ فی الدنیا و الآخرة. و تسمیة الإنذار بشارة، من باب الاستهزاء، و ذكر الضد

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۶۷

[سورة التوبة (۹): الآیات ۴ الی ۵]

إِلَّا الَّذِینَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِینَ ثُمَّ لَمْ یَنْقُصُوكُمْ شَیْئاً وَ لَمْ یُظاهِرُوا عَلَیْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَیْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلی مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُتَّقِینَ (۴) فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِینَ حَیْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ خُذُوهُمْ وَ احْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِیلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۵)

مكان الضد، كما یسمی الزنجی: كافورا، و الأعمی: بصیرا، و لبیان أن العذاب یأتی مكان انتظار البشارة، فإن الكفار كانوا ینتظرون بأعمالهم عاقبة حسنة فإذا بها عذاب و نكال.

[۴] ثم استثنی سبحانه من براءته من المشركین و انتهاء معاهدتهم إلی أربعة أشهر، المعاهدین الذین وفوا بالعهد إِلَّا الَّذِینَ عاهَدْتُمْ أیها المسلمون معهم مِنَ الْمُشْرِكِینَ ثُمَّ لَمْ یَنْقُصُوكُمْ شَیْئاً بل بقوا أوفیاء علی عهودهم وَ لَمْ یُظاهِرُوا عَلَیْكُمْ أَحَداً أی لم ینضموا إلی أعدائكم حتی یكونوا ظهیرا لهم علیكم فَأَتِمُّوا أیها المسلمون إِلَیْهِمْ و إنما قال: «إلیهم» كأن الإتمام یبتدئ من المسلمین و ینتهی إلی أولئك عَهْدَهُمْ إِلی مُدَّتِهِمْ المضروبة لهم، فهم فی مدة عهدهم آمنون لا یحاربون إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ الْمُتَّقِینَ الذین یتقون نقض العهد.

و قد كان جماعة من المشركین كذلك بقوا أوفیاء علی عهودهم كبنی كنانة و بنی حمزة، و قد كانت مدتهم تسعة أشهر، و كأهل هجر و البحرین و إیلة و دومة الجندل الذین كانت للرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم معهم مصالحات.

[۵] فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ أی مضت الأشهر الأربعة التی أبیح للناكثین أن یسیحوا فیها، و التی تنتهی بانتهاء عشرة أیام من ربیع الأول. و معنی الانسلاخ: المضی، كما ینسلخ الجلد عن الشاة، فتبدو

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۳۶۸

[سورة التوبة (۹): آیة ۶]

وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ (۶)

عارية ظاهرة، تشبيها للأشهر الحرم بالجلد الواقى لما بعدها من الأيام فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ فقد رفعت الهدنة و العهد بما نقضوا من العهود. و ليس المراد قتل كل فرد فرد، بل المراد وقوع المقاتلة، و أنهم فى حكم المحارب، و المراد من «حيث وجدتموهم» أينما كانوا فى حلّ أو فى حرم، فإن الحرم محترم لمن احترمه، أما من لم يحترمه فليس بمحترم فيه وَ خُذُوهُمْ أى خذوا من تمكنتم من أخذه، و الأخذ للقتل أو الحبس أو الاسترقاق وَ احْصُرُوهُمْ امنعوهم عن التصرف فى حوائجهم و اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ كل محل للرصد و التطلع كقلل الجبال، و المضايق، و قوارع الطرق فَإِنْ تابُوا عن كفرهم وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ أى التزموا بشرائط الإسلام، فإن إظهار مجرد الإيمان بدون الرضوخ للأحكام و الاستعداد لامتثال أوامر الله و الرسول، لا يعدّ إلا لقلقة لسان فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ دعوهم يتصرفون فى البلاد، لهم ما للمسلمين و عليهم ما على المسلمين، لأنهم أصبحوا من زمرتهم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لذنوبهم رَحِيمٌ بهم يتفضّل عليهم بلطفه.

[۶] وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الذى أمرتك بقتاله بعد انسلاخ الأشهر الحرم اسْتَجارَكَ أى استأمنك، بأن طلب الأمان منك ليسمع دعوتك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۶۹

[سورة التوبة (۹): آية ۷]

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فَمَا اسْتَقامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (۷)

فَأَجِرْهُ و أعطه الأمان حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ و حيث أن كلام الرسول هو الوحى، كما قال سبحانه: إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى «۱»، كان كلامه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كلام الله تعالى ثُمَ إن أسلم، كان له ما للمسلمين، و إن لم يسلم ف أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ أى أرجعه إلى محل أمنه، بأن يكون فى حمايتك حتى يبلغ مكانه، لئلّا يغدر به فى الطريق، و هذا كان كافرا حربيا، بعد عدم قبوله الإسلام إلّا أنه حيث جاء لغرض صحيح، لا يجوز قتله حتى يبلغ مأمنه ذلِكَ الأمان لمريد فهم الإسلام بسبب أنهم قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ حقيقة الإسلام، فهذا الأمان سبب لدخول بعضهم فى الإسلام.

[۷] ثم بيّن سبحانه وجه تبرؤ الرسول من العهود بعد أربعة أشهر بقوله: كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ و قد غدروا و ظاهروا الأعداء، و هل العهد يبقى مع ذلك؟ و قد كان ضرب المدة أربعة أشهر من سماحة الإسلام، و إلّا فقد استحق الغادرون أن يجهز عليهم فور غدرهم إِلَّا الَّذِينَ عاهَدْتُمْ معهم عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ فإنهم لم يغدروا، و كان استثناؤهم وحدهم دون سواهم، و قد كانوا كثيرين- كما عرفت- لأنهم «الفرد» الظاهر السابق إلى الذهن، و المراد بأولئك: هم قبائل بكر،

---

(۱) النجم: ۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۷۰

[سورة التوبة (۹): الآيات ۸ الى ۹]

كَيْفَ وَ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَ لا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْواهِهِمْ وَ تَأْبى قُلُوبُهُمْ وَ أَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ (۸) اشْتَرَوْا بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۹)

بنو خزيمة و بنو مدلج و بنو حمزة، فقد دخلوا فى عهد قريش يوم الحديبية- اليوم الذى عاهد رسول الله قريش قرب الحرم- و هؤلاء لم ينقضوا العهد، فأمر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بإتمام مدتهم وفاء للعهد فَمَا اسْتَقامُوا لَكُمْ أى مدة استقامة المشركين الذين لم ينقضوا العهد معكم، بأن لم تظهر منهم أمارات الغدر و الخيانة فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ و ابقوا على عهدكم معهم إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ

الذين يتقون نقض العهد و خلف الوعد.

[۸] كَيْفَ يكون للمشركين عهد، و تتورعون عن قتالهم وَ الحال أنهم إِنْ يَظْهَرُوا و يظفروا عَلَيْكُمْ و يتمكّنوا منكم لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَ لا ذِمَّةً أى لا يحفظوا و لا يرعوا فيكم قرابة و لا عهدا، فإن «الإل» بمعنى القرابة، و «الذمة» بمعنى العهد، أو «الإل» بمعنى الحلف، أى تذهب المحالفات و العهود بمجرد أن يتمكن هؤلاء منكم يُرْضُونَكُمْ هؤلاء المعاهدون بِأَفْواهِهِمْ فيتكلمون بكلام الموالين وَ تَأْبى قُلُوبُهُمْ حبكم و ولاءكم، بل هى مليئة بغضا و عداوة وَ أَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ خارجون عن العهود و المواثيق، فإن الفسق بمعنى الخروج عن الحق.

[۹] اشْتَرَوْا هؤلاء الناكثون بمقابل آيات اللَّهِ التى كان المفروض الإيمان بها ثَمَناً قَلِيلًا فقد أعرضوا عن الدين فى مقابل دنيا قليلة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۷۱

[سورة التوبة (۹): الآيات ۱۰ الى ۱۲]

لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَ لا ذِمَّةً وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (۱۰) فَإِنْ تابُوا وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۱۱) وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (۱۲)

زائلة تحفظوا عليها فَصَدُّوا أى منعوا الناس عَنْ سَبِيلِهِ أى سبيل الله تعالى إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ أى بئس عملهم ذلك.

[۱۰] لا يَرْقُبُونَ لا يراعون و لا يحفظون فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَ لا ذِمَّةً و هذا تأكيد لما سبق، أى أنهم لا يراعون قرابة المؤمنين و لا عهدهم، بل إن ظفروا بهم قتلوهم و انتقموا منهم وَ أُولئِكَ الكفار الناقضون للعهد هُمُ الْمُعْتَدُونَ المجاوزون للحد، حيث لم يراقبوا العهود.

[۱۱] فَإِنْ تابُوا عن الكفر و قبلوا الإسلام وَ خضعوا لأوامره بأن أَقامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكاةَ بالنسبة إلى من تمكن منها فهم إخوانكم فِي الدِّينِ أيها المسلمون، لهم ما لكم، و عليهم ما عليكم وَ نُفَصِّلُ الْآياتِ نميزها و نبيّنها لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ أى لأهل العلم، فإنهم هم الذين يستفيدون منها لا الجهلة الذين لا يعرفون شيئا.

[۱۲] وَ إِنْ نَكَثُوا أى نقضوا أَيْمانَهُمْ أى عهودهم و الأيمان التى حلفوها بعدم الاعتداء عليكم مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ معكم، و هذا كالتذكير ببشاعة عملهم، و إلا فكل نكث يكون بعد العهد وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ أى أخذوا يقدحون و يعيبون دينكم فَقاتِلُوا أيها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۷۲

[سورة التوبة (۹): آية ۱۳]

أَ لا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَ هَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ وَ هُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَ تَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۳)

المسلمون أَئِمَّةَ الْكُفْرِ «أئمة» جمع إمام، و هم قادة الكافرين، و إنما خصّهم بالذكر لأنهم المضلون لأتباعهم الذين إن استأصلوا ذهبت شوكة الكافرين.

و يستفاد من الآية: أن الأولى قصد مراكز انتشار الكفر و معادنه إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ أى أن أئمة الكفر لا يحفظون العهود و الأيمان و لا وفاء لهم بها لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ أى قاتلوهم لكى ينتهوا عن الكفر.

[۱۳] ثم حثّ سبحانه المؤمنين بقتالهم بقوله: أَ لا تُقاتِلُونَ أى هلّا تقاتلون قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ و نقضوها، و هذا لا ينافى قوله: «لا أيمان لهم» فإن معنى ذلك: أنهم لا يحفظوها، و معنى هذا أنهم عقدوها. و الحاصل أنهم عقدوا الأيمان و لكن نقضوها وَ هَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ حين تآمروا فى دار الندوة لإخراجه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من مكة.

و لعل ذكر ذلك مع أنهم همّوا بقتله أيضا، أوقع فى النفس، و أبلغ فى التحريض و الحث، لأن الإخراج الذى قصده المتآمرون كان أسوأ من القتل، فإنهم قصدوا إخراجه حتى يموت فى بيداء خالية من الماء و الطعام، أو المراد بالإخراج: إخراجه من بين أظهرهم بالإثبات أو القتل أو النفى وَ هُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فإنهم ابتدءوا بقتال المسلمين و إيذائهم و الصد عن سبيل الله.

إن كل هذه الأمور الثلاثة مما يبيح لكم قتالهم، فلما ذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۷۳

[سورة التوبة (۹): الآيات ۱۴ الى ۱۶]

قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يُخْزِهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (۱۴) وَ يُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۱۵) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (۱۶)

لا تقاتلونهم أيها المسلمون؟ أَ تَخْشَوْنَهُمْ أى هل تخشون هؤلاء الكفار أن تصيبكم منهم أذية؟ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ فإنكم إن تركتم قتال هؤلاء عذّبكم الله سبحانه، فهو أحق بالخشية من هؤلاء إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بالله و بما جاء به الرسول، أما غير المؤمن فلا يعتقد بعقاب الله سبحانه و لذا لا يخشاه.

[۱۴] قاتِلُوهُمْ أى قاتلوا الكفار أيها المسلمون، إن تقاتلوهم يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ بالقتل و الأسر وَ يُخْزِهِمْ أى يذلهم و يحطّم شوكتهم وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ حتى تكون كلمتكم هى العليا و تكون الغلبة لكم وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ فإن صدور المؤمنين كانت ممتلئة غيظا و كمدا، و كل من انتصر شفى صدره و ذهبت فرحة النصر بغيظه.

[۱۵] وَ يُذْهِبْ الله غَيْظَ قُلُوبِهِمْ الذى تجمع فيها من كثرة ما رأوا من الاضطهاد و الظلم وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلى مَنْ يَشاءُ من هؤلاء الكفار إذا آمنوا مع فرط تعدّيهم و عتوّهم، فإن الإسلام يجبّ ما قبله وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بالمصلحة حيث يأمركم بقتال هؤلاء، فلا يأمر اعتباطا حَكِيمٌ فأمره عن حكمة و دراية.

[۱۶] أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا «أم» أداة استفهام و عطف، فقد عطفت هذه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۷۴

[سورة التوبة (۹): آية ۱۷]

ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ شاهِدِينَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ وَ فِي النَّارِ هُمْ خالِدُونَ (۱۷)

الجملة على قوله: «ألا تقاتلون» أى: هل ظننتم أيها المسلمون أن تتركوا آمنين فى دياركم من دون أن تكلّفوا الجهاد فى سبيل الله سبحانه؟ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ «لمّا» حرف نفى مع تقريب وقوع الفعل الذى لم يقع بعد، أى لم يتعلق علم الله سبحانه بالمجاهدين، فإنه لم يصدر منكم جهاد، حتى يكون علم الله واقعا خارجيا، فإن العلم إنما يكون خارجيا، إذا وجد متعلقه، فإذا علم الإنسان أن زيدا سيجىء غدا، يقال: لمّا يعلم فلان مجىء زيد، بمعنى أنه لم يقع متعلق علمه وَ لمّا يعلم الله الذين لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً «الوليجة» هى البطانة التى يخفى الإنسان لديها أسراره، كأنه يلج فيها بسره، فإن حبّ الشخص لا يمتحن فى أيام الرخاء، و إنما يمتحن فى أيام الشدة و البلاء، فالصديق لا يتّخذ غير صديقه وليجة، بخلاف ضعيف الصداقة.

و لذا نرى أن كثيرا من المسلمين اتخذوا الولائج، و بدت ضمائرهم السيئة عند الجهاد وَ اللَّهُ خَبِيرٌ أى عليم بِما تَعْمَلُونَ أيها المسلمون.

و الحاصل أنه لا بد من امتحانكم أيها المسلمون بالجهاد ليتبين المجاهد منكم من غيره، و يتبين الذى يخلص فى النية لله و الرسول، من غيره.

[۱۷]

روى أن المسلمين عيّروا أسرى بدر، و وبّخ على عليه السّلام العباس بن عبد المطلب بقتال رسول الله و قطيعة الرحم. فقال العباس: تذكرون

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۷۵

[سورة التوبة (۹): آية ۱۸]

إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكاةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسى أُولئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)

مساوئنا و تكتمون محاسننا. فقالوا: أولكم محاسن؟ قالوا: نعم، إنا نعمر المسجد الحرام، و نحجب الكعبة، و نسقى الحجيج، و نفك العانى «١». فنزلت هذه الآيات

: ما كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ سواء المسجد الحرام أو غيره حال كونهم شاهِدِينَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أى حال شهادتهم بكفر أنفسهم، فكيف يجتمع الإذعان لله و الكفر بآياته، إنك إن أهنت شخصا و عمّرت داره كان تعمير داره سيئة لا حسنة، فكيف يمكن الافتخار بأنه من المحاسن؟

و معنى «ما كان»: أنه ليس لهم ذلك. و لعلّ وجه الارتباط أنه لمّا نهى المشركون عن زيارة البيت بيّن سبحانه السبب، بأن الشرك و عمارة المسجد- ماديا و معنويا- لا يجتمعان.

أُولئِكَ الذين كفروا حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ أى بطلت فلا- قيمة لحسناتهم التى يزعمون أنها حسنة، فإن الحسنة لا تقبل إلّا مع الإسلام و الإخلاص وَ فِي النَّارِ هُمْ خالِدُونَ أبد الآبدين، بمعنى أنهم لو ماتوا كافرين لم تنفعهم الحسنة فى نجاتهم من النار.

[١٨] إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ بناءها و إقامة العبادة فيها مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ بأن أقرّ بالوحدانية و اعترف بيوم القيامة، إنه هو الذى

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص ٦٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٣٧٦

[سورة التوبة (٩): آية ١٩]

أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)

يجوز له تعمير المسجد، و هو الذى يقبل منه وَ أَقامَ الصَّلاةَ بمعنى التزم بشرائع الإسلام، فإن الا-عتراف اللفظى بدون الخضوع و الانصياع لأوامر الإسلام لا- يعدّ إلا لقلقة لسان وَ آتَى الزَّكاةَ بالنسبة إلى من وجدها وَ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ أى خشية من نوع الخشية التوحيدية، فإن المشرك يخشى من إلهين، و المؤمن يخشى من إله واحد. و ليس النفى مطلقا كما هو واضح، قال سبحانه بالنسبة إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ تَخْشَى النَّاسَ «١»، فَعَسى أُولئِكَ أى لعلّ الذين آمنوا بالله و اليوم الآخر و التزموا بشرائطه أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ أى فى زمرتهم، و إنما قال «فعسى» لأن المرء لا يعرف مستقبله، فربما كان مؤمنا عاملا، ثم ينقلب كافرا، فلا يكون من المهتدين- بما للكلمة من معنى-.

[١٩] أَ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ «السقاية» مصدر سقى الماء، و «الحاج» بمعنى القاصد إلى مكة، بعد ما كان فى اللغة بمعنى مطلق القصد وَ عِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ تعميرا بالبناء، أو بالعبادة، و الأول هنا أقرب كَمَنْ آمَنَ الاستفهام إنكارى، و فى الكلام حذف تقديره «أهل سقاية» أى ليس الساقى العامر للمسجد الحرام كالمؤمن بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ و ذلك لأن الإيمان هو أصل الفضائل، أما السقاية و العمارة

---

(١) الأحزاب: ٣٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٣٧٧

فهما أمران شكليان، إذا لم تنضم إليهما روح الإيمان لن ينفعا شيئا وَ جاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لإعلاء كلمته سبحانه لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ أولئك و هؤلاء وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فإن من ظلم نفسه بالكفر لا يكون مهديا، فلا يكون عمله عن اهتداء حتى يترتب عليه

فضل.

روى أن العباس و شيبة أنهما تفاخرا، فمر بهما أمير المؤمنين على عليه السّلام فقال: بماذا تتفاخران؟ فقال العباس: لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد، سقاية الحاج. و قال شيبة: أوتيت عمارة المسجد الحرام. فقال على عليه السّلام: استحييت لكما، فقد أوتيت على صغرى ما لم تؤتيا. فقالا: و ما أوتيت يا على؟ قال: ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله و رسوله، فقام العباس مغضبا يجرّ ذيله حتى دخل على رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال: أما ترى إلى ما يستقبلنى به على؟ فقال:

ادعوا لى عليا فدعى له، فقال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما حملك على ما استقبلت به عمك فقال: يا رسول الله صدمته بالحق فمن شاء فليغضب و من شاء فليرض. فنزل جبرائيل عليه السّلام فقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام و يقول: اتل عليهم «أ جَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ ..».

فقال العباس: إنا قد رضينا «ثلاث مرات» «۱».

و قد كانت سقاية الحاج عبارة عن تهيئة دلاء و أوانى قبل الموسم فتملأ ماء من بئر زمزم، فإذا جاء الحجاج سقوا منها، حيث أن البئر

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۳۶ ص ۳۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۷۸

[سورة التوبة (۹): الآيات ۲۰ الى ۲۳]

الَّذِينَ آمَنُوا وَ هاجَرُوا وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ (۲۰) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَ رِضْوانٍ وَ جَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ (۲۱) خالِدِينَ فِيها أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (۲۲) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَ إِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (۲۳)

كانت لا تتحمل اجتماع خلق كثير عليها.

[۲۰] الَّذِينَ آمَنُوا بالله و برسوله وَ هاجَرُوا من مكة إلى المدينة لأجل الإسلام وَ جاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بأن تحملوا المشاق بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فبذلوا المال و النفس لإعلاء كلمة الله سبحانه أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ من الذين لم يفعلوا ذلك، و إن سقوا الحجيج و عمروا المسجد وَ أُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ الظافرون المفلحون.

[۲۱] يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ أى من عنده. و الإتيان بكلمة «منه» لتعظيم قدر البشارة وَ رِضْوانٍ أى رضاه سبحانه عنهم، و هو أعظم بشارة، فإن الإنسان إذا علم أن الملك- مثلا- راض عنه كان مرتاح الضمير مسرور الخاطر، أما إذا علم أنه غاضب عليه كان بالعكس، و إن أغدق عليه فى العطاء وَ جَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها أى فى تلك الجنات نَعِيمٌ مُقِيمٌ دائم لا يزول و لا يتحول.

[۲۲] خالِدِينَ فِيها أَبَداً فالجنات و النعيم كلاهما خالدان إلى ما لا نهاية إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ فليرغب الراغبون فيه.

[۲۳] و حيث ذكر سبحانه وجوب الجهاد فى سبيله، و الهجرة من دار الكفر لأجله، بيّن أنه يجب أن يتجرّد الإنسان من أقرب العلاقات إلى نفسه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۷۹

[سورة التوبة (۹): آية ۲۴]

قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ وَ إِخْوانُكُمْ وَ أَزْواجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ (۲۴)

لأجله تعالى فقال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَ إِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ بأن تتولّونهم ولاء صادرا من الأعماق، و إن استحبّت معاشرتهم فى الظاهر لقوله سبحانه: وَ صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً «۱»، إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ أى آثروا الكفر و اختاروه وَ مَنْ

يَتَوَلَّهُمْ أى الآباء و الإخوان مِنْكَمْ فيقدّم ولايتهم على ولاية الله و الرسول و المؤمنين فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ الذين ظلموا أنفسهم حيث أوجبوا لها خزى الدنيا و عذاب الآخرة.

و فى بعض الأحاديث: إن الآية وردت فى «حاطب بن أبى بلتعة» «۲» فإن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما أراد فتح مكة، أمر أصحابه بكتمان الأمر حتى يفاجئ المسلمون الكفار و لا تراق الدماء، فكتب حاطب إلى أهل مكة يخبرهم بخبر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أطلع الله رسوله بالخبر، فوبخ حاطبا ثم عفا عنه، و أرجع الرسول الذى كان بيده الكتاب، فكان كما أراد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من عدم وصول الخبر إليهم، و قد قال حاطب معتذرا أن له أهلا فى مكة فخاف أن تكون الدائرة على المسلمين، فيكون له يد على الكفار، و يسلم أهله من عقابهم و عذابهم.

[۲۴] ثم بيّن سبحانه ميزان الإيمان الصحيح، و أنه لا يكون إلا بأن يرجّح

---

(۱) لقمان: ۱۶.

(۲) راجع مجمع البيان: ج ۵ ص ۳۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۸۰

المؤمن كفّة الإيمان على جميع الشؤون و الاعتبارات قُلْ يا رسول الله للمسلمين: إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ و اللفظان يشملان الأجداد و الأحفاد وَ إِخْوانُكُمْ الأعم من الأخوات وَ أَزْواجُكُمْ اللاتى عقدتم عليهن وَ عَشِيرَتُكُمْ أقاربكم غير من ذكروا، كالأعمام و الأخوال و من أشبههما وَ أَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها جمعتموها و كسبتموها وَ تِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها تخشون أن تكسد و لا تدار، إن اشتغلتم بطاعة الله سبحانه وَ مَساكِنُ تَرْضَوْنَها بأن تحبون المقام فيها، سواء كانت بلادا أو بيوتا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ و أقرب إلى نفوسكم مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ من طاعته و طاعة رسوله وَ أحب إليكم من جِهادٍ فِي سَبِيلِهِ أى سبيل الله، فإذا دار الأمر بين ترجيح رضاه سبحانه أو رضا رسوله و بين ذلك المحبوب لديكم من مال و قرابة قدمتموه عليها فَتَرَبَّصُوا انتظروا. و هذا تهديد، أى انتظروا العقاب فإنكم لستم من الله فى شىء. و كيف يدّعى الإنسان الإيمان و هو يقدّم تلك الأمور على أمر الله تعالى حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ فإنكم لا خير فيكم، و إنما يأتى بأمر الله غيركم، كما يقال: «إن كنت لا تفعل هذا فانتظر حتى يأتى غيرك ليفعله»، فإن الله سبحانه غنى عنكم فهو القادر على أن ينفذ أوامره بواسطة أناس غيركم وَ اللَّهُ لا يَهْدِي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۸۱

[سورة التوبة (۹): آية ۲۵]

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (۲۵)

الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ فإن من خرج عن طاعة الله بالفسق، بعد العلم و العرفان، يطبع على قلبه فلا يلطف به سبحانه ألطافه الخاصة.

[۲۵] ثم بيّن سبحانه مصداقا من مصاديق إتيان الله بأمره، بعد ما اختار المسلمون الحياة، و فرّوا من الله و الرسول، فى وقعة «حنين» التى كانت قريبة إلى مشاعرهم و أفكارهم عند نزول هذه السورة. و قصة هذه الغزوة باختصار:

أن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما فتح مكة خاف الكفار الذين كانوا مبثوثين فى الجزيرة أن يأتى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على آخرهم فاجتمع هناك جموع كثيرة من هوازن و غيرها ربما بلغ عددهم ثلاثين ألفا، و ساقوا معهم أموالهم و نساءهم و ذراريهم و مروا حتى بلغوا «أوطاس» يريدون قتال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فبلغه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم خبر اجتماعهم هناك، فجمع القبائل و رغّبهم فى الجهاد و وعدهم النصر و أن الله وعده أن يغنمهم أموالهم و نساءهم و ذراريهم، فرغب الناس و خرجوا كل قبيلة و فئة تحت رايه، و عقد اللواء الأكبر للإمام أمير المؤمنين عليه السّلام و خرج صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى اثنى

عشر ألف رجل.

فلمّا صلّى الغداة انحدر في وادى حنين و الجو لا زال مظلما، و قد كانت هوازن قد سبقوا المسلمين من الليل و كمنوا في أطراف الجبال، و حنين واد كثير الانحدار، فلما انحدر جيش الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم في الوادى، و قد كان أول من انحدر بنو سليم معهم خالد بن الوليد، و كانوا غافلين عن اختفاء هوازن، و إذا بهم يرشقون بالسهام كقطر المطر من كل جانب دون أن يروا أحدا و ظهرت كتائب هوازن من كل ناحية، فانهزم بنو سليم، و كسرت بانكسارهم سائر جيوش الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و فروا صعدا في الجبال و الوديان، و بقى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أمير المؤمنين و جماعة يعدون بالأصابع من أولاد العباس و غيرهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۸۲

و أخذ الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ينادى: يا معشر الأنصار إلىّ و أنا رسول الله. و قد التفت كتائب هوازن به يريدون قتله و الإمام يضرب بالسيف يمنة و يسرة، فلم يبق من المسلمين أحد فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للعباس: اصعد هذا الطرب و ناد: «يا أصحاب سورة البقرة» و «يا أصحاب بيعة الشجرة» إلى أين تفرون هذا رسول الله؟ و قد كان العباس رفيع الصوت، ثم رفع يده فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اللهم لك الحمد، و إليك المشتكى، و أنت المستعان، فنزل جبرائيل فقال: دعوت بما دعا به موسى حيث فلق الله له البحر و نجاه من فرعون، ثم أخذ كفا من حصى فرماه في وجوه المشركين قائلا: «شاهت الوجوه، ثم رفع رأسه إلى السماء و قال: اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد، و إن شئت أن لا تعبد لا تعبد»، فلما سمعت الأنصار نداء العباس عطفوا و كسروا جفون سيوفهم و هم يقولون: لبيك، و مروا برسول الله و استحيوا أن يرجعوا إليه. فالتحقوا بالراية و نزل النصر من السماء و انهزمت هوازن و كانوا يسمعون قعقعة السلاح في الجو، و لما فر الكفار غنم المسلمون غنائم كثيرة من أموالهم و نسائهم و ذراريهم، و قسمها الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «۱».

أقول: المراد ب «أصحاب سورة البقرة» إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة:

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى «۲»، الذين طلبوا

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۱۴۹.

(۲) البقرة: ۲۴۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۸۳

جهاد الكفار ثم فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا «۱» يعنى: أنكم أيها المسلمون صرتم كأولئك، و المراد ب «أصحاب بيعة الشجرة» أن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين صلح الحديبية اتكأ على شجرة و بايع المسلمين من جديد، ليمتثلوا أوامره، كأنه ما كانت كما قال سبحانه: إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ «۲».

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ أيها المسلمون فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ في بعض الأخبار أنها كانت ثمانين وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ أى: و نصركم في يوم حنين، و تخصيصه بالذكر لأنه لو لا نصرة الله سبحانه لم يكن لهم نصر حسب الظاهر بعد فرارهم و انهزامهم إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فإنه لم يتفق لجيش المسلمين أن يكونوا اثنى عشر ألفا قبل ذلك، و قد قال بعضهم:

لن نغلب اليوم من قلة، لما رأوا من كثرتهم المدهشة في الجيش فَلَمْ تُغْنِ الكثرة عَنْكُمْ شَيْئاً أى لم تفدكم الكثرة وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ أى برحبها وسعتها، و «الباء» بمعنى مع، أى مع كونها وسيعة فسيحة ضاقت عليكم، فإن الإنسان إذا خاف، يرى في نفسه ضيق الأرض، بالإضافة إلى أنهم لم يجدوا موضعا للفرار، لاحتمال وجود العدو في كل مكان ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ أى انهزمتم من عدوكم، و أعطيتم أدباركم للعدو، و قد كان الخطأ من المسلمين

(۱) البقرة: ۲۴۷.

(۲) الفتح: ۱۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۸۴

[سورة التوبة (۹): آية ۲۶]

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ذلِكَ جَزاءُ الْكافِرِينَ (۲۶)

أنهم لم يثبتوا أول الأمر، فإن الثبات أول الأمر خليق بأن يكشف النازلة، كما أنهم أخطئوا حين اغتروا بكثرتهم، فإن الإنسان إذا رأى كثرة من معه تقوى فيه روح الاتكالية، و ذلك خليق بانهزامه. ثم إن مقدمة الجيش لم تتخذ احتياطاتها اللازمة، فإن دخول مثل هذا الموضع مما يحيط به الجبال يحتاج إلى إرسال بعض القوات الاستطلاعية.

[۲۶] ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ أي السكون النفسي الذي يزول الخوف معه، فإن أقوى أسباب الهزيمة في كل ميدان، تزلزل النفس و عدم اطمئنانها بالنصر، أما إذا قويت النفس على تحمّل المكروه كان الإنسان خليقا بالنصر وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الذين بقوا معه و لم ينهزموا.

فقد بقي مع الرسول تسعة من بني هاشم أولهم أمير المؤمنين عليه السّلام كما بقي ابن أم أيمن و قد قتل في ذلك اليوم، أو المراد: المؤمنين حين رجوعهم إلى الرسول، فإن الجيش الذي يفر إذا فكر في العاقبة تقوى نفسه بإذن الله سبحانه وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها فقد أنزل الله سبحانه أفواجا من الملائكة لنصرة المؤمنين. و هذا ليس بغريب، فقد وعد سبحانه بنصرة الملائكة لكل من استقام فكيف بالنبي صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال سبحانه: الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ «۱».

و قد ورد: أن رجلا من المشركين قال للمؤمنين، و هو أسير في أيديهم: أين الخيل البلق و الرجال عليهم الثياب البيض، فإنما كان قتلنا

(۱) فصلت: ۳۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۸۵

[سورة التوبة (۹): الآيات ۲۷ الى ۲۸]

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۷) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ بَعْدَ عامِهِمْ هذا وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۲۸)

بأيديهم و ما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة. قالوا: تلك الملائكة وَ عَذَّبَ الله الَّذِينَ كَفَرُوا بالقتل و الأسر وَ ذلِكَ العذاب جَزاءُ الْكافِرِينَ الذين يكفرون بالله و آياته.

[۲۷] ثُمَّ بعد تمام الأمر يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ من الكفار إذا أسلموا، و ذكر «على من يشاء» لإفادة أن التوبة ليست واجبة، أو المراد: من يشاء من المنهزمين، فإن الفرار من الزحف كبيرة موبقة، و قد شاء سبحانه أن يتوب على المؤمنين دون المنافقين وَ اللَّهُ غَفُورٌ يستر الذنوب رَحِيمٌ يتفضّل بالرحمة عليهم.

[۲۸] يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ النجاسة في الشريعة هي القذارة التي توجب الغسل للشيء الذي يباشره برطوبة، و هذه النجاسة قد تكون لأضرار خارجية كالبول و الغائط، و قد تكون لأضرار معنوية كالكافر، فإنه و إن كان نظيف الجسم إلا أن معتقده الباطل أوجب الحكم بنجاسته. و ذلك خير وقاية للمسلمين من أن يتلوثوا بعقيدته، فإنهم إذا عرفوه نجسا حتى أنه يجب الاجتناب عنه في المأكل و الملبس و أنه مهما باشر شيئا برطوبة تنجس فورا منه، اجتنبوا عنه، فلا يتعدّى إليهم ما انطوى عليه من العقيدة الباطلة، و هو- بدوره- إذ يعرف أنه عند المسلمين نجس لا بد و أن يسأل عن السبب و يريد إزالة هذه الوصمة، ولدى تحقيق ذلك تظهر له

خرافة معتقده مما يدعوه أن يتركها و يعتقد بالعقيدة الصحيحة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۸۶

و هناك بعض المتفلسفين يقولون: كيف يحكم بنجاسة إنسان، و لزوم الاجتناب عنه، لمجرد انحراف عقيدة، و هذا مناف لحرية الآراء؟

و الجواب: إنه كيف يحكم بالاجتناب عن إنسان لمجرد أنه مصاب بالجذام و نحوه، لمجرد انحراف مزاج، و هذا مناف لكرامة الإنسان، فإذا كان الخوف على الجسم يبيح الاجتناب فالخوف على الروح أولى بالإباحة.

فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ و المراد: عدم دخوله، و المسجد الحرام من باب المورد،

فإن عليا عليه السّلام أمر بحكم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن ينادى: «لا يحج بعد هذا العام مشرك» «۱».

و إن قيل: فكيف دخل وفد نجران مسجد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟

نقول: إنه قبل نزول هذا الحكم، فإن الأحكام نزلت تدريجا، أما القول بأن النصارى ليسوا بمشركين. فهو خلاف قوله تعالى: سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ «۲»، و قوله: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ «۳»، و قوله: أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِی وَ أُمِّی إِلهَيْنِ «۴».

بَعْدَ عامِهِمْ هذا فی السنين المقبلة وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً أی فقرا، فقد كان المنع عن المشركين يضر باقتصاد أهل مكة حيث أن كثيرا من وارداتهم كانت من الحجاج المشركين فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ

---

(۱) وسائل الشيعة: ج ۱۳ ص ۴۰۰.

(۲) التوبة: ۳۱.

(۳) المائدة: ۷۴.

(۴) المائدة: ۱۱۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۸۷

[سورة التوبة (۹): آية ۲۹]

قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صاغِرُونَ (۲۹)

مِنْ فَضْلِهِ و قد وفى سبحانه بما وعد، فقد أسلم أهل اليمن و حملوا إليهم الميرة و الطعام عوض المشركين، كما أسلم أهل الآفاق و حجوا و أغنوا أهل مكة أكثر من إغناء المشركين. أما هذه الأيام فإن آبار الذهب الأسود قد أوصلت مستواهم الاقتصادی إلى علو مدهش إِنْ شاءَ للدلالة على أن الأمور بيده سبحانه، و لسوقهم إلى رجائه و السؤال منه و الخضوع و الضراعة إليه.

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بالمصالح، فإن منعه عن حج المشركين إنما هو عن علم حَكِيمٌ يضع الأمور فی مواضعها و يأمر بها حسب المصالح الكامنة، و إن لم يعرف الناس تلك المصالح فورا.

[۲۹] قاتِلُوا أيها المسلمون الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ إيمانا صحيحا، و إن آمنوا به إيمان شرك و نحوه وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ إيمانا صحيحا، و إن آمنوا به إيمانا منحرفا، كأهل الكتاب الذين قالوا: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً «۱»، وَ لا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ المراد بالرسول: إما الأعم، فإنهم لا يحرّمون المحرمات التی أتى بها موسى و عيسى عليهما السّلام، أو الأخص يعنی محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ لا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِ أی لا يتخذونه دينا، و المراد به الإسلام مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ

---

(۱) البقرة: ۸۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌٢، ص: ٣٨٨

[سورة التوبة (٩): آية ٣٠]

وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠)

وصف ل «الذين لا يؤمنون» حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ هي «فعلة» من «جزى يجزى» مثل «العقدة» و «الجلسة»، و هى عطية مخصوصة، كأنها جزاء لهم على بقائهم على الكفر، أو جزاء للمسلمين عوض حمايتهم لهم، فإن الذمى فى بلاد الإسلام يكون محترم المال و النفس موفّر الحرمة و الكرامة عَنْ يَدٍ أى يسلمونها بأيديهم، كما يقال: «كلمته وجها بوجه» وَ هُمْ صاغِرُونَ أى أذلاء من «الصغار».

إن أهل الكتاب حيث انحرفت عقيدتهم حتى جعلوا الخرافة فى معتقدهم، و حيث حرفوا كتبهم حتى نسبوا الزنا و الكفر و شرب الخمر و القسوة و شبهها إلى أنبيائهم، و حيث هدموا نظم الله سبحانه ليجعلوا مكانها أنظمة مخترعة، استحق الإسلام أن يشعرهم بشى‌ء من الذلة ليتركوا الباطل إلى الحق، فإن الإنسان لا يرضى أن يبقى ذليلا، لكنه احترمهم حيث أقرّ بهم و سمح لهم بالبقاء تحت ظله، باحترام اسم الكتاب، و هذا الإذلال لا ينافى الحرية فى شى‌ء، أ رأيت من ينحرف فى سلوك أو أخلاق هل يستحق ما يستحقه المستقيم؟ و ليس الميزان فى تقييم الإنسان الذى يراعى جهتى المادة و الروح واقعا، هو النظر إلى صورته البشرية، بل الصورة و السيرة، فمن انحرفت سيرته لم تنفعه صورته.

فهرب بعض المفسرين و من إليهم عن الحكم على طبق هذه الآية أو ما أشبهها خروج عن الواقع الإسلامى، كما هو خروج عن الموازين البشرية الرفيعة التى تجعل للروح قسطا فى تقييم الإنسان كما أن للبدن قسطا.

[٣٠] ثم بيّن سبحانه طرفا من أقوال أهل الكتاب و افتراءاتهم على الله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌٢، ص: ٣٨٩

سبحانه وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ و بهذا الانحراف خرجوا عن زمرة الموحّدين، فإن الله لا يمكن أن يكون له ولد إذ ليس جسما يلد، كما وصف تعالى نفسه بقوله:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ* وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ «١» ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ إن ألسنتهم اخترعت هذا القول بلا استناد إلى كتاب منزل أو دليل مبين. و «أفواه» جمع «فوه»، بمعنى:

الفم يُضاهِؤُنَ أى يشبه قول هؤلاء اليهود و النصارى، فى هذه المقالة قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا الذين يجعلون لله شريكا، فإن كلا القولين تشبيه لا يليق بجلال الله سبحانه، فإن من له شريك إنما هو كمن له ولد فى أنه مخلوق ليس بإله، و إنما كان التشبيه شركا لأن الشبيه يشارك شبهه فى أمر جامع و يفترق عنه فى أمور مميزة، و بذلك يكون مركبا، و المركب ليس بإله مِنْ قَبْلُ و هذا توبيخ لهم، فإن الأنبياء يأتون لقلع جذور الكفر فإذا ارتدت الأمة إلى مقالة الكفار الذين جاء الأنبياء لمحقهم، كانت معرضة عن الأنبياء، و تبيّن أن كلام الأنبياء لم يؤثر فيهم قاتَلَهُمُ اللَّهُ دعاء عليهم بالهلاك، فإن المفسد يدعى عليه بالموت ليستريح الناس من شره أَنَّى يُؤْفَكُونَ أى كيف يصرفون عن

---

(١) سورة الإخلاص: ٢- ٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌٢، ص: ٣٩٠

[سورة التوبة (٩): آية ٣١]

اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلَّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)

الحق إلى الإفك الذى هو الكذب.

[۳۱] ثم بيّن سبحانه سببا آخر لكفرهم، أنهم أعطوا حق التشريع أى التحليل و التحريم إلى علمائهم، مع العلم أن هذا الحق خاص بالله سبحانه وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ «۱»، اتَّخَذُوا أى اتخذ اليهود و النصارى أَحْبارَهُمْ جمع «حبر» و هو العالم وَ رُهْبانَهُمْ جمع «راهب» و هو العابد أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ أى مع الله، فإن أخذ الغير يعبّر عنه «من دون» و إن كان مع الأصل.

قال عدى بن حاتم: أتيت رسول الله و فى عنقى صليب من ذهب، فقال لى: يا عدى اطرح هذا الوثن من عنقك، قال: فطرحته ثم انتهيت إليه و هو يقرأ من سورة براءة هذه الآية: اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً .. حتى فرغ منها. فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، و يحلّون ما حرم الله فتستحلونه؟

قال فقلت: بلى قال: فتلك عبادتهم «۲».

أقول الشرك على أربعة أقسام: الشرك فى ذات الله، و الشرك فى صفاته، و الشرك فى أفعاله، و الشرك فى أمره و نهيه. فمن قال: إن له شريكا، أو أن صفاته لغيره، أو أن قسما من الخلق لسواه، أو أنه يحق الأمر و النهى لغيره، فهو مشرك.

وَ اتخذوا الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ربا من دون الله وَ ما أُمِرُوا

---

(۱) المائدة: ۴۵.

(۲) بحار الأنوار: ج ۹ ص ۹۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۹۱

[سورة التوبة (۹): الآيات ۳۲ الى ۳۳]

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ (۳۲) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (۳۳)

إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا شريك له، فقد كان أنبياؤهم يأمرونهم بذلك لا إِلهَ إِلَّا هُوَ أى ليس فى الكون إله غيره سُبْحانَهُ أى أنزهه تنزيها عَمَّا يُشْرِكُونَ أى عن شركهم، و جعلهم لله شريكا.

[۳۲] و من صفات هؤلاء أنهم يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ القرآن الكريم أو أحكامه. و سمى نورا لأنه كما يهتدى بالنور فى الظلمات، كذلك يهتدى بالقرآن فى دروب الحياة المظلمة، فإن النور الظاهر لنفسه المظهر لغيره، كذلك أحكام الله سبحانه و كتابه الحكيم، و معنى إرادتهم إطفائه، أنهم يريدون أن ينطفئ فلا يضيء العالم به بِأَفْواهِهِمْ فكما يطفأ النور بالفم بسبب النفخ، فإنهم يريدون إبطال كتاب الله بما يتقولون عليه وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ أى يمنع الله ذلك إلا أن يظهر أمره، و ذلك بإظهار الكتاب و الإسلام فى جميع المجالات وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ أى حتى مع كرههم و عدم إرادتهم.

[۳۳] و كيف يتمكن هؤلاء من إطفاء نور الإسلام و القرآن و الحال أن الله سبحانه هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ أى محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بِالْهُدى أى مع الهداية و الإرشاد، فإن الرسول حامل مشعل الهدى وَ ب دِينِ الْحَقِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۹۲

[سورة التوبة (۹): آية ۳۴]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبارِ وَ الرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ (۳۴)

الذى هو الإسلام لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ فيكون هو الدين الوحيد الذى له الغلبة و الحجة على سائر الأديان.

و

فى الأحاديث: إن تأويل هذه الآية عند خروج الإمام المهدى عليه السّلام الذى يملأ الأرض قسطا و عدلا بعد أن تملأ ظلما و جورا «١».

و يكون عند ذلك الإسلام وحده دين العالم لا دين سواه وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ بأن كرهوا إعلاء هذا الدين على سائر الأديان.

[٣۴] ثم بيّن سبحانه بعض الصفات الذميمة الأخرى لأهل الكتاب بقوله:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وجّه الكلام إليهم لأنهم الذين يصدّقون بذلك، أما سائر أهل الكتاب فإنهم يكذبون الخبر، و إن علموا به باطنا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبارِ و هم علماء أهل الكتاب وَ الرُّهْبانِ و هم عبّادهم لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ المراد ب «الأكل» التصرف، فإن معظم التصرف لما كان بالأكل غلب على سائر التصرفات بعلاقة الجزء و الكل، و المراد ب «الباطل» بالرشوة و نحوها مما لا يحق لهم أكل الأموال بتلك الصور وَ يَصُدُّونَ أى يمنعون عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فلا يتركون الناس أن يسلموا و يؤمنوا بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ثم إن الأحبار و الرهبان يكنزون الذهب و الفضة فليحذر المسلمون

---

(١) بحار الأنوار: ج ۵١ ص ۵٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٣٩٣

[سورة التوبة (٩): آية ٣۵]

يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها فِي نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣۵)

أن يكونوا مثلهم فيجازوا بجزائهم وَ ذلك فإن الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ أى يجمعونها و لا يؤدون حقوقهما- لا الكنز المصطلح- وَ لا يُنْفِقُونَها أى الكنوز فِي سَبِيلِ اللَّهِ كما أمر من إعطاء الزكاة و الخمس فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ أى مؤلم موجع، و أتى بالبشارة مكان الإنذار استهزاء من استعمال الضد فى ضده.

[٣۵] فى يَوْمَ أى ذلك العذاب إنما هو فى يوم يُحْمى عَلَيْها أى يوقد على تلك الكنوز، فإن الشيء إذا أريد انصهاره إما يوقد تحته أو يوقد فوقه فِي نارِ جَهَنَّمَ فهى فى النار و توقد عليها النار، حيث تنصهر تماما فَتُكْوى بِها أى بتلك الكنوز المحماة جِباهُهُمْ جمع «جبهة» وَ جُنُوبُهُمْ جمع «جنب» وَ ظُهُورُهُمْ جمع «ظهر»، و إنما خصّصت هذه المواضع لأن الجبهة محل الوسم، و الجنب محل الألم، و الظهر محل الحدود. و قيل: لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته و طوى عنه كشحه- أى جنبه- و ولّاه ظهره.

و يقال لهم فى حال الكى تعنيفا و توبيخا: هذا ما كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ هذا جزاؤه، حيث لم تنفقوها فى سبيل الله فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ أى ذوقوا عقابه و وباله و عاقبته.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٣٩۴

[سورة التوبة (٩): آية ٣۶]

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَ قاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَما يُقاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣۶)

[٣۶] و لما أوجب سبحانه قتال الكفار و أهل الكتاب الذين انحرفوا، بيّن أنه لا يحل القتال فى الأشهر الحرم التى هى: ذو القعدة، و ذو الحجة، و محرم، و رجب. فقد قرّر الله سبحانه السلام فى هذه الأشهر ليستريح الناس فيها و ليكونوا فى أمن، كما قرر السلام فى الحرم ليكون مكانا للسلام، و قد قدم على ذلك مقدمة هى عدة الشهور، و أنها مرتبطة بدورة الفلك إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ حسب أمره و تقديره اثْنا عَشَرَ شَهْراً محرم، و صفر، و ربيع الأول، و ربيع الثانى، و جمادى الأولى، و جمادى الآخرة، و رجب، و شعبان، و رمضان، و شوال، و ذو القعدة، و ذو الحجة فِي كِتابِ اللَّهِ أى ما كتبه و قرره، و ذلك طبق ناموس خلق الكون حيث دورة الفلك و سير الشمس و القمر، و قد كانت الكتابة يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فإنه من ذلك اليوم أجرى التيرين المعدلين للشهور و السنوات. و الظاهر من

الأشهر، الأشهر القمرية، لأنها المتبادر لدى الشرع و المتشرعة.

مِنْها أى من تلك الأشهر أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ سمّى الشهر حراما، لحرمة القتل و القتال فيه، و لما له من الاحترام، و قد كان كذلك قبل الإسلام أيضا، حتى أن ولى الدم لو رأى قاتل أبيه لم يهجم عليه بسوء حتى ينقضى الشهر الحرام ذلِكَ الترتيب للأشهر، و الحرم منها الدِّينُ الْقَيِّمُ أى الطريقة القويمة المستقيمة، لأنها مطابقة لناموس الخلق و حركة النيّرين، و لأن السلام لا بد و أن يسود فترة من الزمن،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۹۵

[سورة التوبة (۹): آية ۳۷]

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً وَ يُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُواطِؤُا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (۳۷)

حتى تهدأ النفوس، و تزول الهموم منها، فإن فترة الأشهر بغير ذلك فإنها لا تلائم الفطرة و الخلق فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَ فى تلك الأشهر الحرم أَنْفُسَكُمْ بخرق حرمتها، فإن خرق حرمتها يوجب عقابا و نكالا.

وَ قاتِلُوا أيها المسلمون الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً من غير فرق بين أقسامهم و أصنافهم، و «كافة» بمعنى الإحاطة، مأخوذة من «كافة الشيء» و هى حرفه، و إذا انتهى الشيء إلى ذلك كفّ عن الزيادة، و أصل الكف: المنع، و «كافة» منصوبة على المصدر كَما يُقاتِلُونَكُمْ كَافَّةً أى أن قتالكم لهم إنما هو فى مقابلة قتالهم لكم وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ فلا تفعلوا فى الحرب ما ينافى التقوى، فإن الله سبحانه مع الذين يتقون معاصيه، و يمتثلون أوامره.

[۳۷] لما بيّن سبحانه حرمة أشهر الحرم الأربعة، ذكر ما كان يفعله الجاهليون حيث كانوا يؤخرون تحريم الشهر الحرام إلى صفر حيثما شاءوا ذلك، فيحرمون صفر و يستحلون المحرم، ثم إذا انقضت حاجتهم أرجعوا الحرام إلى المحرم، و كان يقوم بذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة، و كان رئيس الموسم، فيقول: أنا الذى لا- أعاب و لا أجاب و لا يردّ لى قضاء. فيقولون: نعم صدقت، أنسئنا شهرا أو أخّر عنا حرمة المحرم و اجعلها فى صفر، و أحل المحرم. فيفعل ذلك، فإنهم بذلك يريدون القتال فى الحرم، و هذا العمل يسمى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۹۶

«نسيئا» فإن «أنسأ» بمعنى أخّر، و «النسيء» بمعنى تأخير الشهر الحرام عن وقته.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ فإن المشركين كانوا كفارا حسب عقائدهم حول الإله. و اليوم الآخر فتحليل الحرام و تحريم الحلال، زيادة فى الكفر، لأن التشريع لله وحده، فمن شرع فى قبال الله سبحانه فهو كافر وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ «۱».

و من المعلوم أن الكفر و الإيمان قابلان للزيادة و النقصان يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا أى يضل بسبب هذا النسيء الكفار، أما غير الكفار فإنهم لا يتبعون إلا شريعة الله سبحانه فلا ضلال لهم بالنسيء، و معنى «يضلّ»- بالبناء للمفعول- أن النسيء يسبب انحرافهم عن جادة الهدى يُحِلُّونَهُ أى يحلون الشهر الحرام عاماً فى عام فيجعلون المحرم حلالا- وَ يُحَرِّمُونَهُ عاماً فيمشون على الأصل فى تحريم شهر محرم، و ذلك حين يحتاجون إلى القتال فى المحرم يحلّلونه، و يجعلون صفر بدله حراما، و حين لا- يحتاجون إلى القتال يكون المحرم على حاله فى التحريم، و إنما يقدمون الحرام و يؤخرونه لِيُواطِؤُا أى ليوافقوا، يقال: «واطأ» فى الشعر، إذا قال بيتين على قافية واحدة، و مثله «أوطأ» عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللَّهُ أى ليكون تعداد الحرام بقدر

---

(۱) المائدة: ۴۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۳۹۷

[سورة التوبة (۹): آية ۳۸]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَةِ فَما مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨)

تعداد الحرام الذى جعله الله، فإنهم لا يحلون الشهر الحرام، إلا و جعلوا مكانه شهرا آخر حراما، و هذان عصيانان: تحليل الحرام، و تحريم الحلال زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ فقد زين الشيطان فى نظرهم الأعمال السيئة فلازموها و افتخروا بها وَ اللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ الذين يصرّون على الكفر بعد تبيّن الحق، فإنه سبحانه لا يلطف بهم لطفه الخاص.

[٣٨] و فى سياق حكم الجهاد مع الأعراب يأتى دور الكلام حول جهاد الروم، فإنه لما رجع رسول الله من الطائف أمر بالجهاد لغزو الروم، و ذلك فى زمان إدراك الثمار فأحبوا المقام فى مساكنهم و قريبا من أموالهم، و شق عليهم الخروج إلى القتال، و كان من عادته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يخفى الغزوة التى يريدها غالبا، لئلّا يعرف العدو فيتخذ أهبته منها فيكثر القتلى، و لذا كان إذا أراد الخروج نحو غزوة فى الشمال ذهب مقدارا نحو الجنوب ثم انحنى صوب قصده إلا فى هذه الغزوة حيث كانت الشقة بعيدة و العدو كثير، فإنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخبر أصحابه بذلك ليتأهبوا و يأخذوا حذرهم، و تسمى هذه الغزوة ب «تبوك» و قد بلغ رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن الروم قد جمعوا له أطراف الجزيرة بالشام و أن هرقل قد رزق أصحابه رزق سنة، و انضمت إليهم لخم و جذم و عاملة و غسان من قبائل العرب و قدموا مقدماتهم إلى البقاء. فاستنفر المسلمين لجهادهم، و هنا وجد المنافقون فرصتهم لإظهار نواياهم فأخذوا يخذلون المسلمين، قائلين: «لا تنفروا فى الحر» فقد كان الهواء حارا،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٣٩٨

[سورة التوبة (٩): آية ٣٩]

إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً وَ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَ لا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)

و قالوا: إن السفر بعيد، فلا طاقة لنا به، و العدو الروم فلا قبل لنا بهم، إلى غير ذلك من الأعذار الواهية.

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ أىّ نفع و فائدة تعود إليكم فى التخلّف و العصيان؟ إِذا قِيلَ لَكُمُ قال لكم الرسول: انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اخرجوا إلى مجاهدة المشركين فى «تبوك» و هى من بلاد البلقاء اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ «اثاقل» من تثاقل، من باب «التفاعل» أبدلت تاؤه ثاء، على القاعدة المشهورة فى تاء «التفاعل» و «التفعّل» ثم جىء بالهمزة لاستحالة الابتداء بالساكن. أى: ملتم إلى البقاء فى الأرض، و عدم الخروج، كأن الجسم قد ثقل أزيد من وزنه العادى فكلما رفع جذبه ثقله نحو الأرض أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَةِ الاستفهام إنكارى، و «من» بمعنى البدل، أى: هل رضيتم أيها المسلمون و آثرتم الحياة الفانية القريبة بدل الحياة الباقية الآخرة فَما مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ بالنسبة إليها إِلَّا قَلِيلٌ فإن الدنيا قليلة، و الآخرة كثيرة، فلا ترجّحوا القليل على الكثير، و إذا تركتم الجهاد فاتتكم تلك المنافع الدائمة الخالدة.

[٣٩] إِلَّا تَنْفِرُوا أى: إن لا تخرجوا إلى القتال الذى دعاكم إليه الرسول يُعَذِّبْكُمْ الله عَذاباً أَلِيماً مؤلما موجعا فى الدنيا من قبل الكفار،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٣٩٩

[سورة التوبة (٩): آية ٤٠]

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَ أَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلى وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)

و فى الآخرة بالنار وَ يَسْتَبْدِلْ بكم قَوْماً غَيْرَكُمْ فيأتى بمسلمين آخرين مكانكم و بدلكم ينصرون الرسول و يطيعون أوامره، فإن الله على كل شىء قدير وَ لا تَضُرُّوهُ شَيْئاً لا تضروا الله بقعودكم عن القتال شيئا، فإنه غنى عنكم و عن العالمين، و إنما تضرون أنفسكم وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر أن يستبدل بكم غيركم، كما يقدر أن ينصر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بدونكم، كما نصره من ذى قبل حيث لم تكونوا مسلمين أنتم- أيها المتخلفون-.

[۴۰] ثم بيّن سبحانه إمكانية نصر الرسول بدونهم، بضرب مثل قريب، و هو نصرته على الكفار فى مكة حيث أرادوا قتله فأنجاه منهم و أعزه، و أذلهم إِلَّا تَنْصُرُوهُ أى إن لم تنصروا الرسول فى غزو الروم فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ من ذى قبل، و هو قادر على نصره الآن إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا من مكة، و نسبة الإخراج إليهم لأنهم كانوا السبب حين أرادوا قتله ففر من أيديهم ثانِيَ اثْنَيْنِ فقد كان حين الفرار هو و أبو بكر، إذ رآه فى الطريق فأخذه كيلا يخبر الناس بخبره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيلحقه الطلب، فإن من عادة الإنسان أن يفشى الأنباء الهامة، و ذكر «ثانى اثنين» لبيان أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان بهذه الغربة حتى أنه لم يكن معه إلا نفر آخر.

فالله القادر على نصره و هو بتلك الغربة و الوحدة، قادر على أن ينصره الآن. و لبيان ذلك جىء بالقيدين الآخرين إِذْ هُما فِي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۰۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج۲ ۴۴۹

الْغارِ «الغار» هو الثقب فى الجبل إِذْ يَقُولُ الرسول لِصاحِبِهِ أبى بكر: لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا مطّلع علينا، فالإنسان الفار اللاجئ إلى ثقب جبل لا أحد معه إلا شخص واحد يخشى و يخاف و يحزن فيزيده كآبة، كيف نصره الله على أعدائه، إن الله قادر على أن ينصره الآن كما نصره سابقا.

و قد استدل بعض على فضيلة أبى بكر بهذه الآية، لكن لا يخفى ما فيه، فإنها لم تدل إلا على كونه أحد الشخصين، و أنه صاحب، و أنه حزن، و أن الله معهما، و لا دلالة فى شىء من ذلك، فإن الاثنين عدد «و ثانى اثنين» حكاية العدد، و ليس فيما يقتضى الفضل بعد، و الصاحب يطلق على كل مصاحب فَقالَ لِصاحِبِهِ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ «۱»، و الحزن لم يكن صحيحا و إلا لم ينهه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ «۲»، و الله سبحانه مع كل بر و فاجر ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ «۳»، بل ربما قيل: إن الآية دلت على خلاف الفضيلة إذ قال سبحانه: «عليه» و «أيده» بينما قال فى مكان آخر عَلى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ «۴».

إن هذا البحث له موضع غير هذا الموضع، و إنما المقصود الإشارة إلى عدم حسن أن يقحم فى القرآن الحكيم ما ليس منه ثم جرّ الآيات إلى الأنظار و الأفكار جرّا بدون دلالة أو برهان. فقد ورد الذم لمن فسّر القرآن برأيه.

---

(۱) الكهف: ۳۵.

(۲) يونس: ۶۳.

(۳) المجادلة: ۸.

(۴) التوبة: ۲۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۰۱

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ أى على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، أى ألقى فى قلبه ما سكن به، و علم أنه سبحانه ينصره عليهم وَ أَيَّدَهُ أى قوّى الرسول و نصره بِجُنُودٍ من الملائكة لَمْ تَرَوْها أى ما رأت الكفار إياها، بمعنى عدم كونهم أجساما حتى يروا.

ورد أنه كان رجل من خزاعة يقال له «أبو كرز» اقتفى مع المشركين أثر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى وقف بهم على الغار فقال لهم: هذه قدم محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هى و الله أخت القدم التى فى المقام، و قال: هذه قدم محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هى و الله أخت القدم التى فى المقام، و قال: هذه قدم أبى قحافة أو ابنه ما جاوزوا هذا المكان، إما أن يكونوا قد صعدوا السماء أو دخلوا فى الأرض. و جاء فارس من الملائكة فى صورة الإنس فوقف على باب الغار و هو يقول لهم: اطلبوه فى هذه الشعاب، و كانت العنكبوت نسجت على باب الغار، و أرسل الله زوجا من الحمام حتى باضا فى أسفل الثقب فقال سراقة و كان مع الكفار: لو دخل الغار أحد لانكسر حتما البيض و تفسخ بيت العنكبوت. و دعا النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قائلا: «اللهم أعم

أبصارهم» فعمیت أبصارهم عن دخوله و جعلوا یضربون یمینا و شمالا حول الغار و یئسوا أخیرا فرجعوا «۱».
وَ جَعَلَ الله تعالی کَلِمَةَ الَّذِینَ کَفَرُوا و کیدهم للرسول و شوکتهم السُّفْلی إذ تحطمت و فشلت فکانت فی الدرجة السفلی

---

(۱) مناقب آل أبی طالب: ج ۱ ۱۲۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۰۲

[سورة التوبة (۹): الآیات ۴۱ الی ۴۲]

انْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالاً وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۴۱) لَوْ کانَ عَرَضاً قَرِیباً وَ سَفَراً قاصِداً لاتَّبَعُوکَ وَ لکِنْ بَعُدَتْ عَلَیْهِمُ الشُّقَّةُ وَ سَیَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَکُمْ یُهْلِکُونَ أَنْفُسَهُمْ وَ اللَّهُ یَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ (۴۲)

وَ کَلِمَةُ اللَّهِ هِیَ الْعُلْیا المرتفعة المنصورة، و هذا إخبار بأن کلمته و قوله دائما یکونان کذلک. و من الواضح فی التاریخ أن کلمة الله عالیة و أنصارها الأعلون، و إن کانت الغلبة لکلمة الکافرین، حتی إن الناس لو کانت سیوفهم مع السلطات الباطلة کانت قلوبهم مع أهل الحق و رأوا أن الحق عندهم وَ اللَّهُ عَزِیزٌ غالب حَکِیمٌ فی تدبیره.

[۴۱] انْفِرُوا من «نفر» إذا خرج مسرعا، أی اخرجوا إلی الجهاد خِفافاً جمع «خفیف» وَ ثِقالًا جمع «ثقیل»، و الخفة تطلق علی قلیل العیال، قلیل السن و النشیط، و قلیل المشاغل، کما أن الثقل عکس ذلک کله، و المراد: جاهدوا و اخرجوا لأجل الحرب کیفما کنتم فی خفة أو ثقل وَ جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ و المجاهدة بالمال:

بذله فی سبیل إعلاء کلمة الإسلام، و المجاهدة بالنفس: الذهاب للحرب فِی سَبِیلِ اللَّهِ و یسمی جهادا، لأنه من الجهد و التعب ذلِکُمْ ذلک إشارة، و «کم» للخطاب، أی أن الجهاد- أیها المسلمون- خَیْرٌ لَکُمْ من ترکه، فإنه فیه عزّ الدنیا و سعادة الآخرة إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لیس المعنی إن لم تعلموا لم یکن خیرا لکم، بل المعنی إن کنتم تعلمون، لعلمتم أنه خیر لکم.

[۴۲] کان المنافقون یرجفون بالمسلمین قائلین: «إن السفر بعید» فإنها کانت مسافة بعیدة بین المدینة و بین «تبوک» فلا تذهبوا إلی الجهاد. فرد

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۰۳

[سورة التوبة (۹): آیة ۴۳]

عَفَا اللَّهُ عَنْکَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَکَ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْکاذِبِینَ (۴۳)

علیهم سبحانه لَوْ کانَ ما دعوتهم إلیه یا رسول الله عَرَضاً قَرِیباً أی غنیمة سهلة التناول، فإن أموال الدنیا تسمی أعراضا باعتبار کونها زائلة فانیة وَ سَفَراً قاصِداً أی سفرا متوسطا فی البعد و القرب، بأن سهل علیهم الذهاب و الخروج لَاتَّبَعُوکَ لأنه یسهل علیهم ذلک وَ لکِنْ بَعُدَتْ عَلَیْهِمُ الشُّقَّةُ أی المسافة، فإن الشقة بمعنی القطعة من الأرض التی یشق علی إنسان السیر فیها لبعدها، و لذا یأتون بالأعذار الواهیة فرارا وَ سَیَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَکُمْ فإنهم کانوا یحلفون بأنهم لا یقدرون علی الخروج لاشتغالهم و أن لهم أعذارا مشروعة یُهْلِکُونَ أَنْفُسَهُمْ هؤلاء المعتذرون باستحقاقهم العقاب فی الآخرة، و النکال فی الدنیا، فإن ترک الجهاد یوجب الذلة و الصغار للفرد و الجماعة وَ اللَّهُ یَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ فی ادعائهم أنهم لا یستطیعون الخروج.

[۴۳] استأذن جماعة من المنافقین الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی ترکهم الخروج إلی تبوک، فأذن لهم الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قد کان هذا الإذن کسائر أوامر الرسول و کلماته بالوحی بدلیل قوله سبحانه: وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی «۱»، لکن الاستئذان من القوم کان نفاقا فاستحقوا العقاب.

---

(۱) النجم: ۴ و ۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۴۰۴

و من البلاغة أن يوجه الإنسان العتاب إلى أحد و هو يريد إفهام غيره، فإذا ألحّ الشخص المتظاهر بالفقر، فأشرت إلى ولدك بإعطائه المال، تقول له- معاتبا- و أنت تريد إفهام الآخذ: لم أعطيته المال؟ مع أن إعطاءه كان بأمرك و لكنك تريد توبيخ الآخذ بصورة بليغة، و هذا كما يظهر فى الكلام يظهر فى العمل، فقد تأخذ بيد الولد لتقصيره أمام الآخذ مظهرا غضبك عليه، تريد إفهام الآخذ بسوء صنيعه فى الأخذ، كما تقدم فى قصة موسى و هارون عليهما السّلام.

و هذا هو المعنى من قول الإمام الرضا عليه السّلام فى جواب أسئلة المأمون عن عصمة الأنبياء. و أنه كيف قال للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «عفا الله عنك ..»، هذا مما نزل ب «إياك أعنى و اسمعى يا جارة» (۱).

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ يا رسول الله. إنه لا يريد أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فعل خلاف الأولى، حتى يستحق العفو أو العتاب، بل يريد إفهام المتخلفين أنهم فعلوا فعلا- قبيحا حتى إن الإذن لهم فى القعود يستحق العفو لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ فى البقاء و عدم الخروج إلى الجهاد حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا فى أنهم لا- يستطيعون الخروج وَ تَعْلَمَ الْكاذِبِينَ أى حتى تعلم و تميّز بين الصادق و الكاذب، و قد كان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يميّز و يعلم، كيف و أحدنا يعلم الصادق و الكاذب من أصحابه و أصدقائه؟ لكن هذا الكلام لتنبيه المتخلفين الكاذبين، و أنه عرف كذبهم و سوء قصدهم.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۱ ص ۸۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۴۰۵

[سورة التوبة (۹): الآيات ۴۴ الى ۴۶]

لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (۴۴) إِنَّما يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (۴۵) وَ لَوْ أَرادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَ لكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ (۴۶)

[۴۴] لا- يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ إيمانا صادقا، كيف و المؤمن يعلم أنه سواء غلب أو غلب كان له الأجر العظيم و العاقبة المحمودة عند الله سبحانه، و لذا لا- يطلب الإذن فى التخلّف أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فى أن يجاهدوا، و المعنى لا يستأذنوا للتخلّف فى أمر الجهاد، لا- أن المعنى لا- يستأذنون للجهاد وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ الذين يتقون عصيان الله، و يعملون حسب أوامره.

[۴۵] إِنَّما يَسْتَأْذِنُكَ و يطلب إذنك فى القعود عن الجهاد الَّذِينَ لا- يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ إيمانا صادقا عن عقيدة و رسوخ وَ ارْتابَتْ قُلُوبُهُمْ أى شكّت، من «الريب» بمعنى التردّد، أى شكّوا فى صدق الأمر و حقيقته فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ و شكّهم حول المبدأ و المعاد يَتَرَدَّدُونَ فتارة ترجح عندهم العقيدة، و أخرى يرجح عندهم الإنكار. و لهذا فإن هؤلاء لمّا لم يستيقنوا يستأذنوك للتخلّص من الصعوبة.

[۴۶] ثم بيّن سبحانه علامة نفاقهم و أنهم امتازوا عن المؤمنين بأن لم يستعدوا للجهاد فقد نووا من أول الأمر عدم الخروج وَ لَوْ أَرادُوا الْخُرُوجَ إلى الجهاد، كما أراد سائر المؤمنين لَأَعَدُّوا لَهُ للجهاد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۴۰۶

[سورة التوبة (۹): آية ۴۷]

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلَّا خَبالاً وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَ فِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (۴۷)

عُدَّةً أهبة، فإن العدة و الأهبة و الآلة نظائر وَ لكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعاثَهُمُ الانبعاث هو الانطلاق بسرعة فى الأمر فَثَبَّطَهُمْ أى أوقفهم عن

الجهاد بالتزهيد فيه فرغبوا عنه وَ قِيلَ القائل هو الله سبحانه- بلسان الحال- أو إخوانهم المنافقون: اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ النساء و الصبيان و العجزة الذين بقوا فى المدينة و لم يخرجوا للجهاد.

إن أمر الجهاد كان متوجها إليهم مع صفاء النية و خلوص القصد، أما أنهم نافقوا و كانوا لو خرجوا ألقوا التشويش و الاضطراب- كما هو شأن المنافق فى كل حركة- بالنميمة بين المسلمين، و كان الضرر فى خروجهم أكثر، فالأحرى أن لا يخرجوا، فالله سبحانه كره ذهابهم للغزو لهذه الجهة فلم يوفّقهم للجهاد. و قد مرّ مكررا أنه تصحّ نسبة الفعل إليه سبحانه باعتبار أنه لم يزل العائق تكوينا، كما يقال: «إن الملك عوّق ذهاب الجيش و لم يدعهم يذهبوا»، فيما إذا لم يزل العائق أمامهم.

[۴۷] ثم بيّن سبحانه سبب كره الله انبعاثهم بقوله: لَوْ خَرَجُوا أى خرج هؤلاء المنافقون إلى الجهاد فِيكُمْ أى فى ضمنكم أيها المسلمون ما زادُوكُمْ إِلَّا خَبالًا «الخبال» هو الفساد، أى كان خروجهم معكم سببا للفساد و الاضطراب، فإن المنافق دائم النقد للحركات، كثير التخذيل مما يوجب فسادا و اضطرابا و تشويشا وَ لَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ «الإيضاع» الإسراع فى السير، و «الخلال» بمعنى «البين»، أى أسرعوا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۰۷

[سورة التوبة (۹): آية ۴۸]

لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَ قَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمْ كارِهُونَ (۴۸)

فى الدخول بينكم بالفساد و النميمة و الإفساد يَبْغُونَكُمُ أى يطلبون لكم الْفِتْنَةَ و اختلاف الكلمة و الانشقاق- كما هو شأن المنافق- وَ يكونون فِيكُمْ أيها المسلمون سَمَّاعُونَ لَهُمْ يسمعون أقوال الكفار- المفهوم من الكلام- فيصبح هؤلاء المنافقون جواسيس و عيونا للكفار، أو المراد: إن كانوا معكم كان من المؤمنين البسطاء أشخاص يسمعون لأولئك المنافقين، فعدم مجيئهم كان أنفع لكم وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسهم بالنفاق و عدم الخروج، فيجازيهم بما عملوا.

[۴۸] لَقَدِ ابْتَغَوُا و طلب هؤلاء المنافقون الْفِتْنَةَ و الفساد بين المسلمين مِنْ قَبْلُ فى أحد و فى حنين و عند الثنية عند رجوع النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من حجة الوداع حيث أرادوا قتله و دبروا مؤامرة خبيثة لتشتيت شمل المسلمين وَ قَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ «التقليب» تصريف الشيء على غير وجهه، فقد احتال المنافقون لأن يقلبوا وحدة المسلمين تشتتا، و صفاءهم كدورة حَتَّى جاءَ الْحَقُّ الظفر الذى وعد الله سبحانه وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ دينه و الإسلام و حقيقة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ الحال أن هُمْ كارِهُونَ لمجرد الحق و ظهور أمر الله، فإن يثيروا الفتن الآن بالنفاق، فقد كانوا سابقا كذلك، فلا يهمّك أمرهم يا رسول الله، و لا تعيرهم وبالا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۰۸

[سورة التوبة (۹): آية ۴۹]

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَ لا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ (۴۹)

[۴۹] وَ مِنْهُمْ أى من المنافقين المتخلّفين فى غزوة تبوك مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي يا رسول الله فى التخلّف وَ لا تَفْتِنِّي لا توقعنى فى الفتنة، بأن تأمرنى فلا ألبّى الطلب، أو المراد: لا تفتنى ببنات الأصفر.

فقد ذكر المفسرون: أن رسول الله لما استنفر الناس إلى حرب الروم فى تبوك قال: انفروا لعلكم تغنمون بنات الأصفر، فقام جد بن قيس أخو بنى سلمة فقال: يا رسول الله ائذن لى و لا تفتنى ببنات الأصفر، فإنى أخاف أن أفتتن بهن، فقال: قد أذنت لك، فنزلت الآية. و يسمّى الروم بنوا الأصفر، لأن حبشيا غلب على ناحية الروم و كان له بنات قد أخذن بياض الروم و سواد الحبشة فكنّ صفرا لعسا- كما عن الفراء-.

ثم إن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جزى هذا الرجل بصنيعه فقد قال لبنى سلمة:

من سيدكم؟ قالوا: جد بن قيس إلا أنه بخيل جبان. فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و أى داء أدوى من البخل، بل سيدكم الفتى الأبيض الجعد بشر بن البراء بن المعرور «۱».

أَلا فِی الْفِتْنَةِ سَقَطُوا إنهم أظهروا بتخلفهم الفرار عن الفتنة، فقد سقطوا فی الفتنة بتخلفهم عنک و عصیانهم لک، فإن الإذن عن کره کعدمه وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَةٌ بِالْکافِرِینَ تحیط بهم فلا مخلّص لهم منها. و لعل هذا التعبیر بمناسبة أنهم أظهروا الفرار من الفتنة، لکن

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۱۹۳.

[سورة التوبة (۹): الآیات ۵۰ الی ۵۱]

إِنْ تُصِبْکَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْکَ مُصِیبَةٌ یَقُولُوا قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ وَ یَتَوَلَّوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ (۵۰) قُلْ لَنْ یُصِیبَنا إِلاَّ ما کَتَبَ اللَّهُ لَنا هُوَ مَوْلانا وَ عَلَی اللَّهِ فَلْیَتَوَکَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (۵۱)

المنافق لا یفرّ من فتنة إلّا و یسقط فی فتنة أخری، لأنه من أهل النار و هی محیطة به، فکیف یفر منها.

[۵۰] و کیف یکون هؤلاء المنافقون مسلمین، و الحال أن صفاتهم صفات الکافرین إِنْ تُصِبْکَ یا رسول الله حَسَنَةٌ تصل إلیک غنیمة أو خیر تَسُؤْهُمْ أی یحزن المنافقون من أجلها وَ إِنْ تُصِبْکَ مُصِیبَةٌ شدة و آفة فی النفس أو المال أو غیرهما یَقُولُوا المنافقون: قَدْ أَخَذْنا أَمْرَنا مِنْ قَبْلُ أخذنا حذرنا من قبل وقوع الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أصحابه فی هذه البلیة وَ یَتَوَلَّوْا وَ هُمْ فَرِحُونَ رجعوا إلی بیوتهم فرحین بما أصاب المؤمنین من الشدة. و قد کان من عادة المؤمنین عکس ذلک، فإنهم إذا رأوا الرسول فی شدة اجتمعوا حوله لیواسوه بأنفسهم.

[۵۱] قُلْ یا رسول الله لهؤلاء: لَنْ یُصِیبَنا إِلَّا ما کَتَبَ اللَّهُ لَنا فلم یکن ما أصابنا شر لنا، کما زعمتم، بل إن الله سبحانه کتب هذه البلایا لنا لأن ترفع درجاتنا فی الآخرة، و ینصرنا علی أعدائنا فی النهایة، و نحن مسلمون لأمر الله منقادون لإرادته هُوَ مَوْلانا أولی بنا من أنفسنا، فما کتبه لنا کان لخیرنا و صلاحنا وَ عَلَی اللَّهِ فَلْیَتَوَکَّلِ الْمُؤْمِنُونَ بأن یکلوا أمرهم إلیه، و یرضوا بقضائه، فلیس ذلک إلا للخیر و السعادة.

[سورة التوبة (۹): الآیات ۵۲ الی ۵۳]

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلاَّ إِحْدَی الْحُسْنَیَیْنِ وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِکُمْ أَنْ یُصِیبَکُمُ اللَّهُ بِعَذابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَیْدِینا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَکُمْ مُتَرَبِّصُونَ (۵۲) قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً لَنْ یُتَقَبَّلَ مِنْکُمْ إِنَّکُمْ کُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِینَ (۵۳)

[۵۲] قُلْ یا رسول الله لهؤلاء المنافقین: هَلْ تَرَبَّصُونَ «التربص» الانتظار، أی: هل تنتظرون بِنا إِلَّا إِحْدَی الْحُسْنَیَیْنِ إما النصر و الظفر و خیر الدنیا، و إما الشهادة فی سبیل الله و فیها خیر الآخرة، فلا یعود تربّصکم بشر لنا أو خیر لکم وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِکُمْ ننتظر أن تقعوا فی أحد الشرین أَنْ یُصِیبَکُمُ اللَّهُ بِعَذابٍ مِنْ عِنْدِهِ بأن تهلکوا فتعذّبوا فی الآخرة أَوْ بِأَیْدِینا بأن ننتصر علیکم فتصبحوا أذلاء فی الدنیا خاسرین مقهورین فَتَرَبَّصُوا أی انتظروا. و هو تهدید فی صورة الأمر کقوله: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ «۱»، إِنَّا مَعَکُمْ مُتَرَبِّصُونَ أی منتظرون، حتی نری لمن العاقبة الحسنة، و لمن العاقبة السیئة.

[۵۳] قد کان بعض المنافقین عرضوا أموالهم لمساعدة المجاهدین فی «تبوک» لینجوا بذلک عن الذهاب بأنفسهم و لا یقعوا موقع لوم المسلمین بأنهم نافقوا، و لم یشترکوا فی الجهاد مع المجاهدین، لکن الله سبحانه أخبر عن نیتهم و أن إنفاقهم لا ینفع شیئا قُلْ یا رسول الله لهؤلاء المنافقین: أَنْفِقُوا أموالکم للجهاد طَوْعاً أَوْ کَرْهاً طائعین أو مکرهین لَنْ یُتَقَبَّلَ مِنْکُمْ أی إن أنفقتم طائعین أو مکرهین

---

(۱) فصلت: ۴۱.

[سورة التوبة (۹): آية ۵۴]

وَ ما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ لا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَ هُمْ كُسالى وَ لا يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَ هُمْ كارِهُونَ (۵۴)

لا يتقبل الله منكم الإنفاق. فاللفظ أمر و المعنى الشرط.

ثم بيّن السبب بقوله: إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ خارجين عن طاعة الله سبحانه، و الفاسق لا يتقبل منه الإنفاق، لأن قبول الأعمال مشروط بالتقوى و هو منفى عنهم، قال سبحانه: إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ «۱».

[۵۴] وَ ما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ أىّ شىء منع قبول إنفاقهم و الإثابة عليه؟ إنه كفرهم إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ فإن الكفر الباطنى مانع عن قبول الأعمال، و إن أظهر الإسلام وَ لا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَ هُمْ كُسالى متثاقلين، فإن المؤمن حيث امتلأ إيمانا يقدم على الطاعات بكل شوق و رغبة، بخلاف المنافق الذى لم يذعن قلبه لشىء، فإنه لا يأتى الصلاة و سائر الطاعات إلّا متثاقلا كسلانا فإنه يريد بذلك إراءة الناس وَ لا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَ هُمْ كارِهُونَ للإنفاق، لأنهم لا يدفعون المال عن عقيدة و إخلاص، و إنما يدفعون للتستر بالإسلام و التحفظ على أنفسهم من ألسنة المؤمنين، لئلّا يظهر ما ينوون من الكفر و النفاق.

---

(۱) المائدة: ۲۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۱۲

[سورة التوبة (۹): آية ۵۵]

فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كافِرُونَ (۵۵)

[۵۵] فَلا تُعْجِبْكَ يا رسول الله أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ أى لا يأخذ بقلبك ما تراه من كثرة أموال هؤلاء المنافقين و أولادهم، و لا تنظر إليهم بعين الإعجاب، فإن الأموال و الأولاد قد تكون نعمة و خيرا حينما يشكر الإنسان وجودها و يصبر و يحتسب لفقدها، أما إذا لم تكن كذلك، فهى بالعكس تصبح وبالا على الإنسان إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها بهذه الأموال و الأولاد فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فإن النفس غير المطمئنة تكون دائمة القلق على مصير الأموال و الأولاد لأنها دائمة الخوف عليهما، أما المؤمن فإن بقيت أمواله و أولاده شكر و إن ذهبت صبر، و علم أن ذلك موجب للأجر و الثواب، فلا يكون خائفا قلقا.

قال أحد الكافرين: إن أعجب ما رأيت من شيخ مسلم أنه كان صاحب أغنام تعدّ بالألوف و كان جميع كيانه بها و إذا به يفاجأ ذات يوم- و أنا عنده- بأن يخبره آت قائلا: إن الأغنام ذهب بها السيل، قال: و كنت أترقب انقلابا فى حال الشيخ الذى ذهب كل كيانه بذهاب أغنامه، و إذا به يقول: «إنا لله و إنا إليه راجعون، و ماذا نصنع؟ نتوكل على الله، و نصبر، فهو خير للصابرين» و كأن أمرا لم يحدث.

وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ تهلك و تذهب بالموت بصعوبة، فهم قد عاشوا فى الدنيا بصعوبة و قلق، و ها هم يموتون، و حينما تريد أرواحهم أن تخرج، تخرج بصعوبة، فيموتون بكل صعوبة وَ هُمْ كافِرُونَ فقد عاشوا أشقياء، و ماتوا أشقياء و يحشرون أشقياء إذ ماتوا كافرين. ثم إن جملة «تزهق» إما استئنافية، و إما عطف على «ليعذبهم». و إرادة الله

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۱۳

[سورة التوبة (۹): الآيات ۵۶ الى ۵۷]

وَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَ ما هُمْ مِنْكُمْ وَ لكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (۵۶) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغاراتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَ هُمْ يَجْمَحُونَ (۵۷)

ذلك، إنما كانت بسبب أنهم أعرضوا عن الحق فتركهم الله سبحانه فى كفرهم. و هو معنى إرادته أن يموتوا كافرين.

[۵۶] و قد كان هؤلاء المنافقين يريدون اللعب على حبلين، فحيث أن السلطة بيد المسلمين يريدون إرضاءهم بإظهار أنهم منهم، و حيث أن قلوبهم كانت منكرة كانوا مع الكافرين باطنا و عملا، لكن الله سبحانه أبدى نواياهم وَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ يقسمون بالله إنهم مثلكم في الإيمان و الإخلاص وَ ما هُمْ مِنْكُمْ ليسوا مثلكم وَ لكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ من «فرق» بمعنى خاف، أي يخافون و يجتنبون القتل و القتال، و كيف يكون من يجبن مثل غيره من المسلمين الأقوياء القلوب؟! [۵۷] لَوْ يَجِدُونَ أي لو وجد هؤلاء المنافقون الجبناء مَلْجَأً حصنا، و يسمّى الحصن بذلك، لأن الإنسان يلجأ عند الخوف إليه أَوْ مَغاراتٍ جمع «مغارة»، من «غار يغور» إذا دخل، و منه «الغار» بمعنى النقب في الجبل أَوْ مُدَّخَلًا من «ادّخل» أصله أو «تدخل» من باب الافتعال قلبت تاؤه دالا، وجيء بهمزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن، و المراد به النفق و شبهه، أي: لو وجد هؤلاء المنافقون الجبناء محل فرار سواء كان حصنا أو غارا أو ثقبا في الأرض لَوَلَّوْا إِلَيْهِ أي فروا منكم و من القتال إلى ذلك المخبأ وَ هُمْ يَجْمَحُونَ من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۱۴

[سورة التوبة (۹): الآيات ۵۸ الى ۵۹]

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَ إِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ (۵۸) وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا ما آتاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ قالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ راغِبُونَ (۵۹)

«الجموح» بمعنى المضي مسرعين بحيث لا يردهم شيء.

[۵۸] وَ مِنْهُمْ أي من المنافقين مَنْ يَلْمِزُكَ يقال: «لمز الرجل» إذا عابه، قال سبحانه: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ «۱»، فِي الصَّدَقاتِ أي في تقسيم الصدقات و هي الغنائم و ما أشبهها، مما فرضه الله سبحانه لإقامة المصالح، أي يطعنون عليك في تقسيمك فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا و قالوا إن محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عدل و أعطى الحق في موضعه وَ إِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ يغضبون و يعيبون، فليسوا معترفين بك و أن أعمالك إنما تصدر عن الوحي، بل هم طلاب دنيا.

ورد أن هذه الآية نزلت لما جاءت الصدقات و جاء الأغنياء و ظنوا أن رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقسمها بينهم، فلما وضعها في الفقراء تغامزوا على رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لمزوه و قالوا: نحن الذين نقوم في الحرب و ننفر معه و نقوّى أمره، ثم يدفع الصدقات إلى هؤلاء الذين لا يعينونه و لا يغنون عنه شيئا.

إنهم قالوا هذا القول و طعنوا في الرسول، لا حبا للعدالة، بل غضبا لأنهم لم ينالوا منها.

[۵۹] وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا ما آتاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أي ما أعطاهم الرسول بحكم

---

(۱) الهمزة: ۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۱۵

[سورة التوبة (۹): آية ۶۰]

إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقابِ وَ الْغارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۶۰)

الله سبحانه وَ قالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ كافينا سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فإن لم يقسم لنا من هذه الصدقة قسم لنا من غيرها وَ رَسُولُهُ ذكر الله لأنه الآمر، و ذكر الرسول لأنه المقسم و المعطي إِنَّا إِلَى اللَّهِ راغِبُونَ نرغب إليه و نطلب منه سبحانه أن يوسع علينا. أي «لكان خيرا لهم» هذا هو جواب «لو» فإنه حذف للدلالة على العموم و التوسعة، فإن المذكور إنما هو لفظ واحد بخلاف المحذوف، و لذا قالوا: إن حذف المتعلق يفيد العموم.

[۶۰] ثم بيّن سبحانه مصرف الصدقات، و أنها يجب أن تصرف في المصارف المذكورة لا أن تعطى للأغنياء و الطامعين إِنَّمَا

الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ المراد بالصدقات الزكاة- كما أجمع المفسرون عليه- و هى تؤخذ بنسبة العشر و نصف العشر و ربع العشر، من أموال تسعة، بعنوان الوجوب، و من غيرها بعنوان الاستحباب- كما فصّل فى الفقه- و الأموال التسعة هى: الإبل، و البقر، و الغنم، و الذهب، و الفضة، و الحنطة، و الشعير، و التمر، و الزبيب. بشرائط مخصوصة، و تعطى لثمانية أصناف، منهم:

الفقراء الذين لا يجدون قوت سنة لأنفسهم و لعيالهم حسب شأنهم، لا قوة و لا فعلا.

وَ الْمَساكِينِ و هم أسوأ حالا من الفقير، كأن الفقر أسكنه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۱۶

الأرض فلم يقدر على التحرك، و حيث أنهم فى المجتمع صنفان متمايزان، إذ هناك صنف تعسّرت أموره و إن كان ظاهره لا بأس به، و صنف داخل فى العجزة كالعميان و الزمنى و من إليهم، ذكرهم سبحانه صنفين، و إن كان الميزان فى الصنفين واحدا، و هو عدم تمكنهم من مؤونة سنة فعلا و قوة.

و لعل وجه تقديم الفقراء: أن إعطاءهم من الزكاة أبعد فى النظر و لذا جىء بهم أولا، تداركا لهذا البعد، كما أنك إذا أردت أن تعدّ من أتاك تذكر الأبعد فى نظر السامعين، كما أن ذكر المساكين مع أنهم داخلون فى الفقراء لعلة، و ذلك لدفع احتمال أن مثل هؤلاء لا بد و أن يعيشوا على إحسان المحسنين من الذين يتصدقون بالصدقات المستحبة لدفع البلاء، كما جرت العادة، لا أن يكون لهم رزق فى خزينة الدولة.

وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها أى الذين يعملون لأجل جمع الزكوات، و جبايتها، و لو كانوا أغنياء فإنهم يأخذون حق العمل، و لفظة «على» لأجل أن العامل يقتطع من أموال الناس، فهو شبيه بالضرر، فإنه يعمل لأجل الفقير، على الغنى.

وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ أى الكفار الذين يراد تأليف قلوبهم بالمال ليميلوا نحو الإسلام أو نحو المسلمين، فإن الأموال تقرّب الناس إلى الناس، و تقرّب الناس إلى الأديان و المبادئ، و كذلك المسلمون الذين أسلموا و لكن لم يدخل الإسلام فى قلوبهم فيعطوا من الزكاة لتقوى عقيدتهم، و يستحكم إسلامهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۱۷

[سورة التوبة (۹): آية ۶۱]

وَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۶۱)

وَ فِي الرِّقابِ جمع «رقبة» و المراد بها: الإنسان، فإن الرقبة تستعمل فى الإنسان بعلاقة الجزء و الكل، كما أن «العين» تستعمل فى الجاسوس بهذه العلاقة، و المراد بهم: العبيد الذين هم تحت الشدة، يشترون من الزكاة و يعتقون، و كذلك العبيد الذين كاتبوا مواليهم و لم يقدروا على دفع تمام مال الكتابة.

وَ الْغارِمِينَ جمع غارم، من «غرم» بمعنى استدان، و المراد بهم: الذين اقترضوا ثم أنفقوا المال فى غير معصية، و من غير سرف، فإنهم يعطون من الزكاة ليؤدّوا ديونهم، أو تدفع ديونهم منها و لو بعد موتهم.

وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ و هى جميع مصالح المسلمين التى من أظهرها: الجهاد لإعلاء كلمة الله.

وَ ابْنِ السَّبِيلِ و هو المسافر المنقطع به فى سفره، يعطى من الزكاة ليرجع إلى محله، و إن كان فى بلده غنيا. فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ أى افترض الله سبحانه تقسيم الزكاة بهذه الصورة فريضة وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بحاجة خلقه حَكِيمٌ فيما فرض عليهم، و على من فرض. و الكلام حول الزكاة طويل، راجع «عبادات الإسلام» «۱» حتى تعرف بعض أحكامها.

[۶۱] كان الكلام حول المنافقين و علامات النفاق و بعض ما صدر منهم مما

(۱) للمؤلف.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۱۸

يدل على انحرافهم و نفاقهم، فمنهم من يلمز النبى فى الصدقات، و منهم من يؤذى النبى، و منهم من يخشى أن تنزل عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سورة، تفضحه و تبين نفاقه وَ مِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَ إيذاء بالقول، فقد كان عبد الله بن نفيل منافقا، و كان يقعد إلى رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيسمع كلامه ثم ينقله إلى المنافقين و ينمّ عليه. فنزل جبرائيل عليه السّلام و أخبر رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بخبر المنافق، فدعاه رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأخبره بذلك فحلف أنه لم يفعل فقبل منه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- حسب الظاهر- و نهاه أن يقعد مع أصحابه من بعد، فرجع إلى أصحابه و قال: إن محمدا «أذن» أخبره الله أنى أنمّ عليه و أنقل أخباره، فقبل، و أخبرته: أنى لم أفعل، فقبل، فأنزل الله هذه الآية: وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ أى يستمع إلى ما يقال له و يقبل، و لا فطنة له بأن يميّز بين الصحيح من الكلام و السقيم.

قُلْ يا رسول الله لهؤلاء المنافقين: إنى أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ فإنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أذن كما قالوا، و لكن ليس كما قصدوا، فإن «الأذن» قد يكون فى سماع كلام الشر فى أحد ثم يرتّب الأثر عليه، و قد يكون خيرا، يسمع الكلام و لا يكذّبه، و لكنه لا يرتّب ما على المجرم من العقاب، كيف يمكن أن يعاب عليه فعله هذا؟! لكن المنافق هو الذى يرى الإحسان- حتى بالنسبة إلى المنافق- إساءة. يُؤْمِنُ بِاللَّهِ إيمانا من القلب، و يعلم أن الله سبحانه صادق وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ أى لنفع المؤمنين، و فرق بين «الإيمان به» إذ معناه تصديقه، و «الإيمان له»، أى يرتب الأثر الذى هو نافع للمؤمن، سواء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۱۹

[سورة التوبة (۹): آية ۶۲]

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ (۶۲)

اعتقد بذلك أم لم يعتقد. فقد اعتقد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم صحة كلام جبرئيل المنزل من قبله سبحانه، كما رتّب أثر الصحة لنفع ذلك المؤمن- المنافق- حيث لم يعاقبه. و لا يخفى أن «الإيمان» له إطلاقان: إطلاق على كل مؤمن مقابل الكافر، و هو من أظهر الإسلام، و إن لم يدخل فى قلبه، كما قال سبحانه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا «۱»، و إطلاق على المعتقد فى مقابل المنافق، كما قال سبحانه: قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا «۲»، و المراد هنا: الإطلاق الأول.

وَ هو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ و لو إيمانا ظاهريا، حيث أنه هداهم للأصلح بحالهم فى الدنيا، أما المؤمن الحقيقى فإنه سعد بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دنيا و آخرة وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ بالقول أو العمل، لا يظنون أنهم فاتوه حيث لم يعاقبهم و قبل عذرهم، فلم يرتّب على أذيتهم شيء، بل لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ مؤلم موجع فى الدنيا و الآخرة، أما فى الدنيا فلأن إيذاء الرسول له أثر وضعى يوجب الخسران و الخزى، و أما فى الآخرة فله عذاب أليم فى النار.

[۶۲] يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ أى يحلف هؤلاء المنافقون لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ حيث أنكم تقبلون عذرهم إذا أقسموا بالله بأنهم لم يقولوا ما قالوا، و لم يفعلوا ما فعلوا وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ أى يرضوا كل واحد

---

(۱) النساء: ۱۳۷.

(۲) الحجرات: ۱۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۲۰

[سورة التوبة (۹): الآيات ۶۳ الى ۶۴]

أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِيها ذلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (۶۳) يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ

تَنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ (۶۴)

منهما، بالإيمان الصحيح و عدم الإيذاء واقعا- مما يريدون ستره بالحلف- أما الترضية الظاهرية للرسول، فإنها لا تنفعهم فى الباطن و الواقع إِنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ واقعا، و المعنى: إن كانوا مؤمنين واقعا لعلموا أن مرضاة الله و الرسول أولى من الترضية الظاهرية.

[۶۳] أَ لَمْ يَعْلَمُوا أليس يعرف هؤلاء المنافقون أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ «المحادّة» مجاوزة الحد بالمشاقة و المخالفة فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِيها فإن علموا ذلك فكيف يحادّون الله و الرسول بالنفاق و إيذاء الرسول ذلِكَ الخلود فى النار الْخِزْيُ أى الهوان الْعَظِيمُ الذى لا خزى فوقه.

[۶۴] يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أى يخافون و يخشون أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ من القرآن تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ أى تخبرهم بنفاقهم، فتكون فضيحة لهم، و قوله «تنبئهم» لإفادة أنهم كانوا يخفون نفاقهم، فكأنهم لا يعلمون. و إنما السورة المنزلة تخبرهم حسب تظاهرهم بالنفاق.

ورد أنه لما خرج رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى «تبوك» قال قوم من المنافقين فيما بينهم: أ يرى محمدا أن حرب الروم مثل حرب غيرهم، لا يرجع منهم أحد أبدا. فقال بعضهم: ما أحرى أن يخبر الله محمدا بما كنّا فيه، و بما فى قلوبنا، و ينزل بهذا قرآنا يقرأه الناس- قالوا هذا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۲۱

[سورة التوبة (۹): الآيات ۶۵ الى ۶۶]

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أَ بِاللَّهِ وَ آياتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ (۶۵) لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طائِفَةً بِأَنَّهُمْ كانُوا مُجْرِمِينَ (۶۶)

على حد الاستهزاء- فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعمار بن ياسر: الحق القوم فإنهم قد انحرفوا، فلحقهم عمار فقال لهم: ما قلتم؟ قالوا: ما قلنا شيئا إنما نقول ذلك على حد اللعب و المزاح. فنزلت هذه الآية.

قُلِ يا رسول الله لهؤلاء المنافقين: اسْتَهْزِؤُا أمر فى معنى الوعيد إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ أى مظهر ما تحذرون ظهوره من نفاقكم و قولكم الاستهزائى.

[۶۵] وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ يا رسول الله! عن طعنهم فى الدين و استهزائهم بك و بحركاتك، و قلت لهم: لم فعلتم ذلك؟ لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ «الخوض» هو دخول القدم فى المائع، من ماء أو طين، ثم كثر استعماله فى الدخول فيها، يعنى: على وجه اللهو دون الجد، أى كان كلامنا مجرد لعب و لهو دون إرادة الحقيقة و الجد قُلْ يا رسول الله لهم: أَ بِاللَّهِ وَ آياتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ استفهام إنكارى، أى كيف تستهزئون بالله و حججه و رسوله؟

[۶۶] قل يا رسول الله لهؤلاء المنافقين: لا تَعْتَذِرُوا بهذه الأعذار الواهية الكاذبة قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ الظاهرى، فإنهم بإظهارهم الإيمان دخلوا فى زمرة المؤمنين، فاستهزاؤهم هذا كان كفرا و نقضا لذلك الإيمان، و قد اعتذر بعضهم اعتذارا صادقا فرجع عن نفاقه و دخل

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۲۲

[سورة التوبة (۹): آية ۶۷]

الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ (۶۷)

الإيمان قلبه، فقبل الرسول عذره و عفا الله عنه.

و فى بعض التفاسير: إنه كان مخشى بن حميّر، و يسمى عبد الرحمن، و سأل الله بعد توبته أن يقتل شهيدا لا يعلم أحد مكانه، فقتل يوم اليمامة و لم يوجد له أثر، و لذا قال سبحانه: إِنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ و هو التائب حقيقة نُعَذِّبْ طائِفَةً بسبب أنهم بقوا على نفاقهم

و كانُوا مُجْرِمِينَ لم ينفكوا عن الجريمة.

[۶۷] ثم بيّن سبحانه حقيقة المنافقين و صفاتهم بقوله تعالى: الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ أى أنهم من طبيعة واحدة و طينة واحدة يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ يأمر بعضهم بعضا بإتيان المنكر، من الكفر و المعاصى وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ فإذا أراد أحدهم أن يعمل بطاعة نهاه غيره وَ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ يمسكونها عن الإنفاق، بخلاف المؤمن الذى يبسط يده بالمال، أو المراد: قبض أيديهم عن كل خير نَسُوا اللَّهَ عملوا عمل الناسى و إن كانوا ذاكرين له، فكما أن الناسى يترك المنسى، كذلك هؤلاء يتركون أوامر الله سبحانه فَنَسِيَهُمْ الله سبحانه أى تركهم و شأنهم لا يهديهم طريقا و لا يفعل بهم صلاحا.

و ليس المراد «النسيان» حقيقة، لأن الله سبحانه لا ينسى إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ الذين خرجوا عن طاعة الله سبحانه، و إن أظهروا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ۴٢٣

[سورة التوبة (٩): الآيات ۶٨ الى ۶٩]

وَعَدَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْكُفَّارَ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها هِيَ حَسْبُهُمْ وَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ (۶٨) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ أَمْوالاً وَ أَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خاضُوا أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (۶٩)

الإيمان، و «الفسق» عبارة عن الخروج عن الطاعة. و هذه الآية تعطى ميزان النفاق إلى يومنا، و ما أكثر أمثال هؤلاء فى زماننا هذا.

[۶٨] وَعَدَ اللَّهُ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْكُفَّارَ و حيث كان الكلام حول المنافقين مفصلا، أما الكفار فذكرهم استطراد نارَ جَهَنَّمَ يعذبهم بها جزاء لما اقترفوا من الآثام خالِدِينَ فِيها دائمين لا يخرجون منها هِيَ حَسْبُهُمْ أى أن النار تكفيهم جزاء لذنوبهم و كفرهم و نفاقهم وَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ طردهم عن نعيمه و رضوانه، فإن اللعن بمعنى الطرد وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ يقيم عليهم فلا يجدون خلاصا منه. و لعل المراد بذلك: العذاب العام فى الدنيا و الآخرة، فإن النفاق خلة يكون صاحبها دائم التعب و النصب لأنه بين المؤمن، المهين له، الحذر منه، و بين الكافر الذى لا يقبله لأنه لم يتمسك بالكفر كما تمسك الكافر الصريح بكفره.

[۶٩] إن هؤلاء المنافقين حالهم كحال الذين مِنْ قَبْلِكُمْ من الكفار و المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان بالأنبياء و يبطنون الكفر، أو يحادّون الأنبياء و يكفرون بما أنزل إليهم كانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً فإن بعض الأمم كانت قواهم المادية و الجسمية أكثر من أمة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- كما يشهد بذلك التاريخ- وَ أَكْثَرَ أَمْوالًا وَ أَوْلاداً لخصوبة النسل فيهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ۴٢۴

و ازدهار التجارة و العمران عندهم فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ «الخلاق» النصيب، أى صرفوا نصيبهم من المال و القوة و الأولاد فى الاستمتاع و الملذات عوض أن يصرفوها فى شكر المنعم و ما أمر به فَاسْتَمْتَعْتُمْ أنتم- يا أمة محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- أى المنافقون منهم بِخَلاقِكُمْ أى بنصيبكم كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ دون أن تعتبروا بمصيرهم فتصرفوا نعم الله سبحانه فيما أمر وَ خُضْتُمْ فى الكفر و الاستهزاء و ملاذ الدنيا كَالَّذِي خاضُوا أى كخوض أولئك الأولين أُولئِكَ الذين صنعوا هذه الصنائع السيئة حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ الحسنة، لأن الحسنة لا تقبل مع الكفر و النفاق و العصيان، قال سبحانه: إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ «١». و معنى الحبط ذهاب الأجر فِي الدُّنْيا إذ لم ينتفعوا بها، فإن الانحراف عن مناهج الله سبحانه يوجب المشاكل التى لا تكافأ بها الأعمال، فمثلا الثروة توجب رفاه الإنسان، أما إذا كانت مقترنة بالانحراف فإنها توجب الضنك و الضيق عوض الرفاه وَ الْآخِرَةِ فلا ثواب لأعمالهم الخيرة وَ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ الذين خسروا أنفسهم و كل شيء عندهم.

---

(١) المائدة: ٢٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ۴٢۵

[سورة التوبة (٩): الآيات ٧٠ الى ٧١]

أَ لَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عادٍ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمِ إِبْراهِيمَ وَ أَصْحابِ مَدْيَنَ وَ الْمُؤْتَفِكاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠) وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)

[٧٠] أَ لَمْ يَأْتِهِمْ استفهام إنكارى، أى ألم يأت إلى هؤلاء المنافقين نَبَأُ أى خبر الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الأمم قَوْمِ نُوحٍ عليه السّلام حيث أهلكهم الله بالغرق وَ عادٍ قوم هود عليه السّلام أهلكهم الله بالريح وَ ثَمُودَ قوم صالح عليه السّلام أهلكهم بالرجفة وَ قَوْمِ إِبْراهِيمَ عليه السّلام نمرود و أتباعه، حيث سلب الله ملكهم و نعمتهم وَ أَصْحابِ مَدْيَنَ قوم شعيب عليه السّلام أهلكهم بعذاب يوم الظلة وَ الْمُؤْتَفِكاتِ من «ائتفك» بمعنى انقلب، أى البلاد التى انقلبت و هى بلاد قوم لوط عليه السّلام حيث أهلكوا، و ذلك أن الله سبحانه أمر جبرائيل فقلب تلك المدن بأن جعل عاليها سافلها أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ أى بالحجج الظاهرة و الأدلة البينة، لكنهم عصوا و أبوا و تمردوا على الله و رسله فأهلكهم الله بذنوبهم و ما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ فتعذيبهم بأنواع العذاب لم يكن ظلما منه سبحانه لهم وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فقد عوقبوا بسبب تمرّدهم و عصيانهم، و هؤلاء الكفار و المنافقون حالهم حال أولئك، إن تمردوا و عصوا أخذوا بذنوبهم، فليحذروا أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم.

[٧١] و لما بيّن سبحانه صفات المنافقين و ما فعل بهم كما فعل بأسلافهم، بيّن صفات المؤمنين و العاقبة الحسنة التى تنتظرهم وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ فإن كل واحد منهم ينصر صاحبه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۴٢۶

[سورة التوبة (٩): آية ٧٢]

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)

و يؤيده و يعينه، لأنهم من عنصر واحد و أصل واحد و تجمعهم عقيدة واحدة يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ أى الأمور الحسنة التى يعرفها الناس من واجب أو مندوب شرعا و عقلا وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ الذى ينكره الناس من حرام أو مكروه شرعا و عقلا وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ يداومون على فعلها و يحثّون الناس عليها وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ أى الحق المفروض، أو مطلق الصدقة، فإن الزكاة تطلق عليهما وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فيما يأمرهم و ينهاهم أُولئِكَ المؤمنون الذين هذه صفاتهم سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إما المراد: رحمتهم فى الجنة، و لذا دخلت «السين»، و إما المراد: فى الدنيا، و دخول «السين» لإفادة كون الرحمة إنما تأتى بعد مدة من استمرارهم فى العمل و نجاحهم فى الامتحان، فلا يتوقع المؤمن أن تشمله الرحمة فورا بمجرد وقوعه فى مشكلة، و إنما تؤخر عنه للامتحان و الاختبار إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غالب على أمره متمكن من إنفاذ إرادته حَكِيمٌ فى تدبيره و فعله، فيفعل الأشياء حسب المصلحة.

[٧٢] وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ بالإضافة إلى الخير فى هذه الحياة جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ من تحت قصورها و أشجارها خالِدِينَ فِيها دائمين لا يزولون عنها وَ وعدهم مَساكِنَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۴٢٧

[سورة التوبة (٩): آية ٧٣]

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣)

طَيِّبَةً مهيأة فيها الأثاث و الرياش، طيبة الهواء و المرافق بحيث يطيب فيها العيش فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ العدن، و الإقامة و الخلود، نظائر، أى أنهم فى جنات الخلود.

و ورد فى بعض الأحاديث: «إنها أعلى الجنان مما لم يخطر على قلب بشر»

«۱» وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ أى أن رضاه سبحانه على هؤلاء المؤمنين أكبر من كل ذلك، فإن الإنسان إذا علم برضى الكبير منه ارتاح ضميره، فكيف به لو علم برضاه سبحانه عنه.

و من المعلوم أن ارتياح الضمير أكبر من ارتياح الجسد.

ذلِكَ النعيم الجسدى و الروحى للمؤمنين و المؤمنات هُوَ الْفَوْزُ و النجاح الْعَظِيمُ الذى لا نجاح فوقه و لا فوز أكبر منه و أعظم.

[۷۳] و حيث ذكر سبحانه أحوال الكفار و المنافقين و بيّن صفاتهم الذميمة، أوجب الجهاد لتخليص البشرية منهم يا أَيُّهَا النَّبِيُّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جاهِدِ الْكُفَّارَ بالمقاتلة و المحاربة و بيان عقائدهم السخيفة، فإن هذا الجهاد نوع من أنواع الحرب الباردة- فى الاصطلاح الحديث- وَ الْمُنافِقِينَ و جهاد المنافقين بالوعظ و الإنذار لهم، و إجراء الحدود عليهم، و تخويف الناس من النفاق. و قد كان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يجاهدهم مرة بإظهار نفاقهم، و تارة بضرب الحصار عليهم، كما قال سبحانه:

---

(۱) المستدرك: ج ۶ ص ۶۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۲، ص: ۴۲۸

[سورة التوبة (۹): آية ۷۴]

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ما قالُوا وَ لَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا وَ ما نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْناهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ ما لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (۷۴)

وَ عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا «۱»، و أخرى بنهى المؤمنين عن أن يتصفوا بخلة النفاق.

و من المحتمل أن يراد بالمنافق هنا: الكافر المنافق، فإن بعض الكفار ينافق بإظهار الودّ للمسلم و تأليفه و هو ألد الأعداء له، فى مقابل الكافر الصريح الذى يظهر عداءه و شحناءه.

وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ حتى يرتدعوا، فإن الغلظة فى الكلام و السلوك مع شخص خليق بأن يردعه عن عمله، كما قال سبحانه: أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ «۲»، وَ مَأْواهُمْ أى محلهم و مصيرهم، من «أوى» إذا اتخذ مكانا جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ أى بئس المرجع و المأوى لهم.

[۷۴] و من المنافقين من يتآمرون على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يقولون عنه أشياء، إذا استنطقهم الرسول حلفوا بالله كذبا أنه لم يصدر منهم شى‌ء،

فقد كان جماعة منهم خرجوا مع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى «تبوك» و كانوا كارهين لذلك، فإذا خلا بعضهم إلى بعض سبوا الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و انتقصوه، فأبلغ ذلك «حذيفة» إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فطلبهم و قال: ما هذا الذى بلغنى عنكم. فأخذوا يحلفون بالله ما قالوا شيئا، فأنزل الله سبحانه هذه الآية تفضحهم

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ما قالُوا أى أقسم هؤلاء المنافقون بالله بأنهم لم يقولوا شيئا ضد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ لَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ فإنهم

---

(۱) التوبة: ۱۱۸.

(۲) الفتح: ۳۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۲، ص: ۴۲۹

بسبّ النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الطعن فى الإسلام صاروا كفارا وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ الظاهرى، فإن المنافق إذا أظهر الإسلام صار مسلما، فإذا صدرت منه كلمة الكفر صار كافرا.

لا يقال: إنهم إن كفروا وجب عليهم حدّ المرتد.

لأنا نقول: إنهم كانوا مرتدين عن ملّة، و لا يحدّ مثلهم، و إنما يستتابوا، و إنكارهم كان بمنزلة التوبة، و إن كان توبة صورية لا حقيقية. وَ هَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا فقد أرادوا إخفاء نور الإسلام، و ذلك يتحقق بكل ما يهتم به المنافق من إرادة قتل النبى، و إيجاد الفساد بين المسلمين، و إخراج الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من المدينة، لكنهم لم ينالوا ذلك و لم يقدروا على ما هموا به، بل انعكس الأمر فقد زاد الإسلام علوّا، و الرسول ارتفاعا، و المسلمون سموّا.

و قد ورد فى بعض الأحاديث: تأويل الآية بالذين خالفوا الرسول فى قصة «غدير خم» و أرادوا إخماد نور الوصى، و قالوا فى الرسول كلاما بذيئا «۱».

وَ ما نَقَمُوا النقمة الإنكار و الغضب، أى أن هؤلاء لم ينكروا على المسلمين إِلَّا أَنْ أَغْناهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فإن الله سبحانه أغنى المسلمين و أنعم عليهم، بفضل إرشادات الرسول، فلم يكن

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۳۷ ص ۱۱۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۳۰

[سورة التوبة (۹): آية ۷۵]

وَ مِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (۷۵)

للمسلمين ذنب يستحقون به النقمة من المنافقين، و لكن المنافقين كرهوا ذلك حسدا، أو المراد: أن الله أغنى هؤلاء المنافقين، فكان من اللازم أن يحبوا الله و رسوله حيث أعطاهم الغنائم لكنهم جعلوا مكان الشكر كفرانا، كما يقال: «لم يكرهنى فلان إلا لأنى أحسنت إليه».

فَإِنْ يَتُوبُوا عن نفاقهم و يرجعوا إلى الحق يَكُ خَيْراً لَهُمْ فى دنياهم و فى آخرتهم حيث يكونون كسائر المسلمين لا يجتنب أحد منهم و لا يكرههم المسلمون، و يقال فى مثل هذه المواضع «خير» مقابل ما يظن أنه خير، و إن لم يكن إلا شرا واقعا وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا أى يستمروا على إعراضهم عن الحق و سلوكهم سبيل النفاق يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذاباً أَلِيماً مؤلما موجعا فِي الدُّنْيا باجتناب المسلمين لهم، و تضييق العيش عليهم، كما قال سبحانه: وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً «۱»، وَ فى الْآخِرَةِ بالنكال و النار وَ ما لَهُمْ ليس لهم فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍ يلى أمورهم و يحبهم وَ لا نَصِيرٍ ينصرهم، فليس كما ظنوا أن المنافقين ينصرونهم إذا وقعوا فى المشاكل، فإن المنافق حيث اختمر على طبيعة النفاق، لا ينصر حتى أخاه و أقرب الناس إليه.

[۷۵] وَ مِنْهُمْ من المنافقين مَنْ عاهَدَ اللَّهَ أى عهد مع الله لَئِنْ آتانا

---

(۱) طه: ۱۲۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۳۱

[سورة التوبة (۹): الآيات ۷۶ الى ۷۷]

فَلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (۷۶) فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ وَ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ (۷۷)

مِنْ فَضْلِهِ أعطانا الله من كرمه وجوده لَنَصَّدَّقَنَ نتصدق على الفقراء وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فيما أعطانا الله فننفق المال فى وجهه، و لا نكون مفسدين مسرفين.

روى عن الإمام الباقر عليه السّلام أنه قال: هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عوف كان محتاجا فعاهد الله، فلما آتاه بخل به. و فى التفاسير: أنه قال للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا رسول الله! ادع الله أن يرزقنى مالا. فقال: يا ثعلبة «قليل تؤدى شكره خير من

کثیر لا تطیقه» فقال:

و الذی بعثک بالحق لئن رزقنی الله مالا لأعطین کل ذی حق حقه.

فدعا له الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فاتخذ غنما، فنمت کما ینمو الدود حتی ضاقت بها المدینهٔ، فنزل وادیا و انقطع عن الجماعهٔ و الجمعهٔ، و بعث رسول الله المصدق لیأخذ الصدقهٔ، فأبی و بخل و قال: ما هذه إلا أخت الجزیهٔ. فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «یا ویح ثعلبهٔ یا ویح ثعلبهٔ» «۱».

[۷۶] فَلَمَّا آتاهُمْ أی أعطاهم الله مِنْ فَضْلِهِ وجوده ما طلبوه بَخِلُوا بِهِ و لم یدفعوا حقه و لم یفوا بما عاهدوا علیه وَ تَوَلَّوْا أی أعرضوا عن إعطاء حقه کما أمر الله وَ هُمْ مُعْرِضُونَ عن دین الله و أحکامه و أوامر الرسول و أعمال الخیر.

[۷۷] فَأَعْقَبَهُمْ فأورثهم بخلهم و نقضهم لعهد الله نِفاقاً فِی قُلُوبِهِمْ

---

(۱) مستدرک الوسائل: ج ۱۳ ص ۲۵۶.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۳۲

[سورة التوبة (۹): آیة ۷۸]

أ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ یَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُیُوبِ (۷۸)

فإن الإنسان إذا أعرض عن أمر کبیر لا- بد و أن یختلق لنفسه تبریرات و أعذارا، لیبرّر موقفه، و ذلک هو النفاق إِلی یَوْمِ یَلْقَوْنَهُ أی یلقون جزاء بخلهم، فالضمیر عائد إلی البخل، و أرید به جزاءه، أو المراد نفس البخل، بناء علی تجسیم الأعمال، أو الضمیر عائد إلی الله سبحانه المعلوم من السیاق، و «ملاقاة الله» إنما هی فی القیامة بملاقاة حسابه، فإنه سبحانه منزّه عن المکان و الرؤیة.

و ذلک بسبب ما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ بسبب خلفهم للعهد الذی عاهدوا، من أن الله إذا أعطاهم من فضله تصدّقوا و کانوا شاکرین وَ بِما کانُوا یَکْذِبُونَ أی و بسبب کذبهم علی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو المراد بالکذب علیه: أن الصدقة أخت الجزیهٔ- کما تقدم-.

[۷۸] أ لَمْ یَعْلَمُوا استفهام إنکاری، أی ألیس یعرف هؤلاء المنافقون أَنَّ اللَّهَ یَعْلَمُ سِرَّهُمْ المخفی فی نفوسهم وَ نَجْواهُمْ التی یتناجون بها مع أمثالهم من المنافقین؟ فإن المنافق لا بد و أن یتناجی مع أمثاله لجعل حلول و مبرّرات لموقفهم النفاقی، کما تدور الأسرار فی نفوسهم فیقلبون أوجه الرأی للخلاص من مأزقهم وَ أَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُیُوبِ یعلم ما غاب عن الحواس، من الأمور المختفیة فی النفوس، و النجوی، و غیرهما، فإذا علموا ذلک، فلما ذا لا یخشون منه سبحانه و لا یفعلون حسب مرضاته؟

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۳۳

[سورة التوبة (۹): الآیات ۷۹ الی ۸۰]

الَّذِینَ یَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِینَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ فِی الصَّدَقاتِ وَ الَّذِینَ لا یَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَیَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ (۷۹) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِینَ مَرَّةً فَلَنْ یَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذلِکَ بِأَنَّهُمْ کَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْفاسِقِینَ (۸۰)

[۷۹] و کان من المنافقین من یرصدون للمسلمین لیعیبونهم، فقد جاء رجل من المؤمنین بصاع من تمر للصدقهٔ، فقال المنافقون: إن الله غنی عن صاعه، و إنما جاء بذلک حتی یذکر فی المتصدقین. و جاء رجل آخر بصرّة من دراهم، فقالوا: إنه جاء بذلک للریاء، فعابوا المکثر بالریاء، و المقل بالإقلال، فنزل قوله تعالی: المنافقون الَّذِینَ یَلْمِزُونَ «اللّمز» هو الطعن، أی یطعنون الْمُطَّوِّعِینَ أی معطی الصدقة تطوعا من «اطّوع»، أصله «تطوع»، أدغمت التاء فی الطاء، و جیء بهمزة الوصل، لتعذر الابتداء بالساکن مِنَ الْمُؤْمِنِینَ و لعلّ ذکر هذا للدلالهٔ علی أن إیمان المتطوع کان اللازم أن یحجز القائلین من الطعن بهم، لکنهم منافقون لا- یبالون بالإیمان و المؤمنین فِی

الصَّدَقاتِ كما طعنوا فيمن أعطى الدراهم وَ يلمزون الَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ أى إلّا طاقتهم فى الإنفاق و التصدق، كما عابوا من أعطى الصاع فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ و يستهزئون بهم سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ أى يجازيهم جزاء سخريتهم. و قد تقدم تفصيل الكلام فى سورة البقرة، فى قوله سبحانه: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ «١»، وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ مؤلم موجع.

[٨٠]

روى أنه عند نزول آية «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ» فى حق المنافقين قالوا: يا

---

(١) البقرة: ١۶. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ۴٣۴

رسول الله استغفر لنا فوعدهم النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالاستغفار، فنزلت الآية

: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ يا رسول الله أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ الصيغة الأولى للأمر، و المراد بها المبالغة فى الإياس، أى سواء استغفرت لهم أم لم تستغفر فإنهم لا يستحقون الغفران، و لذا لا يغفر الله لهم إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً صيغة مبالغة يراد بها الكثرة، كما يقال: «لو قلت لى ألف مرة ما قبلت» لا- يريد الألف، بل المراد أنه لا- يقبل و إن قال فوق الألف فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ لأنهم جبلوا على النفاق و الجبل عليه لا يفيده الاستغفار، و هذا ليس إهانة للرسول- كما زعم- بل أفرغ التوبيخ لأولئك فى هذا القالب، كما تقدم فى قوله: (وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) «١».

و إن قيل: كيف جاز للرسول أن يعدهم بما لم يفعل؟

قلنا: إن ثبتت الرواية، لم يكن به بأس لأن الاستغفار إنما كان لأجل أن يغفر الله، فإذا أخبر سبحانه بأنه لا يغفر لم يبق للاستغفار مجالا، كما لو وعد إنسان بإطعام زيد ثم مات زيد. ثم إنه كان مراد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الاستغفار بالشرط فلم يكن إخبارا مطلقا حتى يقال أنه يلزم جهله بالمستقبل، و أنه تكلم من عند نفسه، و هذا ينافى قوله تعالى: «ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى «٢».

---

(١) الأعراف: ١۵١.

(٢) النجم: ۴ و ۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ۴٣۵

[سورة التوبة (٩): آية ٨١]

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَ كَرِهُوا أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ قالُوا لا تَنْفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ (٨١)

ذلِكَ الذى تقدم من عدم قبول توبتهم و عدم فائدة الاستغفار بالنسبة إليهم بسبب أنهم أى المنافقين كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ كفرا باطنا، و إن أظهروا الإسلام وَ اللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ فإنه سبحانه لا يلطف بهم اللطف الخفى بعد أن خرجوا عن طاعته و خالفوا أوامره عن علم و عمل.

[٨١] فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ «المخلّف» بصيغة المفعول من باب «التفعيل» هو المتروك خلف من مضى، و سمّى مخلفا لأنه تخلّف بنفسه، أو خلّفه شخص آخر و أبقاه، كالمؤخّر، بِمَقْعَدِهِمْ هو «مصدر ميمى» بمعنى «القعود» أى أن من تخلفوا عن الجهاد فى تبوك، فرحوا بقعودهم خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ أى بعده، أو بمعنى: بقاؤهم خلافا للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقد فرحوا بأنهم نجوا من تلك السفرة المتعبة الخطرة وَ كَرِهُوا أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ ترجيحا للراحة على التعب فِى سَبِيلِ اللَّهِ و لإعلاء كلمته وَ قالُوا قال أولئك المخلّفون للمسلمين و لنظرائهم من المنافقين: لا- تَنْفِرُوا أى لا تذهبوا للجهاد فِى الْحَرِّ فإن وقت خروجهم كان مصادفا للحر

الشدید قُلْ یا رسول الله لهؤلاء: نارُ جَهَنَّمَ التی تجب للمتخلّف أَشَدُّ حَرًّا من هذه الحرارة التی یلاقیها المجاهدون، فهی أولی بالاحتراز من هذه

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۳۶

[سورة التوبة (۹): الآیات ۸۲ الی ۸۳]

فَلْیَضْحَکُوا قَلِیلًا وَ لْیَبْکُوا کَثِیراً جَزاءً بِما کانُوا یَکْسِبُونَ (۸۲) فَإِنْ رَجَعَکَ اللَّهُ إِلی طائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوکَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِیَ أَبَداً وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِیَ عَدُوًّا إِنَّکُمْ رَضِیتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِینَ (۸۳)

لَوْ کانُوا یَفْقَهُونَ أی یفهمون، و المعنی: أنهم لو فقهوا لعلموا أن نار جهنم أولی بالاحتراز و التجنّب.

[۸۲] إن الفرح الذی فرحه المخلفون بسبب بقائهم یوجب لهم العذاب الدائم، فاللازم أن یضحکوا قلیلا- لأنه لم یبق لهم مجال للضحک، فقد استحقوا بذلک العقاب، و المهدّد لا یضحک فَلْیَضْحَکُوا قَلِیلًا إنه لیس أمرا بالضحک و إنما بیان لوجوب التقلیل من ضحکهم وَ لْیَبْکُوا کَثِیراً حیث عملوا ما یستحقون به البکاء حیث اشتروا النار بفرارهم من الزحف جَزاءً بِما کانُوا یَکْسِبُونَ من النفاق و التخلّف عن الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

[۸۳] فَإِنْ رَجَعَکَ اللَّهُ یا رسول الله من هذه الغزوة- غزوة تبوک- إِلی طائِفَةٍ مِنْهُمْ لا خصوصیة للرجوع إلی الطائفة، و إنما المقصود ترتیب الأثر علی تلک الطائفة من المنافقین الذین تخلفوا عن تبوک فَاسْتَأْذَنُوکَ أی طلبوا منک الإذن لِلْخُرُوجِ معک إلی غزوة أخری فَقُلْ لهم: لَنْ تَخْرُجُوا مَعِیَ أَبَداً إلی الغزوة وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِیَ عَدُوًّا فإنا قطعنا عنکم و لا صلة بیننا و بینکم إِنَّکُمْ رَضِیتُمْ بِالْقُعُودِ عن الجهاد أَوَّلَ مَرَّةٍ فی غزوة تبوک فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِینَ الذین

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۳۷

[سورة التوبة (۹): آیة ۸۴]

وَ لا تُصَلِّ عَلی أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلی قَبْرِهِ إِنَّهُمْ کَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ (۸۴)

یخالفوننا، و کونوا معهم دائما، إن الذی یترک الإنسان فی ساعة العسرة لا یصلح أن یکون معه، فطبعه طبع انهزامی مخلد إلی الدعة، و لو خرج لم یزد إلا خبالا و خذلانا، فلذا کان اللازم أن یجتنب عنه إطلاقا، بالإضافة إلی أن الإسلام فی غنی عنه، و هو لا یستحق شرف الجهاد فلیبق فی بیته و یکن مع الخالفین.

[۸۴] ثم نهی سبحانه نبیه عن الصلاة علی مثل هؤلاء المنافقین لیحذر غیرهم من النفاق، و لأنهم لا یستحقون الرحمة و الغفران وَ لا تُصَلِّ عَلی أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أی إذا مات أحد هؤلاء المنافقین فلا تصلّ علی میتهم أَبَداً أی إلی الأبد، فإنه تجوز الصلاة علی من لم یصلّ علیه إلی آخر العمر- علی قول- لکن المنافق لا- یستحق ذلک وَ لا- تَقُمْ عَلی قَبْرِهِ أی لا- تقف علی قبره للدعاء کما هو عادة الناس أن یقفون علی قبر المسلم یدعون له و یستغفرون من أجله.

و ذلک بسبب إِنَّهُمْ کَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ و إسلامهم الظاهری إنما حقن دماءهم و حفظ أموالهم و أعراضهم، لکنه لم یدخلهم فی زمرة المؤمنین الذین لهم الکرامة وَ ماتُوا وَ هُمْ فاسِقُونَ خارجون عن طاعة الله سبحانه. ثم إن المراد ب «الصلاة» طلب الرحمة له، کما أن المراد ب «الوقوف علی قبره» ذلک، فلا ینافی ذلک ما فعله النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعبد الله ابن أبیّ المنافق الذی مات فصلّی الرسول علیه، و لعنه عقیب الرابعة. ثم إنه قد اختلفت الأقوال حول هذا المنافق مما لا یهمنا التعرّض له.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۳۸

[سورة التوبة (۹): الآیات ۸۵ الی ۸۶]

وَ لا تُعْجِبْکَ أَمْوالُهُمْ وَ أَوْلادُهُمْ إِنَّما یُرِیدُ اللَّهُ أَنْ یُعَذِّبَهُمْ بِها فِی الدُّنْیا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ کافِرُونَ (۸۵) وَ إِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَ جاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَکَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَ قالُوا ذَرْنا نَکُنْ مَعَ الْقاعِدِینَ (۸۶)

[۸۵] وَ لاـ تُعْجِبْكَ يا رسول الله، أى لا تنظر نظرة إعجاب- المستلزمة للتكريم- أَمْوالُهُمْ أى أموال المنافقين وَ أَوْلادُهُمْ الكثيرة، كيف قد منحوا ذلك، و أنها تدل على تكريم الله لهم، بل بالعكس إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِها بهذه الأموال و الأولاد فِي الدُّنْيا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ «زهق النفس» عبارة عن هلاكها وَ هُمْ كافِرُونَ فهم بين عذاب الدنيا للمال و الأولاد من التبعة و الهموم، و بين عذاب الآخرة حيث أنهم يموتون مع الكفر. و قد مر تفسير الآية فراجع.

و لعل المقصود من تكرار الآية: النهى عن هذا النوع من التكريم اللاشعورى للكفار و المنافقين، فإن نظر الإعجاب هو نظر التكريم، فيختلف المقصود هنا من المقصود هناك.

[۸۶] وَ إِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ من القرآن الكريم تتضمن أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ إما بالنسبة إلى غير المؤمنين، و إما بالنسبة إلى المنافقين، أى آمنوا إيمانا صحيحا، و إما بالنسبة إلى المؤمنين بقصد إبقائهم على الإيمان و استقامتهم فيه نحو «اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ» وَ جاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ لإعلاء كلمة الإسلام، فآمنوا، و ادعوا غيركم إلى الإيمان و الجهاد اسْتَأْذَنَكَ أى طلب منك الإذن فى عدم الجهاد أُولُوا الطَّوْلِ أى أصحاب المال و القدرة و الغنى مِنْهُمْ من المنافقين وَ قالُوا ذَرْنا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۳۹

[سورة التوبة (۹): الآيات ۸۷ الى ۸۹]

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَ طُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ (۸۷) لكِنِ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ أُولئِكَ لَهُمُ الْخَيْراتُ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۸۸) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۸۹)

أى دعنا نَكُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ الذين ليس عليهم جهاد، من النساء و الصبيان و العاجزين.

[۸۷] رَضُوا أى رضى هؤلاء المنافقين بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ جمع «خالفة»، و هى المرأة سميت به لأنها تتخلف عن الجهاد، أو هو أعم من «الخالف» فإن «فارس» يجمع على «فوارس»، و المراد: كل من تخلف عن الجهاد من النساء و الصبيان و العاجزين وَ طُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فإنهم بسبب نفاقهم طبع عدم الإيمان على قلوبهم فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ قبح عملهم و تركهم للجهاد، كشأن كل إنسان انغمر فى الشهوات و المفاسد، فإنه لا يعرف قبح عمله بل يراه حسنا.

[۸۸] لكِنِ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ إيمانا صادقا جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ بإنفاقها فى سبيل الله. و سمى جهادا لأن بذل المال يحتاج إلى جهد النفس و تعبها وَ أَنْفُسِهِمْ يقاتلون الكفار و يجالدون المردة الفجار وَ أُولئِكَ لَهُمُ الْخَيْراتُ المنافع و الأشياء الخيرة من خيرات الدنيا و الآخرة، فإنهم يحرزون حسن السمعة و المال فى الدنيا، و النعيم فى الجنة وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفائزون الناجحون.

[۸۹] أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ أى من تحت أشجارها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۴۰

[سورة التوبة (۹): آية ۹۰]

وَ جاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَ قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۹۰)

و قصورها، فهم مشرفون على الأنهر الجارية، و فى ذلك لذة و متعة خالِدِينَ فِيها أبدا لا خروج لهم منها، و لا زوال لنعيمها عنهم ذلِكَ الإحراز للخيرات و للجنات الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الذى لا شىء أعظم منه.

[۹۰] أمام الحركات ينقسم الناس إلى ثلاثة أصناف: قسم يأتى و ينضم إلى الحركة، و قسم لا يأتى و لا يعتذر، و قسم يأتى و يعتذر. و هكذا حدث فى غزوة تبوك، فالمؤمنون الصادقون انضموا إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و المنافقون بعضهم جاء ليعتذر بلا مبرّر، و بعضهم لم يجئ إطلاقا حتى للاعتذار وَ جاءَ الْمُعَذِّرُونَ من «اعتذر» باب «التفعيل» بمعنى: أبدى العذر بدون أن يكون ذا عذر فى الحقيقة مِنَ الْأَعْرابِ إما المراد بهم:

أهل البدو، و إما المراد: أهل الحضر، لكنهم شبّهوا بالأعراب فى عدم استحقاقهم التكريم، كما قال سبحانه: (الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ

نِفاقاً) «۱».

جاء هؤلاء لِيُؤْذَنَ لَهُمْ أى يأذن لهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى التخلّف عن الجهاد وَ قَعَدَ المنافقون الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فى باطنهم، و إن أظهروا التصديق فى الظاهر- كما هو شأن المنافق- فإن هؤلاء لم يأتوا إلى النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للاعتذار بل قعدوا فى مكانهم و كأن أمرا لم يحدث سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ من هؤلاء عَذابٌ أَلِيمٌ مؤلم موجع، و إنما خصص جماعة منهم لأنهم لم يكفروا كلهم، فالمعذورون من

---

(۱) التوبة: ۹۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۴۱

[سورة التوبة (۹): آية ۹۱]

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ وَ لا عَلَى الْمَرْضى وَ لا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۹۱)

الأعراب غالبا لا ينطوون على الكفر، و إنما يتخلّفون تكاسلا.

[۹۱] ثم بيّن سبحانه أهل الأعذار الذين يسقط عنهم الجهاد بقوله: لَيْسَ عَلَى الضُّعَفاءِ جمع «ضعيف» كالشيخ الكبير، و الضعيف البنية، و العاجز لعمى أو زمانه أو ما أشبه- مما لا يسمّى مرضا- وَ لا عَلَى الْمَرْضى جمع «مريض» و هم أصحاب الأسقام و العلل المانعة عن الجهاد وَ لا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ ليست معهم نفقة الخروج و أسباب السفر حَرَجٌ ضيق، فلا جناح عليهم فى التخلّف عن الجهاد إِذا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ بأن أخلصوا العمل من الفسق، و كانوا ناصحين فى قرارة نفوسهم. و ليس المعنى: وجود الحرج لغير الناصح- من جهة عدم الجهاد- بل المراد: أن عدم الحرج المطلق إنما يترتب على العاجز الناصح، أما العاجز المنافق فعليه حرج من جهة نفاقه.

ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ لا سبيل على تعذيبهم و لا جناح عليهم، فإنهم محسنون فى أعمالهم. و لا يخفى أن الآية لا تدل على أن مريد الإحسان لا جناح عليه و إن أساء، فإن الظاهر منها أن المحسن حقيقة لا جناح عليه وَ اللَّهُ غَفُورٌ لذنوبهم رَحِيمٌ بهم، فلا يحمّلهم فوق طاقتهم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۴۲

[سورة التوبة (۹): الآيات ۹۲ الى ۹۳]

وَ لا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ (۹۲) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَ هُمْ أَغْنِياءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۹۳)

[۹۲] وَ لا- سبيل و جناح عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ «ما» زائدة تأتى لتزيين الكلام، أى إذا جاءوك يا رسول الله لِتَحْمِلَهُمْ أى يسألونك مركبا يركبون عليه ليجاهدوا قُلْتَ يا رسول الله: لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ فليس عندى مركب تركبونه تَوَلَّوْا أى رجعوا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أعينهم تسيل بالدموع من حزنهم أَلَّا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ ينفقونه لأجل تهيئة وسائل الجهاد.

ورد أن سبعة من الأنصار جاءوا إلى الرسول يطلبون منه المركب ليرافقوه فى غزوة، فاعتذر منهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأنه لا يجد ما يحملهم، فرجعوا باكين «۱». و فيهم نزلت الآية.

[۹۳] إِنَّمَا السَّبِيلُ أى السبيل لعقابهم و لومهم عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ يطلبون إذنك للتخلّف عن الجهاد و البقاء فى المدينة وَ هُمْ أَغْنِياءُ قادرون على الجهاد و نفقاته رَضُوا أى رضى هؤلاء المستأذنون بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ من النساء و الصبيان و العاجزين وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ بسبب نفاقهم فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ بأن تخلّفهم عن الجهاد يسبب

(۱) راجع مجمع البيان: ج ۵ ص ۱۰۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۴۳

تقريب القران الى الأذهان الجزء الحادى عشر من آية ۹۴ من سورة التوبة إلى آية ۶ من سورة هود

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۴۴

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد للّه رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۴۵

[سورة التوبة (۹): آية ۹۴]

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبارِكُمْ وَ سَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۹۴)

[۹۴] لنذكر طرفا يسيرا من هذه الغزوة «تبوك» من كراس «رسول الإسلام فى المدينة» من السلسلة التى وضعناها فى قادة الإسلام «۱»:

لما خرج الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من المدينة استعرض الجيش فكانوا ثلاثين ألفا، فغمر الجيش الفرح لكثرة عددهم، لكنهم عانوا فى هذه السفرة أشد أنواع الجوع و العطش، فالمضرة كبيرة، و الحر شديد، و القلوب متعلقة بالمدينة، إذ نضجت الثمار، و حان قطفها، و المركوب قليل، حتى أن العشرة منهم كانوا يتناوبون فى ركوب جمل واحد، و الطعام قليل جدا، ففى بعض الأحيان كان نفران منهم يتقاسمان تمرة واحدة شق لهذا و شق لذاك، و أصابهم أشد العطش فكانوا ينحرون إبلهم العزيزة، لينقبوا كروشها، و يشربوا ماءها، أو يعتصروا فرثها ليشربوا عصيره ثم يجعل ما بقى على كبده، حتى أن بعضهم رأى الموت بعينيه، فطلبوا من النبى الاستسقاء، فدعا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رافعا يديه إلى السماء. قال الراوى: فلم يرجعوا حتى هطلت السماء بمطر غزير.

هذا بالإضافة إلى الإشاعات التى ملكت القلوب- و إن سارت بأجسامها مع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- أنه لا بد و أن تقضى جيوش الروم الهائلة المنظمة على الجيش الإسلامى، فلا يبقى منه أحد ..

و سار الرسول حتى وصل «تبوك» و قد كان «هرقل» وزع رواتب سنة كاملة على جيشه، كما وزع أموالا طائلة على القبائل التى استخدمها لقتال المسلمين، و هم لخم و جذم و عاملة و غسان و غيرها ... و قد أتت الروم أنباء هائلة عن جيش المسلمين، مما رأوا أن

(۱) للمؤلف.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۴۶

من الصالح عدم دخولهم فى قتال لا يعرف مصيره، و قد كان الروم شاهدوا فى حرب «مؤتة» قتال المسلمين، فإذا لم يتمكن جيشهم، و عدده «مائتا ألف» من جيش «مؤتة» الذى كان بقيادة جعفر عليه السّلام و عدده «ثلاثة آلاف» فكيف يقاوم جيشهم جيش الإسلام كله و هم لا يعلمون عدده من الكثرة بقيادة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. و لذا قرروا انسحاب الجيش، فانسحبوا قبل الاصطدام بجيش المسلمين.

وصل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى «تبوك» فلم يلق جيشا، فاستشار أصحابه فى غزو بنى الأصفر- أى الروم- و الرجوع إلى المدينة؟ فأشاروا على الرسول بالرجوع، فبقى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هناك عشرين يوما، و عقد الاتفاقيات مع الزعماء و القبائل، فأرسل إلى أصحاب أيلة: «يوحنا بن روبة» بالإذعان للمسلمين أو الغزو؟ لكن «يوحنا» كان رجلا حكيما، فاختار الإذعان، و تم الاتفاق بإعطائه الجزية للدولة الإسلامية، و عدم التعرض للدعوة الإسلامية ... و عقد الصلح بين المسلمين و بين أهل «جرباء» و هى قرية فى منطقة «عمان» بالبلقاء، من أراضى الشام، على مثل المصالحة مع صاحب أيلة ... و عقد الصلح بين المسلمين و بين أهل

«أذرح» قريـة أخرى قريبـة من الجرباء بمثل مصالحـة الجرباء .. و تم الصـلح بين المسـلمين و بين «الأكيدر» ملك «دومة الجندل» على بذل الجزية و عدم التعرض للمسلمين.

و انتظر الرسول جيوش الروم لكنها لم ترحف، فأخذ الجيش الإسـلامى طريقه إلى المدينـة بعد ما أمن الحدود الشـمالية، و صارت له منعـة و قوة، و فتحت مجالات الإسـلام فى القلوب و المـدن و القرى، و إذا بالمدينـة تشاهـد غبار جيش الإسـلام المنتصـر على الإمبراطورية

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ۴۴۷

يبدو فى الأفق البعيد، و يقترب رويدا رويدا، و إذا بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يزحف بهذه الجيوش المنتصرة فى هيئة الرسالة السـماوية، و يلتقى الإمام بالرسول تلاقى الأخ بأخيه فى فرح و سرور، فقد كان الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم قد خلّف عليا فى المدينة لئلّا يفسد المتخلفون الجو، كما كانوا قد تآمروا، و هناك

قال له: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى» «١»،

و يجىء المتخلفون عن الجيش، ليعتـذروا عمـا تقـدم منهم من تفريـط، و يطهروا آثامهم السالفـة بالتوبـة و النـدم يَعْتَذِرُونَ أى يعتـذر المتخلفون من المنافقين الـذين كان عـددهم ثمانين، و قـد تخلفوا فى المدينة خوفا و نفاقا، و إرادة للتآمر على الرسول، و قلب أوضاع المدينـة إِلَيْكُمْ إِذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ من غزوة «تبوك» بأعـذار كاذبـة باطلة لا حقيقة لها و لا واقع، كما هو شأن المنافق فى كل زمان قُلْ يا رسول الله لهم: لا تَعْتَذِرُوا فإن اعتـذاركم لا يفيدكم، فإنا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ أى لن نصدقكم فى ما تقولون قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ أخبرنا الله عز اسـمه مِنْ أَخْبارِكُمْ و أعلمنا حقيقة أمركم، و أنكم لم تخرجوا نفاقا و جبنا لا لعذر مشروع.

و فى بعض التفاسير أن النبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم نهى المسلمين أن يكلموهم أو يجالسوهم ليذوقوا و بال أمرهم، و لئلّا يتجرأ أحد على خرق أوامر

---

(١) بحار الأنوار: ج ٣١ ص ٣۶۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ۴۴۸

[سورة التوبة (٩): آية ٩۵]

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (٩۵)

الله و الرسول «١».

وَ سَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ أى سينظران فى المستقبل إلى أعمالكم الدالة على نفاقكم و عدم صحة أعذاركم، فإن عمل الإنسان فى المسـتقبل دليـل على عمله فى الماضـى، فعمله بعضه من بعض ثُمَّ تُرَدُّونَ أى ترجعون إِلى عـالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهـادَةِ فى الآخرة، و المراد بـذلك: التهديـد، و فى الآخرة سيحاسبكم الله على أعمالكم التى صدرت منكم، كما يقول الحاكم للمجرم: «سترد إلىّ» يريد تهديده بالعقاب فَيُنَبِّئُكُمْ أى يخبركم الله سبحانه بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فيجازيكم عليها.

[٩۵] و جاء رئيس المنافقين «عبـد الله بن أبى» حالفا للنبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أن لا يتخلّف بعد هذه الغزوة، و طلب من النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يرضى عنه سَيَحْلِفُونَ سيقسمون بِاللَّهِ لَكُمْ أيها المؤمنون إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ إذا رجعتم إليهم و وصلتم إلى المدينة لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ لتصفحوا عن جرمهم، و لا توبّخوهم على ما صدر منهم فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إعراض ردّ و إنكار، لا إعراض صفح. و من البلاغة التشابه فى اللفظ و الاختلاف فى المعنى.

---

(١) راجع مجمع البيان: ج ۵ ص ١٠۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۴۴۹

[سورة التوبة (۹): الآيات ۹۶ الى ۹۷]

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ (۹۶) الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۹۷)

إِنَّهُمْ رِجْسٌ أى نجس، و المراد نجاسة باطنهم، فهم كالشىء المنتن النجس الذى يلزم الاجتناب عنه، و إلا أصاب الإنسان قذره و نتنه وَ مَأْواهُمْ مصيرهم جَهَنَّمُ فهى مستقرّهم جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ من النفاق و الآثام.

[۹۶] يَحْلِفُونَ لَكُمْ يحلف هؤلاء المنافقون لكم أيها المسلمون، يريدون بذلك تقوية أعذارهم و تصديقكم لهم لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ طلبا لمرضاتكم حتى يؤمّنوا سعادتهم الدنيوية بينكم فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ مجاملة، أو لعدم علمكم بواقعهم النفاقى فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ الذين فسقوا و خرجوا عن طاعة الله سبحانه، ثم لم يرجعوا عن نفاقهم، قد علقت الآثام بقلوبهم فهى رجس نجس، و المراد: أن الواجب عدم إظهار المؤمنين الرضا عنهم، بعد ما علموا أن الله غير راض عنهم.

[۹۷] و بعد ما ينتهى الكلام حول الكفار و المؤمنين و المنافقين من أهل المدينة و نحوها، يأتى دور ذكر الكفار و المؤمنين و المنافقين من أهل البوادى، فإن لأهل البوادى لونا خاصا يميّزهم عن أهل المدن «فالأعراب أشد كفرا» لكفارهم، «مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ مَغْرَماً» لمنافقيهم «مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» لمؤمنيهم.

الْأَعْرابُ يقال: رجل أعرابى، إذا كان ساكنا فى البادية سواء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۴۵۰

تقريب القرآن إلى الأذهان ج ۲ ۴۹۸

[سورة التوبة (۹): آية ۹۸]

وَ مِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ مَغْرَماً وَ يَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۹۸)

كان عربيا أو أعجميا، و يقال: رجل عربى إذا كان من العرب سواء سكن البادية أو المدينة أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً لأنهم حيث كانوا من أهل البادية سرت فيهم جفوة الصحراء و قساوة الجهل، فكفرهم و نفاقهم أشد من كفر كفّار أهل المدن و نفاق منافقى أهل الحضر، لبعدهم عن الحضارة و العلم و الآداب وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ أى أنهم أحرى و أولى بعدم العلم بالفرائض و السنن و سائر الحدود التى أنزلها الله سبحانه على رسوله، و إنما قال: «حدود» لأن حدود الأحكام أدق من نفس الأحكام، و لذا كثيرا ما يعرف الناس الأحكام، لكنهم لا يعلمون حدودها، أى خصوصياتها و ميّزاتها، حتى لا يدخل فيها شىء ليس منها، و لا يخرج منها شىء هو منها وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بهم و بأحوالهم حَكِيمٌ فيما يأمر و ينهى بالنسبة إليهم. و فى الآية دلالة على ذم بقاء الإنسان أعرابيا- ساكنا للبادية-.

[۹۸] وَ مِنَ الْأَعْرابِ منافقون و هم مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ فى سبيل الله مَغْرَماً «المغرم» هو الغرم، و هو نزول نائبة بالمال، فهم يظنون أن ما أنفقوه فى سبيل الله من جهاد أو غيره غرامة لحقت بأموالهم، حيث لا- يرجون خيره و ثوابه، و لا يصدّقون بما قال الله و الرسول فى سبيل بذل الأموال و أجرها وَ يَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ أى ينتظر بكم صروف الزمان و حوادث الأيام، فقد كان هؤلاء المنافقون ينتظرون الانكسار و الذلة و الفقر و ما أشبه للمؤمنين. و سميت الحوادث السيئة بالدوائر،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۴۵۱

[سورة التوبة (۹): آية ۹۹]

وَ مِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَ صَلَواتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۹۹)

لأن الفلک یدور، فإذا دار جاء بالمکروه، و لذا یقال لمن یراد تحذیره:

«لا تغفل من دوران الفلک».

عَلَیْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ هذا دعاء علی أولئک الأعراب المنافقین بأن تدور الدائرة الآتیة بالعاقبة السیئة علیهم، لا علی المؤمنین وَ اللَّهُ سَمِیعٌ لأقوالهم النفاقیة عَلِیمٌ بضمائرهم و نوایاهم، فیجازیهم علیها.

[۹۹] وَ مِنَ الْأَعْرابِ قسم طیّب و هو مَنْ یُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ فیعتقد بما جاء الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من أحوال المعاد وَ یَتَّخِذُ ما یُنْفِقُ قُرُباتٍ فیعلم أن إنفاقه یقرّبه من الله سبحانه، فإن «قربات» جمع قربة، و هی الأعمال الخیرة التی تورث قرب العبد من الله سبحانه قربا تشریفیا عِنْدَ اللَّهِ فهی تبقی عنده سبحانه لا تضیع و لا تذهب عبثا، کما کان یظن بعض المنافقین الذین یتخذون إنفاقهم مغرما. وَ صَلَواتِ الرَّسُولِ أی یبتغی بما ینفق دعوات الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بأن یدعو له بالخیر، فإن «الصلاة» بمعنی العطف و الرحمة و الدعاء، فهو عطف علی «قربات» أَلا إِنَّها أی نفقاتهم قُرْبَةٌ لَهُمْ موجبة لقربهم إلی ساحة رضا الله سبحانه، فلهم ما ابتغوا، و یبشّرون بحسن العاقبة سَیُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِی رَحْمَتِهِ فتغمرهم الرحمة فی الجنة إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لذنوبهم رَحِیمٌ بهم

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۵۲

[سورة التوبة (۹): الآیات ۱۰۰ الی ۱۰۱]

وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِینَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِیَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها أَبَداً ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ (۱۰۰) وَ مِمَّنْ حَوْلَکُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِینَةِ مَرَدُوا عَلَی النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَیْنِ ثُمَّ یُرَدُّونَ إِلی عَذابٍ عَظِیمٍ (۱۰۱)

یتفضّل علیهم بالرحمة و الرضوان.

[۱۰۰] و بعد ذکر أقسام من أهل البلاد و أهل البادیة، یبیّن سبحانه أحوال الأمة بصورة عامة، و أن فیهم المؤمن و المنافق و الکافر، و أن لکلّ درجات و مراتب وَ السَّابِقُونَ إلی الإیمان و الطاعة الْأَوَّلُونَ بالنسبة إلی غیرهم، و إن کان فیهم الأول فالأول مِنَ الْمُهاجِرِینَ المسلمین الذین هاجروا من مکة إلی الحبشة أو إلی المدینة وَ الْأَنْصارِ للإسلام و هم أهل المدینة الذین سبقوا إلی الإیمان و النصرة وَ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ أی بالإیمان و الطاعة، فإن الاتّباع یلزم أن یکون لشیء رَضِیَ اللَّهُ عَنْهُمْ و معنی رضاه أنه أکرمهم و أوجب لهم الخیر و الجنة وَ رَضُوا عَنْهُ فهم فائزون بشرف الرضا، و من دخل قلبه الرضا عن الرب ارتاح و اطمأن وَ أَعَدَّ الله لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِی تَحْتَهَا الْأَنْهارُ أی من تحت أشجارها و قصورها خالِدِینَ فِیها أَبَداً لا زوال لهم عنها، و لا تغیّر لها عنهم ذلِکَ الرضوان و الجنة الْفَوْزُ الْعَظِیمُ و الفلاح الذی یصغر دونه کل شیء، و إنما فضّل الله السابقین لما تحمّلوه من المشاق و الأتعاب فی نصرة الدین و الجهاد فی سبیله.

[۱۰۱] وَ مِمَّنْ حَوْلَکُمْ أی فی أطراف بلدکم مِنَ الْأَعْرابِ الساکنین فی البادیة، أی بعضهم مُنافِقُونَ یظهرون الإیمان و یبطنون الکفر

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۵۳

[سورة التوبة (۹): آیة ۱۰۲]

وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَ آخَرَ سَیِّئاً عَسَی اللَّهُ أَنْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۰۲)

وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِینَةِ أیضا منافقون مَرَدُوا أی تمرّنوا حتی صاروا ماهرین عَلَی النِّفاقِ و ذکرهم بهذه الصفة للإشعار بخطرهم، فإن المنافق الماهر أکثر خطرا من غیره من المنافقین لا تَعْلَمُهُمْ أی لا تدرک حقیقة نفاقهم و لا تعرف أشخاصهم، و هو تقریر لمهارتهم فیه، بحیث یخفون علیک حتی أنک لا تعلم ذلک. و هذا لا غضاضة فیه، فإن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان یعلم الغیب إذا شاء الله. و من المعلوم أن الله إذا لم یشأ تعلیمه بشیء لم یعلمه. و من المحتمل أن یکون لفظة «لا تعلمهم» استعملت بقصد التهویل من نفاقهم، فإن مثل هذا اللفظ یستعمل بقصد شیء آخر غیر معناه، فیقال: «أنت لا تعرف زیدا کیف یحسن» یراد بذلک أنه کثیر الإحسان.

نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ و نعرف حقائقهم سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ لعلّ المراد: مرّة فی الدنيا بالتضييق عليهم و عدم هدوء بالهم، كما قال تعالى: (وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِی فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) «۱»، و مرّة فی القبر ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ هو عذاب النار فی الآخرة.

[۱۰۲] وَ آخَرُونَ من أهل المدينة و من الأعراب حولها اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ

فقد جاء بعض المتخلّفين معتذرين إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عما صدر منهم من التخلّف، و كانوا سبعة ندموا على قعودهم و تخلفهم عن

---

(۱) طه: ۱۲۵. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۵۴

[سورة التوبة (۹): آية ۱۰۳]

خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۱۰۳)

الجهاد فی غزوة تبوك لما بلغهم ما نزل فی المتخلفين، فأيقنوا على أنفسهم بالعذاب فأوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد، فقدم رسول الله فدخل المسجد و صلّى ركعتين- و كانت هذه عادته إذا قدم من السفر- فلما رآهم موثقين سأل عنهم، فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلّوا أنفسهم حتى يحلّهم رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و أنا أقسم أنی لا أحلهم حتى أؤمر فيهم. فنزلت الآية، فأطلقهم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فقالوا بعد ما فكّهم: هذه أموالنا، و إنما تخلفنا عنك بسببها، فخذها و تصدق بها و طهّرنا، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا»، فنزلت (خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها ..) «۱».

خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ عملا آخَرَ سَيِّئاً فإنهم كانوا يقيمون الصلاة و يأتمرون بأوامر الرسول لكنهم تركوا الجهاد فی تبوك عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ و إنما قال: «عسى» ليكونوا بين الخوف و الرجاء إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ للذنوب رَحِيمٌ بالناس يتفضّل عليهم بالرحمة.

[۱۰۳] خُذْ يا رسول الله مِنْ أَمْوالِهِمْ أی أموال هؤلاء الذين خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا صَدَقَةً هی بعض أموالهم، و لذا جاء ب «من». و الظاهر من السياق أنها غير الصدقة المفروضة التی هی من الزكاة. و قد قال المفسرون: إن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخذ ثلث أموال التائبين و ترك لهم الثلثين «۲» تُطَهِّرُهُمْ تلك الصدقة عن دنس الذنوب

---

(۱) التوبة: ۱۰۳.

(۲) راجع بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۲۰۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۵۵

و الخطايا، أو المراد تطهرهم أنت بتلك الصدقة، و تطهير الإنسان بالصدقة إنما هو تطهير معنوی، فإن للذنوب نجاسة، و الصدقة توجب تنظيف الإنسان من تلك النجاسة، لأنها موجبة للغفران و حتّ الآثام وَ تُزَكِّيهِمْ بِها «التزكية» هی التنمية أی توجب لهم النمو، و ذلك أعم من النمو الخلقی و الخلقی و سائر أقسام النمو، و سميت الزكاة زكاة، لأنها توجب نمو صاحبها، أو المال المزكّى، و «تزكيهم» خطاب، بخلاف «تطهّرهم» المحتمل للأمرين.

وَ صَلِّ يا رسول الله عَلَيْهِمْ على معطى الصدقة، و المراد ب «الصلاة عليهم» الدعاء لهم، فإن الصلاة عبارة عن الدعاء، فإن صاحب الصدقة إذا دعا له الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان جبرا لما يحسّ به من ألم فقد المال إِنَّ صَلاتَكَ عليهم سَكَنٌ لَهُمْ أی موجبة لسكون خاطرهم و هدوء بالهم و ارتياح نفوسهم.

روى أن النبی صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا أتاه آت بالصدقة قال: «اللهم صلّ عليه» «۱».

و الظاهر تحقق الصلاة بكل لفظ أفاد الدعاء، نحو: «بارك الله لك أو آجرك الله» أو ما أشبه، كما أن الظاهر من السياق و التعليل أن

الحكم عام لا يخص الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و ذلك لأن لنا برسول الله أسوة حسنة، فما دل على الخصوصية استثنى، و ما لم يدل بقى على عموم الأسوة وَ اللَّهُ سَمِيعٌ لأقوالك و أقوالهم عَلِيمٌ بصدقاتهم و ما نووه

---

(۱) راجع مجمع البيان: ج ۵ ص ۱۱۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۵۶

[سورة التوبة (۹): آية ۱۰۴]

أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَ يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (۱۰۴)

من النيات الصالحة.

[۱۰۴] أَ لَمْ يَعْلَمُوا أى: ألم يعلم هؤلاء المتصدقين، أو الناس جميعا؟! و هذا تحريض للناس على التوبة و التصدق، لا لأولئك التائبين الذين أرادوا أن يتصدقوا. فلا يقال: أنه لا مجال لمثل هذا الاستفهام إلا للمنكر، فلا يحسن أن يقول الإنسان لمريد الحج: «ألا تعلم أن للحج ثوابا عظيما»، بل إنما يحسن قول ذلك لمن يريد الحج. و إنما جاء الاستفهام فى سياق قصة التائبين لإعطاء الصدقة للمناسبة أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ فلا- صغار فى التوبة حتى يأنف الإنسان من الإنابة، إن طرف القبول هو الله العظيم الشأن، و هذا أمر طبيعى، فإن الإنسان لا يكره الاعتراف لدى العظيم، و إنما يكرهه لدى الحقير وَ يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ أى يقبلها، فليس الآخذ هو الفقير حتى لا يهتم الإنسان بشأنه، و إنما هو سبحانه، و ذلك يوجب الإعطاء بكثرة و احترام، لا بقلة و إهانة، كما هو الطبع البشرى فى إرادة إعطاء الشيء لمن دونه.

و فى الخبر: أن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «إن الصدقة تقع فى يد الله قبل أن تصل إلى يد السائل»

«۱»، و هذا على وجه تشبيه المعقول بالمحسوس، مبالغة فى الأمر.

وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ كثير قبول التوبة، إما باعتبار الأفراد، و إما

---

(۱) فقه القرآن: ج ۱ ص ۲۲۲..

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۵۷

[سورة التوبة (۹): آية ۱۰۵]

وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۱۰۵)

باعتبار كل فرد حيث أن الإنسان لو عصى ألف مرة و فى كل مرة تاب قبلت توبته، إذا كانت توبة نصوحا الرَّحِيمُ الذى يرحم العباد و يتفضّل عليهم.

[۱۰۵] و بمناسبة أن الله يقبل التوبة و يأخذ الصدقة، مما يدل على أنه سبحانه مطّلع على الأعمال، يأتى السياق لبيان أن كل الأعمال كذلك، و ليس ذاك خاصا بالتوبة و الصدقة، و إن الاطّلاع ليس خاصا بالله سبحانه بل الرسول و المؤمنون أيضا مشاركون له سبحانه فى الاطّلاع على أعمال الناس، و إن كان هناك فرق بين الاطّلاعين، فالله سبحانه يعلم كل شيء من كل أحد، و الرسول و المؤمنون مطّلعون بقدر ما يريد الله سبحانه.

وَ قُلِ يا رسول الله للناس عامة: اعْمَلُوا ما شئتم من خير و شر، إن كان المراد صبّ الكلام على أن عملكم سوف يرى، لأنه حينئذ تجرد الصيغة عن معنى الأمر، أو المراد: اعملوا الأعمال الحسنة فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ يعلمها سبحانه، و لعلّ دخول «السين» لأن الرؤية إنما تكون بعد وجود العمل وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ و ذلك واضح لا- يحتاج إلى التأويل، أ رأيت أن الناس يعلمون الخير من الشر كما يعرفون مقادير الأشخاص فى أعمالهم، منتهى الأمر أن الله سبحانه يعلم الخفايا بالتفصيل، و المؤمنون يعلمون بالإجمال.

و ربما یقال: إن دخول «السین» لتوحید السیاق بین الله و الرسول و المؤمنین، حیث أنهم لا یرون العمل إلا بعد زمان من وقوعه، کما

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۵۸

[سورة التوبة (۹): آیة ۱۰۶]

وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا یُعَذِّبُهُمْ وَ إِمَّا یَتُوبُ عَلَیْهِمْ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۱۰۶)

ربما یقال: إن الإتیان بهذه الآیة عقب الآیة السابقة لإفادة أن التوبة المجردة لا تنفع و إنما اللازم تصدیقها بالعمل.

و ما

ورد فی بعض الأخبار: أن المراد بالمؤمنین الأئمة علیهم السّلام «۱»

فهو من باب المصداق الظاهر، و إلا فالعموم علی حاله، کسائر الآیات العامة التی لها مصادیق ظاهرة.

وَ سَتُرَدُّونَ أی ترجعون بعد موتکم إِلی عالِمِ الْغَیْبِ ما غاب عن الحواس وَ الشَّهادَةِ ما یشهده الإنسان أی یحضره، و هو کل ما یدرک بالحواس الظاهرة، أی سترجعون إلی عالم السر و العلانیة فَیُنَبِّئُکُمْ أی یخبرکم للجزاء بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ من خیر أو شر.

[۱۰۶] کان المتخلفون عن غزوة تبوک بین منافق معتذر، و منافق غیر معتذر، و مخطئ معترف وَ هناک آخَرُونَ من المتخلفین مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ أی مؤخّرون موقوفون، من «أرجأ» بمعنی «أخّر» فلم یکن هذا القسم منافقا، و لا مخطئا، بل إنما تخلّف توانیا عن الاستعداد حتی فاته المسیر، و لم یکن قبل نزول الآیة قد بتّ فی أمرهم بشیء بل کان موکولا إلیه سبحانه، إما یعذبهم بتوانیهم، و إما یتوب علیهم بسبب أنهم لم ینافقوا و لم تدنس قلوبهم إِمَّا یُعَذِّبُهُمْ لعصیانهم و تخلفهم وَ إِمَّا یَتُوبُ عَلَیْهِمْ لنقاء قلوبهم وَ اللَّهُ عَلِیمٌ

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۳ ص ۳۴۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۵۹

بنیاتهم و سبب توانیهم عن غزوة تبوک حَکِیمٌ فیما یفعله بهم من العذاب و التوبة.

لکن الله سبحانه تاب علیهم أخیرا، و هؤلاء هم الذین ذکروا فی قوله تعالی فی آخر السورة «وَ عَلَی الثَّلاثَةِ الَّذِینَ خُلِّفُوا» «۱» و کان من قصتهم ما ذکره المفسرون حیث قالوا: قد کان تخلف عن رسول الله قوم منافقون و قوم مؤمنون مستبصرون لم یعثر علیهم فی نفاق و هم کعب بن مالک و مرارة بن الربیع و هلال بن أمیة، فلما تاب الله علیهم قال کعب: ما کنت قط أقوی منی فی ذلک الوقت الذی خرج رسول الله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلی تبوک و ما اجتمعت لی راحلتان إلا فی ذلک الیوم فکنت أقول: أخرج غدا، أخرج بعد غد، فإنی قوی، و توانیت و بقیت بعد خروج النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أیاما أدخل السوق و لا أقضی حاجة، فلقیت هلال و مرارة و قد کانا تخلّفا أیضا فتوافقنا أن نبکر إلی السوق و لم نقض حاجة، فما زلنا نقول: نخرج غدا و بعد غد حتی بلغنا إقبال رسول الله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فندمنا، فلما وافی رسول الله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم استقبلناه نهنّئه بالسلامة فسلمنا علیه، فلم یرد علینا السلام و أعرض عنا، و سلمنا علی إخواننا فلم یردوا علینا السلام.

فبلغ ذلک أهلونا فقطعوا کلامنا، و کنا نحضر المسجد فلا یسلم علینا أحد و لا یکلمنا، فجاءت نساؤنا إلی رسول الله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقلن: قد بلغنا سخطک علی أزواجنا أ فنعتزلهم؟ فقال رسول الله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

لا تعتزلنهم و لکن لا یقربوکن، فلما رأی کعب و صاحباه ما حل بهم

---

(۱) المستدرک: ج ۷ ص ۱۲.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۶۰

[سورة التوبة (۹): آیة ۱۰۷]

وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنى وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (۱۰۷)

قالوا: ما يقعدنا بالمدينة و لا يكلمنا رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا إخواننا و لا أهلنا فهلموا نخرج إلى هذا الجبل فلا نزال فيه حتى يتوب الله علينا أو نموت.

فخرجوا إلى «ذناب» جبل بالمدينة فكانوا يصومون و كان أهلوهم يأتونهم بالطعام فيضعونه ناحية ثم يولون عنهم فلا يكلمونهم، فبقوا على هذه الحالة أياما كثيرة يبكون بالليل و النهار، و يدعون الله أن يغفر لهم، فلما طال عليهم الأمر قال كعب: يا قوم قد سخط الله علينا و رسوله و سخط علينا إخواننا و سخط علينا أهلونا، فلا يكلم أحد منهم صاحبه حتى يموت أو يتوب الله عليه.

فبقوا على هذا ثلاثة أيام كلّ منهم فى ناحية من الجبل لا يرى أحد منهم صاحبه و لا يكلمه، فلما كان فى الليلة الثالثة و رسول الله فى بيت أم سلمة نزلت توبتهم على رسول الله، و هو قوله سبحانه: «وَ عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ ..» فأرسل النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من يبشرهم، و جاءوا مسلّمين على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و قد بان السرور فى وجهه الشريف صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و تصدق كعب بثلث ماله شكرا لله تعالى «۱».

و فى بعض الأحاديث: انطباق الآية على مثل «الوحشى» قاتل حمزة عليه السّلام حيث أسلم بعد الجريمة، فإنه مرجأ لأمر الله إما يعذبه و إما يتوب عليه «۲».

[۱۰۷] ثم ذكر سبحانه قصة جماعة أخرى من المنافقين الذين ارتبطت

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۲۰۲.

(۲) راجع الكافى: ج ۲ ص ۳۸۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۶۱

قصتهم بقصة تبوك و هم الذين أرادوا أن يتستروا بمسجد «ضرار» لحبك المؤامرات ضد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المسلمين، و أرادوا انقلاب الأمر فى المدينة لكن الله وقى المسلمين شرهم و أعلم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بما نووه من المكر.

فقد روى بعض أهل السير: أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إليها رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب و كان قد تنصّر و له عبادة فى الجاهلية و له شرف كبير فى قبيلته الخزرج، فلما قدم رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مهاجرا إلى المدينة و اجتمع عليه المسلمون و صارت للإسلام كلمة عالية و أظهرهم الله يوم بدر، شرق أبو عامر بريقه و بارز بالعداوة و ظاهر بها و خرج فارا إلى كفار مكة من مشركى قريش يمالؤهم على حرب رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب و قدموا عام أحد.

و كان من أمر المسلمين ما كان، و قد امتحنهم الله عز و جل و كانت العاقبة للمتقين، و كان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع فى إحداهن رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و أصيب ذلك اليوم، فجرح وجهه، و كسرت رباعيته اليمنى السفلى و شج رأسه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و تقدم أبو عامر فى أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم و حثهم إلى نصرته و موافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله، و نالوا منه و سبّوه، فرجع و هو يقول: و الله لقد أصاب قومى شر. و لما فرغ الناس من أحد و رأى أمر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى ارتفاع و ظهور ذهب إلى «هرقل» ملك الروم يستنصره على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فوعده و منّاه و أقام عنده، و كتب إلى جماعة من قومه من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٤٦٢

الأنصار من أهل النفاق و الريب يعدهم و يمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله و يغلبه و يردّه عمّا هو فيه، و أمرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليه من عنده لأداء كتبه و يكون مرصدا لهم إذا قدم عليهم بعد ذلك.

فشرعوا فى بناء مسجد مجاور لمسجد «قبا» فبنوه و أحكموه و فرغوا منه قبل خروج رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى تبوك و جاءوا فسألوا الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن يأتى إليهم فيصلى فى مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره و إثباته، و ذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم و أهل العلة فى الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنا على سفر و لكن إذا رجعنا إن شاء الله. فلما قفل صلّى اللّه عليه و آله و سلّم راجعا إلى المدينة من تبوك، و لم يبق بينه و بينها إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه الوحى بخبر مسجد «ضرار» و ما أبطن بانوه من الكفر و التفريق بين جماعة المؤمنين فى مسجدهم- مسجد قبا- فأرسل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من هدم المسجد و أحرقه، و أمر أن يتخذ مكانه كناسة يلقى فيها الجيف و القمامة، و ردّ الله كيده، فأصاب أبا عامر قبل رجوعه إلى المدينة بالقولنج و البرص و الفالج و اللّقوة، و بقى أربعين يوما فى عذاب الدنيا، ثم هلك إلى عذاب السعير «١». و فى هذه القصة نزلت هذه الآيات:

وَ منهم الَّذِينَ اتَّخَذُوا أى بنوا مَسْجِداً و هو اسم لبقعة يتّخذ للصلاة، و إن كان أصله بمعنى موضع السجود ضِراراً أى مضارّة، فإنه مصدر من باب «المفاعلة»، يقال: «ضارّ ضرارا و ضيرارا»،

---

(١) تفسير الإمام العسكرى: ص ٤٨٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٤٦٣

[سورة التوبة (٩): آية ١٠٨]

لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)

فإنهم بنوه لأجل الإضرار بالمسلمين وَ كُفْراً لأجل الكفر وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ أى لاختلاف الكلمة و إبطال الألفة، و جعل المسلمين طائفتين، الموالى للرسول، و المخالف له وَ إِرْصاداً لأجل الإعداد للفتنة، و أن يجعلوه محل رصد و إشراف لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ و هو أبو عامر الراهب. و هذا أبو حنظلة غسيل الملائكة الذى هو من أخيار المؤمنين، و قد تقدم أن أبا عامر كان حربا للرسول من قبل غزوة تبوك. و قد سماه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ب «الفاسق».

وَ لَيَحْلِفُنَ أى يحلف هؤلاء الذين اتخذوا المسجد و كانوا اثنى عشر إِنْ أَرَدْنا أى ما أردنا ببنائنا للمسجد إِلَّا الْحُسْنى أى الفعلة الحسنة، من إقامة الصلاة، و درك الجماعة فى الليلة الشاتية و الممطرة للضعفاء و نحوهم وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ فإنهم لم يريدوا ببنائه الحسنى، بل السوءة و التآمر على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كفى بالله شهيدا على ذلك، بالإضافة إلى ما عرف بعد ذلك من الأدلة و الشواهد.

[١٠٨] لا تَقُمْ يا رسول الله فِيهِ فى ذلك المسجد أَبَداً يقال:

«فلان يقوم الليل» أى يصلّى، و المعنى: لا تصلّ فى ذلك المسجد، و لم يكن هذا خلفا من الرسول لوعده بالصلاة فيه،

لأنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «إن شاء الله»

فلم يشأ الله و نهاه عن ذلك لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٤٦٤

[سورة التوبة (٩): آية ١٠٩]

أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى تَقْوى مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ وَ اللَّهُ لا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ (۱۰۹)

أی بنی أصله علی تقوی الله، و طاعته مِنْ أَوَّلِ یَوْمٍ منذ أول یوم وضع أساسه، و هو مسجد «قبا» فإن الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لما هاجر إلی المدینة أقام هناک أیاما و بنی فیه هذا المسجد و صلی فیه، ثم انتقل إلی المدینة، و بنی فیه مسجده الذی دفن فی حجرة مجاورة له أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِیهِ للصلاة، من مسجد «ضرار».

و لا یراد بهذا أن یصلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم دائما فی مسجد «قبا» بل إنه إذا أراد الصلاة هناک- خارج المدینة- فمسجد «قبا» أولی بالصلاة فیه من مسجد «ضرار» فِیهِ فی هذا المسجد. و المراد بالظرف ذلک المکان، أی أن القبیلة الموجودة هناک و هم بنو عمرو بن عوف رِجالٌ یُحِبُّونَ أَنْ یَتَطَهَّرُوا من لوث المعاصی و الذنوب، و لیسوا مثل بنی غنم أصحاب مسجد ضرار الذین بنوه، فهم رجال یحبون النجاسة و لوث المعاصی وَ اللَّهُ یُحِبُّ الْمُطَّهِّرِینَ أی المتطهرین.

و هناک معنی آخر للتطهیر

فقد روی عن النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنه قال لأهل قبا: «ماذا تفعلون فی طهرکم فإن الله قد أحسن علیکم الثناء». قالوا نغسل أثر الغائط. فقال النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «أنزل فیکم هذه الآیة» «۱».

أقول: لأنه کان المتعارف عندهم فی ذلک الوقت الاستنجاء بالخرق و الأحجار.

[۱۰۹] ثم بیّن سبحانه الفرق بین البناءین، و بین الفریقین، و أن أحد البناءین

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۲۵۴.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۶۵

[سورة التوبة (۹): آیة ۱۱۰]

لا یَزالُ بُنْیانُهُمُ الَّذِی بَنَوْا رِیبَةً فِی قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۱۱۰)

راسخ ثابت و الآخر هاو منهار، و أن أحد الفریقین صلد الإیمان قوی العقیدة، و الآخر شاکّ ذو ریبة و تزلزل أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْیانَهُ أی بنیان أمره و دینه و منهجه عَلی تَقْوی مِنَ اللَّهِ فهو یتحرّی التقوی فی کل أعماله وَ رِضْوانٍ أی رضی الله سبحانه، فلا یعمل شیئا إلا إذا علم أن فیه رضاه سبحانه خَیْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْیانَهُ عَلی شَفا جُرُفٍ هارٍ «شفا جرف» نهایة الشیء فی المساحة، و «جرف الوادی» نهایته التی تنجرف بالماء، و «هار الجرف یهور»، إذا أشرف علی السقوط و الهدم، و «أنهار» بمعنی سقط. فقد شبه سبحانه بنیان المنافق بالبناء الذی بنی علی شفا جرف جهنم و کان الجرف هائر فَانْهارَ الجرف بِهِ أی بالبناء، أو أنهار البناء بصاحبه فِی نارِ جَهَنَّمَ فذهبت أتعابه أدراج الریاح. و المعنی: أنه لا یستوی عمل المتقی و عمل المنافق فإن عمل المتقی ثابت راسخ و عمل المنافق هاو منهار وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ فإن الإنسان الذی صار الظلم عالقا بقلبه، ینغلق فؤاده، فلا تدخله أشعة الهدایة. و المراد بعدم الهدایة: أنه یترکهم و شأنهم و لا یلطف بهم الألطاف الخاصة.

[۱۱۰] ذاک کان مثل بنیانهم- من بناء المسجد- ثم انتقل سبحانه إلی البناء العام فی حیاتهم و مناهجهم فی الدنیا، و انتقل إلی تصویره ببناء حسّی یبنی علی جرف هار، فکما أن ذلک البناء ینحرف و یسقط، کذلک أعمالهم تسقط بهم فی جهنم. و هنا مثل آخر لعقیدتهم الکائنة فی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۶۶

[سورة التوبة (۹): آیة ۱۱۱]

إِنَّ اللَّهَ اشْتَری مِنَ الْمُؤْمِنِینَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ یُقاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ فَیَقْتُلُونَ وَ یُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَیْهِ حَقًّا فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِیلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفی بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَیْعِکُمُ الَّذِی بایَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ (۱۱۱)

قلوبهم و المختلجة فى صدورهم لا يَزالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا أى ما بنوا عليه حياتهم من النفاق رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ سببا للتزلزل و الشك فى قلوبهم، فإن الإنسان كيفما بنى حياته و قرّر منهجه، يكون معتقده و ضميره، فهم مقسّمو القلوب بين المؤمنين و الكافرين «لا إِلى هؤُلاءِ وَ لا إِلى هؤُلاءِ» إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ تصير قطعة قطعة، فتزول الريبة بزوال موضعها، و إلا فما دام هؤلاء على ذلك البناء و المنهج، فالريبة لازمة لقلوبهم لا تنفك عنها أبدا وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بنياتهم حَكِيمٌ فيما يفعله بهم.

[۱۱۱] ثم يحرّض الله المؤمنين على الجهاد مبيّنا الثواب العظيم لمن جاهد قائلا: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ فأنفسهم لله سبحانه، و أموالهم له تعالى، لا يحق لهم أن يخلّوا بالنفس أو المال بعد هذه المبايعة التى عقدوها مع الله بقبول الإيمان، و قد كان فى مقابل هذا المبيع بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ فالجنة بدل بذل النفس و المال فى سبيل الله تعالى. و لا يخفى أن بيع النفس إنما هو لصرفها فى مراضيه لسانا و قدما و قلما و سائر ما يتعلق بالبدن، فليس الأمر خاصا بالجهاد، و من أهمّ الأغراض فى هذه المعاملة ما بيّنه بقوله: يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ و لأجل إعلاء كلمته فَيَقْتُلُونَ الكفار تارة وَ يُقْتَلُونَ يقتلهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۶۷

الكفار تارة أخرى، و كون الجنة لهؤلاء وَعْداً عَلَيْهِ على الله حَقًّا و «وعدا» منصوب بالمصدر، لأن «اشترى» يدل على أنه سبحانه وعد بذلك، فإن المعاملة تستوجب وعد الطرفين ببذل السلعة، و بذل المال فِى التَّوْراةِ لموسى عليه السّلام كان هذا الوعد وَ الْإِنْجِيلِ لعيسى عليه السّلام وَ الْقُرْآنِ فإن وعد الجنة لمن باع نفسه و ماله فى سبيل الله مذكور فى هذه الكتب الثلاثة لهؤلاء الأنبياء العظام.

وَ مَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ استفهام فى معنى الإنكار، أى لا أحد أكثر وفاء من الله، فهو إذا وعد لا يخلف البتّة، أما غيره فإنه و إن كان لا يخلف بإرادته، لكنه قد يطرأ ما يضطرّه إلى الخلف فَاسْتَبْشِرُوا أيها المؤمنون بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بايَعْتُمْ بِهِ الضمير فى «به» يرجع إلى «بيعكم» أى: افرحوا بهذه المعاملة، و «الاستبشار» هو شدة الفرح الذى يظهر أثره فى وجه الإنسان، و أى بيع أحسن من هذا؟ إنه إعطاء المال لمالكه ثم أخذ العوض منه، ثم إن النفس فى سبيل الفناء، و المال فى سبيل الذهاب، فما أفضل أن يشترى بهما الإنسان شيئا باقيا دائما.

قال الإمام على عليه السّلام: و إن كانت الأبدان للموت أنشأت* فقتل امرئ بالسيف فى الله أفضل «۱»

---

(۱) ديوان الإمام على عليه السّلام: ص ۱۰۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۶۸

[سورة التوبة (۹): آية ۱۱۲]

التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (۱۱۲)

و قيل

و إن كانت الأموال لا بد تنفنى* فتقديمها لله و الدين أجمل

وَ ذلِكَ البيع هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ و الفلاح الذى لا يقابله فلاح.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام فى نهج البلاغة: «إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها» «۱».

و فيه: «فلا أموال بذلتموها للذى رزقها و لا أنفس خاطرتم بها للذى خلقها» «۲».

قال الشاعر:

أنفاس عمرك أثمان الجنان فلاتشرى بها لهبا فى الحشر تشتعل

و قد کان الإمام أمیر المؤمنین علیه السّلام و أهل بیته الطاهرین من أفضل مصادیق هذه الآیة.

[۱۱۲]

روی فی الکافی عن الإمام الصادق علیه السّلام: أنه لما نزلت هذه الآیة:

«إِنَّ اللَّهَ اشْتَری مِنَ الْمُؤْمِنِینَ» قام رجل إلی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال: یا نبی الله أ رأیتک الرجل یأخذ سیفه فیقاتل حتی یقتل، إلّا أنه یقترف من هذه المحارم أ شهید هو؟ فأنزل الله علی رسوله: «التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ ...» «۳».

---

(۱) نهج البلاغة: الکلمات القصار رقم ۴۵۶.

(۲) نهج البلاغة: خطبة ۱۱۶.

(۳) التوبة: ۱۱۲.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۶۹

أقول: قد وصف سبحانه المؤمنین الذین اشتری أنفسهم و أموالهم مقابل الجنة بهذه الأوصاف فقال: التَّائِبُونَ أی الراجعون إلی طاعة الله، من «تاب» إذا رجع. و لا یخفی أن الرجوع و التوبة لا یلازمان العصیان، و لذا ورد فی القرآن: (لَقَدْ تابَ اللَّهُ عَلَی النَّبِیِّ) «۱»، فإن العصیان أشد أفراد البعد عنه سبحانه، و إلّا فکل نومة و أکلة و تکلّم مع الناس مما یسبب الغفلة عنه سبحانه تحتاج إلی التوبة و الأوبة. فلا یقال: کیف وصف الإمام علیه السلام- و هو معصوم- بالتوبة، بعد ما ذکرتم أن الآیة نزلت فی شأنه؟ ثم إن «التائبون» رفع بالقطع، أی هم التائبون، کما قال ابن مالک:

و اقطع أو اتبع إن یکن معینابدونها أو بعضها اقطع معلنا

الْعابِدُونَ الذین یعبدون الله وحده و لا یشرکون به شیئا الْحامِدُونَ الذین یحمدون الله سبحانه السَّائِحُونَ الذین یسیحون فی الأرض، أی یسیرون فیها، للاعتبار و لطلب العلم کما قال سبحانه: (فَامْشُوا فِی مَناکِبِها وَ کُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) «۲».

و ینسب إلی الإمام علیه السّلام:

تغرب عن الأوطان فی طلب العلاو سافر ففی الأسفار خمس فوائد

و فی بعض التفاسیر: أن المراد ب «السائح» الصائم، لقول

---

(۱) التوبة: ۱۱۷.

(۲) الملک: ۱۶.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۷۰

[سورة التوبة (۹): آیة ۱۱۳]

ما کانَ لِلنَّبِیِّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا أَنْ یَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِکِینَ وَ لَوْ کانُوا أُولِی قُرْبی مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِیمِ (۱۱۳)

النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «سیاحة أمتی الصیام» «۱».

الرَّاکِعُونَ الذین یرکعون، إما مطلقا لاستحباب الرکوع تعظیما له سبحانه، أو المراد الرکوع فی الصلاة السَّاجِدُونَ فی الصلاة أو مطلقا الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ و هو کل حسن یستحسنه الشرع أو العقل وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْکَرِ و هو کل قبیح یستقبحه الشرع أو العقل.

و لا یخفی أنه بهذا المعنی الذی ذکرنا، لیس ترک کل معروف منکرا، فقراءة القرآن مثلا فی یوم الجمعة معروف فلیس ترکها منکرا، کما أنه لیس ترک کل منکر معروفا فأکل الجبن- و هو مکروه- منکر فلیس ترک أکله معروفا. نعم یتلازم الأمران فی الواجب و الحرام.

وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ أى العاملون بالحدود، القائمون عليها فى جميع أبواب العبادة و المعاملة، و سائر ما ورد فى الشريعة وَ بَشِّرِ يا رسول الله الْمُؤْمِنِينَ الذين يجمعون هذه الصفات، بأن لهم كل خير و سعادة.

[١١٣] و لما سبق حرمة موالاة الكافرين و المنافقين حتى الصلاة عليهم، و القيام على قبورهم، و الصلاة فى مسجدهم، بيّن سبحانه حرمة الاستغفار لهم أحياء كانوا أم أمواتا، فإن الاستغفار أى طلب غفران الله لعدو الله لا يصح، إذ هو غير قابل للمغفرة.

و ذكر بعض المفسرين: أن بعض المسلمين قالوا للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: هل

---

(١) مستدرك الوسائل: ج ٨ ص ١١٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٤٧١

[سورة التوبة (٩): آية ١١٤]

وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)

لنا أن نستغفر لآبائنا الذين ماتوا فى الكفر. فنزلت هذه الآية «١».

لكن الظاهر أن ذلك غير طلب الغفران للكافر الحى، بمعنى طلب هدايته من الله ليستحق الغفران، فإذا قال: اللهم اغفر له، عنى: اهده، ليكون قابلا للمغفرة.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السّلام: «أن إبراهيم عليه السّلام وعده أبوه آزر أن يسلم، فاستغفر له، فلما تبيّن له أنه عدو لله، تبرأ منه»

«٢». كما أن الظاهر أن الخيرات للأقارب الكفار الذين ماتوا لا بأس بها، فإن ذلك موجب لتخفيف العذاب، و هو غير الاستغفار بطلب المغفرة، و قد ورد بذلك أحاديث كثيرة.

ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ بأن يطلبوا من الله الغفران لمن أشرك بالله. و من المعلوم أنه لا خصوصية للمشرك، بل ذلك لا يجوز بالنسبة إلى كل كافر وَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبى أى كان المستغفر لأجله صاحب قرابة للمؤمن المستغفر مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ أى من بعد أن علم المؤمنون أن أولئك المشركين هم أصحاب النار.

[١١٤] و لما كان هنا موضع سؤال و هو: كيف يحرم الاستغفار للكافر مع أن إبراهيم عليه السّلام استغفر لأبيه- و هو عمّه، و إنما يسمى العرب العم بالأب

---

(١) راجع مجمع البيان: ج ٥ ص ١٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٤٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٤٧٢

تعظيما- و الحال أن آزر كان كافرا؟ ورد قوله سبحانه: وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ أى وعد الأب إبراهيم بأن يؤمن فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أى لإبراهيم أَنَّهُ أى أباه عَدُوٌّ لِلَّهِ و أنه لا يؤمن تَبَرَّأَ مِنْهُ و ترك الاستغفار له. و قد تقدم الحديث عن الإمام الصادق عليه السّلام بذلك.

و روى: أن إبراهيم قال لأبيه: إن لم تعبد الأصنام استغفرت لك، فلما لم يدع الأصنام تبرأ منه

«١». و من المعلوم أنه لا منافاة بين الأمرين. و على أى حال فعمل إبراهيم لا ينافى عموم «ما كان للنبى و الذين آمنوا».

إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوَّاهٌ أى دعّاء، كثير الدعاء و البكاء، و أصل «الأواه» مبالغة- على وزن ضرّاب- من «التأوّه» بمعنى: التوجّع و التحزّن حَلِيمٌ يحلم عن الناس حتى عن الكفار، لعلّه يدخلهم فى حظيرة الإيمان بحلمه. و أما مناسبة «أواه» للمقام فظاهرة، إذ مقتضى كثرة الدعاء أن

يدعو حتى للكافر الذى يحتمل أن يؤمن.

و من المفسرين من أقحم فى الآيـة ما اختلقته الأهواء الأموية من كفر أبى طالب، و لقد كان أبو طالب عليه السّلام من أشد المؤمنين بالله و رسوله حتى

أنه قال عليه السّلام:

---

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ٧٧. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٤٧٣

[سورة التوبة (٩): آية ١١٥]

وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥)

و لقد علمت بأنّ دين محمد* من خير أديان البرية دينا

و حتى أنه حين مات نزل جبرئيل قائلا للرسول: «مات ناصرك فاخرج من مكة» «١». و سمى رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عام وفاته و وفاة خديجة «عام الحزن» «٢». و إنما الكلام هنا أن ذلك لا يرتبط بالتفسير، و إنما يرتبط بالتعصّب، و كم أخفى التعصب الحق.

[١١٥] إن ما يستفاد من الآيات السابقة من انقطاع صلة المؤمنين عن الكافرين، يوجب التساؤل، و هو: ماذا يعملون بما سلف من الأموات الكافرين، فقد كانت الوشائح بين المؤمنين و الكافرين قوية و كانوا يحسنون إليهم أحياء و يستغفرون لهم أمواتا؟ و لذا ورد: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بأن يصرفهم عن طريق الهدى و يحكم بضلالهم، بأعمال عملوها قبل النهى و التحريم بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ إلى الإيمان حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ من أوامره و نواهيه، فإذا بيّن لهم ثم خالفوا، استحقوا العقاب و الحكم بالضلال، و هكذا قوله سبحانه: (ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) «٣»، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يعلم من عمل قبل التحريم و من عمل بعد التحريم، فيجزى كلّا حسب عمله.

و فى بعض التفاسير: إن سبب نزول هذه الآية، أنه مات قوم من المسلمين على الإسلام قبل أن تنزل الفرائض، فقال المسلمون: يا

---

(١) إيمان أبى طالب: ص ٢٥٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٥.

(٣) الإسراء: ١۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٤٧٤

[سورة التوبة (٩): الآيات ١١۶ الى ١١٧]

إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ (١١۶) لَقَدْ تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (١١٧)

رسول الله إخواننا المؤمنون الذين ماتوا قبل الفرائض ما هى منزلتهم؟

فنزلت: «وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ ..» «١».

[١١۶] إنَ المؤمن الذى يبيع نفسه لله قد ربح كل شىء، و إن قطع صلته بأقرب الناس إليه حتى فى الاستغفار ف اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لا مالك فيهما سواه يُحْيِي الجماد وَ يُمِيتُ الأحياء، فالأرض الميتة يجعل منها نباتا و إنسانا و حيوانا، كما أنه يرد هذه الأحياء إلى الأرض فيجعلها جمادا وَ ما لَكُمْ أيها المسلمون مِنْ دُونِ اللَّهِ سواه مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ فلا يتولّى شؤونكم و لا ينصركم غيره، فمن له الملك، و بيده الحياة و الموت، و يتولّى و ينصر أحق بأن يربط الإنسان صلته به دون سواه، و يترك غيره لأجله، و لو

كان أقرب قريب إليه.

[۱۱۷] ثم ذكر سبحانه قصة جماعة تخلفوا عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثم لحقوا به، أو تابوا بعد ذلك.

فقد ذكر الرواة أن عبد الله بن خيثمة تخلف عن غزوة تبوك إلى أن مضى من مسير رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عشرة أيام، ثم دخل يوما على امرأتين له فى يوم حار فى عريشين لهما قد رتباهما و برّدتا الماء و هيأتا له الطعام، فقام على العريشين ثم قال: سبحان الله، رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر، فى الفتح و الريح و القرّ يحمل سلاحه على عاتقه، و أبو خيثمة فى ظلال باردة و طعام

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۲ ص ۴۲. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۷۵

مهيأ و امرأتين حسناوين، ما هذا بالنصف. ثم قال: و الله لا أكلم واحدة منكما كلمة و لا أدخل عريشا حتى ألحق بالنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. فأخ ناضحه و اشتد عليه و تزوّد و ارتحل و امرأتاه تكلمانه و لا يكلمهما.

ثم سار حتى إذا دنا من تبوك قال الناس: هذا راكب على الطريق.

فقال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: كن يا أبا خيثمة أولى لك، فلما دنا قال الناس: هذا أبو خيثمة يا رسول الله، فأناخ راحلته و سلّم على رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أولى لك. فحدثه الحديث، فقال له خيرا و دعا له. و هو الذى زاغ قلبه للمقام ثم ثبّته الله «۱».

و نقل الرواة: أن ممن لقى العسر فى هذه السفرة أبا ذر الغفارى رحمه اللّه فقد كان جمله أعجف تخلف به فى الطريق حتى أنه لحق بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد ثلاثة أيام و وقف عليه جمله فى بعض الطريق فتركه و حمل ثيابه على ظهره، فلما ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: كن أبا ذر فقالوا: هو أبو ذر.

فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أدركوه بالماء فإنه عطشان. فأدركوه بالماء، و وافى أبو ذر رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و معه إداوة فيها ماء فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا أبا ذر معك ماء و عطشت؟ فقال: نعم يا رسول الله بأبى أنت و أمى انتهيت إلى صخرة و عليها ماء السماء فذقته فإذا هو عذب بارد، فقلت: لا أشربه حتى يشربه حبيبى رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «يا أبا ذر رحمك الله تعيش وحدك، و تموت وحدك، و تدخل الجنة وحدك، يسعد بك قوم من العراق يتولون

(۱) بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۲۰۲. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۷۶

غسلك و تجهيزك و دفنك» «۱».

لَقَدْ تابَ اللَّهُ أى تحنّن و لطف، فإن «تاب» لغة بمعنى:

غفر، و بمعنى: رجع بفضله عَلَى النَّبِي و ما ورد فى بعض الأحاديث «بالنبى» إنما أريد به نفى كون معنى التوبة بالنسبة إلى النبى صادرة عن عصيان وَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ فهم بين من يستحق المغفرة لمعصية صدرت عنه، و بين من يستحقها تفضلا الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ أى اتبعوا النبى فِي ساعَةِ الْعُسْرَةِ أى وقت صعوبة الأمر، و ذلك فى غزوة تبوك، فقد كانوا فى صعوبة من جهة المركب، و من جهة الماء و الزاد، و من جهة الحر، و من جهة التعب للسفر الطويل، و من جهة الخوف من الأعداء، فقد كان العشرة منهم يتراوحون على بعير و زادهم الشعير المسوس، و التمر المدود، و الإهالة السنخة «و هو ما أذيب من الشحم المتغير الريح»، و كانوا يمصون تمرة واحدة، و هم جماعة كثيرة، يخرجها هذا من فيه فيمصها الآخر و هكذا حتى لا يبقى إلا النواة مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ يميل و ينحرف

قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ عن الجهاد، فأرادوا البقاء في المدينة أو بقوا ثم لحقوا بالرسول كأبي خيثمة.

ثُمَّ تابَ الله عَلَيْهِمْ من بعد ذلك الزيغ و الانحراف إِنَّهُ

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ۴٢٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۴٧٧

[سورة التوبة (٩): آية ١١٨]

وَ عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَ ضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)

تعالى بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ فلا يؤاخذهم بما كسبت قلوبهم، و بما عملوه من الكسل و المطل.

[١١٨] وَ لقد تاب الله عَلَى الثَّلاثَةِ أشخاص الَّذِينَ خُلِّفُوا عن غزوة تبوك، كأن الشيطان خلّفهم و هم من تقدم ذكرهم مفصّلا في قوله سبحانه: «وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ» حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ «ما» مصدرية، أي: مع رحبها- بالضم- وسعتها، ضاقت عليهم لأن الناس قاطعوهم بأمر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الإنسان إذا قاطعه الأصدقاء تضيق نفسه، حتى يظن أن الأرض ضيقة لا مجال له فيها وَ ضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ كأنهم لم يجدوا لأنفسهم موضعا يخفونها فيه، و هذا كناية عن شدة غمّهم. و لعل وجه «ضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ» أن الإنسان إذا غمّ غمّا شديدا تسخن شرايينه و أعضاؤه، فلا يكفي النّفس المجذوب لتبريدها، فيحسّ بأن نفسه قد ضاقت، لأنها لم يصل إليها الهواء الكافي.

وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ أنه لا موضع للفرار من سخط الله سبحانه إلا إليه نفسه تعالى، فإنه سبحانه قد أحاط بأقطار الأرض و آفاق السماء فكيف يمكن الفرار منه إلا أن يتوجه الإنسان إليه بالتوبة و الاستغفار، و لعل الإتيان بلفظة «الظن» هنا لإفادة الحالة النفسية للإنسان المجرم حيث أنه لا يفكر في الملاجئ الممكنة، فهو يتردّد بين هذا أو ذاك، و إن ترجّح في نفسه الملجأ الحقيقي و هو الله تعالى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۴٧٨

ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ أي تاب الله عليهم و رجع إليهم بعد أن أعرض عنهم بقبوله توبتهم في التخلف عن تبوك لِيَتُوبُوا أي يرجعوا إلى حالتهم الأولى قبل المعصية، فيكون لهم ما للمسلمين لا يقاطعون و لا ينبذون إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ مبالغة في «التائب»، فإنه سبحانه كثير الرجوع إلى عباده إن رجعوا إليه، و ليس ككبرياء الناس حيث أنه إن قطعوا عن أحد لا يعودون إليه، و لو عادوا لم يتكرر ذلك منهم مرات و مرات، فالإنسان مهما عصى و تاب، قبل الله توبته إذا كانت توبة نصوحا، و إن نقض التوبة قبل ذلك ألف مرة الرَّحِيمُ يرحم العباد و يتفضل عليهم بلطفه، فليست توبة مجردة، و إنما مع التفضيل و التكرّم.

لقد كان هؤلاء الثلاثة المتخلفون- كعب و مرارة و هلال- أرجئوا، في الآية السابقة «وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ» ثم تاب الله عليهم هنا، و كان في كلا الأمرين أبلغ حكمة، و خير تأديب و موعظة.

و هنا كلمة لا بد من بيانها و هي أن الناظر في الآيات يرى أن بعض العاصين كان الله و الرسول يعفوان عنهم كهؤلاء، و بعضهم يبقون موضع السخط و الغضب ك «ثعلبة» الذي تقدمت أحواله، إن هذا يكشف عن الفرق بين العصاة، فمن أصلح منهم و طهر قلبه استحق العفو و الغفران، أما من أبدى التوبة و قلبه ملوّث بالذنوب و النفاق، فلم يكن تنفعه الندامة، و لذا كان مطرودا من رحمة الله، و قد بيّن سبحانه أن قبول التوبة مشروط بالطهارة و النقاء، كما في قوله تعالى: (ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا) «١»، و غيرها من الآيات.

---

(١) المائدة: ٩۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۷۹

[سورة التوبة (۹): الآيات ۱۱۹ الى ۱۲۰]

يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (۱۱۹) ما كانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَ لا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لا نَصَبٌ وَ لا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَ لا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (۱۲۰)

[۱۱۹] و بمناسبة توبة هؤلاء و صفاء باطنهم فى التوبة، و صدقهم فى الرجوع إلى الحق، يأتى السياق ليبيّن وجوب كون الإنسان متقيا منضما إلى جماعة الصادقين، لينال الخير و الغفران يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ اجتنبوا معاصيه و خذوا بأوامره وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ و «المعية» هنا تفيد المعية الانضمامية، و المعية العملية، بأن يصدق الإنسان، و ينضم مع الزمرة الصادقة، لينال كل خير و فضل. و قد ورد فى أحاديث كثيرة: أن المراد بهم أمير المؤمنين و آله الطاهرين «۱»، و هذا من باب أظهر المصاديق كما لا يخفى.

[۱۲۰] ثم يأتى البيان العام للمسلمين بوجوب اتباع الرسول فى كل أمر و عدم التخلّف عنه فى غزو أو غيره ما كانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ إنه خبر فى معنى النهى، أى: لاـ يجوز للمسلمين من أهل المدينة وَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ أهل البدو، و تخصيص هؤلاء بالذكر ليس لأجل خصوصية فيهما دون سائر المسلمين، و إنما لأجل كونهما محل أوامر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم غالبا، فى الجهاد و نحوه، و إلا فالمسلمون كلهم كذلك أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فى غزوة أو سفرة أو سائر ما يريده منهم و يعمله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، وَ لا لهم أن يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ الكريمة بأن يطلبوا لأنفسهم من الخير و الراحة دون نفس الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، بأن يؤثروا

---

(۱) تفسير فرات الكوفى: ص ۱۷۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۸۰

أنفسهم على نفسه فإذا أراد الجهاد تركوه يقاسى الحر و البرد، و هم فى مساكنهم هادئون آمنون. يقال: «رغبت بنفسى عن هذا الأمر» أى ترفعت بها عنه.

ذلِكَ النهى لهم و الزجر عن التخلف، ليس بلا عوض و لا مقابل، و إنما لهم بكل حركة و سكون و تعب أجر و ثواب بسبب أنهم لا يُصِيبُهُمْ فى سفرهم ظَمَأٌ عطش وَ لا نَصَبٌ تعب فى أبدانهم وَ لا مَخْمَصَةٌ بمعنى المجاعة، و أصله ضمور البطن للمجاعة، يقال: «رجل خميص البطن»، أى ضامرها من الجوع، و المعنى: لاـ يصيبهم جوع فِي سَبِيلِ اللَّهِ و لإعلاء كلمته وَ لا يَطَؤُنَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ أى لا يضعون أقدامهم موضعا يسبب غيظ الكفار، و المراد: إما وطى أراضى الأعداء، فإنهم يغيظون إذا رأوا واحدا يطأ محلّهم، أو الذهاب مطلقا، فإن الكفار يغيظون بسير المسلمين إليهم لإرادة الغزو.

وَ لاـ يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا لاـ يصيبون من الكفار أمرا، من قتل أو جراحة أو مال أو سبى أو ما أشبه إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لهؤلاء المسلمين المجاهدين بِهِ بسبب ذلك العمل عَمَلٌ صالِحٌ و طاعة مقبولة إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ الذين أحسنوا و عملوا الأعمال الحسنة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۸۱

[سورة التوبة (۹): الآيات ۱۲۱ الى ۱۲۲]

وَ لاـ يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَ لاـ كَبِيرَةً وَ لاـ يَقْطَعُونَ وادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۲۱) وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (۱۲۲)

[۱۲۱] وَ لا يُنْفِقُونَ هؤلاء المسلمون، فى الجهاد نَفَقَةً صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً أى قليلة أو كثيرة وَ لا يَقْطَعُونَ وادِياً أى لا يجتازون أرضا فى مسيرهم إلى الكفار للجهاد إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ذلك ليثابوا عليه لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أى يكتب ذلك للجزاء ب أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ جزاء

أحسن أعمالهم، أو أحسن جزاء أعمالهم. و على الأول:

فالسكوت عن سائر الأعمال ليس لعدم الجزاء و إنما لوضوح أن من يجزى على الأحسن يجزى على غيره. و على الثانى: يكون المعنى أنه سبحانه يجازيهم بجزاء هو أحسن من عملهم، فلو استحق عملهم جزاء ألف دينار، أعطاهم ألفين.

[۱۲۲]

ورد أن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان إذا خرج غازيا لم يتخلّف عنه إلا المنافقون و المعذورون، فلما بيّن سبحانه عيوب المتخلّفين- فى غزوة تبوك- قال المؤمنون: و الله لا نتخلّف عن غزوة يغزوها رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا سرية من سراياه. فلمّا أمر رسول الله بالسرايا إلى الغزو أراد المسلمون أن ينفروا جميعا، و كان ذلك مستلزما لأن يبقى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وحده، فنهاهم الله عن ذلك.

أقول: فى الآية احتمالات نذكر أقربها إلى الظاهر و إلى السياق- أى الارتباط بالقصة المتقدمة فى غزوة تبوك-.

وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً هذا نفى معناه النهى، أى:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۸۲

ليس للمؤمنين أن ينفروا و يخرجوا إلى الجهاد بأجمعهم و يتركوا النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وحيدا فَلَوْ لا تحضيض و حث، بمعنى: أن اللازم ذهاب بعض و بقاء بعض نَفَرَ و خرج إلى الجهاد مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ من كل قبيلة و نحوها طائِفَةٌ جماعة، و يبقى من كل فرقة جماعة آخرون لِيَتَفَقَّهُوا أى ليتفقه هؤلاء الباقون- المفهوم من قوله: «نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ»- فِي الدِّينِ يبقون خدمة للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليتعلموا أحكام الإسلام التى تنزل على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تدريجا وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ ينذر الباقون قومهم النافرين إِذا رَجَعُوا رجع النافرون إِلَيْهِمْ أى إلى الباقين لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ أى يحذر النافرون عما أنذروا به.

فلنفرض أن زيدا ذهب إلى الجهاد، و بقى عمرو و تعلم من النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حرمة الاستمناء- مدة غياب زيد- فإذا رجع زيد حذره عمرو عن الاستمناء حتى يترك و ينقلع. و لو كان المعنى على هذا السياق المذكور لكان فهم وجوب الذهاب إلى مراكز العلم لتحصيله، بالفحوى، لأن المقصود من البقاء عند النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليس إلا تعلم الحكمة و إفادتها للغائب، و كذلك من يسافر فى طلب العلم ثم ينذر أهله إذا رجع إليهم.

روى عن الإمام الباقر عليه السّلام أنه قال: «كان هذا حين كثر الناس فأمرهم الله أن ينفر منهم طائفة و تقيم طائفة للتفقه، و أن يكون الغزو نوبا»

«۱». و لا ينافيه

ما ورد عن الإمام الصادق- لأن الظاهر إرادة

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۹ ص ۱۵۷. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۸۳

[سورة التوبة (۹): آية ۱۲۳]

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (۱۲۳)

الفحوى- فى تفسير الآية، «فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله و يختلفوا إليه، فيتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم ..» «۱».

ثم إنه لو قلنا: إن الآية مستقلة برأسها لا ترتبط بما قبلها، يكون المعنى: أن اللازم على كل طائفة من كل فرقة من المسلمين المنتشرين هنا و هناك أن يذهبوا إلى طلب العلم فى مراكزه ثم ينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم حتى يحذروا عن ترك الواجبات و إتيان المحرمات.

و تكون المناسبة بينها و بين الآيات السابقة بيان أن النفر واجب فى مقامين: فى مقام الجهاد و فى مقام العلم. و لا يخفى أن الآية

تشمل التفقه بنحو الاجتهاد، و بنحو أخذ الرواية، و نحو بيان المسائل بعد أخذها عن المجتهد، فهى أعم من الاجتهاد و الوعظ و نشر المسائل.

[١٢٣] و إلحاقا بما تقدم من أمر الجهاد، يأتى السياق ليبيّن خطة الإسلام فى جهاد الكفار يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ من «ولى يلى» إذا قرب، أى: يقربونكم- فى الأرض- مِنَ الْكُفَّارِ فقاتلوا الأدنى فالأدنى، و ذلك لتتصل أرض الإسلام بعضها ببعض و لا تحدث بينها فجوة يتّخذها العدو مرصدا و قاعدة لمحاربتكم. و قد دلّ الدليل على جواز مقاتلة الأبعد إذا كان المسلمون فى أمن من الأقرب لمهادنة أو معاهدة أو ما أشبه وَ لْيَجِدُوا أى يجد الكفار فِيكُمْ غِلْظَةً و خشونة، فإن ذلك مما يسبب انهيار معنويات العدو، لكن ليست «الغلظة» بالمثلة و نحوها فقد حرّم الإسلام ذلك كما منع عن قتل المرأة

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٧ ص ١۴٠.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۴٨۴

[سورة التوبة (٩): آية ١٢۴]

وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢۴)

و الصبى و الفانى و الراهب و ممن لا- يساعد المحاربين وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ فلا تتركوا التقوى كما لا يرعوى المحاربون- إذا فتحوا البلاد- من كل إثم و شناعة، فإن الإسلام جاء محرّرا لا فاتحا، فليس للجيوش الإسلامية أن تفعل ما تشاء إذا غلبت.

و قد زجر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بلالا حين رأى من بعض النساء اليهوديات- من أهل خيبر- تغيرا فسألهن ما بالهن؟ فلما أجبن بأن بلالا مرّ بهن على مصارع قتلاهن- يعنى يهود خيبر- قال الرسول لبلال زاجرا: كأن الله نزع الرحمة من قلبك!

[١٢۴] و يأتى السياق ليبيّن كلام المنافقين و ما يرتسم فى قلوبهم و حركاتهم إذا أنزلت سورة، فإن المنافق إذا أنزلت سورة تريب نفسه و تحمل السورة إلى محامل بعيدة عن الحقيقة و الواقع ليثلج صدره بالتكذيب، و طبق ما فى نفسه يطفح كلام مريب على لسانه فيتساءل ممن حوله عن وقع السورة فى نفوسهم، حتى يرتب الأثر، فإن جذبت السورة ناسا ردّهم، و إن لم تجذبهم يزيدهم ريبا و شكا. أما حركته فإنه ينزعج من الحضور فى مجال تتلى السورة فيه لأن قلبه لا- يميل إليهم و لا إليها، إذن فلينصرف عن المجلس متسلّلا حتى لا- يعلم نفاقه، و يستريح إلى أقرانه وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ «ما» زائدة جىء بها لتحسين الكلام، و لعله لنكتة بلاغية هى تصوير حال المنافق المنكر، فقد نزلت السورة، لكن فى قلب المنافق «ما أنزلت» فَمِنْهُمْ أى من المنافقين مَنْ يَقُولُ على وجه الإنكار و الاستخبار: أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ السورة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۴٨۵

[سورة التوبة (٩): الآيات ١٢۵ الى ١٢۶]

وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَ ماتُوا وَ هُمْ كافِرُونَ (١٢۵) أَ وَ لا- يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَ لا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢۶)

إِيماناً؟ ليعلموا وقع أثر السورة فى النفوس و المقاومة إذا أرادوا إلقاء الريب و الشك.

و هنا يأتى الجواب من الله سبحانه ليفصل فى الأمر بما هو الواقع، من غير حاجة إلى جواب المؤمنين أو إلى جواب المنافقين: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً فإن المؤمن المخلص كلّما ذكر الله سبحانه و كلّما رأى آية من آياته يزداد إيمانا و عقيدة وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ يفرحون بنزول السورة فرحا يظهر فى وجوههم أثره، و كيف لا- يفرحون و قد زادهم سبحانه دلالة و كرامة، و قوّى جانبهم بنزول سورة أخرى؟! [١٢۵] وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ روحى، و هو الشك و النفاق و الإنكار فَزادَتْهُمْ السورة رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ لأن قلوبهم كانت قذرة بإنكار ما سبق من آيات الله، فإذا أنكروا هذه السورة و شكوا فيها زادت قذارة قلوبهم. و يسمى الكفر رجسا، لأنه

کالنجاسة الظاهرة التی تؤذی، و یجب علی الإنسان أن یتجنّبها وَ ماتُوا وَ هُمْ کافِرُونَ فإن من لا تنفعه السور لا بد أن یبقی شاکا منافقا حتی یموت فی کفره و نفاقه.

[۱۲۶] إن أمر هؤلاء المنافقین عجیب، فإن السور لا- تفیدهم، و الفتنة لا- ترجعهم عن غیّهم أ وَ لا یَرَوْنَ هؤلاء المنافقون- علی نحو الاستفهام الإنکاری- أَنَّهُمْ یُفْتَنُونَ أی یمتحنون، تارة بنصر

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۸۶

[سورة التوبة (۹): آیة ۱۲۷]

وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلی بَعْضٍ هَلْ یَراکُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا یَفْقَهُونَ (۱۲۷)

المسلمین، و أخری بکشف الرسول نوایاهم، و ثالثة بالأمراض و ما أشبه، مما ینبغی أن یرجع المنافق عن غیّه إذا أصابه ذلک فِی کُلِّ عامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَیْنِ فالفتنة کثیرة الوقوع فی حیاتهم ثُمَّ لا- یَتُوبُونَ عن نفاقهم و کفرهم وَ لا- هُمْ یَذَّکَّرُونَ نعم الله سبحانه، و أدلته و حججه، إن قلوبهم قد تحجّرت فلا تفیدها السورة و لا الفتنة، فما ذا یصنع بها؟

[۱۲۷] و لما فرغ من بیان أقوالهم و نوایاهم، بیّن عملهم النفاقی تجاه نزول السورة وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ «ما» زائدة کما تقدم، و هم حضور عند النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نَظَرَ بَعْضُهُمْ أی بعض هؤلاء المنافقین إِلی بَعْضٍ لیغمز إلیه و یشیر إلیه بأن لا یؤمن و لا یتزحزح عن نفاقه. فیقول بعضهم لبعض بالقول أو الغمز و الإشارة: هَلْ یَراکُمْ مِنْ أَحَدٍ من المؤمنین المخلصین؟ و الظاهر أن المراد رؤیة الالتفات إلی نوایاهم و إشاراتهم، لا رؤیة العین، فإنهم کانوا یریدون عدم التفات المسلمین إلی أحوالهم لئلّا یعرفوا سبب قیامهم عن المجلس و انصرافهم ثُمَّ انْصَرَفُوا عن المجلس إذا لم یرهم أحد، أو حین انفضّ المجلس صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ دعاء علیهم بأن یصرف الله قلوبهم عن فهم الحق و إدراکه، فإنهم لما نافقوا لم یستحقوا الألطاف الإلهیة الخفیة بسبب أنهم قَوْمٌ لا یَفْقَهُونَ الحق، فقد طبع علی قلوبهم بالکفر و العصیان و النفاق.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۸۷

[سورة التوبة (۹): الآیات ۱۲۸ الی ۱۲۹]

لَقَدْ جاءَکُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِکُمْ عَزِیزٌ عَلَیْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِیصٌ عَلَیْکُمْ بِالْمُؤْمِنِینَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ (۱۲۸) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِیَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِیمِ (۱۲۹)

[۱۲۸] و فی ختام السورة تأتی آیتان لبیان وظیفة المؤمنین تجاه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الذی یحنو علیهم، فاللازم أن ینصروه و یؤازروه، و لبیان ما یفعله الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لو تولّی الناس عنه و أعرضوا، و کأنها خاتمة لما تقدم من أحوال من آمن و آزر، و من نافق و تخلف لَقَدْ جاءَکُمْ أیها البشر، أو أیها المؤمنون رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أی من جنس نفوسکم، و هو محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم. و هذا تحریض لاتباعه و الأخذ بأمره حیث أنه من أنفسهم عَزِیزٌ عَلَیْهِ ما عَنِتُّمْ أی صعب علیه عنتکم و ما یلحق بکم من الضرر و الأذی حَرِیصٌ عَلَیْکُمْ أی علی حفظکم و تقدمکم و سعادتکم، فلستم بهیّنین علیه حتی لا یهمّه أمرکم، و یلقی بکم فی المهالک اعتباطا، فإذا أمرکم بأمر فإن فیه سعادتکم و خیرکم، لأنه جاء من المشفق الحریص علی شؤونکم بِالْمُؤْمِنِینَ رَؤُفٌ الرأفة شدة الرحمة رَحِیمٌ للتأکید و تفهیم من لا یفهم معنی الرؤوف، فهو وصف توضیحی من قبیل «سعدانة تنبت».

[۱۲۹] فَإِنْ تَوَلَّوْا و أعرضوا عنک یا رسول الله، و عن رسالتک فَقُلْ یا رسول الله: حَسْبِیَ اللَّهُ أی کافیّ، فإنه قادر علی أن ینصرنی لا إِلهَ إِلَّا هُوَ لا شریک له أرجوه أو أخافه، بل هو وحده بیده کل شیء، فهو قادر علی نصری و إعزازی عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ اتکلت فی أموری کلها

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۸۸

علیه وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِیمِ فهو أعظم من کل عظیم، إذ العرش العظیم- أی السلطان الکبیر- له، فمن اتصل به لا یخشی أحدا سواه، و إن أعرض عنه الناس، فإن العرش کنایة عن السلطة و السیادة.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۸۹

۱۰ سورة يونس مكية/ آياتها (۱۱۰)

سميت السورة بهذا الاسم حيث اشتملت على قصة «يونس» النبى عليه السّلام و السورة تدور مباحثها حول العقيدة، و ما يتفرع منها- غالبا- و حيث اختتمت سورة «براءة» بذكر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، ابتدأت هذه السورة بذكره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.
[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الله سبحانه، فهو وحده المستحق للتقديم، و ذكر الرحمن الرحيم، لتلطيف الجو، فإن الناس قد اعتادوا أن يروا الظلم و الجور من الكبار و الطغاة، لكنه ليس كذلك إنه الرحمن بعباده، الرحيم بالمؤمنين منهم، فلا خوف من ظلمه، و لا خشية من جوره.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۹۰

[سورة يونس (۱۰): آية ۱]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ
الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ (۱)

[۲] الر من ألف و لام و راء و غيرها يتركب هذا القرآن المعجز، فإنه من جنس كلام البشر، لكنه معجز لا يتمكن أحد أن يأتى بمثله، كما أن من جنس المعادن و النبات يتركب الإنسان، لكن لا يقدر أحد على أن يأتى بمثله، و كذلك جميع صنع الله سبحانه- على الاختلاف فى أوائل السور- تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ خبر لقوله «الر» أى هذه الحروف آيات الكتاب- على بعض الأقوال- و المراد ب «الكتاب الحكيم» القرآن العظيم الحاكم بالحق، المحكم فى وصفه و أسلوبه و أحكامه.
[۳] أ كانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنا إِلى رَجُلٍ مِنْهُمْ استفهام إنكارى، أى: هل إيحاؤنا إلى رجل منهم موجب للعجب و الاستغراب، إنه لا ينبغى ذلك، فقد أوحى إلى جنس البشر قبل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فالأنبياء كلهم كانوا بشرا أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ مفعول «أوحينا» فقد كان الناس يرتكبون المحرّمات و يفعلون القبائح، فجاء الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لينذرهم بالعذاب إن اقترفوا الآثام وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا و اعتقدوا بما جئت به أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ فكما أن الإنسان الصادق فى قوله لا تزل قدمه عند المحاكمة و الحكم، كذلك من آمن له قدم صدق لا تتزلزل و لا تضطرب عند الله سبحانه، و يوم محكمته الكبرى قالَ الْكافِرُونَ الذين لا يعتقدون بالله و آياته: إِنَّ هذا النبى- يعنون محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم- لَساحِرٌ مُبِينٌ أى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۹۱

[سورة يونس (۱۰): آية ۳]

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ما مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (۳)

واضح، حيث أنهم لم يتمكنوا من مقابلته و الإتيان بمثل كلامه.
[۴] ثم عطف سياق الكلام حول الإله، على الكلام حول الرسول، و أخّره لأن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو الذى يقول هذا الكلام و يثبته و يدعو إلى التوحيد و يقدم عليه البراهين و الأدلة إِنَّ رَبَّكُمُ أيها البشر اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فالذى خلقهما و اخترعهما و أوجدهما من العدم هو ربكم و خالقكم، لا الأحجار المنحوتة و الأشجار و سائر المخلوقات. فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ و قد جرت سنة الله سبحانه على التدرّج فى الخلق، مع أنه قادر على الخلق دفعة واحدة، فالإنسان و الحيوان و النبات كلها تتدرّج فى الخلق حتى تكمل، و لعلّ فى ذلك اعتبار للملائكة و نحوهم، كما أن فى تدريج خلقة الإنسان و سائر الأشياء عبرة للبشر، فإن الإذعان يأتى بالتدريج. و أما خصوصية «الستة» فهى كخصوصية «تسعة أشهر» للجنين و سائر الأزمان المضروبة لسائر المخلوقات.

ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ أى استولى عليه، أو توجّه نحو خلقه- كما مر فى سورة الأعراف- يُدَبِّرُ الْأَمْرَ أى يقدّره و ينفذه على وجهه، فهو الخالق، و هو الآمر فى الكون ما مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ فهو سبحانه كما بدأ و خلق، و أمر و نفّذ، كذلك بيده المعاد و إليه المرجع، و هناك لا بد من الشفاعة للعصاة كما جرت العادة فى الدنيا، و لكن الشفاعة هناك أيضا بيده، فلا يشفع أحد إلا من بعد إذنه ذلِكُمُ اللَّهُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۴۹۲

[سورة يونس (١٠): الآيات ۴ الى ۵]

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ بِالْقِسْطِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ (۴) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسابَ ما خَلَقَ اللَّهُ ذلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (۵)

الموصوف بهذه الصفات هو رَبُّكُمْ لا غيره من الأصنام و سائر المعبودات فَاعْبُدُوهُ وحده بدون شريك أَ فَلا تَذَكَّرُونَ فيه حثّ على التذكّر و التفكّر ليهتدوا إلى الطريق، و يجتنبوا المتاهات.

[۵] ثم بيّن أن الرجوع إليه كما كان منه البدء، للتصريح بذلك بعد الإشعار و الإلماع إليه إِلَيْهِ إلى الله سبحانه مَرْجِعُكُمْ رجوعكم أيها البشر جَمِيعاً فلا يتخلّف منكم أحد وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا لا يخلف ما وعد من رجوعكم إليه إِنَّهُ وحده يَبْدَؤُا الْخَلْقَ و يوجدهم من العدم ثُمَّ يُعِيدُهُ بعد موته و فنائه و عدمه، و إنما يعيده لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أى يعطيهم جزاءهم بِالْقِسْطِ بالعدل، فإذا لم يروا هنا «فى الدنيا» جزاء أعمالهم الصالحة، لا بد و أن يروا هناك «فى الآخرة» وَ الَّذِينَ كَفَرُوا و لم يؤمنوا بالله لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ «الحميم» هو الماء الحار الذى انتهى إلى آخر درجة من الحرارة وَ عَذابٌ أَلِيمٌ مؤلم و موجع بسبب ما كانُوا يَكْفُرُونَ «ما» مصدرية، أى جزاء على كفرهم.

[۶] ثم بيّن سبحانه صفاته الفعلية، و أقام البرهان على الألوهية بما يرى الإنسان من الآثار الكونية البادية للعيان هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۴۹۳

أى نورا بالنهار، ليستفيد منه الإنسان و الحيوان و النبات و سائر المخلوقات الأرضية، و لولاها لم يكن ذو روح على وجه البسيطة وَ الْقَمَرَ نُوراً بالليل، قالوا: و الضياء أبلغ فى كشف الظلمات من النور، و إن كان يطلق كل منهما على الآخر، إلا أنهما إذا اجتمعا دلّ الأول على زيادة.

إن هذا البرهان كاف للإنسان العادى الذى لا يعرف إلا الفطرة السليمة، كما أنه كاف لأكبر الفلاسفة دقة، و كذلك جميع آيات القرآن، فهى فى حين تقنع الإنسان البسيط تكون أقوى الحجج للمنطقى و الفلسفى و المجادل. فمن يأترى خلق هذه الأشياء؟ هل أنها صنعت نفسها؟ إن هذا لا يمكن أبدا، أم صنعها جاهل عاجز؟ و هذا كالسابق فى الاستحالة. فلا بد و أن يكون صانعها عالم قدير، و ليس هو إلا الله سبحانه.

وَ قَدَّرَهُ أى قدر القمر مَنازِلَ بأن جعل له منازل، ينزل فى أحدهما بعد الآخر حتى يكمل الدور، و قوله «قدره» إما بحذف «اللام» أى «قدر له»، و إما مجاز لعلاقة الحال و المحل، فقد نسب ما للمحل إلى الحال. و إنما قدره منازل لِتَعْلَمُوا بالقمر و منازله عَدَدَ السِّنِينَ فإن السنة تتكون من اثنى عشر شهرا، و الشهر لا يكون إلا بحركة القمر من منزل إلى منزل وَ الْحِسابَ حتى تعرفوا أى يوم أول الشهر و أى يوم آخره، و تضبط بذلك الحسابات و المواعيد. و قد كان القمر و الشهور خير وسيلة للعالم و الجاهل للضبط و التقدير، أما سائر الحسابات فهى غير محسوسة بالإضافة إلى كونها خاصة بالعالم.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۴۹۴

[سورة يونس (١٠): آية ۶]

إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (۶)

ما خَلَقَ اللَّهُ ذلِكَ الخلق من سماوات و أرض و شمس و قمر و منازل إِلَّا بِالْحَقِ فلم يكن الخلق لهوا و عبثا لا طائل فيه، فإن فيه دلائل على الوحدانية و الصفات الأزلية، كما أن فيه الحساب و الميقات و المنافع للخلق يُفَصِّلُ الله سبحانه الْآياتِ الدالة على وجوده و يبيّنها آية آية لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فيعطون كل آية حقها، أما الجهّال فإنهم معرضون عن الآيات (وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها) «١».

[٧] ثم بيّن سبحانه آية أخرى من الآيات الدالة على وجوده مما هو ظاهر للعيان و يعرفه كل إنسان إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ و المراد ب «الاختلاف» إتيان أحدهما خلفة للآخر، كما قال سبحانه فى آية أخرى: (جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ خِلْفَةً) «٢». و لعلّ تقديم الليل، لأن الظلمة هى السابقة على النور، فقد قالوا: إن النور و الظلمة «عدم و ملكة» و من المعلوم تقدم العدم على الملكة ذاتا وَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ من أنواع الكواكب و النيازك و الشهب و السحاب و الأمطار و الرياح و غيرها وَ الْأَرْضِ من أنواع الجبال و المعادن و المياه و النباتات و الحيوانات و الإنسان و غيرها لَآياتٍ أى أدلة دالة و براهين ساطعة على وجود الله سبحانه و صفاته، من العلم و القدرة و الإرادة و الحياة و غيرها لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ الانزلاق فى مهاوى السفاسف

---

(١) الأنعام: ٢۶.

(٢) الفرقان: ۶٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۴٩۵

[سورة يونس (١٠): الآيات ٧ الى ٨]

إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَ رَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَ اطْمَأَنُّوا بِها وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ (٧) أُولئِكَ مَأْواهُمُ النَّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (٨)

و الخرافة، كما أن فيهما آيات لمن يتقى عصيان الله سبحانه. و إنما خصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بهذه الآيات.

[٨] ثم ذكر سبحانه جزاء الذين لا يقتنعون بهذه الآيات، و ينكرون المعاد المستلزم لإنكار المبدأ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا أى: لقاء الله، و المراد ب «لقائه» لقاء الجزاء المقرّر لهم من عنده، فإن الله سبحانه منزّه عن المكان، و إنما هو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، و المراد ب «لا يرجون» لا يتوقعون، و إنما جيء بهذا اللفظ لأن كل معتقد به يرجو ثواب الله سبحانه، فإن الإنسان بطبعه يرجو نوال الكريم. و هذا كناية عن عدم الإيمان، فإن الذين لا يؤمنون لا يرجون المعاد وَ رَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا أى الحياة القريبة، فإن «دنيا» مؤنث «أدنى» أى اختاروا هذه الحياة، فصرفوا همّهم فى عمارتها، و لا يعملون إلا لها وَ اطْمَأَنُّوا بِها أى سكنوا إليها و ركنوا لها. و هذا من عجيب الأمر:

كيف يركن الإنسان إلى دنيا يعلم بفنائها السريع، و يشاهد كل يوم كثرة من الأموات؟! وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا دلائلنا التى أقمناها على التوحيد و سائر شؤون المبدأ و المعاد، من الأدلة الكونية و غيرها غافِلُونَ فلا يتأملون فيها و لا يعتبرون بها.

[٩] أُولئِكَ الذين تلك أوصافهم مَأْواهُمُ أى مستقرّهم و مرجعهم النَّارُ إليها يصيرون بسبب ما كانُوا يَكْسِبُونَ من أنواع الكفر و المعاصى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۴٩۶

[سورة يونس (١٠): الآيات ٩ الى ١٠]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعْواهُمْ فِيها سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (١٠)

[۱۰] هذا هو الكفر، و هذا مصيره، فلننظر إلى الإيمان و مصيره إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بالله و رسله و اليوم الآخر و صدقوا بما جاءت به الأنبياء وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أى الأعمال الصالحة، فإن المحرمات لا تصلح لبناء فرد أو مجتمع أو دنيا أو آخره، بخلاف الواجبات و المندوبات و المباحات فإنها تصلح لذلك يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بسبب إيمانهم إلى الجنة فى الآخرة، و إلى كل خير فى الدنيا، فإن الإيمان مفتاح كل سعادة تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ أى تحت أبنيتهم و أشجارهم، أو من تحت أنفسهم، باعتبار أن ماء النهر أسفل من الإنسان إذا مشى على الأرض فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ بحيث يتنعّم الإنسان فيها بجميع أنواع النعم، من أمن و رفاه و صحة و علم و لذة و غيرها.

[۱۱] دَعْواهُمْ أى دعاء المؤمنين، فإن الدعوى قول يدعى به إلى أمر فِيها أى فى تلك الجنات: سُبْحانَكَ اللَّهُمَ «سبحان» مصدر منصوب بفعل مقدّر، أى: أنزّهك تنزيها، يا الله، فإن «الميم» فى «اللهم» بدل من حرف النداء «يا» وَ تَحِيَّتُهُمْ «التحية» مصدر من باب التفعيل، بمعنى التكرمة، مشتقة من: «أحياك الله» فِيها أى فى الجنات سَلامٌ من الله لهم، و من الملائكة بالنسبة إليهم، و من بعض المؤمنين لبعض،

و فى الدعاء: «حينا ربنا بالسلام» «۱».

و المراد

---

(۱) مستدرك وسائل الشيعة: ج ۹ ص ۳۲۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۹۷

[سورة يونس (۱۰): آية ۱۱]

وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ (۱۱)

ب «السلام» السلامة من الآفات و المكاره، فإن الجنة هى دار السلام التى لا مكروه فيها أبدا. و من ذلك سلام الإنسان لبعض حيا أو ميتا، فإن سلامة الحى من المكاره هنا، و سلامة الميت من المكاره هناك، و هو دعاء، أو تفأّل، أو رجاء، بمعنى: «اللهم سلّمه»، أو: «أتفأّل لك السلامة»، أو: «أرجوها لك». وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أى آخر كلامهم الذى يتكلمون به أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ فهم بين تسبيح و تسليم و تحميد.

[۱۲] إن حكمة الله سبحانه اقتضت بقاء الإنسان فى الدنيا حتى يبلغ الأجل المضروب له سواء كان صالحا أو طالحا، فالخيّر و الشرير اللذين سبق الكلام حولهما لا بد و أن يتمّا مدتهما المقرّرة لهما، و إن كان بعض الناس يستعجلون الشرّ بدعائهم، أو بأعمالهم وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ من الموت و المرض و الفقر مما يستحقّون بأعمالهم أو بدعائهم، فإن بعض الناس إذا غضب دعا على نفسه و على بعض ذويه بالهلاك و الأمراض و نحوهما اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ أى كما يعجّل سبحانه لهم إعطاء الخير الذى يستحقونه بأعمالهم، أو بدعائهم لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ أى لفرغ من إهلاكهم، و لم يكن على وجه الأرض إنسان، و المعنى: لفرغ من أجلهم و مدّتهم المضروبة للحياة، و إذا انتهت مدّتهم هلكوا، كما قال سبحانه: (وَ يَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كانَ الْإِنْسانُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۴۹۸

[سورة يونس (۱۰): آية ۱۲]

وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۲)

عَجُولًا) «۱»، فحيث اقتضت المشيئة الإلهية بقاء الإنسان مدة فى الدنيا فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا من الكافرين الذين لا يعتقدون بالمعاد فِي طُغْيانِهِمْ عن الحق و ترفّعهم عن الإيمان يَعْمَهُونَ «العمه» هو العمى، و شدة الحيرة، فلا نقضى أجلهم بل نمهلهم إمهالا. و هذا الإبقاء إنما هو ليزيد عذابهم حيث طغوا و أعرضوا عن الإيمان بعد ما رأوا الآيات الدالّة عليه.

[۱۳] إن الإنسان الذی لم یتأدب بآداب الله سبحانه کثیر التناقض، فبینما تراه یستعجل الشر، تراه لا یطیق أقل مس من الشر، حتی أنه إذا أصابه ذلک جعل یدعو الله فی کل حالاته لکشفه عنه وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ مجرد مسّ و عبور علیه الضُّرُّ مشقة من مشقات الدنیا فی نفس أو أهل أو مال أو نحوها دَعانا لکشفه و إزالته، فی حال کونه نائما لِجَنْبِهِ مضطجعا أَوْ قاعِداً فی حال قعوده أَوْ قائِماً فی حال قیامه، و الظاهر أن «أو» هنا بمعنی «الواو»، فإنها تأتی بمعناها، قال ابن مالک:

خیر، أبح، قسم، بأو، و أبهمو اشکک، و إضراب بها أیضا نمی

و ربما عاقبت الواو إذالم یلف ذو النطق للبث منفذا

---

(۱) الإسراء: ۱۲.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۴۹۹

[سورة یونس (۱۰): آیة ۱۳]

وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَ ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (۱۳)

فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ و أزلنا البلاء الذی توجّه إلیه مَرَّ فی طریقه السابق، بدون أن یغیره إلی طریق الدین و الحق كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ کأن لم یسألنا إزالة ضره، فهو لا یعرف الرب بعد إزالته. إنه یمرّ بدون أن یتوقف لیشکر، أو یتذکر، أو یعتبر، كَذلِكَ بمثل هذه الطبیعة المنحطّة التی تتضرّع إلی الله فی الضراء، و تنساه فی السراء زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ إن المسرفین الذین أسرفوا فی الحیاة الدنیا و الرکون إلیها، و لم یجعلوا للآخرة خط رجعة إلیها، لو وقفوا و تأملوا و شکروا، ارتدعوا عن أعمالهم الباطلة، لکنهم یمرّون بلا شکر و تدبّر، و لذا زیّن الشیطان فی نظرهم قبح أعمالهم، فإن الإنسان إذا تدبر عرف الحسن من القبیح، أما إذا رکب هواه و سار لا یلوی علی شیء، لا یری أعماله القبیحة إلا حسنة.

[۱۴] فما ذا کانت عاقبة المسرفین؟ إن السیاق یستعرضها بالنسبة إلی الأمم السابقة، لتعتبر هذه الأمة وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ جمع «قرن»، و هو أهل کل عصر، سموا بذلک لمقارنة بعضهم لبعض، و منه «القرن» بمعنی الشجاع المقابل لأنه مثل الشجاع الآخر مِنْ قَبْلِكُمْ بأنواع العذاب لَمَّا ظَلَمُوا أنفسهم و غیرهم، و أسرفوا فی الرکون إلی الدنیا وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ أی الحجج و الأدلة، فإن الهلاک إنما

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۰۰

تقریب القرآن إلی الأذهان ج۲ ۵۵۰

[سورة یونس (۱۰): الآیات ۱۴ الی ۱۵]

ثُمَّ جَعَلْناكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (۱۴) وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۱۵)

یکون بعد إتمام الحجة، أما مجرد الظلم بدون إتمام الحجة، فإنه لا یوجب هلاکا- عند الله سبحانه- قال: (وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) «۱»، وَ ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا أی أن هلاکهم بعد العلم بأنهم لا یؤمنون أبدا، فهم ظالمون قد تمت علیهم الحجة، و لا یؤمنون بعد ذلک كَذلِكَ أی کما جازینا أولئک القرون لمّا ظلموا نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ من جمیع الأمم.

[۱۵] ثُمَّ جَعَلْناكُمْ یا أمة محمد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، أو أیها البشر المتأخرون عن أولئک خَلائِفَ جمع «خلیفة» نحو: طرائق جمع طریقة فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ من بعد أولئک القرون، فإنکم خلفتموهم فی الأرض، و صرتم خلفا لهم لِنَنْظُرَ أی نری، و المراد: الرؤیة العلمیة، أو الرؤیة حقیقة، فإنه سبحانه ناظر لأعمال العباد كَيْفَ تَعْمَلُونَ هل تعملون الصالحات أو السیئات، کأولئک القرون؟ و إنما نرید النظر للاختیار و الجزاء.

[۱۶] ثم بيّن سبحانه بعض أعمال هؤلاء المشابهة لأعمال أولئك القرون الظالمة. فقد ذكر بعض المفسرون أن جماعة من المشركين قالوا للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ائت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات و العزى و مناة و هبل، و ليس فيه عيبها، أو بدّله و تكلم به من تلقاء نفسك «۲».

---

(۱) الإسراء: ۱۶.

(۲) مجمع البيان: ج ۵ ص ۱۶۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۰۱

فنزلت: وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ على هؤلاء الكفار آياتُنا المنزلة فى القرآن بَيِّناتٍ واضحات قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا أى لا يؤمنون بالمعاد، فإن المؤمن بالمعاد يرجو فضل الله سبحانه، فمن لم يرج فليس بمؤمن، لتلازم الرجاء و الإيمان: ائْتِ جئ يا محمد بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا القرآن الذى تلوته أَوْ بَدِّلْهُ فاجعله على خلاف ما تقرأه، و الفرق بينهما: أن القرآن الثانى غير مرتبطة مطالبه بالقرآن الأول، بخلاف «بدله» فهو هو، لكن مع التبديل كأن يقول- عوض (إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) «۱»-: «إنكم و ما تعبدون من دون الله زينة الجنة» مثلا. و قد ظن أولئك الجهلة أن القرآن أمثال أشعار العرب التى يتمكن الشاعر أن يقول شعرا آخر، أو أن يبدل جزءا من الشعر فيجعل مكانه جزءا آخر.

قُلْ يا رسول الله لهم: ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ أبدل القرآن مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي من ناحية نفسى، فإنه معجز و ذلك بيد الله وحده، يقال: «فلان تلقاء فلان» أى بحذائه و إزائه إِنْ أَتَّبِعُ ما أتبع إِلَّا ما يُوحى أى الشىء الذى يوحيه الله سبحانه إِلَيَ بلا زيادة و لا نقصان إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي بتبديل كتابه أو تغييره، أو

---

(۱) الأنبياء: ۹۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۰۲

[سورة يونس (۱۰): آية ۱۶]

قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۱۶)

سائر أنواع المعاصى عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ يوم القيامة، و أى معنى للتبديل؟ هل لأن القرآن ليس معجزا؟ فليأتوا بمثله، أم لأن مطالبه و قوانينه ليست مطابقة للواقع أو للحكمة، فما هو نقدهم فيه؟ و هل المعاند يكتفى بالتبديل؟ إن كلامهم كان لمجرد العناد، و هذا مما لا يصغى إليه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

[۱۷] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الذين يطلبون تبديل القرآن: ليس أمر تلاوته، و لا أمر إنزاله بيدى، إن جميع شؤون القرآن بيد الله سبحانه، فهو الذى أنزله، و هو الذى أمرنى بتلاوته، و قل لهم: إنى قد لبثت فيكم قبل نزول القرآن عمرا كاملا أربعين سنة، و لو كان القرآن منى لكنت أقرأه و أعلمه قبل نزوله، إن عدم قراءتى له من قبل، و عدم بيانه سابقا، دليل على أنه ليس من عندى و ليس بيدى حتى أتمكن من تبديله و تغييره لَوْ شاءَ اللَّهُ أن لا أتلوه ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ فإنه هو الآمر بتلاوته عليكم و تبليغكم به وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ أى لو شاء الله أن لا تعلموه، ما أعلمكم به، و ذلك بعدم إنزاله أصلا. فبيده وحده إنزال القرآن فَقَدْ لَبِثْتُ مكثت و أقمت بينكم و فِيكُمْ عُمُراً أربعين سنة مِنْ قَبْلِهِ من قبل قراءتى للقرآن و تلاوتى له، فلو كان منى لكنت قرأته من قبل، فإنه أى فارق فى كلامى قبل ادعائى للنبوة و بعد ادعائى لها. و قد كان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يتكلم بكلام بينهم قبل النبوة فلم يكن يشبه كلامه القرآن أصلا أَ فَلا تَعْقِلُونَ و تتفكرون فى هذه الحقيقة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۰۳

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۱۷ الى ۱۸]

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (۱۷) وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِما لا يَعْلَمُ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (۱۸)

الواضحة، فكيف تطلبون منى أن أبدل القرآن.

[۱۸] إذن، لم يبق أمامى فى باب تبديل القرآن إلا أن أخترع قرآنا من نفسى، و هذا مما لا يمكن أبدا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ أى لا- أحد أكثر ظلما من إنسان تجرّأ على الله سبحانه كَذِباً بأن نسب إليه كلاما ليس من كلامه، أو حكما ليس من حكمه، فكيف أعمل أنا هذا بأن أخترع قرآنا ثم أنسبه إلى الله تعالى؟! أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ كما تعملون أنتم حيث تكذبون آيات الله و تقولون: أنها ليست من الله، فكلا- الأمرين افتراء عليه ما ليس منه، و سلب عنه ما هو منه إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ لا يفوزون بخير الدنيا و لا سعادة الآخرة، فإن الله سبحانه بالمرصاد للمجرم، خصوصا الاجرام بهذا الحد من الجرأة عليه سبحانه.

[۱۹] ثم بيّن سبحانه آلهة هؤلاء الكفار الباطلة، فإنهم تركوا الحق و اتخذوا الباطل وَ يَعْبُدُونَ يعبد هؤلاء الكفار مِنْ دُونِ اللَّهِ أى غير الله.

و هذا يجتمع مع الشرك و مع الكفر ما لا- يَضُرُّهُمْ ضررا من قبلها وَ لا يَنْفَعُهُمْ فإن الأصنام جمادات لا تضر و لا تنفع، و العذاب للشرك إنما هو ضرر يتوجه إليهم من عملهم الباطل، كما أن بعض المنافع المادية لسدنة الأصنام و من إليهم إنما هى من الأشخاص الباذلين و الناذرين لا من قبل الأصنام، ثم إن كونها «لا تضر و لا تنفع» أبلغ فى الردع عن عبادتها، لأنه لا تجوز العبادة حتى بالنسبة إلى من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۰۴

[سورة يونس (۱۰): آية ۱۹]

وَ ما كانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً واحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيما فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (۱۹)

يضر و ينفع كعبادة الملوك الذين بيدهم الضر و النفع ظاهرا. أو المراد النافع و الضار حقيقة، و ليس فى الكون نافع أو ضار فى الحقيقة إلا الله سبحانه، فإنه هو الذى خلق المنافع و المضار و أمكن كل شىء من الإتيان بمقتضاه.

وَ يَقُولُونَ أى يقول المشركون و هم الذين يعتقدون بالله و بالصنم: هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ فإنا نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عنده سبحانه قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار: أَ تُنَبِّئُونَ اللَّهَ أى هل تخبرون الله سبحانه- على نحو الاستفهام الإنكارى- بِما لا يَعْلَمُ فإن الله سبحانه لا يعلم كون الأصنام شافعة، فكيف تنسبون إليه أنه تعالى جعل الشفاعة لها، و «لا يعلم» من باب السالبة بانتفاء الموضوع، فإنه إذا لم يكن موضوع للعلم، لم يكن علم. فهل يعلم هؤلاء الكفار ما لا يعلمه الله سبحانه فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ و يخبرونه بما لا وجود له؟ و يخترعون الشفاعة لما لم يجعله الله سبحانه شفيعا سُبْحانَهُ منزّه عن ذلك وَ تَعالى إنه أعلى و أجل عَمَّا يُشْرِكُونَ من أن يكون له شريك، و «ما» إما مصدرية، أى عن شركهم، فهو منزّه عن شركهم و أجلّ منه. و إما موصولة، أى عن الأصنام التى يشركونها مع الله، فهو منزّه عن المثل، و أعلى و أجل من أن يكون فى عداد الأصنام.

[۲۰] و قبل أن يستعرض القرآن سائر أقوالهم السخيفة، يبيّن أن الشرك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۰۵

[سورة يونس (۱۰): آية ۲۰]

وَ يَقُولُونَ لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (۲۰)

عارض على البشر، و إلّا فالفطرة السليمة تدل على التوحيد، فإن الجهاز الموحّد المنظّم يدل على إرادة موحدة و رئيس واحد وَ ما كانَ النَّاسُ بفطرتهم و أصلهم إِلَّا أُمَّةً واحِدَةً موحدة، كما

قال النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبويه هما اللذان يهودانه و ينصرانه و يمجسانه» «۱»، فَاخْتَلَفُوا بأن بقى بعضهم على التوحيد، و انحرف بعضهم نحو الشرك.

وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ بأن قالها و قرّرها بأن تكون الدنيا دار امتحان، فيكون الناس فيها مختارين مطلقى السراح مهما شاءوا اعتقدوا، و مهما أرادوا عملوا، حتى يكون الجزاء عدلا و استحقاقا، لا محاباة و اعتباطا لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ أى حكم الله بينهم فى هذه الدنيا بأن يهلك المشركين و يذر الموحدين فِيما فِيهِ يَخْتَلِفُونَ من التوحيد و الشرك، أو المراد: لقضى بينهم بأن أجبر الجميع على التوحيد، لكنه (لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ) «۲».

[۲۱] وَ يَقُولُونَ أى يقول هؤلاء الكفار: لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ أى على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم آيَةٌ معجزة خارقة كمعاجز عيسى و موسى عليهما السّلام مِنْ طرف رَبِّهِ فقد كانوا يقترحون خوارق أخرى، و كان ذلك منهم تعنّتا،

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۵۸ ص ۱۸۷.

(۲) البقرة: ۲۵۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۰۶

[سورة يونس (۱۰): آية ۲۱]

وَ إِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آياتِنا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنا يَكْتُبُونَ ما تَمْكُرُونَ (۲۱)

إذ يكفى فى الدلالة الخارقة دلالة القرآن العظيم المعجزة الباقية، لكنهم لم يكونوا يذعنون لها فَقُلْ يا رسول الله: إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ إن الآية الخارقة التى تطلبونها غيب خارق لقوانين هذا الكون، و إنه بيد الله سبحانه ليس بيدى و من عندى، و هو أعلم بالمصالح (وَ ما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ) «۱»، فإن المتعنّت لا يريد إلا اللّجاج لا الحجة و الاقتناع حتى يسير الإنسان حيث إرادته، إنه لو أراد الاقتناع و الدلالة لكفته هذه المعجزة العظيمة، فهو كمن يأتى بإمضاء الرئيس، ثم يقول الناس له: «جئ بإمضاء آخر حتى نقبل قولك» فَانْتَظِرُوا المستقبل حتى ترون هل يأتى الله سبحانه بما تطلبون إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ و هذا الجواب فيه شبه تهديد، كما تقول للمجرم: اصبر حتى نرى العاقبة.

[۲۲] ثم بيّن سبحانه أن الطبيعة البشرية إنما تطغى إذا رأت نفسها غنية غير محتاجة، أما إذا وقع الإنسان فى أزمة و شدة، فهو يلوذ بالله و يتوسل إليه، و هذا دليل على ما كمن فى فطرته من التوحيد و الاعتراف بالألوهية وَ إِذا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً «الإذاقة» تستعمل بمعنى الذوق باللسان، كما تستعمل بمعنى الإدراك مطلقا، و هذا هو المراد هنا، فإن الرحمة ليست خاصة باللسان مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ من شدة أو فاقة أو اضطراب أو غيرها إِذا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آياتِنا فإنهم حيث رأوا الشدة

---

(۱) الأنعام: ۱۱۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۰۷

[سورة يونس (۱۰): آية ۲۲]

هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِها جاءَتْها رِيحٌ عاصِفٌ وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (۲۲)

كانوا جديرين بقبول الحق، و اتباع الرسل، و الأخذ بالأحكام، لكن طبيعتهم العاتية حيث ترى غناها بسبب الرحمة التى ذاقتها، ترجع إلى إنكار الآيات، و الاحتيال و المكر لإخمادها و إنكارها، و قد كانت عادة البشر هكذا مع الأنبياء، فقوم فرعون كلما أصيبوا بمكروه جاءوا إلى موسى عليه السّلام يسألونه الكشف عنهم حتى يؤمنوا، فإذا أذاقهم الله الرحمة، و كشف عنهم العذاب رجعوا إلى ما كانوا

عليه، و أخذوا يمكرون بموسى، و يحتالون لإخماد آيات الله سبحانه، و هكذا سائر الأنبياء و المصلحين مع أممهم، إلى هذا اليوم.

قُلِ يا رسول الله، لمثل هؤلاء: لا تفعلوا و لا تمكروا ف اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْراً فإن مكر هؤلاء لا يصل إلى أعماق الحياة، بخلاف مكره سبحانه و علاجه للأمر- لأن المكر هو: التدبير الخفى- فإنه يصل إلى أعماق الحياة، و لذا تكون جذور دعوات الأنبياء أعمق و أسرع فى نفوس الناس من مكر الماكرين و إنكار الملحدين و تشكيك المشككين إِنَّ رُسُلَنا أى الملائكة يَكْتُبُونَ ما تَمْكُرُونَ أى ما تدبرون خفيئة ضد الدين و أهله، ثم تجزون على ذلك.

[۲۳] ثم ضرب سبحانه مثلا لطبيعة الإنسان العاتية التى تتضرع عند الشدة، و تنسى عند الرخاء هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ فإن مشى الحيوان، و المركبة، و غيرها، إنما هو حسب تكوين الله سبحانه و نظامه الذى جعله للحياة و إلا لم يتمكن الإنسان من السير و لو خطوة واحدة وَ الْبَحْرِ بسبب الفلك و نظام عدم غرق ما وزن الماء أثقل منه- كما

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۰۸

بيّن فى قانون أرخميدس- حَتَّى إِذا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ فكأن الإنسان سار من بلده فى طريق البحر حتى ركب فى السفينة لإرادة الذهاب إلى مقصد من مقاصده البعيدة وَ جَرَيْنَ أى جرت السفن، فإن «الفلك» يأتى مفردا و جمعا بلفظ واحد بِهِمْ أى بالناس بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ لينة يستطيبونها، لأنها تجرى نحو المقصد فى رخاء و هدوء وَ فَرِحُوا الراكبون بِها أى بهذه الريح. فهم فى أمن و فرح و سير نحو المقصد بارتياح، و إذا بهم جاءَتْها السفينة رِيحٌ عاصِفٌ شديدة الهبوب، هائلة هائجة، فأخذت السفينة فى الاضطراب و الإشراف على الغرق من الترنّح الشديد الذى يصيبها بسبب تلاطم الأمواج وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ من الأطراف الأربعة، فإن الرياح إذا توجهت نحو الماء رفعت منه أجزاء كثيرة ربما صارت كالجبل العظيم، و هذا هو الموج، و الأمواج تسير بسير الهواء ما دامت تنفخ فيها و تسيّرها، فإذا اضطربت الرياح وهبت من الجهات المختلفة جاءت الموج من كل مكان، و إذا بالسفينة فى وسط الأمواج ترتفع مرة و تنحدر أخرى، و تميل ثالثة، و تقع من علو دفعة- إذا تلاشت الأمواج تحتها- رابعة، و هكذا ..

فتصبح:

كريشة فى مهب الريح طائفةلا تستقر على حال من القلق

وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ أى أحاطت بهم الأمواج بحيث تغرقهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۰۹

[سورة يونس (۱۰): آية ۲۳]

فَلَمَّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۲۳)

فلا نجاة من الهلكة، و حينئذ حيث رأوا الهلاك دَعَوُا اللَّهَ و تضرعوا إليه، و انقشعت عن عيونهم غواشى الشهوات و الأنانيات، و ظهرت فطرتهم صافية مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ أى على وجه الإخلاص فى الاعتقاد، بحيث يجعلون الدين له، و ينقطعون عما سواه، قائلين: لَئِنْ أَنْجَيْتَنا يا رب مِنْ هذِهِ الشدة و الورطة لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ المعترفين بك و بفضلك و إحسانك فإن الشكر يستلزم الإذعان و التوحيد.

[۲۴] فَلَمَّا أَنْجاهُمْ أى خلّصهم من تلك الأهوال إِذا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أى يظلمون أنفسهم و غيرهم، فإن من لا يسير على منهاج الله سبحانه لا بد و أن يكون ظالما باغيا يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ فإن ظلم الظالم يعود و باله عليه مَتاعَ الْحَياةِ الدُّنْيا أى أن بغيكم إنما هو ما يتمتّع به فى الحياة الدنيا، و ذلك منقطع لا يبقى، فإن الإنسان إنما يبغى لأمور دنيوية، و لا فائدة فيما لا بقاء له و لا دوام ثُمَّ إِلَيْنا مَرْجِعُكُمْ رجوعكم و مصيركم فَنُنَبِّئُكُمْ نخبركم بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ و هذا تهديد بأنهم سيجازون بأعمالهم السيئة، كما تقول للمجرم: «سأخبرك بأعمالك» تريد جزاءه

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۱۰

[سورة يونس (۱۰): آية ۲۴]

إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعامُ حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَ ازَّيَّنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۲۴)

على تلك السيئات التى صدرت منه.

[۲۵] و لما ذكر سبحانه أن الظلم إنما هو متاع الحياة الدنيا، بيّن فناءها، و أنه لا ينبغى أن يعمل الإنسان لما يفنى و لا يبقى إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا أى شبه الحياة القريبة فى سرعة فنائها و زوالها كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ و هو المطر فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فإن النبات يمتص الماء حتى ينضر و يزدهر و ينمو مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ من الثمار و البقول و نحوهما وَ الْأَنْعامُ كالحشيش و القات و غيرهما. و لعل الإتيان بهذا التفصيل للتناسق بين المثال و الممثل له فكما أن الماء يختلط بالأجناس العالية من النبات- و هو مأكل الإنسان- و الأجناس السافلة- و هو مأكل الحيوان- كذلك الحياة التى يفيضها الله سبحانه على الكون تختلط بالأشياء الراقية كالإنسان و الجواهر، و بالأشياء المنحطة كالمدر و الحجر و غيرهما.

حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها «الزخرف» كمال حسن الشيء، يقال: «زخرفته» أى حسنته، فإن المطر لما ينزل من السماء يظهر ريع الزروع و الكروم و نضارة النباتات و الأشجار وَ ازَّيَّنَتْ أى تزينت الأرض بالنبات الزاهى و الزرع النضر، و أصل «ازينت» تزينت من باب «التفعل» قلبت «التاء» «زاء» وجيء بهمزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن.

وَ ظَنَّ أَهْلُها أى أهل الأرض أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها لزعمهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۱۱

أنهم هم الذين أوجدوها بجهدهم، و زيّنوها بصنعهم، و أنهم مالكوا الأمر فيها، فلا يتمكن أحد من تغييرها و تحريرها. و كذلك الإنسان دائما يظن أن ما يجرى فى الكون مما له دخل فيه، إنما هو بصنعه و إرادته، فإذا بنى دارا زعم أنها صنعه، و إذا جرت سفينته فى الماء ظن أنها منه، و هكذا، و الحال أن الإنسان ليس إلا جزءا صغيرا متوسطا فى سلسلة العلل. فقبله، الأرض التى منها أدوات البناء و بعده الصورة التى هى من الله سبحانه، و بها البقاء للدار، و هكذا بالنسبة إلى السفينة و سائر الأشياء.

أَتاها أتى تلك الأرض المزخرفة بالزرع و النظارة أَمْرُنا أى عذابنا من برد أو ثلج أو عاصفة أو جراد أو نحوها لَيْلًا أَوْ نَهاراً و هذا يدل على كمال القدرة، فإنه لا يخشى من أحد و لا يمنعه وقت يقظة الناس كما لا يمنعه حراس الليل فَجَعَلْناها حَصِيداً جعلنا تلك الأرض حصيدا أى محصودة، مقلوعة ذاهبة كَأَنْ لَمْ تَغْنَ لم توجد و لم تكن بِالْأَمْسِ من قبل، من «غنى بالمكان» بمعنى أقام به، و منه «المغنى» بمعنى المنزل كَذلِكَ بما فصلنا هذا المثال و أوضحناه نُفَصِّلُ سائر الْآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فى أدلة الله سبحانه، فالحياة الدنيا، كماء المطر و الدنيا كالمزرعة، فإن الحياة تختلط بماهية الأشياء، و إذ نرى الحياة مزدهرة، و الأسواق عامرة، و الأرض مخضرة، و الناس فى أمن و رفاه، و أخذ و عطاء، و فى هذه الغمرة من الحسن و الازدهار، و إذا بأمر الله سبحانه يأتى إما بسبب أرضى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۱۲

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۲۵ الى ۲۶]

وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ وَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۲۵) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ وَ لا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَ لا ذِلَّةٌ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۲۶)

كالخسف، أو بسبب سماوى كالصيحة و البرق و القذف، أو كالأمراض الفتاكة، أو كالوسائل الهدامة من الآلات الحربية المفنية- كالقنابل و غيرها- فيجعلها حصيدا لا حياة فيها و لا حركة، و لا عمارة و لا حضارة .. أليس الأمر كذلك؟ و أليس يكفى هذا دلالة

على وجود الله و قدرته؟ فكيف يتكبر الإنسان و يعصى، و يطغى و يكفر؟

[۲۶] هذه كانت حالة الدنيا فهى دار تغير و زوال، و فناء و اضمحلال وَ اللَّهُ يَدْعُوا الناس إِلى دارِ السَّلامِ التى يكون كل شىء فيها سالما عن التغير و الآفات، و هى الجنة، فإنه سبحانه يحرّضهم للعمل، فهذه الدار لتلك الدار، و «السلام» و «السلامة» بمعنى واحد، كالرضاع و الرضاعة وَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ إما المراد بالهداية: معناها العام، ف «من يشاء» هم جميع الناس، و إما المراد بها: معناها الخاص، أى الألطاف الخاصة، ف «من يشاء» هم الذين اتخذوا مناهج الأنبياء، فإنهم مختصون بتلك الألطاف المؤدية بهم إلى جنات النعيم.

و من المحتمل أن يراد بالهداية: معناها العام- و هى إراءة الطريق- و يكون «من يشاء» خاصا بمن تمّت لديه الحجة، فإن كثيرا من أهل البلاد البعيدة لم تبلغهم الدعوة، و كذلك من مات فى الفترة بين الرسل و نحوهم، و أولئك الذين لم تبلغهم الدعوة، إنما يمتحنون يوم القيامة، كما يقتضيه العدل، و دلّ على بعض موارده الدليل.

[۲۷] تلك حال الدنيا الزائلة و هذه حال الآخرة الباقية، فلننظر إلى أحوال أهل تلك، و أهل هذه بين الأمرين، ف لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الاعتقاد،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۱۳

[سورة يونس (۱۰): آية ۲۷]

وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۲۷)

و أحسنوا العمل، بأن آمنوا و عملوا الصالحات الْحُسْنى أى الحالة الحسنى، فإنهم يجزون بإحسانهم إحسانا وَ زِيادَةٌ فضل من الله سبحانه، فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، كما قال سبحانه فى آية أخرى: (لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) «۱»، وَ لا يَرْهَقُ «الرهق» لحاق الأمر، و منه «راهق الغلام» إذا لحق بالرجال، و يستعمل اسما من «الإرهاق» و هو أن يحتمل الإنسان ما لا يطيقه، أى لا يلحق وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ أى غبار و سواد وَ لا ذِلَّةٌ انكسار و انهزام، فليست كوجوه أهل المعاصى التى يظهر عليها أثر العذاب الجسدى بالقتر، و أثر العذاب النفسى بالذلة، بل وجوههم نضرة، كما قال سبحانه:

(تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) «۲»، أُولئِكَ الذين أحسنوا أَصْحابُ الْجَنَّةِ رفاقها و ملاكها هُمْ فِيها خالِدُونَ دائمون أبدا، لا خروج لهم منها، و لا تغيّر لها بهم.

[۲۸] وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ أى عملوها، و غالبا يأتى «الكسب» بالنسبة إلى السيئات للدلالة على صعوبة السيئات بخلاف الحسنات، و ذلك واضح لأن السيئات لها التواءات توجب الصعوبة لمكتسبها فمثلا الزواج فيه سهولة اطمئنان النفس إلى دار، و أهل، و أولاد، و قلوب تحنو عليه، و مستقبل يقوم به النسل، و ذكر جميل و سيادة. و السفاح بالعكس من كل ذلك، بالإضافة إلى صرف المال و الطاقة لقلب خاو

---

(۱) فاطر: ۳۱.

(۲) المطففين: ۲۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۱۴

و عمل مذموم، و هكذا. و ليس المقصود أن الحلال بلا صعوبة، و أن الحرام بلا لذة، و إنما المقصود أن الحلال دائما أهنأ و أسهل من الحرام، فإنه سبحانه خلط الحرام باللذة القليلة، و الحلال بالتعب اليسير، ليختبر و يمتحن، فلو كان الحلال بلا تعب لم يكن الآتى به ممدوحا، و لو كان الحرام بلا لذة لم يكن التارك له مستحقا للأجر و الثواب.

جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها لا يجازون بأكثر من عملهم، إذ الجزاء بالأكثر ظلم قبيح، و «جزاء» مبتدأ خبره «بمثلها»، و الجملة خبر لقوله: «الذين كسبوا» و العائد محذوف أى «لهم» و نحوه وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ تلحقهم ذلة نفسية، فإن الإنسان المعذّب يحس فى نفسه ذلة و انهزاما ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ ليس يحفظهم عن العذاب اللاحق بهم حافظ من قبل الله، أو المراد: لا ينجيهم من عذاب الله حافظ، و هم بالإضافة إلى العذاب و الصعوبات، فإن الدم يحترق فى الجسد، و ينقلب أسودا، فيظهر لونه على الجسم لشفافية الجلد كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً فكأن الليل صار قطعا بسواده الشديد، فأغشيت وجوههم بقطع منه، قطعة فوق قطعة حتى لا يرى فيها أثر النور و الضياء، فهم فى عذاب البدن، و ذلة النفس، و سواد الوجه أُولئِكَ الذين كسبوا السيئات أَصْحابُ النَّارِ رفاقها و الملازمون لها و المعرّفون بها هُمْ فِيها خالِدُونَ دائمون أبد الآبدين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۱۵

[سورة يونس (۱۰): آية ۲۸]

وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكانَكُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَكاؤُكُمْ فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ وَ قالَ شُرَكاؤُهُمْ ما كُنْتُمْ إِيَّانا تَعْبُدُونَ (۲۸)

[۲۹] قد كان أولئك الكفار و العصاة فى الدنيا لهم آلهة و أصدقاء، فأين ذهبت آلهتهم و أصدقاؤهم؟ و هل أنقذوهم و شفّعوا فيهم؟ إنهم هناك انقلبوا أعداء بعد ما رأوا العذاب وَ اذكر يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ أى نجمعهم جَمِيعاً بلا استثناء أحد، و هو يوم القيامة ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا بالله، بأن جعلوا له شريكا: الزموا مَكانَكُمْ لا تبرحوا حتى تجازون بأعمالكم أَنْتُمْ وَ شُرَكاؤُكُمْ أى كونوا جميعا فى مكانكم حتى تعطون الجزاء. و إضافة الشركاء إليهم باعتبار أنهم اخترعوها، و جعلوها شركاء الله سبحانه فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ أى ميّزنا و فرّقنا، و المراد: التفريق بينهم فى السؤال، فهناك سؤال عن المشركين، و سؤال عن الآلهة التى عبدوها من دون الله سبحانه وَ قالَ شُرَكاؤُهُمْ الأصنام و غيرها من المعبودات التى عبدوها، مخاطبين للكفار: ما كُنْتُمْ أيها المشركون إِيَّانا تَعْبُدُونَ إما المراد أنهم عبدوا الأهواء و الشياطين، و إما المراد نفى ذلك، مريدا به نفى العلم بعبادتهم. و هذا أيضا يصح بالنسبة إلى من لا يعلم، كالأصنام التى لا تعقل، فإنها ينطقها الله سبحانه هناك، أو أنهم يكذبون للتخلص من التبعة حتى لا يقال لهم: لم رضيتم بعبادة هؤلاء لكم؟ كما يكذب المشركون هناك قائلين: (وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) «۱».

---

(۱) الأنعام: ۲۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۱۶

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۲۹ الى ۳۱]

فَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ (۲۹) هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (۳۰) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ (۳۱)

[۳۰] ثم يستشهد المعبودون بالله سبحانه فى أنهم لم يكونوا يعلمون بعبادة المشركين لهم فَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً أى يكفينا شاهدا و فاصلا للحق بَيْنَنا معاشر المعبودين وَ بَيْنَكُمْ أيها المشركون إِنْ كُنَّا عَنْ عِبادَتِكُمْ أيها المشركون لنا لَغافِلِينَ «إن» مخففة من المثقلة، و حذف اسمها، و هو ضمير الشأن أى يشهد الله: أنه كنا غافلين عن عبادتكم لنا، فإنا لم نعلم بذلك، فكيف نرضى به؟ و لا إثم علينا من هذه الجهة. و هذه حجة قوية على المشركين فى الدنيا، فإنهم يعبدون ما لا يعلم شيئا من عبادتهم، و هل يصلح للعبادة ما هذا شأنه؟! [۳۱] هُنالِكَ فى ذلك الموقف الرهيب موقف الحشر تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ أى تختبر كل نفس أعمالها التى أسلفتها و قدمتها، فإن الإنسان فى الدنيا لم يختبر أعماله، و لا يعلم الصالح و الفاسد منها إلا قليلا، إلّا إذا كان متّبعا للأنبياء فيعرف قيمة الأعمال، فمثلا لا يعلم الإنسان فى الدنيا قيمة الصدقة، إذ لم يختبرها حتى يعرف ما الثمار الكثيرة المترتبة عليها، كما لا يعرف مقدار ضرر الشرك و ما

أشبه وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِ أى ارجعوا إليه، إلى ثوابه و عقابه، و حسابه و جزائه وَ ضَلَّ عَنْهُمْ أى ضاع و بطل عن نصرتهم و شفاعتهم و إنقاذهم ما كانُوا يَفْتَرُونَ أى الأصنام و المعبودات الباطلة التى كانوا يفترون على الله سبحانه بكونها شركاء له.

[۳۲] ثم يستدل سبحانه على كونه الحق و أن سواه باطل بما يشاهدونه فى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۱۷

حياتهم اليومية قُلْ يا رسول الله لهؤلاء المشركين: مَنْ يَرْزُقُكُمْ و يعطى أرزاقكم مِنَ السَّماءِ بإنزال المطر وَ الْأَرْضِ بإخراج النبات، و هكذا يشمل الرزق طيور السماء و أسماك الماء و حيوانات الصحراء، أو هو أعم من ذلك و من سائر الأشياء التى يستفاد منها كالدور و القصور، و المراكب و الملابس، و غيرها أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ فإن من وهبهما و أبقاهما ليس إلا الله سبحانه، و هو القادر على أن يسلبهما وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ كالنباتات من الأرض، و الإنسان و الحيوان من المأكولات الميتة، أو ما أشبه ذلك وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِ كالثمار و الحبوب من النباتات، و الجنين الميت من المرأة الحية، أو ما أشبه ذلك وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ أمر السماء و الأرض بانتظام الحركات و تسيير الأجهزة، على وجه الحكمة و الصلاح.

فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ يفعل كل ذلك، فإنهم بصفتهم مشركون كانوا معترفين بالله، حيث لم تكن الأصنام و ما أشبهها تقدر على هذه الأشياء الكبيرة، فلابد و أن يعترفوا بأنها من الله سبحانه وحده، لا شريك له فى ذلك كله فَقُلْ يا رسول الله لهم: أَ فَلا تَتَّقُونَ فى جعلكم الشريك له بغير علم، أ فلا تخافون عقابه و عذابه فى شرككم بلا حجة و لا برهان؟.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۱۸

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۳۲ الى ۳۴]

فَذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (۳۲) كَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۳۳) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (۳۴)

[۳۳] فَذلِكُمُ أى ذاك الموصوف بتلك الصفات- أيها المخاطبون- فإن «كم» للخطاب اللَّهُ رَبُّكُمُ و إلهكم الْحَقُّ الذى خلقكم و رزقكم و لا يستحق العبادة أحد سواه فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ استفهام تقريرى، أى ليس وراء الحق إلا باطل، فالله الحق، و دونه باطل فَأَنَّى إلى أين تُصْرَفُونَ يصرفكم الشيطان و الأهواء، فتعدلون عن الحق و هو الإله الواحد إلى الآلهة المتعددة.

[۳۴] كَذلِكَ الذى تقدم من قيام الأدلة عند هؤلاء المشركين على التوحيد، و مع ذلك لا يقبلون النتيجة و يجعلون مع الله شركاء حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ثبتت، و وجبت كلمة الله و حكمه و العلم الأزلى عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا و خرجوا عن طاعة الله الواحد إلى طاعة الأنداد و عبادة الأصنام أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ هذا بدل من «كلمة ربك» أى أن الله سبحانه علم من الأزل أن هؤلاء لا يؤمنون، و لم يكن ذلك لأنه لم تتم الحجة عليهم، بل لأنهم فسقوا، و خرجوا من توحيد الله إلى الشرك.

[۳۵] ثم ذكر سبحانه حججا أخرى على التوحيد و نفى الشريك قُلْ يا رسول الله لهؤلاء المشركين: هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ أى الذين جعلتموهم شركاء لله، فإنهم لما كانوا مختلقين، كانت نسبتهم إلى مخترعيهم أولى من نسبتهم إلى الله سبحانه، فلم يقل تعالى «شركائى»

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۱۹

[سورة يونس (۱۰): آية ۳۵]

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (۳۵)

مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ بالإيجاد ثُمَّ يُعِيدُهُ فانيا كما كان، أو يعيده بعد الموت إلى الحياة. و حيث لا يحير هؤلاء جوابا، إذ لا تفعل شركاؤهم ذلك، و يفحمون بهذا الاحتجاج قُلْ يا رسول الله فى الجواب:

اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إن ذلك خاص به لا يتمكن أحد من هذا العمل سواه فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ أى إلى أين تصرفون عن الحق؟ من «أفك» بمعنى: انقلب و انصرف عن الحق.

[۳۶] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء المشركين: هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ الأصنام التى جعلتموها شركاء كذبا و زورا مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِ أى إلى الرشد و الصلاح كى يتنعم عبّادها بما فيه خيرهم و سعادتهم، و حيث أنهم لا يتمكنون من الإجابة بالإثبات، و إلا طولبوا بالدليل. و لا يخفى أن هذا الاحتجاج كان مع عبّاد الأصنام، لا مع عبّاد المسيح عليه السّلام و نحوهم قُلْ يا رسول الله فى الجواب: اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِ فإنه هو الذى أنزل الشرائع و أرسل الرسل لهداية الناس من الظلمات إلى النور، و تعليم طرق الصلاح و الرشاد و السعادة.

ثم يتوجه هنا سؤال يدخل فيه جميع الآلهة حتى عيسى عليه السّلام فى زعم عبّاده أ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِ و يرشد إلى الطريق السوى، و هو الله سبحانه أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ و يأخذ الإنسان بأوامره و نواهيه أَمَّنْ لا يَهِدِّي

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۲۰

[سورة يونس (۱۰): آية ۳۶]

وَ ما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ (۳۶)

أصله «يهتدى» من باب «الانفعال»، قلبت «التاء» «دالا» و أسقطت همزة الوصل من أوله، لنقل حركة التاء إلى الهاء، فصار «هدّى» «يهدّى» و المعنى: هل الله أحق بالاتباع أم من لا يهتدى إِلَّا أَنْ يُهْدى فمن يحتاج إلى الاهتداء لا يصلح أن يتخذ ربا، فالمسيح عليه السّلام و إن كان نبيا عظيما إلّا أنه ينطبق عليه هذا الوصف، إذ لا يهتدى إلا بهداية الله سبحانه. أما الأصنام فهى أبعد، إذ أنها جمادات لا تهتدى حتى إذا أرادوا هدايتها.

و كأن القرآن جرى فى هذا الاحتجاج مجرى المسلّم من خصمه ببعض مقدماته ليرد عليه حتى على ذلك الفرض، و المشركون كانوا قد فرضوا عقلا للأصنام و أنها تشعر فَما لَكُمْ أيها المشركون، و المعنى: ما هو سبب قولكم بغير الحق، و أنتم تعلمون كَيْفَ تَحْكُمُونَ بأن هذه الأصنام آلهة بعد ما قامت الحجة على بطلانها.

[۳۷] وَ ما يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا أى أن أكثر هؤلاء المشركين إنما يتبعون الظنون فى اعتقادهم بألوهية الأصنام، فإنهم لا يتيقنون بذلك جزما، إنما رأوا آباءهم عبدوها، فظنوا بصحتها تقليدا، و الحال إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً فإن الظن ترجيح أحد الطرفين، و هذا ليس بواقع و لا معذّر، أما أنه ليس بواقع، فلأن الواقع لا يتبع أداء الأشخاص، و أما أنه ليس بمعذّر فلأن العقلاء الملتفتين لا يعتمدون عليه فى الأمور المهمة، و هذا بخلاف القطع فإنه إن حصل من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۲۱

[سورة يونس (۱۰): آية ۳۷]

وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ (۳۷)

مقدمات صحيحة كان مطابقا للواقع و معذّرا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ فيجازيهم بأعمالهم الباطلة التابعة لظنون تقليدية واهية.

[۳۸] ثم ينتقل السياق إلى الكلام حول القرآن الذى كان معجزة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الدليل على صدقه و صحة كلامه، و يستعرض مناقشاتهم حوله و الجواب عنها وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى أى يكون مفترى مِنْ دُونِ نزول من عند اللَّهِ سبحانه، فلا يتمكن أحد أن يفترى قرآنا و ينسبه إلى الله سبحانه، فإن الكلام المفترى ليس كالقرآن، لأن له أسلوبا خاصا معجزا، و أنظمة و تشريعات لا يتمكن البشر من الإتيان بمثلها. بالإضافة إلى أن أحدا لو افترى على الله و جاء بمعجز، كان حتما من الحكمة أن يكذبه الله سبحانه، و إلا كان إغراء بالجهل، و ذلك قبيح على الله سبحانه. و قد دل التاريخ أن كل كاذب جاء بشىء ظاهره معجز- سحرا- لم يلبث أن انكشف سره و ظهر كذبه.

وَ لكِنْ هو كتاب سماوى من عنده تعالى، و كان تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ أى مصدقا للكتب السابقة التى جاء بها الأنبياء عليهم السّلام

فهؤلاء المعارضون له غير مرتبطين بشرائع الله، فهم بمعزل عن الدين إطلاقا وَ تَفْصِيلَ الْكِتابِ أى أن القرآن تفصيل للذى كتبه سبحانه على البشر من الأحكام و الشرائع، كما قال سبحانه: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ) «١».

---

(١) البقرة: ١٨۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۵٢٢

[سورة يونس (١٠): آية ٣٨]

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٣٨)

لا رَيْبَ فِيهِ أى ليس فى القرآن مجالا للريب، إذ حججه ساطعة و أدلته واضحة، فمن ارتاب فيه فقد ارتاب ارتيابا فى غير موضعه، كمن يرتاب فى النهار مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ بدليل أنه معجز لا يقدر أحد من البشر من الإتيان بمثله.

[٣٩] أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ أى أن الكفار بعد هذه الحجج يقولون أن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم افترى القرآن، و نسبه إلى الله من دون أن يكون منه، و «أم» هنا بمعنى «بل» الإضرابية، و فيه استفهام إنكارى قُلْ يا رسول الله لهم: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ أى مثل القرآن فى البلاغة و الإعجاز، فإن إعجاز القرآن من نواحى متعددة منها بلاغته الخارقة.

و قد تحدّى القرآن بلغاء العالم بأن يأتوا بسورة واحدة مثل سور القرآن و لو كأقصر سورة نحو (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ* قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ* وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ) «١» لكنهم لم يتمكنوا. و قد كان تحدّى القرآن متدرجا، فتحدّاهم أولا أن يأتوا بمثل تمام القرآن، ثم بمثل عشر سور، ثم بمثل سورة، لكنهم لم يقدروا على أى منها، و ذلك دليل أنه معجز، إذ لو لم يكن معجز لقدر البشر على الإتيان بمثله، لأن مواده و هى الألفاظ و الكلمات بل و الجمل كانت تحت قدرتهم.

وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ دعوته من الجن و الإنس مِنْ دُونِ اللَّهِ

---

(١) الإخلاص: ١- ۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۵٢٣

[سورة يونس (١٠): آية ٣٩]

بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩)

أى غير الله سبحانه، ليشاركونكم و ليساندوكم فى الإتيان بسورة واحدة مثل القرآن، أما الله فهو القادر على ذلك، فاللازم أن يكون الطلب من سواه إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى أن القرآن من كلام البشر، و ليس من كلام الله سبحانه.

[۴٠] ثم بيّن سبحانه أن تكذيب هؤلاء بدون دليل و برهان بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ كذبوا بالقرآن قبل أن يطّلعوا على كنه أمره و حقيقته، كالجاهل الذى يكذّب بالشىء بدون أن يقلّب أوجه الرأى فيه. إنهم حيث لم يألفوا الأنبياء و المعاجز و كانوا جاهلين بذلك تمام الجهل كذبوا بمجرد السماع و الرؤية، بدون أن يتدبروا فى أنه لو كان كذبا مفترىّ لتمكنوا من الإتيان بمثله، فإن الحكيم دائما يفكر و يتدبر ثم يحكم و يظهر النتيجة، أما الجاهل فإنه يسرع فى اتخاذ النتائج قبل التدبّر و التفكّر فى المقدمات.

وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ أى لم يأتهم بعد ما يؤول إليه أمر الكتاب، أى بدون أن يعرفوا مآل الكتاب، و أنه كيف يكون و إلى ما ينتهى.

و هذا كقولك: «فلان يسرع بتكذيبى بدون أن يتدبر كلامى و أن يرى مصير هذا الكلام»، فإن كثيرا من الأشياء يعرف صدقها من كذبها من حال مصائرها، فإذا قال زيد: «سيجىء الحاج إلى كربلاء»، كان اللازم أن لا يكذبه السامع إلا إذا جاء وقت إخباره و لم يظهر منهم أثر، أما أن يكذب بدون أن ينتظر أوله و آخره، فهو خارج عن منطق العقلاء و المفكرين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۵٢۴

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۴۰ الى ۴۱]

وَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (۴۰) وَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (۴۱)

كَذلِكَ أى كتكذيب هؤلاء كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من أمم الأنبياء بدون أن يفهموا كلامهم و ينتظروا عواقب كلامهم، هل يصدق إخبارهم عن المستقبل أم لا- فَانْظُرْ يا رسول الله كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ الذين كذبوا الأنبياء، فعاقبة هؤلاء كعاقبة أولئك، فإن مصيرهم إلى الهلاك و العذاب.

[۴۱] و إذا كان غالب هؤلاء متّبعين للظن مكذّبين اعتباطا، فإن منهم من يؤمن أيضا، إذ الحق لا يخلو من أنصار وَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ أى بالقرآن، بترك كفرهم و شركهم، و اتباع الحق وَ مِنْهُمْ مَنْ لا- يُؤْمِنُ بِهِ بل يبقى فى غيّه و ضلاله، وَ رَبُّكَ يا رسول الله أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ الذين يدومون على فسادهم، فإن الكافر مفسد مهما كان نزيها، فإن الكفر هو أعظم فساد فى الأرض، لأنه خرق لمنهاج الله سبحانه.

[۴۲] وَ إِنْ كَذَّبُوكَ يا رسول الله بعد إلزام الحجة، و إتمام الدليل فَقُلْ لهم: ليعمل كلّ طرف منّا حسب منهجه و معتقده، فإنى لا أحمل تبعة أعمالكم، كما أنكم لا تنتفعون بعملى لِي عَمَلِي و سأرى جزاءه وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ و سترون جزاءه أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ أنا من الطاعة و العبادة وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ من المعاصى و الكفران.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۲۵

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۴۲ الى ۴۴]

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ (۴۲) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَ لَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ (۴۳) إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَ لكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۴۴)

و هذا شبه وعيد لهم بأنهم وحدهم يلاقون جزاء أعمالهم الباطلة.

[۴۳] وَ مِنْهُمْ أى من هؤلاء الكفار مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ بآذانهم، لكنهم أغلقوا قلوبهم عن الانتفاع، فهم متّخذون مكان المتفرج و إنما يستمعون فقط بدون قصد التعلم و العمل أَ فَأَنْتَ يا رسول الله تُسْمِعُ الصُّمَّ جمع «أصم» بمعنى: من فقد حاسة السمع، أى أنك لا تقدر على إسماع الحق لمن صمّت أذن قلبه وَ لَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ فإن الإنسان يقدر على إسماع من يريد الاتباع و التعقل، أما غيره فليس ينجح فيه كل كلام.

[۴۴] وَ مِنْهُمْ أى من هؤلاء الكفار مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ يا رسول الله، حين إلقائك الحجج و الأدلة، و الناظر لا بد و أن يبصر الحق فى المنظور إليه، فإن الحركات و السكنات تدل على ما فى قلب المتكلم من الحرارة و الصدق، و لكنهم ينظرون للتفرّج لا لتفهّم الحق و تعلّم الواقع أَ فَأَنْتَ يا رسول الله تَهْدِي الْعُمْيَ جمع «أعمى»، فإنهم و الأعمى سواء، فكما لا ينتفع الأعمى ببصره كذلك لا ينتفع هؤلاء بما يرون من الحق وَ لَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ فإن الإنسان يقدر على إراءة البصير، أما الأعمى فإن الإنسان لا يقدر على إراءته الحق و إن اجتهد كل جهد.

[۴۵] و أخيرا، إن كل ما يصيب هؤلاء إنما يصيبهم بسبب ظلمهم لأنفسهم،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۲۶

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۴۵ الى ۴۶]

وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا ساعَةً مِنَ النَّهارِ يَتَعارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ (۴۵) وَ إِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما يَفْعَلُونَ (۴۶)

لأنهم لم ينتفعوا بكل ما أقيم لهم من الحجج إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً أى ظلما و لو يسيرا وَ لكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بإعراضهم

عن الحق بعد إتمام الحجة و وضوح المحجة.

[۴۶] ثم بمناسبة عدالة الجزاء و كون ظلمهم لا يعود إلّا على أنفسهم يأتى السياق ليبيّن أنهم فى الحشر يكونون فى أسوأ حال و كأن دنياهم قد مرت كساعة، و قد بقيت التبعات الجسام عليهم وَ يكون حال هؤلاء الكفار يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ يجمعهم الله سبحانه لموقف القيامة، كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا أى لم يبقوا فى الدنيا إِلَّا ساعَةً مِنَ النَّهارِ فهم لا يرون إلّا بريقا من الدنيا، و كأن عمر الدنيا كان ساعة فقط، و هذا ليس بغريب، فالإنسان يرى و هو فى الدنيا ماضى عمره كساعة أو شبهها يَتَعارَفُونَ بَيْنَهُمْ هناك، أى يعرّف بعضهم لبعض قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ خسروا أنفسهم و أهليهم و أموالهم، و المراد من «لقاء الله» لقاء جزائه، تشبيها للمعقول بالمحسوس وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ للحق، فإن عدم اهتدائهم هنا سبب خسارتهم هناك.

[۴۷] إن الكفار تكون عاقبتهم إلى خسارة، و قد وعد الله رسوله خزى الكفار و نصرة المسلمين عليهم، ثم بيّن أنه سواء رأى خزيهم أو مات قبل أن يرى ذلك، فإنه سبحانه لا بد و أن يجازيهم على سوء صنيعهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۲۷

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۴۷ الى ۴۸]

وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (۴۷) وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴۸)

و كفرهم، وَ إِمَّا نُرِيَنَّكَ يا رسول الله «إن» شرطية و «ما» زائدة للتجميل بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ بأن تكون فى الحياة، فترى بعض العقوبات التى ننزلها بالكفار كما وعدناهم بها أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ نقبض روحك قبل أن ترى عقوبتنا لهم فإنهم لا يفوتوننا، بل فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ أى رجوعهم فنريكه فى الآخرة ثُمَّ بعد رجوعهم لا يتمكنون أن يفروا من عقابه بالإنكار، فإن اللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما يَفْعَلُونَ فيجازيهم حسب أعمالهم التى شهدها.

[۴۸] ثم بيّن القرآن الحكيم أن تعجّب هؤلاء الكفار من ادّعاء الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للرسالة ليس فى محله، فإن الرسل قد أتت قبل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى الأمم وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ «الأمة» الجماعة، أى: لكل جماعة رسول يؤدى إليهم رسالة الله سبحانه فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ بيّن لهم و أنذر و حذّر، فإذا لم يقبلوا استحقوا العقاب، على ما وعد سبحانه (وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) «۱»، قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ أى حكم الله سبحانه بينهم بالعدل، فمن آمن أجزل له الأجر، و من لم يؤمن تمّت عليه الحجة و استحق العقاب وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ لا ينقص من ثواب طاعاتهم و لا يزاد فى عقاب سيئاتهم.

[۴۹] قد كان النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يعد المكذبين الهلاك و العقاب، فكانوا يستعجلون

---

(۱) الإسراء: ۱۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۲۸

[سورة يونس (۱۰): آية ۴۹]

قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَ لا نَفْعاً إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ (۴۹)

العقاب، على طريقة الاستهزاء وَ يَقُولُونَ أى يقول الكفار: مَتى هذَا الْوَعْدُ أى وعد عذاب الدنيا، و عقاب الآخرة إِنْ كُنْتُمْ أيها المؤمنون القائلون بعذاب الكفار فى الدنيا و الآخرة صادِقِينَ فيما تقولونه.

[۵۰] قُلْ يا رسول الله فى جوابهم: إن أمر ضررى و نفعى ليس بيدى، فكيف بأمر ضرركم و نفعكم، إن ما نعدكم آت لكن وقته بيد الله سبحانه لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَ لا نَفْعاً فلو شاء الله أن يضرّنى لم أملك ردّه، و لو أراد الله أن ينفعنى لم أملك تغييره أو تعجيله، و لو أردت نفعا لنفسى و لم يردّه الله لم أقدر عليه. و هذا واضح فإن الرسول لا يقدر على أمر لا يريده الله سبحانه، و إنما يقدر على نفع نفسه و ضرها و نفع الناس أو ضرها بأمر الله و إرادته.

فالنفى هنا إضافى لا مطلق، حتى ينافى ما دلّ على النفع الذى كان من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو الضر الذى كان بسببه، كما استثنى ذلك بقوله تعالى: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ أن يملكنى أو يقدرنى عليه، و إذ لم أقدر على نفع نفسى و ضرّها، كيف أقدر لكم على ذلك. أما موعد عقابكم و حشركم فاعلموا أنه لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ و مدة لا بد أن يقضوها حتى تنزل بهم العقوبة على تكذيبهم و عصيانهم إِذا جاءَ أَجَلُهُمْ بأن سار إليهم فَلا يَسْتَأْخِرُونَ أجلهم أى لا يؤخرونه، بمعنى عدم قدرتهم على ذلك ساعَةً جزءا من الزمان وَ لا يَسْتَقْدِمُونَ لا يقدّمونه عن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۲۹

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۵۰ الى ۵۱]

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ بَياتاً أَوْ نَهاراً ما ذا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (۵۰) أَ ثُمَّ إِذا ما وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَ قَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (۵۱)

موعده و وقته، فإذا كان وقت هلاكهم يوم الجمعة و سار الأجل نحوهم من يوم الأربعاء، لا يتمكنون أن يؤخروه إلى يوم السبت و لا يتمكنون أن يجعلونه فى يوم الخميس.

[۵۱] قُلْ يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المستعجلين بالعذاب:

أَ رَأَيْتُمْ أى أخبرونى، فإن «أ رأيت» تستعمل بمعنى: أخبرنى إِنْ أَتاكُمْ عَذابُهُ أى عذاب الله بَياتاً أى ليلا أَوْ نَهاراً ما أنتم صانعون؟ فقد حذف جواب «إن» لدلالة الكلام عليه ما ذا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ أى من العذاب الْمُجْرِمُونَ «ما» مبتدأ و «ذا» بمعنى «الذى» خبره، و الجملة استئنافية، أى: ما الذى يستعجل المجرمون من العذاب، و الاستفهام معناه التهويل، كما نقول لمن يفعل شيئا عاقبته سيئة: «ما الذى تجنى على نفسك؟» فمفاد الآية: أنكم تستعجلون شيئا مهولا مهلكا.

[۵۲] أَ ثُمَّ إِذا ما وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ «الهمزة» للاستفهام، و «ثم» للعطف، أى:

هل- بعد استعجالكم للعذاب- إذا وقع العذاب، فى ذلك الحين تؤمنون به. فقد كانوا لا يؤمنون بالعذاب، و كانوا يستعجلونه على جهة الاستهزاء، و «ما» زائدة جاءت للتزيين، و قد ذكرنا سابقا أنه- غالبا- يأتى الكلام بصورة النفى، و يراد منه الإثبات ..

ثم كأن النفس انتقلت إلى جو وقع العذاب فيه- بعد ما كانت فى الدنيا طرفا لخطاب الرسول- فيقال للمكذّبين حين يشاهدون العذاب و يريدون الإيمان للتخلّص منه آلْآنَ تؤمنون، على نحو الاستفهام

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۳۰

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۵۲ الى ۵۳]

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (۵۲) وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ أَ حَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (۵۳)

الإنكارى، أى أنه لا ينفعكم الإيمان الآن وَ الحال أنه قَدْ كُنْتُمْ بِهِ بالعذاب تَسْتَعْجِلُونَ فكنتم مكذبين له مستهزئين به، أى أن الإيمان الآن فى حين رؤية العذاب غير نافع بعد تكذيبكم له سابقا، و نظيره (آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ) «۱».

[۵۳] ثُمَّ بعد وقوع العذاب عليهم، و عدم فائدة إيمانهم حين معاينة العذاب قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا بالكفر و العصيان و استعجال العذاب استهزاء: ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ أى العذاب الخالد الدائم فى الآخرة بعد عذاب الدنيا هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ أى لا تجزون إلّا بما كسبتم فى الدنيا، فليس العذاب ظلما و إنما هو جزاء أعمالكم.

[۵۴] إن المكذبين لم يكونوا على علم فى تكذيبهم، بل كانوا مستبعدين للعذاب و سائر ما يخبر به النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لذا كانوا يسألون عن حقيقة الأمر وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ يستخبرونك و يطلبون منك يا رسول الله أن تخبرهم أَ حَقٌّ هُوَ هل حق ما جئت به من الأحكام و الوعد و الوعيد و غيرهما؟ قُلْ يا رسول الله فى جوابهم: إِي إنه حق وَ رَبِّي أى قسما بالله إِنَّهُ لَحَقٌّ لا شك فيه وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ لا

(١) يونس: ٩٢.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٥٣١

[سورة يونس (١٠): آية ۵۴]

وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ما فِي الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ (۵۴)

تتمكنون من أن تعجزوا الله سبحانه فلا يتمكن من إنفاذ أمره، أو على أن تعجزوه من تعذيبكم، فقد كان الكفار يظنون أنهم قادرون على إطفاء نور الله، و الفرار من عقابه.

[۵۵] إن العذاب إذا جاء للمكذّب لا يتمكن من النجاة منه، لا بنحو تعجيزه سبحانه بالقوة، و لا بنحو الافتداء للخلاص منه، و هو من الهول بحيث إن الإنسان حاضر لإعطاء جميع ما في الأرض للخلاص، و لكن هيهات! وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ بالشرك و الكفر، أو بالعصيان و الطغيان ما فِي الْأَرْضِ من الثروة لَافْتَدَتْ بِهِ أعطت كل ما في الأرض فدية عن نفسها ليخلّصها من العذاب، فإن عذاب الله هائل إلى هذا الحد، حتى يستعد المجرم للتنازل عن جميع ما يملك- و لو كان كل ما في الأرض- لأجل أن لا يعذّب، و لكن ليس للإنسان جميع ما في الأرض، و لا ينفعه في الافتداء و الخلاص لو ملكه وَ أَسَرُّوا أسرّ المجرمون النَّدامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ أنهم أخفوا ندمهم على ما فات منهم لما رأوا العذاب. و لعل سر إخفائهم لندمهم أن لا يشمت بهم.

و قد روى ذلك عن الصادق عليه السّلام «١».

وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ أي بالعدل فكان عقابهم بمقدار أعمالهم السيئة وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ فيما يفعل بهم من العذاب لأنه

(١) راجع مجمع البيان: ج ۵ ص ١٩٨.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٥٣٢

[سورة يونس (١٠): آية ۵۵]

أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۵۵)

بمقدار أعمالهم.

و لا يقال: كيف أن هذه الأعمال القليلة استحقوا بها العقاب الكثير و مع ذلك فهو عدل؟

لأنه يقال: إن العقاب ليس بقدر حجم الجرم و مدته، بل بقدر آثاره المعنوية، كما أن من يسبّ الملك يقتل، و من يزني يرجم، فإن الأعمال ليست بحجومها و إنما بقيمتها، كما نرى المهندس يعطى لساعة قضاها في رسم خريطة عشرة دنانير، بينما العامل لا يعطى ليوم كامل دينارا، و قد لاقى الحر و البرد. أما دوام العذاب فهو لنيّاتهم السيئة التي أظهروها و هم باقون عليها (وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ) «١».

[۵۶] إن الله سبحانه يتمكن من إنفاذ و عوده لأن له كل شيء، كما أنه تعالى ينفذها لأن وعده لا خلف فيه، فلا يظن الإنسان أنه يعصي و المهدّد غير قادر، أو أنه لا يفي بوعده، فلا يعاقب أَلا إِنَّ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فهو المالك المطلق لكل شيء. و المراد هنا: الأعم من الظرف و المظروف، كما تقول: «تحت سلطة الملك ما في البلاد»، تريد البلاد و ما فيها. و حيث أن له كل شيء فهو يقدر على إنفاذ وعده بالعقاب لمن كفر و تمرد أَلا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ لا خلف فيه. نعم دلّ الدليل على أن قسما من وعيده يمكن العفو عنه وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ أي أكثر

(١) الأنعام: ٢٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٥٣٣

[سورة يونس (١٠): الآيات ٥۶ الى ٥٧]

هُوَ يُحيِي وَ يُمِيتُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥۶) يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)

الناس أو أكثر المجرمين لا يَعْلَمُونَ فينكرون أن يكون كل شيء لله سبحانه، أو أنه يفى بما وعد، كما كانوا يقولون: (لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً) «١»، و إنما قال أكثرهم، لا جماعة من الناس- حتى من المجرمين- يعلمون كل ذلك.

[٥٧] أما إذا قال بعض الناس: إنا إذا متنا بطل كل شيء، و لا عقاب حين ذاك، فليعلموا أن الله سبحانه هُوَ يُحيِي الأموات وَ يُمِيتُ الأحياء، فبيده الحياة و الموت وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يوم القيامة، أى إلى حسابه و جزائه، فلا يظنوا أن لهم فرارا من حكمه «و لا يمكن الفرار من حكومتك».

[٥٨] و يعقب السياق على ما تقدم من الوعد و الوعيد نداء عاما إلى البشر يا أَيُّهَا النَّاسُ خطاب لجميع البشر قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ «الموعظة» بيان ما يجب أن يرغب فيه، و ما يلزم أن يحذر عنه، و المراد بها الأحكام الإسلامية و ما نزل من قبله سبحانه من القرآن الكريم و سائر ما بيّنه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ فإن الصدور كانت مليئة بالخرافة فى العقيدة، و بالأدران فى الصفات، و بالهموم و الأحزان و القلق، و القرآن بما له من المناهج و الإرشادات يعوض مكان الخرافة حقائق، و مكان الرذالة فضيلة، و مكان الأحزان

---

(١) البقرة: ٨١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٥٣۴

[سورة يونس (١٠): آية ٥٨]

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)

و القلق، الفرح و الطمأنينة، فهو يشفى الصدور من أمراضها وَ هُدىً أى دلالة و هداية إلى الحق وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أى ما يسبب لهم أن يرحمهم الله بفضله.

[٥٩] فبهذا الفضل الذى تفضّل به سبحانه على عباده و الذى يسبب لهم صلاح الدنيا و الآخرة يلزم أن يفرح الناس، لا بالمال و الجاه و الأهل، فإنها أمور ما لم يوضع لها منهاج صحيح كانت وبالا على الإنسان و موجبة للهموم و الأحزان قُلْ يا رسول الله للناس: بِفَضْلِ اللَّهِ الذى تفضّل عليهم بالهداية وَ بِرَحْمَتِهِ التى رحم بها عباده فَبِذلِكَ بكل واحد منهما فَلْيَفْرَحُوا فإنهما هما اللذان ينظّمان الحياة السعيدة، و ينتهيان بالإنسان إلى سعادة الآخرة. و كأن إتيان «الفاء» مكرّرة لنكتة بلاغية، هى لأجل أن يبقى فى النفس مجال للتملّى من الفضل و الرحمة، و لذلك جيء بقوله «فبذلك» أيضا، مع غناء الكلام عنه، و هو بدل من «بفضل الله» هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ من الأهل و المال و الجاه، فإنها إلى نفاد و فناء و توجب الوبال إن لم يقترن بها فضل الله و رحمته.

و ما

ورد أن «فضل الله» هو الإمام المرتضى،

و كذلك فى الآية السابقة من تفسير «هو» فى «أحق هو» بالإمام عليه السّلام، فإن ذلك من باب المصداق الجلى، أو أحد المصاديق، كما هو كذلك فى غالب الآيات المفسرة به و بآله الأطهار عليهم السّلام، و كان هذا و أشباهه من بطون القرآن السبعة أو السبعين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٥٣٥

[سورة يونس (١٠): آية ٥٩]

قُلْ أ رَأَيْتُم ما أَنْزَلَ اللّهُ لَكَمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَ حَلالاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكَمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ (۵۹)

[۶۰] إن الله سبحانه تفضل عليهم بكل شيء، لكن الإنسان الجاهل جعل الكفر مكان الشكر، فبدّل الأوهام مكان الحقائق في العقيدة، كما جعل من رزق الله سبحانه الحلال حراما افتراء منه عليه سبحانه، بلا دليل و لا برهان قُلْ يا رسول الله لهؤلاء الكفار الذين يحكمون حسب أهوائهم: أ رَأَيْتُمْ أي أخبروني ما أَنْزَلَ اللّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ حلال كله، و المراد ب «الإنزال» كونه من ناحيته سبحانه، فله العلو المنزليّ، فما يأتي منه كأنه ينزل من علو، تشبيها للمعقول بالمحسوس كما قال: (وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ) «۱»، و (اهْبِطُوا مِنْها) «۲»، و (أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آياتٍ) «۳»- على احتمال في بعضها- أو المراد بإنزاله: إنزال بعض أجزائه الذي هو المطر و الشعاع فلولاهما لم يكن رزق فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ أي من ذلك الرزق حَراماً وَ حَلالًا بينما كان كله حلالا، فقد كانوا يرمون السائبة و البحيرة و الحام و أقسام أخرى من المأكولات قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أصله «أألله» بهمزتين، همزة الاستفهام، و همزة «أل» الداخلة على «إله» ثم قلبت إحداهما و جعلت هكذا بالمد. قال ابن مالك: مدّا في الاستفهام أو يسهل.

أي: هل إن الله أذن لكم في تحريم بعض ما أنزل إليكم من الرزق أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ في أن تنسبوا إليه تحريم ما لم يحرمه افتراء و كذبا.

---

(۱) الحديد: ۲۶.

(۲) البقرة: ۳۹.

(۳) البقرة: ۱۰۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۳۶

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۶۰ الى ۶۱]

وَ ما ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ (۶۰) وَ ما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ ما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَ لا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاّ كُنّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْبَرَ إِلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (۶۱)

[۶۱] وَ ما ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ كهؤلاء الذين افتروا عليه تحريم بعض الرزق يَوْمَ الْقِيامَةِ أي عند لقائه سبحانه؟ ما يظنون أن يفعل بهم؟ إنه تهديد لهم، فإن المفترى لا بد و أن تكون له عاقبة سيئة وقت الجزاء، و المعنى: أ يحسبون أنهم لا يجازون على افترائهم؟ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّاسِ حيث أحلّ لهم الأرزاق بعد أن منحهم إياها وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ فيحرّمون ما أحلّه افتراء عليه، عوض أن يشكروه حيث أنعم و حلّل.

[۶۲] إنهم يفترون على الله الكذب في تحريمهم ما أحلّ الله سبحانه، و الله شاهد على كل عمل لا يعزب عنه مثقال ذرة، فهل يغني افتراؤهم عليه؟ وَ ما تَكُونُ أنت يا رسول الله فِي شَأْنٍ من شؤون الدنيا أو الآخرة، من عمل أو عبادة أو غيرهما- و الخطاب و إن كان للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، إلا أنه ليس خاصا به بل عام لكل أحد- وَ ما تَتْلُوا مِنْهُ أي من الشأن مِنْ قُرْآنٍ فإنه من تلك الشؤون التي هي للإنسان قسم هو شأن تلاوة القرآن، كما أن من تلك الشؤون شأن الصلاة، و شأن الكسب و غيرهما. و خصّت قراءة القرآن لأهميتها وَ لا تَعْمَلُونَ أيها البشر مِنْ عَمَلٍ صغيرا كان أو كبيرا إِلّا كُنّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً نشهده و نعلمه. و الإتيان بضمير الجمع للتعظيم، فقد جرت

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۳۷

العادة أن الكبراء يتكلمون عن أنفسهم و عن أتباعهم إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ تدخلون في ذلك العمل و تبتدئون به، فشهادتنا مقترنة بأول كل أمر لا يفوت منا شيء من أوله، و الإفاضة غالبا تستعمل فيما يكون العمل سريعا، و لكن النكتة في الإتيان بهذا اللفظ: أن الأعمال

السريعة غالبا تفوت على الشاهد، لكن الله سبحانه لا يغيب عنه شيء و لو كان العامل مسرعا في عمله.

وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ أي لا- يغيب عنه مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ أي ما هو بثقل الذرة و هي الهباءة الصغيرة التي تسبح في الفضاء و ترى إذا دخلت أشعة الشمس المكان المظلم من كوّة و نحوها، و «من» زائدة تأتي لبيان التعميم المستفاد من «ما» النافية قبلها، سواء كانت تلك الذرة فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ.

و لعلّ ذكر «مثقال» لبيان أن الله كما يعلم نفس الذرة يعلم ثقلها، و هو أدق من العلم بأصلها كثيرا، فإن العلم بأصل الذرة يحصل للناس كثيرا، أما العلم بوزنها فلا يحصل للناس إلا نادرا جدا وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ من مثقال ذرة، أي: أيّ شيء كان أصغر من الذرة، أو وزنه أقل من وزن الذرة وَ لا أَكْبَرَ من ذلك إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ كتاب واضح لديه سبحانه، فإن علم كل ذلك في كتاب كتبه قبل أن يخلق الخلق، و هو اللوح المحفوظ أو غيره، و قوله: «لا أصغر» استئناف، خبره «إلّا في كتاب مبين».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ۵٣٨

[سورة يونس (١٠): الآيات ۶٢ الى ۶٣]

أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (۶٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ (۶٣)

[۶٣] إن هذه الدقة في الحساب و العلم توجب دهشة الإنسان و خوفه الشديد من القيامة و لقاء الله سبحانه، لكن القرآن الحكيم يدرك هذا الأمر بقوله: أَلا- إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ الذين هم أحباؤه، يأتمرون بأوامره و ينتهون عن زواجره لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ يوم القيامة من العقاب وَ لا- هُمْ يَحْزَنُونَ و الفرق بين الخوف و الحزن: أن الأول بالنسبة إلى الأمر المترقّب المحتمل صعوبته، و الثاني بالنسبة إلى المتقين، صعوبة الأمر، سواء كان ماضيا أو مستقبلا، يقال: «إني على فقد ابني الذي فقدته لمحزون»، و لا يقال: «لخائف»، و هكذا لا يقال «إني لمحزون» من احتمال فقده، و يقال: «إني لخائف منه». أما بالنسبة إلى المتقين في المستقبل، فإنه يستعمل الخوف و الحزن معا بمعنى واحد، فمن علم أنه سيدركه مخوف يقول: «إني خائف محزون»، قال يعقوب عليه السّلام: (إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَ أَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ) «١».

ثم إن المحتمل أن يكون المراد من جملة: «لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ» إنشائية، بأن تكون نهيا عن الخوف و الحزن.

و يحتمل أن تكون إخبارية، أي: أنهم لا- يخافون و لا يحزنون، إما في الآخرة، أو الأعم. و عدم خوفهم و حزنهم في الدنيا إضافي، يعني أن الخوف و الحزن الناشئين عن المعصية لا يكونان بالنسبة إليهم، و إن كان هناك لهم خوف و حزن من نوع آخر.

[۶۴] ثم بيّن سبحانه ذلك بقوله: الَّذِينَ آمَنُوا بأن صحّت عقيدتهم

---

(١) يوسف: ١۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ۵٣٩

[سورة يونس (١٠): الآيات ۶۴ الى ۶۵]

لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۶۴) وَ لا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۶۵)

وَ كانُوا يَتَّقُونَ المعاصي فصحّت أعمالهم.

[۶۵] لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فإن مثل هذا الإنسان مطمئن القلب هادئ البال بينما يقلق العاصي و الكافر وَ فِي الْآخِرَةِ فإنه يبشر بنجاة النعيم و رضوان من الله. هذا بالإضافة إلى أن المؤمن المتقي لا- تهمّه الكوارث و النوائب حيث يطمئن بثواب الله و الجزاء، فهو دائم البشارة و إن حزن قلبه و دمعت عيناه، كمن رضّ بعض جسمه و أعطى بدله عشرة آلاف دينار، فإنه و إن تألم لكنه مستبشر بالجزاء. و هكذا المتقون في الدنيا، و من مصاديق البشارة في الدنيا، ما يبشّرهم به الملائكة عند موتهم- كما ورد في الأحاديث-

لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ فإن ما قرّره سبحانه من الجزاء و الثواب للمتقين لا خلف فيه و لا تبديل ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ الذى لا فوز فوقه، و الفلاح الذى لا فلاح مثله، بشارة فى الحياة الدنيا و فى الآخرة، و اطمئنان و هدوء فيهما، و هل فوق ذلك نجاح أو فوز؟

[۶۶] وَ حيث أن أولياءه لا- يحزنون ف لا- يَحْزُنْكَ يا رسول الله قَوْلُهُمْ أى قول الكفار فيك و إيذائهم لك، و إيقاعهم فى المؤمنين بك إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً فيمنعهم منك بعزّته، و يعزّك و ينصرك عليهم هُوَ السَّمِيعُ لأقوالهم الْعَلِيمُ بأعمالهم، فيجازيهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۴۰

[سورة يونس (۱۰): آية ۶۶]

أَلا- إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ ما يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (۶۶)

عليها، و ينقذك منهم.

[۶۷] و كيف لا تكون العزة لله جميعا و الحال أن جميع الأشياء مما يعقل و ما لا يعقل لله لا شريك له أَلا فلينتبه الإنسان إِنَّ لِلَّهِ ملكه و طوع إرادته مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ من ملك و أنس و جن، و إذا كان العقلاء له، فغيرهم من غير العاقل أولى بأن يكون ملكا له و خصّ العقلاء بالذكر بلفظ «من» دلالة على العظمة، فإن من يملك العقلاء، له العزة التى لا عزّة فوقها. وَ ما يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكاءَ أى أنه سبحانه يملك آلهة هؤلاء المشركين فهو عطف على «من» و جىء ب «ما» لأن غالب الآلهة هى أصنام لا تعقل و لا تدرك.

و هنا احتمالان آخران:

الأول: أن يكون المعنى: أن ما يعبده هؤلاء من دون الله ليس شركاء لله، فإنها ليست آلهة حتى تكون شركاء حقيقيون و إن سموها شركاء.

الثانى: أن يكون المعنى: أى شىء يتبع هؤلاء شركاء؟ تقبيحا لفعلهم.

ف «ما» على الأول موصولة، و على الثانى نافية. و على الثالث استفهامية.

ثم بيّن سبحانه أن عبّاد هذه الأصنام ليسوا على يقين فى كونها

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۴۱

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۶۷ الى ۶۸]

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (۶۷) قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطانٍ بِهذا أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۶۸)

آلهة إِنْ يَتَّبِعُونَ أى ما يتبع هؤلاء المشركين إِلَّا الظَّنَ الحاصل لهم بالتقليد و العادة وَ إِنْ هُمْ أى ما هم إِلَّا يَخْرُصُونَ يحدسون حدسا بلا علم و لا يقين.

[۶۸] إن الله سبحانه هو مالك من فى السماوات و من فى الأرض، و مالك الأصنام، كما أنه هو الذى جعل الأنظمة الكونية، التى لا تزال تتكرّر على الناس كل يوم، بكل جمال و إتقان هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ أى لسكونكم عن أتعاب النهار وَ النَّهارَ مُبْصِراً أى جعل النهار مضيئا تهتدون بسببه إلى حوائجكم إِنَّ فِي ذلِكَ الجعل لَآياتٍ حجج لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سماع تفهّم و تعقّل، أما من لا يسمع و لا يصغى إلى الحق، فإن تلك الآيات لا تفيده.

[۶۹] و حيث بيّن سبحانه عقيدة المشركين و زيف عقيدتهم و بيّن الأدلة على بطلانها، عطف الكلام حول عقيدة أخرى غزت الأدمغة كثيرا، و هى عقيدة اليهود و النصارى و بعض آخر، من أن الله له ولد قالُوا قال الكفار: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً قال أهل الكتاب بأن عزير و المسيح أبناء الله، و قال الكفار بأن الملائكة بنات الله سُبْحانَهُ أسبّحه تسبيحا، و أنزّهه تنزيها من هذه الكذبة هُوَ الْغَنِيُّ فلا حاجة له إلى

اتخاذ الولد، و لو على نحو التبنّى لَهُ تعالى ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۴۲

[سورة یونس (۱۰): الآیات ۶۹ الى ۷۰]

قُلْ إِنَّ الَّذِینَ یَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْکَذِبَ لا یُفْلِحُونَ (۶۹) مَتاعٌ فِی الدُّنْیا ثُمَّ إِلَیْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِیقُهُمُ الْعَذابَ الشَّدِیدَ بِما کانُوا یَکْفُرُونَ (۷۰)

الْأَرْضِ فمن یملک کل شیء لا یمکن أن یکون له ولد، إن الولد جزء الوالد فلا یکون مملوکا له إِنْ عِنْدَکُمْ مِنْ سُلْطانٍ بِهذا أی ما عندکم دلیل یدل على هذا الاعتقاد و أنه سبحانه اتخذ الولد أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ فتنسبون إلیه أمرا بدون علم و یقین، فإنهم لم یکونوا على علم بأن له ولدا. و هذا استفهام توبیخی.

[۷۰] قُلْ یا رسول الله لهؤلاء: إِنَّ الَّذِینَ یَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْکَذِبَ بأن ینسبون إلیه أنه اتخذ شریکا أو اتخذ ولدا لا یُفْلِحُونَ أی لا یفوزون بالنجاة و السعادة لا فی الدنیا و لا فی الآخرة، و قال فی آیة أخرى:

(وَ یُنْذِرَ الَّذِینَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً) «۱».

و قد دل التاریخ على صحة ذلک الإخبار، فقد وقعت فی العالم المسیحی و العالم الیهودی على طول الخط مجازر مدهشة، فهم من عصر ظلامهم إلى عصر نورهم- هذا القرن- فی حروب طاحنة عجیبة لا تبقی و لا تذر، و ألوف القصص شاهدة على ذلک، منها ما ذکره «سلامة موسى» فی کتابه «حریة الفکر»: أن حربا وقعت بین قسمی المسیحیین- الکاثولیک و البروتستانت- و ذهب ضحیتها أربعة عشر ملیون من البشر، فی ألمانیا وحدها.

[۷۱] لهم مَتاعٌ قلیل فِی الدُّنْیا یتمتعون أیاما قلائل ثُمَّ إِلَیْنا

---

(۱) الکهف: ۵.

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۴۳

[سورة یونس (۱۰): آیة ۷۱]

وَ اتْلُ عَلَیْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ یا قَوْمِ إِنْ کانَ کَبُرَ عَلَیْکُمْ مَقامِی وَ تَذْکِیرِی بِآیاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَکَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَکُمْ وَ شُرَکاءَکُمْ ثُمَّ لا یَکُنْ أَمْرُکُمْ عَلَیْکُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَیَّ وَ لا تُنْظِرُونِ (۷۱)

مَرْجِعُهُمْ رجوعهم، أی إلى حکمنا و جزائنا یکون مصیرهم ثُمَّ نُذِیقُهُمُ الْعَذابَ الشَّدِیدَ الدائم بِما کانُوا یَکْفُرُونَ بسبب کفرهم.

[۷۲] لقد سبقت الإشارة فی هذه السورة إلى الأمم السابقة و أنهم لما کذبوا الرسل ذاقوا و بال أمرهم (وَ لَقَدْ أَهْلَکْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِکُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّناتِ) «۱»، و سبقت الإشارة إلى أن لکل أمة رسول (وَ لِکُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذا جاءَ رَسُولُهُمْ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ) «۲». و هنا یأتی البیان لیبین بعض تلک القصص اعتبارا و تذکرة وَ اتْلُ أی قص یا رسول الله عَلَیْهِمْ على هؤلاء الکفار نَبَأَ نُوحٍ أی خبر نوح النبی علیه السّلام إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ یا قَوْمِ إِنْ کانَ کَبُرَ عَلَیْکُمْ شقّ و صعب علیکم مَقامِی إقامتی بین أظهرکم فاستثقلتمونی وَ تَذْکِیرِی وعظی و تبیینی لکم بِآیاتِ اللَّهِ حججه و دلائله الدالة على وجوده و صفاته و سائر ما یرتبط به من النبوة و المعاد فَعَلَى اللَّهِ تَوَکَّلْتُ فی زجرکم و ما تنوون إیقاعه علی، فإنی متوکل على الله فی جمیع أحوالی، و أتوکل علیه فی هذه الخصوصیة أیضا.

فلا یقال: مفهوم الشرط: عدم توکله فی صورة عدم الشرط؟

---

(۱) یونس: ۱۴.

(۲) یونس: ۴۸.

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۴۴

[سورة یونس (۱۰): آیة ۷۲]

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (۷۲)

الجواب: إن القضیة سالبة حینئذ بانتفاء الموضوع. أی أنه إن لم یکبر مقام نوح عندهم لم یکن خوف منهم حتی یتوکل علیه السّلام، على الله سبحانه للتوقی من خوفهم.

فَأَجْمِعُوا أیها الکفار أَمْرَكُمْ حولی وَ شُرَكاءَكُمْ أی تعاونوا مع الذین اتخذتموهم شرکاء لله سبحانه، و اعزموا على أمر واحد ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ لإیذائی عَلَيْكُمْ غُمَّةً غمّا و حزنا، بأن تتردّدوا فیه، و یکون لکم وجه الخلاص منی ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ انهضوا لتنفذوا تدبیرکم علی وَ لا تُنْظِرُونِ لا تمهلوننی حتی أفکر، و حتی أجمع قراری لمقابلتکم.

قال نوح علیه السّلام هذا لهم على وجه التحدّی و بیان أنهم لا یتمکنون من القضاء علیه و إن جمعوا کل قواهم و تشاوروا فیما بینهم و اتحدت کلمتهم و أسرعوا فی تنفیذ کیدهم نحوه، فإنه مستعصم بالله و مستنصر به، و جمیع القوى لا تتمکن أن توصل إلیه سوء. و هذا أدل دلیل على وجوده سبحانه، و إلا لتمکن أولئک الکفرة من القضاء علیه. و هذا کما تقول أقوى الدول لأضعف الحکومات: «افعلوا ما شئتم و اجمعوا أمرکم و أسرعوا فی تنفیذ خططکم فإنکم لا تتمکنون من شیء».

[۷۳] فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ أی أعرضتم عن الحجج و الآیات و لم تقبلوا نصحی و تذکیری، فأنتم و شأنکم، إن تولّیکم لا ینقص أجری و ثوابی فَما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ حتی ینقص بإعراضکم، کالمعلم الذی إذا أعرض

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۴۵

[سورة یونس (۱۰): الآیات ۷۳ الی ۷۴]

فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ جَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (۷۳) ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (۷۴)

التلامیذ عنه نقص أجره. و الحاصل: إن أعرضتم عن قبول قولی لم یضرّنی لأنی لم أطمع فی مالکم حتی یفوتنی المال بتولّیکم عنی، بل یعود ضرر تولّیکم علیکم إِنْ أَجْرِيَ أی: ما أجری إِلَّا عَلَى اللَّهِ سبحانه وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الذین یسلمون أمورهم إلى الله سبحانه، فإنی ماض فی رسالتی، مصمم على تبلیغی، و إن تولیتم و أعرضتم.

[۷۴] فَكَذَّبُوهُ فکذّب أولئک الکفار نوحا علیه السّلام، و قالوا: أنت لست بنبی و أنکروا المبدأ و المعاد فَنَجَّيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ من المؤمنین فِي الْفُلْكِ أی فی السفینة وَ جَعَلْناهُمْ جعلنا نوحا علیه السّلام و المؤمنین معه خَلائِفَ خلفاء فی الأرض بعد أولئک الکفار الذین أغرقوا وَ أَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فقد أمطرت السماء و تفجّرت العیون حتی أخذ الماء کل ما فی الأرض، و هناک هلک الکفار أجمع فَانْظُرْ یا رسول الله- و الخطاب لکل من یصح منه النظر- و المراد ب «النظر» العلم كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ الذین أنذروا و لم ینفع فیهم الإنذار.

و قومک هؤلاء یا رسول الله مثل أولئک، إن کذبوا و أرادوا القضاء علیک نصرناک علیهم و أهلکناهم.

[۷۵] ثُمَّ بَعَثْنا أرسلنا مِنْ بَعْدِهِ بعد نوح علیه السّلام رُسُلًا إِلى قَوْمِهِمْ

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۴۶

[سورة یونس (۱۰): آیة ۷۵]

ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسى وَ هارُونَ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ بِآياتِنا فَاسْتَكْبَرُوا وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ (۷۵)

کإبراهیم و هود و صالح و لوط و شعیب علیهم السّلام و غیرهم فَجاؤُهُمْ بِالْبَيِّناتِ بالحجج الواضحة و الأدلة على المبدأ و المعاد و

التكاليف فَما كانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ فقد كانت تلك الأقوام مثل أسلافهم لا يؤمنون بالحق الذى كذبت الأسلاف به، فإن المكذبين لهم طبيعة واحدة، و من قبيل موحِّد، كما أن المؤمنين من قبيل واحد، و لذا صح نسبة ما للأسلاف إلى الأخلاف، كما نسب سبحانه ما صدر من أسلاف اليهود إلى أخلافهم الذين كانوا فى زمن نبى الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كَذلِكَ نَطْبَعُ عَلى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ إن طبعنا على قلوب الذين يعتدون و يتجاوزون الحق، إنما هو بعد ما أغلقوا هم قلوبهم عن قبول الحق، و اعتدوا عن سنن الحق.

[٧٦] ثُمَّ بَعَثْنا أى أرسلنا مِنْ بَعْدِهِمْ بعد أولئك الأمم و الرسل مُوسى وَ هارُونَ أخا موسى عليهما السّلام إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ أشراف قومه أو كلّهم، فإن «الملأ» اسم للأشراف، لأنهم يملئون القلوب هيبة، و الأنظار زينة و نظارة بِآياتِنا أى أرسلناهما مع أدلتنا الدالة على صدق دعواهما من المعجزات و الخوارق فَاسْتَكْبَرُوا عن الانقياد لها و الإيمان بها وَ كانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ قد أجرموا و ارتكبوا الآثام و المعاصى.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٥٤٧

[سورة يونس (١٠): الآيات ٧٦ الى ٧٨]

فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا إِنَّ هذا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٧٦) قالَ مُوسى أَ تَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَكُمْ أَ سِحْرٌ هذا وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قالُوا أَ جِئْتَنا لِتَلْفِتَنا عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا وَ تَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِياءُ فِي الْأَرْضِ وَ ما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ (٧٨)

[٧٧] فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ جاء فرعون و قومه المطالب الحقة التى كانت مِنْ عِنْدِنا قالُوا إِنَّ هذا الذى جئتما به من الخوارق و المعجزات لَسِحْرٌ مُبِينٌ سحر واضح، لا حقيقة له و إنما هو شىء يجعلنا نتخيل الأمور على غير واقعها.

[٧٨] قالَ مُوسى عليه السّلام لهم: أَ تَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَكُمْ سحر؟ و قد حذف محكى القول لدلالة الكلام عليه، و ذلك لنكتة أدبية هى أن تبقى النفس منتظرة فتذهب كل مذهب، تعظيما لتشنيع القائل، أو المراد من «أ تقولون»: أ تعيبون و تطعنون فى الحق؟ أَ سِحْرٌ هذا هل هذا الذى جئت به من الخوارق سحر؟ و كم من فرق بين السحر و المعجز، فالسحر شىء ضعيف له سبب خفى يتمكن أن يفعله أى واحد و لا يقترن بالتحدى، بعكس المعجز فى كل ذلك وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ لا يظفرون بمرادهم تماما، فإنه تمويه و تزييف للمستضعفين، و لذا لم يوجد ساحر تمكّن من تكوين أمة و كانت له سيادة و رفعة.

[٧٩] قالُوا أى قال فرعون و ملؤه لموسى عليه السّلام: أَ جِئْتَنا لِتَلْفِتَنا على نحو الاستفهام الإنكارى، أى: هل جئتنا يا موسى لتصرفنا- من «لفت» بمعنى صرف- عَمَّا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا من عبادة الأصنام و الملوك، و ترشدنا إلى عبادة الله؟ إن هذا لا يكون وَ تَكُونَ لَكُمَا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٥٤٨

[سورة يونس (١٠): الآيات ٧٩ الى ٨١]

وَ قالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جاءَ السَّحَرَةُ قالَ لَهُمْ مُوسى أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقَوْا قالَ مُوسى ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١)

الْكِبْرِياءُ السيادة و السلطة. فإنهم قالوا: إن موسى و هارون إنما ساقهم إلى هذه الدعوة إرادتهما أن يكونا سيدين ملكين على الناس، فهما من طلاب العظمة و السلطة فِي الْأَرْضِ أرض مصر و ما حولها وَ ما نَحْنُ لَكُما بِمُؤْمِنِينَ أى بمصدّقين فى دعوى النبوة.

[٨٠] وَ قالَ فِرْعَوْنُ لملئه: ائْتُونِي بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ بالسحر، بليغ فى عمله، لأواجه موسى به، فإنه قد عجز عن دحض حجته، فأراد الاستعانة بالسحرة ليقابل موسى بالمثل فتبطل حجته عليه السّلام فى زعمه.

[٨١] فجمعوا له السحرة من كل مكان و لما جاءَ السَّحَرَةُ جمع «ساحر» نحو: كهنة، و طلبة، جمع «كاهن» و «طالب». و جاء موسى عليه السّلام فى محضر فرعون و الناس قالَ لَهُمْ مُوسى أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ فإنهم كانوا يلقون حبالا و عصيّا من أيديهم على الأرض فيظهر للناس أنها حيّاة و أفاعى، و قد أرادوا بذلك بيان أن عصىّ موسى عليه السّلام أيضا من هذا القبيل، و إذا بطلت هذه المعجزة تمكنوا

من الخدش فی سائر المعجزات التی أتی بها، بأنها أیضا أقسام من السحر. و «ألقوا» لیس أمرا بالسحر، بل بیانا لبطلانه.

[۸۲] فَلَمَّا أَلْقَوْا ألقت السحرة ما معها من الحبال و العصیّ قالَ مُوسی علیه السّلام لهم: ما جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ «ما» مبتدأ و «السحر» خبره،

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۴۹

[سورة یونس (۱۰): آیة ۸۲]

وَ یُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِکَلِماتِهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (۸۲)

یعنی: إن الذی جئتم به هو السحر، و لیس السحر ما جئت به کما قلتم. إِنَّ اللَّهَ سَیُبْطِلُهُ یظهر بطلانه للناس إِنَّ اللَّهَ لا یُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِینَ فالله سبحانه لا یبقی علی عمل یراد به إفساد الدین بطابع الإصلاح، و لا یمضیه، بل یبیّن بطلانه و یظهر زیفه.

[۸۳] وَ یُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَ أی یظهر الله سبحانه الحق للناس و یحقّقه، حتی یرون أنه حق و أن ما عداه باطل بِکَلِماتِهِ التکوینیة و هی «کن فیکون» وَ لَوْ کَرِهَ الْمُجْرِمُونَ أن یظهر الحق و یتبیّن زیف الباطل. و قد تحقّق ما قاله موسی علیه السّلام فألقی عصاه- و قد صارت ثعبانا عظیما- فأکلت کل تلک الحبال و العصی، و خرّ السحرة ساجدین، و بطل کید فرعون، بل ظهر کون الحق مع موسی علیه السّلام و أنه نبیّ مرسل.

و هنا أمر لا بد من التنبیه علیه هو: أن القرآن إنما یأخذ موضع العبرة من القصة، و لذا نجده فی کل مناسبة یذکر طرفا خاصا منها.

ففی مقام یذکر أول القصة، و فی مقام وسطها أو آخرها، و فی مقام یطرحها باختصار، و فی مقام بتفصیل، حسب اختلاف المقامات.

فإذا کان الحدیث حول عاقبة المجرمین، ذکر غرق فرعون، و إن کان حول غلبة رسل الله بالحجة ذکر غلبة موسی فی إلقاء عصاه، و إن کان حول العاقبة الحسنة للمؤمنین ذکر نجاة بنی إسرائیل من مصر. و غالبا یخصّ الموضع المراد من القصة بجمل قصیرة من سائر مواضعها تحفظا علی الربط و السیاق.

و قد أکثر سبحانه من القصص المرتبطة بالأمم الموحّدة الباقیة،

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۵۰

[سورة یونس (۱۰): آیة ۸۳]

فَما آمَنَ لِمُوسی إِلَّا ذُرِّیَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلی خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِمْ أَنْ یَفْتِنَهُمْ وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِی الْأَرْضِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِینَ (۸۳)

و الأمم المشرکة و الملحدة الباقیة، لتکون لهم عبرة، أما تفصیل قصص قوم لوط و شعیب و إلیاس- مثلا- فلیس من البلاغة، أما قصة موسی و عیسی فلا بد من تفصیلهما لأنهما صاحبا شریعة یتمسک الناس بها إلی یوم الوقت المعلوم، و هکذا بالنسبة إلی الاحتجاجات مع الملحدین و المشرکین، فقد بقی أکثر أهل العالم ملحدین مشرکین طول الخط حتی یوم الناس هذا.

[۸۴] فَما آمَنَ لِمُوسی و لم یصدّق دعوته و ما جاء به إِلَّا ذُرِّیَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ أی جماعة من الشباب- لا الکهول و الکبراء- و الضمیر فی «قومه» إما راجع إلی «فرعون» أی من قوم فرعون، أو راجع إلی موسی علیه السّلام أی: من بنی إسرائیل، فإنهم کانوا من أقرباء موسی علیه السّلام لأن الجمیع کانوا من أولاد یعقوب علیه السّلام. و کان إیمانهم عَلی خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ فقد کانوا یخافون بطشه و نکاله، وَ مَلَائِهِمْ أشرافهم و کبرائهم، أن یؤذوهم و أَنْ یَفْتِنَهُمْ أی یعذبهم فرعون و یصرفهم عن دینهم وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ قاهر متکبّر و سلطان فِی الْأَرْضِ فیقدر علی ما یرید من التنکیل و العقاب وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِینَ الذین أسرفوا و تجاوزوا الحد فی الطغیان، فقد أسرف فی القتل و الظلم، و ادّعی الربوبیة.

و السر فی هذا أن الأنبیاء دائما یأتون إلی الناس عزّل بلا سلاح و مال، و الملوک الذین هم ضدّهم مزوّدون بالأمرین، و الناس بحاجة

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۵۱

تقریب القرآن إلی الأذهان ج۲ ۵۹۹

[سورة یونس (۱۰): الآیات ۸۴ الی ۸۵]

وَ قالَ مُوسی یا قَوْمِ إِنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَیْهِ تَوَکَّلُوا إِنْ کُنْتُمْ مُسْلِمِینَ (۸۴) فَقالُوا عَلَی اللَّهِ تَوَکَّلْنا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِینَ (۸۵)

إلی المال، کما أنهم یخافون من القوة، لذا تجبرهم الطبیعة علی عدم الاعتناء بالأنبیاء و إن کان الغالب أنهم یصدقونهم قلبا، کما قال ذلک الشاعر للحسین علیه السّلام: «قلوبهم معک و سیوفهم مع بنی أمیة»، و قال تعالی: (وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَیْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ) «۱». و من ذلک نری أن الملوک إذا قبلوا الدین دخل فیه أتباعهم.

أما سر أن الأنبیاء عزّل هو أن یکون فی الدین صعوبة لیکون المؤمن مستحقا للأجر و الثواب، و هذا هو سر فضیلة السابقین إلی الدین، لأنهم یلاقون من الصعوبة ما لا یلاقیه غیرهم.

[۸۵] وَ قالَ مُوسی لقومه المؤمنین به: یا قَوْمِ إِنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ إیمانا صادقا راسخا فَعَلَیْهِ تَوَکَّلُوا فوّضوا أمورکم إلیه إِنْ کُنْتُمْ مُسْلِمِینَ أی إن کنتم منقادین لله، فإن «الإسلام» هو الانقیاد عملا، کما قال تعالی: (قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لکِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا) «۲»، فالإیمان هو الاعتقاد، و الإسلام هو التسلیم، و بینهما عموم من وجه، فکم من معتقد لا یسلم، و کم من مسلم لا یعتقد.

[۸۶] فَقالُوا أی قال قوم موسی: عَلَی اللَّهِ تَوَکَّلْنا فوّضنا أمورنا إلیه واثقین بنصرته لنا رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِینَ فنکون امتحانا

---

(۱) النمل: ۱۵.

(۲) الحجرات: ۱۵.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۵۲

[سورة یونس (۱۰): الآیات ۸۶ الی ۸۷]

وَ نَجِّنا بِرَحْمَتِکَ مِنَ الْقَوْمِ الْکافِرِینَ (۸۶) وَ أَوْحَیْنا إِلی مُوسی وَ أَخِیهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِکُما بِمِصْرَ بُیُوتاً وَ اجْعَلُوا بُیُوتَکُمْ قِبْلَةً وَ أَقِیمُوا الصَّلاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ (۸۷)

للکفار، کما قال سبحانه: (وَ جَعَلْنا بَعْضَکُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) «۱». فإن الکفار یمتحنون و یفتنون بالمؤمنین، و معنی دعائهم: أن لا یسلّط الکفار علیهم، حتی یبتلوا بهم، و یکون الکفار ممتحنین بسبب هؤلاء.

و قد روی عن الإمامین الباقر و الصادق علیهما السّلام أنهما فسرا الآیة بأن معناها: لا تسلّطهم علینا فتفتنهم بنا «۲».

[۸۷] وَ نَجِّنا خلّصنا بِرَحْمَتِکَ بفضلک مِنَ الْقَوْمِ الْکافِرِینَ أی فرعون و ملأه.

[۸۸] وَ أَوْحَیْنا إِلی مُوسی وَ أَخِیهِ هارون، لما قرب الأمر، و أردنا نجاتهم من أیدی فرعون و قومه أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِکُما بِمِصْرَ بُیُوتاً یقال: «تبوأ بیتا» أی اتخذ بیتا، من باب «باء» بمعنی «رجع»، فإن الإنسان یرجع إلی بیته کلما خرج، و لذا یسمی البیت «مبوأ». أی اجعلا لبنی إسرائیل المؤمنین بکم فی مدینة مصر بیوتا خاصة بهم وَ اجْعَلُوا بُیُوتَکُمْ قِبْلَةً قال سعید بن جبیر إن معناه: اجعلوا بیوتکم یقابل بعضها بعضا وَ أَقِیمُوا الصَّلاةَ أی أدیموها و واظبوا علی فعلها. و لعلّ هذین الأمرین باتخاذ البیوت بتلک الکیفیة و إقامة الصلاة، أن الأول لجمعهم فی محل واحد بعضهم قبال بعض فلا یکونوا منتشرین هنا و هناک،

---

(۱) الفرقان: ۲۱.

(۲) بحار الأنوار: ج ۵ ص ۲۱۶.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۵۳

[سورة یونس (۱۰): آیة ۸۸]

وَ قالَ مُوسی رَبَّنا إِنَّکَ آتَیْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِینَةً وَ أَمْوالاً فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا رَبَّنا لِیُضِلُّوا عَنْ سَبِیلِکَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلی أَمْوالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلی

قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ (۸۸)

و ذلك التكتّل و التنظيم مهم جدا فى جمع الأفراد بصبغة واحدة، و لنشر الأخبار، و تنفيذ الأوامر فيهم بسرعة. كما أن إقامة الصلاة و توثيق الصلات بالله سبحانه تولد فيهم طاقة روحية و نشاطا، و تزكّى نفوسهم استعدادا لمقاومة القوم و عدم تأثير دعايات الكفار فيهم. و من المعلوم أن تزكية الروح لها أكبر الأثر فى الانتصار و الثبات وَ بَشِّرِ يا موسى الْمُؤْمِنِينَ بالله ربك، بأنه سوف يفرّج عنهم.

[۸۹] وَ قالَ مُوسى مخاطبا لله سبحانه: رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ أى أعطيته و الأشراف من قومه زِينَةً يتزيّنون بها من الملابس و المراكب و المساكن و غيرها وَ أَمْوالًا يديرون بها شؤونهم و يتعاظمون بها على غيرهم فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فإنها توجب الإغراء فى هذه الحياة بالنسبة الى الغير، كما توجب الكبرياء بالنسبة الى أصحابها. و كان ذكر هذه الجملة للتضرع إليه سبحانه ببيان كونهما صدا للدعوة هنا- فى هذه الحياة- كما يقول الطالب شاكيا إلى مدير المدرسة: «إنك جعلت فلانا مراقبا فى المدرسة، و هو فاسد» يريد بيان الضراعة فى أن كونه فى المدرسة يسبب الفساد.

رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ «اللام» للعاقبة، كما قال سبحانه:

(فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً) «۱»، أى أن عاقبة إعطائك

---

(۱) القصص: ۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۵۵۴

المال لهم إضلال الناس عن دينك و طريقك و شريعتك رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ «الطمس» محو الأثر، و هنا بمعنى «الضرب» و لذا عدّى ب «على» أى اضرب عليها و امحى أثرها، حتى لا تكون سدا فى طريق الدعوة.

و هل كان دعاؤه عليه السّلام بمسخها كما ذكر جمع من المفسرين، أو ذهاب البركة و إفنائها تدريجيا؟ احتمالان.

وَ اشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ أبلغ بهم إلى غاية الشدة و القسوة التى يستحق بها العقاب، لانقطاع كل رجاء فى إيمانهم، فإن الكافر لا يهلكه الله سبحانه إلا إذا انقطع كل رجاء- حسب الظاهر- عن قبول الحق، فكان هذا دعاء لسرعة إهلاكهم، بذكر السبب.

و من هذا القبيل دعاء الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام لزيادة شقوة ابن ملجم، فإنه دعاء بالخلاص من القوم بذكر السبب، و حيث أن الأمر كائن لا محالة، فالدعاء بتقديمه ليس خلافا لموازين الدعاء إذا كان فيه فائدة مهمة.

فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ المؤلم الموجع، أى أنهم يلازمون عدم الإيمان إلى رؤية العذاب، و فى ذلك الوقت لا ينفع الإيمان لأنه إيمان إلجاء لا إيمان عقيدة. و من المعلوم أن استحقاق العقاب و الثواب إنما هو بالعمل المنبعث عن العقيدة.

و ربما يحتمل أن المراد ب «اشدد» اتركها حتى تتشدد و تتصلب و لا تلطف بها ألطافك الخفية، فيكون كقوله (مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۵۵۵

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۸۹ الى ۹۰]

قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فَاسْتَقِيما وَ لا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (۸۹) وَ جاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْياً وَ عَدْواً حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (۹۰)

فَما لَهُ مِنْ هادٍ) «۱»، المراد به تركهم حتى يضلوا.

[۹۰] قالَ الله سبحانه فى جواب دعاء موسى و هارون عليهما السّلام: قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فى طمس أموال فرعون و قومه و التشديد على قلوبهم فَاسْتَقِيما فى الإرشاد و التبليغ و الدعوة إلى الله سبحانه.

روى عن الصادق عليه السّلام: «أنه كان بين قول الله عز و جل: «قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما» و بين أخذ فرعون، أربعين سنة» «۲».

وَ لا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ فى الضجر من طول المدة، و عدم الوثوق و الاطمئنان بوعد الله سبحانه، فإن لله فى أحكامه مصالح

لا يتضجّر منها إلا الجاهل و لا يستبطئ و عوده إلا المستعجل.

[٩١] و جاء الموعد و خرج بنو إسرائيل بقيادة موسى عليه السّلام و وصلوا إلى البحر و انفلق الماء عن طريق لهم و جاء فرعون بجنوده ليدركهم و يأخذهم و ينكّل بهم، و توسط قوم موسى البحر حتى دخل قوم فرعون و لما أن خرج موسى و قومه توسط البحر فرعون و قومه و إذا بالماء ينطبق عليهم و يغرقون جميعا وَ جاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ عبرنا بهم البحر حتى جاوزوه سالمين فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ أى مع جنوده بَغْياً وَ عَدْواً إنما اتّبعوهم ليبغوا عليهم حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ أدرك فرعون

---

(١) الزمر: ٢۴.

(٢) تفسير العياشى: ج ٢ ص ١٢٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۵۵۶

[سورة يونس (١٠): آية ٩١]

آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١)

الْغَرَقُ أى وصل إليه الماء ليغرقه قالَ فرعون للتخلص من الغرق: آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الإله الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ يعنى الله سبحانه، فقد كان إلى ذلك الحين ينكره و يدعى الربوبية وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إنى أسلم له. لكن إيمانه كان للتخلص و النجاة، بالإضافة إلى أن الإيمان لا ينفع إذا عاين الإنسان الموت كما قال سبحانه:

(وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ) «١».

[٩٢] و لما كان هذا الكلام قال له جبرائيل: آلْآنَ تؤمن على نحو الإنكار، فإن هذا الإيمان عن إلجاء و اضطرار وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ذلك بترك الإيمان و فعل المعاصى و الفساد فى الأرض وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فى الأرض بظلم الناس و التعدى عليهم و إطفاء نور الأنبياء إلى غير ذلك.

روى عن الصادق عليه السّلام قال: «ما أتى جبرائيل رسول الله إلا كئيبا حزينا، و لم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون، فلما أمره الله بإنزال هذه الآية «وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ»، نزل عليه و هو ضاحك مستبشر، فقال رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما أتيتنى يا جبرائيل إلا و تبيّنت الحزن من وجهك حتى الساعة. قال: نعم يا محمدا! لما أغرق

---

(١) النساء: ١٩. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۵۵٧

[سورة يونس (١٠): آية ٩٢]

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ (٩٢)

الله فرعون قال: «آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل و أنا من المسلمين» فأخذت حمأة فوضعتها فى فيه، ثم قلت له: «ءآلآن و قد عصيت قبل و كنت من المفسدين» و عملت ذاك من غير أمر الله عز و جل، ثم خفت أن تلحقه الرحمة من الله عز و جل و يعذبنى الله على ما فعلت. فلما كان الآن و أمرنى الله عز و جل أن أودى إليك ما قلته أنا لفرعون، أمنت و علمت أن ذلك كان لله تعالى رضى» «١».

[٩٣] فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ إن الناس غالبا لا يصدقون بموت العظماء، فكيف بمن ادّعى الربوبية و كان الناس يعبدونه. و لذا لما أخبر موسى عليه السّلام أن فرعون أغرق، لم يصدقه الناس، و لذا اقتضت حكمة الله سبحانه أن ينجى فرعون ببدنه، بأن ألقى بدنه الذى لا روح فيه على الساحل حتى رآه الناس. و لذا قال سبحانه «اليوم» أى يوم غرقك ننجيك يا فرعون ببدنك فقط، فلم يذهب مع الماء ليضيع جسمه، و لا أكلته الأسماك لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ من الناس آيَةً علامة على قدرة الله سبحانه، و أنه لم يكن فرعون إلها، فإن الإله

لا- یموت و لا- یغرق. و الخطاب إما حقیقی بأن خوطب به فرعون و هو حی، أو موجه إلی الناس یراد به إعلامهم بمصیر کل ظالم، فالخطاب من قبیل خطابات العقلاء لما لا یعقل، کقول الشاعر:

أیا شجر الخابور ما لک مورقاکأنک لم تجزع علی ابن طریف

و قوله:

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۳ ص ۱۱۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۵۸

[سورة یونس (۱۰): آیة ۹۳]

وَ لَقَدْ بَوَّأْنا بَنِی إِسْرائِیلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّی جاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ فِیما کانُوا فِیهِ یَخْتَلِفُونَ (۹۳)

أیا جبلی نعمان بالله خلیانسیم الصبا یخلص إلیّ نسیمها

وَ إِنَّ کَثِیراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آیاتِنا لَغافِلُونَ غافلون عن التفکیر فی أدلتنا و دلائلنا.

[۹۴] وَ لَقَدْ بَوَّأْنا مکّنا بَنِی إِسْرائِیلَ بعد نجاتهم من فرعون و قومه، و خروجهم من مصر مُبَوَّأَ صِدْقٍ مکان ثبات و أمن، فإن المکان المتزلزل الذی لا یستقر فیه الإنسان هو مبوأ کذب، إذ لا وجه له واقع، فهو یحکی عما لا یکون، إذ ظاهره الاستقرار و باطنه الانفلات و الانقلاب. فقد مکّنهم سبحانه من الشام و بیت المقدس وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ بعد ما کانوا فی أرض مصر متزلزلی المنزل حیث یضطهدهم فرعون، و لم یکن لدیهم ما یأکلون حتی صفرت أیدیهم من المال، لکن لم یبقوا علی تلک الحالة، فإنهم لما طال علیهم الأمد اختلفوا، و لم یکن اختلافهم عن جهل فإنهم ما اخْتَلَفُوا حَتَّی جاءَهُمُ الْعِلْمُ و عرفوا کل شیء، بل اختلفوا حسدا و استعلاء، کما هو شأن کل أمة، أنهم یتّحدون ما داموا قلة مضطهدین، فإذا کثروا و أمنوا و أثروا اختلفوا علی المال و الجاه و ما أشبههما. إِنَّ رَبَّکَ یا رسول الله یَقْضِی بَیْنَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ فقد أحیلوا إلی المحکمة الکبری حیث لم یرضخوا لأحکام الله فی الدنیا و لا ترافعوا إلی أنبیائه لیبیّنوا لهم الحق من الباطل فِیما کانُوا فِیهِ

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۵۹

[سورة یونس (۱۰): آیة ۹۴]

فَإِنْ کُنْتَ فِی شَکٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَیْکَ فَسْئَلِ الَّذِینَ یَقْرَؤُنَ الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکَ لَقَدْ جاءَکَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِینَ (۹۴)

یَخْتَلِفُونَ من الأصول و الفروع. و قد روی أنهم انقسموا إلی إحدی و سبعین فرقة.

[۹۵] و بعد تمام قصة موسی علیه السّلام و فرعون، یتوجه الخطاب إلی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیعرف الذین یشکّون، أنهم فی شکّهم علی غیر حق بعد إقامة الحجة، و کثیرا ما یوجه الخطاب إلی أحد ما، لیعرف غیره قصد المتکلم علی نحو «إیاک أعنی و اسمعی یا جارة». و من المحتمل أن یکون الخطاب لکل من یلتفت إلی هذه القصة، کما ذکر علماء البلاغة أن الخطاب فی قوله تعالی: (وَ لَوْ تَری إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناکِسُوا رُؤُسِهِمْ) «۱»، متوجه إلی کل من یأتی منه الرؤیة.

فَإِنْ کُنْتَ یا رسول الله، أو إن کنت أیها السامع. و هذا لا- ینافی قوله «مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَیْکَ» إذ یستعمل ذلک بالنسبة إلی کل من أمر بتبلیغه، کما قال سبحانه: (أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَیْکُمْ ذِکْراً) «۲»، و (أَنْزَلْنا إِلَیْکُمْ کِتاباً فِیهِ ذِکْرُکُمْ) «۳»، باعتبار أن الغایة من الإنزال هم.

فِی شَکٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَیْکَ من العقائد الحقة و القصص السالفة فَسْئَلِ الَّذِینَ یَقْرَؤُنَ الْکِتابَ مِنْ قَبْلِکَ فإنهم فی واقع أمرهم یعترفون بکل ذلک و إن أنکره بعضهم عنادا و حسدا، فإن الکتب السالفة کانت تدل علی کل تلکم الأصول و حقائق هذه القصص لَقَدْ جاءَکَ

(۱) السجدة: ۱۳.

(۲) الطلاق: ۱۱.

(۳) الأنبياء: ۱۱.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۶۰

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۹۵ الى ۹۶]

وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخاسِرِينَ (۹۵) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (۹۶)

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ يا رسول الله، أو أيها السامع، فإن القرآن و ما يشتمل عليه من الأصول و الأحكام و القصص كله حق لا مرية فيه فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ «الامتراء» طلب الشك مع ظهور الدليل، و هو من «مرى الضرع» إذا مسحه ليدر، و لا معنى لمسحه بعد درّه الحليب.

و لا يخفى أن مثل هذا الكلام، إنما يفيد التلقين و الإيماء، فإن المطلب إذا ألقى على النفس قبلته. فلا يقال: ما فائدة هذا الكلام؟ إذ المخاطب إن كان شاكا لا يزول شكه بقولك: «لا تشك»، و إن لم يكن شاكا كان مثل هذا الكلام معه لغوا، كما أنه لا تنافى بين «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ» و بين «فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» فإنها بمعنى: «إن كنت فى شك فاسأل حتى يزول الشك و لا تبقى فيه إلى الأبد».

[۹۶] وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ أى لا تكن فى جملة المكذبين بأدلة الله و حججه التى أقامها على توحيده و سائر صفاته و أحكامه فَتَكُونَ مِنَ الْخاسِرِينَ الذين خسروا أنفسهم و أموالهم و أهليهم إذ هم صرفوها و اشتروا بذلك العذاب و النكال.

[۹۷] و بعد وضوح الحجة و ظهور المحجة و قيام الأدلة على ما أنزل على الرسول فما هو سبب إصرار قوم على الكفر و التكذيب؟ إنهم حقت فيهم كلمة الله، فقد بيّن سبحانه سابقا أن من أعرض عن الحق بعد وضوحه لا بد و أن يقسو قلبه حتى أنه لو رأى كل آية لا يؤمن، فقد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۶۱

[سورة يونس (۱۰): الآيات ۹۷ الى ۹۸]

وَ لَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ (۹۷) فَلَوْ لا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ مَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ (۹۸)

أغلق قلبه و طبع عليه فلا يؤمن و إن رأى الحجج و الآيات إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ أى ثبتت لا يُؤْمِنُونَ بالله و ما جاء به الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

[۹۸] وَ لَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ خارقة تدل على صدق الأنبياء فى الدعوة إلى التوحيد و سائر الأمور الدينية حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ المؤلم الموجع، فهناك يتيقّنون بأنهم كانوا على ضلالة لكن إيمانهم حينذاك لا ينفعهم.

[۹۹] إن سنة الله لا بد و أن تجرى بالنسبة إلى المكذبين بإهلاكهم، و قد تقرّر أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، فهل هناك من خلاص من هذا العذاب و الهلاك؟ هنا يذكر سبحانه أن الخلاص ممكن و هو أن يسلك المكذبون- حتى و لو شاهدوا العذاب- مسلك المؤمنين فيؤمنوا و يرجعوا عن غيهم فَلَوْ لا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها أى لماذا لم يؤمن أهل القرى التى أهلكناها، حين شاهدوا العذاب؟ و فى «لو لا» معنى التأنيب نحو: «هلّا امتنعت عن النساء و قد دعيت إلى التعفف عنهن» إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ استثناء متصل فإن قوم يونس خارجون عن هذا التأنيب لَمَّا آمَنُوا بعد مشاهدة العذاب كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ أى رفعنا عنهم العذاب الموجب لخزيهم فِي الْحَياةِ الدُّنْيا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٥٦٢

[سورة يونس (١٠): آية ٩٩]

وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)

أى فى هذه الحياة القريبة فصرفنا عنهم العذاب وَ مَتَّعْناهُمْ أبقيناهم متنعمين بنعم الدنيا إِلى حِينٍ جاء أجلهم فماتوا بالآجال المكتوبة.

فقد ورد أنه ما رد الله العذاب إلا عن قوم يونس عليه السّلام فكان يدعوهم إلى الإسلام فأبوا ذلك، فهمّ أن يدعو عليهم، و كان فيهم رجلان عالم و عابد و كان اسم العالم «روبيل» و اسم العابد «تنوخا» و كان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم و كان العالم ينهاه و يقول: لا تدع فإن الله يستجيب لك و لا يحب هلاك عباده. فقبل يونس عليه السّلام قول العابد و لم يقبل قول العالم حين يئس منهم بعد ما دعاهم ثلاثا و ثلاثون سنة. فدعا عليهم، فأوحى الله إليه يخبره بأنه يأتيهم العذاب فى سنة كذا فى شهر كذا فى يوم كذا، فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد و بقى العالم فيهم. فلما كان فى ذلك اليوم نزل العذاب- بأن رأوا فى اليوم الموعود ريح صفراء مظلمة مسرعة لها صرير و حفيف- فقال العالم لهم:

يا قوم أفزعوا إلى الله فلعله يرحمكم فيرد العذاب عنكم. فقالوا: كيف نصنع؟ فقال: اخرجوا إلى المغارة و فرقوا بين النساء و الأولاد، و بين الإبل و أولادها، و بين البقر و أولادها، و بين الغنم و أولادها، ثم ابكوا.

و فعلوا ذلك و ضجّوا و بكوا، فرحمهم الله، و صرف عنهم العذاب، و فرق العذاب على الجبال و قد نزل و قرب منهم «١».

[١٠٠] وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ يا رسول الله لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ من البشر كُلُّهُمْ جَمِيعاً بلا استثناء أحد. و لذا جيء بتأكيدين، حتى لا يظن

---

(١) تفسير القمى: ج ١ ص ٣١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٥٦٣

[سورة يونس (١٠): آية ١٠٠]

وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (١٠٠)

أن التأكيد الأول عرفى لا حقيقى، فإنه سبحانه قادر على أن يلجئ الناس إلى الإيمان، كما أنه قادر على أن يحف الإيمان بالمغريات التى ترغّب الناس فى الإيمان تلقائيا بلا- جبر، لكنه لم يشأ الأمرين، إذ تعدم فائدة الإيمان حينئذ لعدم حصول الاختبار بالإكراه و الإغراء أَ فَأَنْتَ يا رسول الله تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ أى لا ينبغى لك إكراه الناس على الإيمان، أو لا تقدر على ذلك، فإن الإيمان أمر قلبى لا يدخل تحت طوقك.

فإن قيل: فلما ذا يكره الإسلام الناس على ترك المنكرات و فعل الواجبات؟

قلنا: إن ذلك بالنسبة إلى من قبل الدين كمن قبل القانون الذى يجبر على تطبيقه عليه، أما من لم يقبل و هو مورد الآية فلا إكراه له.

فإن قيل: فكيف لا يقبل الإسلام من الكفار غير الكتابيين إلا الإسلام أو القتال؟

قلنا: إن ذلك إذا خرقوا العهود التى بينهم و بين المسلمين، و ذلك غير الإكراه الابتدائى.

[١٠١] إن الله سبحانه لم يكره الناس على الإيمان، و لكنه بيّن لهم الطريق، فإن أحدا لا يتمكن من الإيمان إلا بإذنه سبحانه، بأن يهديه الطريق، أما من هداه و أرشده ثم أعرض عنه و سلك طريقا آخر فالله سبحانه يجعل عليه الرجس الروحى، إذ تنغلق منافذ عقله، و تتردى نفسه فى مهاوى الضلالة التى هى أبشع أنواع الرجس وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٥٦٤

[سورة يونس (١٠): آية ١٠١]

قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما تُغْنِي الْآياتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ (١٠١)

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ بأن یمکنها من الإیمان و یدعوها إلیه و یرشدها إلی طریقه وَ یَجْعَلُ الله الرِّجْسَ الدنس الروحی الذی هو أسوأ أقسام الدنس، فإن القذارات الظاهریة تذهب بالغسل و نحوه، أما القذارة الروحیة فلا تذهب بألف غسل و غسل عَلَی الَّذِینَ لا یَعْقِلُونَ أی لا یعملون عقولهم للاستضاءة و الاستنارة.

[۱۰۲] قُلِ یا رسول الله لهؤلاء الکفار: انْظُرُوا ما ذا فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ من الآیات الدالة علی توحید الله سبحانه و صفاته، فإن فی کل شیء آیة.

قال رسول الله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «إنما العلم ثلاثة: آیة محکمة، أو فریضة عادلة، أو سنة قائمة، و ما خلاهن فهو فضل» «۱».

فالآیة المحکمة: هی الآیات الکونیة الدالة بإحکامها و إتقانها علی التوحید و سائر صفاته سبحانه من العلم و القدرة و الحیاة و الإرادة، و أنه لا یفعل العبث .. و غیرها.

و الفریضة العادلة: هی الأخلاق التی هی فرائض بأن یسیر البشر فی عدلها و وسطها، فلا جبن و لا تهوّر بل شجاعة، و لا بخل و لا سرف بل جود، و لا شره و لا تزهد بل عفة ... و هکذا.

و السنة القائمة: هی الأحکام الإسلامیة التی هی سنن الحیاة السعیدة و مناهجها القائمة إلی الأبد، لا تزول و لا تتغیر.

---

(۱) عوالی اللآلی: ج ۴ ص ۷۹.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۶۵

[سورة یونس (۱۰): الآیات ۱۰۲ الی ۱۰۳]

فَهَلْ یَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَیَّامِ الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِینَ (۱۰۲) ثُمَّ نُنَجِّی رُسُلَنا وَ الَّذِینَ آمَنُوا کَذلِکَ حَقًّا عَلَیْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِینَ (۱۰۳)

وَ ما تُغْنِی الْآیاتُ وَ النُّذُرُ أی لا تفید هذه الدلالات و البراهین الجلیة، و لا یفید الإنذار و الوعظ عَنْ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ إذ أنهم أغلقوا قلوبهم و غمضوا أبصارهم. و إنما عدی ب «عن» لأنه أشرب معنی «الدفع»، أی لا تدفع الآیات و العضلات العذاب عن قوم لا یؤمنون، فقد کان السیاق حول عذاب المکذبین و أنه سبحانه یجعل الرجس علیهم.

[۱۰۳] فَهَلْ یَنْتَظِرُونَ أی ینتظر هؤلاء الکفار الذین لا تفیدهم الآیات و النذر، و الاستفهام إنکاری إِلَّا مِثْلَ أَیَّامِ الَّذِینَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أی إلا العذاب و الهلاک، و المراد بأیامهم: وقائعهم المؤلمة، و معنی «خلوا» مضوا. و الحاصل أنهم إن لم یؤمنوا فلینتظروا العذاب کما نزل بقوم عاد و ثمود و غیرهم قُلْ یا رسول الله لهؤلاء الکفار:

فَانْتَظِرُوا مثل تلک الأیام بعد ما أعرضتم عن الإیمان إِنِّی مَعَکُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِینَ فلننتظر جمیعا حتی یأتیکم العذاب.

[۱۰۴] ثُمَّ عند نزول العذاب نُنَجِّی رُسُلَنا فلا یصیبهم مکروه وَ الَّذِینَ آمَنُوا من بین أولئک الکفار، فلا یحرق الرطب مع الیابس- کما اشتهر علی ألسنة الناس- کَذلِکَ أی کما ننجی الرسل حَقًّا عَلَیْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِینَ أی نجاة المؤمنین لازم علینا فی الحکمة.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۶۶

[سورة یونس (۱۰): الآیات ۱۰۴ الی ۱۰۵]

قُلْ یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی شَکٍّ مِنْ دِینِی فَلا أَعْبُدُ الَّذِینَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لکِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِی یَتَوَفَّاکُمْ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ (۱۰۴) وَ أَنْ أَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ حَنِیفاً وَ لا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِکِینَ (۱۰۵)

و یحتمل أن یکون «کذلک» للمؤخر- لا المقدم- أی نجاة المؤمنین الآن کنجاة المؤمنین سابقا.

[۱۰۵] قُلْ یا رسول الله: یا أَیُّهَا النَّاسُ خطاب للناس بصورة عامة إِنْ کُنْتُمْ فِی شَکٍّ مِنْ دِینِی و طریقتی التی جئت بها، أ حق هی أم باطل؟ فلا تدرون ذلک، فإن شککم لا یزحزحنی من عقیدتی و دعوتی، بل أبقی صامدا للدعوة فَلا أَعْبُدُ الَّذِینَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

و لا- یثنینی إلی عبادة تلک الآلهة کثرة عبّادها و شککم فی دینی، کما هو الغالب فی الأفراد الذین یدعون إلی طریقة فلا یجدون مؤیدین لها فیعدلون عنها وَ لکِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِی یَتَوَفَّاکُمْ فهو الذی یمیتکم و تکون ناصیتکم فی قبضته و مصیرکم إلیه. و هذا تهدید لهم، و تذکیر بأن الموت بید الله سبحانه و لیس للأصنام شیء وَ أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ بالله و کتبه و رسله و شرائعه.

[۱۰۶] و کأن المقام صار مقام مخاطبة الله لنبیه، و أن الشاکین حاضرین فی محضر الرسول حین یتلقی الوحی، من باب الإلفات الذی هو نوع من البلاغة، و لذا قال: وَ أَنْ أَقِمْ یا رسول الله وَجْهَکَ و اتجاهک فإن «الوجه» لمّا کان المحل الذی یتوجه الناس به إلی غیرهم، أمر بإقامته، و عدم صرفه إلی هنا و هناک لِلدِّینِ أی طریقة الإسلام حَنِیفاً أی فی حال کونک مائلا عن سائر الأدیان، أو مستقیما فی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۶۷

[سورة یونس (۱۰): الآیات ۱۰۶ الی ۱۰۷]

وَ لا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا یَنْفَعُکَ وَ لا یَضُرُّکَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّکَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِینَ (۱۰۶) وَ إِنْ یَمْسَسْکَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا کاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ یُرِدْکَ بِخَیْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ یُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ (۱۰۷)

طریقتک و دعوتک وَ لا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِکِینَ الذین یشرکون بالله غیره، و کأن عطف «أن أقم» علی تقدیر: «قیل لی» أن أقم.

[۱۰۷] وَ لا تَدْعُ یا رسول الله مِنْ دُونِ اللَّهِ أی غیر الله سبحانه ما لا یَنْفَعُکَ إن أطعته وَ لا یَضُرُّکَ ضرر معتد به إن عصیته. و إنما قیدنا بذلک لأنه المفهوم، فإن الله سبحانه هو المستقل بالنفع و الضرر أما غیره من الآلهة المزعومة فمنها ما لا ینفع و لا یضر إطلاقا، کالأصنام، و منها ما لا ینفع و لا یضر إلا بإذن الله سبحانه، کفرعون و نمرود و غیرهما من الأصنام البشریة فَإِنْ فَعَلْتَ تلک العبادة و الدعوة لغیر الله فَإِنَّکَ إِذاً فی ذلک الحین مِنَ الظَّالِمِینَ الذین ظلموا أنفسهم بإیجاب العذاب علیها و علی سائر الناس فیما لو صاروا سببا للضلال و الغوایة. و لا ینافی کون الخطاب متوجها إلی النبی مع مقام عصمته، لأنه تعلیمی، بالإضافة إلی إمکان استحالة المقدم فی الشرط، و إنما صدق الجملة بصدق الملازمة.

[۱۰۸] الأصنام و الآلهة المزعومة لا تنفع و لا تضر، أما الله سبحانه فهو وحده المالک للنفع و الضرر و لکل شیء، فمن اللازم أن یدعوه الإنسان وحده وَ إِنْ یَمْسَسْکَ یا رسول الله اللَّهُ بِضُرٍّ أی إن أحلّ ضرا. و کأن الإتیان بلفظ «المس» لإفادة أن أقل مقدار من الضر الذی یمس الإنسان مسا، لا کاشف له سوی الله، فکیف بالمقدار الکبیر منه؟ فَلا کاشِفَ لَهُ لا دافع له إِلَّا هُوَ إلا الله وحده، فهو القادر

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۶۸

[سورة یونس (۱۰): آیة ۱۰۸]

قُلْ یا أَیُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَکُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکُمْ فَمَنِ اهْتَدی فَإِنَّما یَهْتَدِی لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّما یَضِلُّ عَلَیْها وَ ما أَنَا عَلَیْکُمْ بِوَکِیلٍ (۱۰۸)

علی دفع الضر وَ إِنْ یُرِدْکَ من «أراد یرید» بِخَیْرٍ یقال: «یریدک بالخیر» و «یرید بک الخیر» بمعنی واحد فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ أی لا یقدر أحد علی منعه.

قال بعض المفسرین: إن ذکر الإرادة مع الخیر، و المس مع الضر، لتلازم بین الأمرین، للتنبیه علی أن الخیر مراد بالذات، و أن الضر إنما یمسّ البشر لا بالقصد الأول، و وضع الفضل موضع الضمیر للدلالة علی أنه متفضل بما یرید بهم من الخیر لا استحقاقا لهم علیه، و لم یستثنی لأن مراد الله لا یمکن رده «۱».

یُصِیبُ بِهِ أی بالخیر مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ فیعطیه کما تقتضی حکمته البالغة وَ هُوَ الْغَفُورُ لذنوبهم الرَّحِیمُ بهم یرحمهم و یتفضل علیهم.

[۱۰۹] و أخیرا جاء الحق إلی الناس، و الرسول مأمور بالتبلیغ، و بعد ذلک کل امرئ و ما اختار قُلْ یا رسول الله للناس: یا أَیُّهَا النَّاسُ علی نحو العموم قَدْ جاءَکُمُ الْحَقُّ هو دین الإسلام المشتمل علی کل شیء مما یحتاجه الإنسان فی مختلف مجالات الحیاة مِنْ رَبِّکُمْ

إلهكم الحقيقى و مربّيكم فَمَنِ اهْتَدى إلى الحق فَإِنَّما يَهْتَدِي

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۶۸ ص ۱۱۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۶۹

[سورة يونس (۱۰): آية ۱۰۹]

وَ اتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ وَ اصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ (۱۰۹)

لِنَفْسِهِ فإن فائدة هدايته عائدة إليه وَ مَنْ ضَلَ عنه و عدل إلى سائر السبل فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها أى على نفسه، فإن ضرر الضلال يعود إلى الإنسان نفسه وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ فلست أنا مسؤلا عمن ضل بعد إراءته الطريق و إرشاده السبيل، فأنتم موكلون إلى أنفسكم و ليس علىّ إلا البلاغ.

[۱۱۰] وَ اتَّبِعْ يا رسول الله ما يُوحى إِلَيْكَ من قبل الله سبحانه، بتنفيذ أوامره وَ اصْبِرْ على إيذاء الكافرين و المشركين حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بينك و بينهم بالغلبة و الثواب لك هنا، و العقاب لهم هناك وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ فإنه يحكم بالعدل، و لا يغمط أحدا حقه و يشهد كل شيء فلا يزيغ به حكم، و لا يميل به باطل، فهو الحاكم بالعدل و الصواب.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۷۰

۱۱ سورة هود مكية/ آياتها (۱۲۴)

سميت السورة بهذا الاسم، لاشتمالها على قصة هود النبى عليه السّلام و حيث أن سورة يونس اختتمت باتباع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للوحى، ابتدأت هذه السورة بالوحى.

[۱] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ابتداء باسم الله، فإن للاسم خواصا، و لذا نرى أن سماع اسم المحبوب يزيد الإنسان نشاطا، كما أن سماع اسم المكروه يزيد الإنسان انقباضا، بالإضافة إلى أن اسم الله يطرد الشياطين و يوجب عناية الله للذى ذكره، و تركيز لصفة الرحمة فى نفوس الناس، إنه هو الرحمن الرحيم، فليتخلّق الإنسان بأخلاقه سبحانه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۷۱

[سورة هود (۱۱): الآيات ۱ الى ۲]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (۱) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ (۲)

[۲] الر رموز بين الله و الخلق، أو أن من جنس «أ، ل، ر» كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ فكل آية من آياته محكمة متينة ليست رخوة لا تلائم الواقع و الحياة، و تكون غير صالحة لكل زمان أو مكان، بل إنها كالأحجار الكريمة المستحكمة التى لا يدخلها نقص و رخاوة و تفكك، ثُمَّ فُصِّلَتْ كل آية قد وضعت موضعها المناسب لها، كما يفصل الكتاب إلى أبواب و فصول، فليس نظمها مهلهلا غير منظم، كالبناء المحكم ذى الأحجار و الأدوات القديمة و الذى ينظم و يفصّل تفصيلا منسجما صحيحا دقيقا، فالآية محكمة بذاتها، منظمة فى مكانها.

و هو مِنْ لَدُنْ أى من عند إله حَكِيمٍ فى أفعاله يضع الأشياء فى مواضعها، فلا يفعل شيئا اعتباطا و عبثا و إنما بالحكمة و الصلاح خَبِيرٍ عليم بالأشياء، فإن الحكمة غير العلم، إذ ربما حكيم غير عالم، كما أنه ربما عالم غير حكيم.

[۳] أَلَّا تَعْبُدُوا تقديره «لأن لا- تعبدوا»، فهو متعلق ب «أحكمت» أى أنزل الكتاب المحكم المفصل لعلّة أن لا تعبدوا، فهو منصوب محلا- كما تقول: «كتبت إليك أن تتعلم» إِلَّا اللَّهَ فهو وحده المستحق للعبادة و الطاعة لا إله سواه إِنَّنِي لَكُمْ أيها الناس مِنْهُ من طرفه

سبحانه نَذِيرٌ أنذر العاصين بالعقاب وَ بَشِيرٌ أبشر المطيعين بالثواب.

و كان ذكر الإنذار قبل التبشير، للزوم تطهير النفس عن الكفر و المعاصى أولا ثم تحليتها بالفضائل، قالوا: و لذا قدم النفى على الإثبات فى «لا إله إلّا الله».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۷۲

[سورة هود (۱۱): آية ۳]

وَ أَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (۳)

[۴] وَ أَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ اطلبوا غفرانه فيما سلف من ذنوبكم ثُمَّ تُوبُوا ارجعوا إِلَيْهِ فى أموركم، فإن الاستغفار و التوبة أمران، فإن الأول تطهير، يمكن أن يرجع الإنسان- بعده- إلى الله و يمكن أن يرتكس فى الذنوب، و إن كان الغالب استعمال كل واحد منهما و يراد به الاثنان.

و الحاصل أن الإنسان يحتاج إلى تطهير ما سبق، و طهارة المستقبل، فالاستغفار وضع للأول، و التوبة للثانى، و إن استلزم كل واحد الآخر يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً فإنه إن استغفرتم و تبتم تفضّل عليكم بالمتاع الحسن من رزق و أثاث و رياش، و حسنه بجماله الذاتى و أن لا يكدّره قلق و مرض و ما أشبههما إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى وقت مسمى عنده، و هو منتهى عمركم وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ فمن أوتى بالفضل عن الاستغفار و التوبة آتاه الله سبحانه فضلا و زيادة على المتاع الحسن، فالمطيع له المتاع الحسن و المطيع الذى يزيد فى طاعته على أصل الواجب بالمندوبات و نحوها يعطى أزيد على قدر فضله وَ إِنْ تَوَلَّوْا أى تعرضوا و أصله «تتولوا» بحذف إحدى التاءين- على القاعدة- و «التولى» بعدم الإيمان أو عدم الاستغفار و التوبة فَإِنِّى أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ هو يوم القيامة، الذى تعظم الأهوال فيه و تكبر، فإن كان التولى بالمعصية كان الخوف بمعناه، فإن العاصى يخاف عليه، لا إنه يقطع بعذابه، لاحتمال خلاصه بالعفو و الشفاعة، و إن كان التولى بالكفر كان لفظة «الخوف» من التواضع فى الكلام لمن لا يعتقد.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۷۳

[سورة هود (۱۱): الآيات ۴ الى ۵]

إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۴) أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۵)

[۵] إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ رجوعكم، و معناه إلى حسابه و جزائه رجوعكم بعد الموت وَ هُوَ سبحانه عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقدر على إحياء الأموات، و محاسبتهم و جزائهم و قد اشتملت هذه الآيات على التوحيد و النبوة و المعاد، و تعديل السلوك فى الحياة.

[۶] و يواجه هذا الكتاب الحكيم و هذا الرسول البشير النذير جماعة من الناس بالإعراض بحنى رؤوسهم و ثنى صدورهم كما يفعل كل من يريد أن يخفى نفسه منك و لا يعتنى بك و بكلامك أَلا فلينتبه السامع إِنَّهُمْ أى الكفار يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ يطوونها و يدخلون بعض أجزائها فى بعض كالمطرق الشديد الإطراق لِيَسْتَخْفُوا يطلبون بذلك تخفيهم مِنْهُ من الله أو من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أَلا فلينتبه السامع حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يتغطون بثيابهم، فإن الإنسان المعرض يتلفّح بثوبه، إما بأن يضعه على رأسه، أو يخفى به بعض جسده، و لعل بعضهم كان يفعل ذلك إظهارا لإعراضه حين يقرأ الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم القرآن. يَعْلَمُ الله ما يُسِرُّونَ يخفون وَ يعلم الله ما يُعْلِنُونَ عند ما يستغشون ثيابهم إِنَّهُ سبحانه عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ أى الصفات و الأسرار الكامنة فيها، فلا ينفعهم ثنى الصدور و استغشاء الثياب فى تخفيهم عليه سبحانه، فإنه العالم بكل شىء.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۷۵

تقريب القران الى الأذهان الجزء الثّانى عشر من آية ۷ من سورة هود إلى آية ۵۳ من سورة يوسف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٥٧۶

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين محمد المصطفى و عترته الطاهرين.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٥٧٧

[سورة هود (١١): الآيات ۶ الى ٧]

وَ ما مِنْ دابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَ مُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ (۶) وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَ لَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧)

[٧] إنه سبحانه عالم بكل شيء، و لو لم يعلم كل شيء لم يقدر على إيصال الرزق لكل دابة صغيرة أو كبيرة وَ ما مِنْ دابَّةٍ فِي الْأَرْضِ «الدابة» كل حيوان يدبّ على وجه الأرض، و هذا من باب المثال، و إلا فمن الحيوانات ما لا يدب، كما أن منها ما ليس في الأرض إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها و لعلّ تخصيص الرزق بالذكر، للزومه عدة أمور من علم و حكمة و قدرة و غيرها، و لتكرره كل يوم- غالبا- وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها مستقر تلك الدواب وَ مُسْتَوْدَعَها و لعلّ الأول عبارة عن كل محل تقرّ فيه، و لو لم يكن مكانها، و الثاني محلها الذي هو عيشها و منزلها.

و قيل في ذلك أقوال أخرى كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ أي إن جميع ذلك بالإضافة إلى أنها معلومة لله سبحانه مدرجة في كتاب واضح، و لعله هو اللوح المحفوظ.

[٨] وَ هُوَ سبحانه الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ لا أكثر و لا أقل، و قد جرت حكمة الله سبحانه على الخلق التدريجي كما نشاهده في النبات و الحيوان و الإنسان، و كذلك كان خلق السماء و الأرض، و خصوصية ستة أيام كخصوصية الآماد المعينة في سائر الأشياء كتسعة أشهر مثلا للجنين. و الظاهر أن المراد: مقدار ستة أيام، إذ لم يكن في ذلك الوقت يوم بمعناه الحالي وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ فقد كان سلطانه سبحانه و تصرفه- و هو المتبادر من العرش كما يقال: عرش الملك الفلاني من البلاد الكذائية إلى البلاد الكذائية- على

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٥٧٨

[سورة هود (١١): آية ٨]

وَ لَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ ما يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَ حاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (٨)

الماء، قبل خلق السماوات و الأرض، فإن الله قبل خلق السماوات و الأرض خلق ماء ثم كوّن الكون، و أما لم ذلك؟ فعلمه لدى علّام الغيوب لِيَبْلُوَكُمْ يختبركم و يمتحنكم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا إن خلق السماوات و الأرض كان استعدادا لإمكان خلق الإنسان ليمتحن، كما قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «خلق الأشياء لأجلك».

أما خصوصية «الستة» و كون العرش على الماء، فهو من توابع الخلق لأجل الامتحان، لا من صميمه- كما يظهر لنا من السياق- كأن تقول: «هيأت لولدي الدار الفلانية في سنة، لأسكنه فيها». ثم إن ذلك كان لأجل امتحان البشر و ليظهر أيهم أحسن عملا، حتى يكون الجزاء وفق الامتحان، و من الغريب- إذن- أن ينكر أحد الجزاء وَ لَئِنْ قُلْتَ يا رسول الله لهؤلاء الكفار: إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ للحساب و الجزاء لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بالله و رسله إِنْ هذا أي: ما هذا القول حول البعث إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ أي تمويه واضح، لا حقيقة له.

[٩] إنهم يكذبون بكل شيء لم يروه، و قد وعدناهم بالعذاب لكنه تأخر عنهم، فيستعجلونه استهزاء، و ينكرونه كما ينكرون البعث وَ لَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ الذي يستحقونه بتكذيبهم للرسول و إنكارهم لله سبحانه إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ «الأمة» بمعنى «الحين» أي إلى أجل مسمّى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٥٧٩

[سورة هود (١١): آية ٩]

وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ (٩)

و وقت معين عـدّت أيامه فى علم الله سبحانه لمصالح خاصة لَيَقُولُنَّ على وجه الاستهزاء: ما يَحْبِسُهُ أى: أىّ شىء يؤخر هذا العذاب الموعود عنّا إن كان الوعد حقا، فتأخيره دليل على كذبه ألا فلينتبه السامع يَوْمَ يَأْتِيهِمْ العذاب لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ لا يقدر أحد على صرفه عنهم، بل يأخذهم و يهلكهم وَ حينذاك حاقَ بِهِمْ أحاط بهؤلاء المكذبين ما أى العذاب الذى كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ فلا منجى لهم و لا ـ مهرب. أما تأخير العذاب فلأجل إيمان من يؤمن، ممن يعلم الله إيمانه منهم، و لينشأ بعض الذرارى من أصلاب الكفار، و إنما يأخذ الله سبحانه بعذاب الاستئصال من لم يجد منه خيرا إلى الأبد.

[١٠] إن الإنسان عجول فى حكمه و تقلبه فهو يستعجل العذاب، كما أنه ييأس لمجرد نزول البليـة، و الفخر بمجرد نزول النعمة وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً أنزلنا إليه رحمة ذاقها، من صحة أو مال أو ولد أو نحوها. و المراد ب «الذوق» هنا مطلق الإدراك، فإنه يستعمل فيما يتذوق باللسان، و فيما يدرك بالحواس الظاهرة، و فيما يدرك و لو بالحواس الباطنة، كما أن الرؤية كذلك، تقول: رأيت وجه زيد، و رأيت خشونة الحصير، و رأيت الله أكبر كل شىء ثُمَّ نَزَعْناها أى سلبنا تلك النعمة مِنْهُ من الإنسان لمصلحة اقتضته إِنَّهُ أى الإنسان لَيَؤُسٌ ذو يأس و قنوط كَفُورٌ يكفر بالله و ييأس من روحه و رحمته.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٥٨٠

[سورة هود (١١): الآيات ١٠ الى ١٢]

وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (١١) فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ وَ ضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٢)

[١١] وَ لَئِنْ أَذَقْناهُ جعلناه يتذوق و يدرك، نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ أى بعد بلاء أصابه لَيَقُولَنَّ الإنسان عند نزول النعماء به: ذَهَبَ السَّيِّئاتُ أى الأمور التى تسوء صاحبها من فقر و مرض و عقم و ما أشبه عَنِّي فكأنه أمر عادى طبيعى لا يشكر الله على ذهابها، و لا يرى أنه هو الذى أذاقه النعمة إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ يفرح و يفخر على الناس فلا يصبر عند البليـة و لا يشكر عند النعمة، إنه عجول فى جميع أحواله فى نعمة كان أم فى نقمة.

[١٢] إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا على الشدة فلم يكفروا، و على النعمة فلم يبطروا، فإن النعمة تحتاج إلى الصبر، كما أن البلية تحتاج إليها، و رب إنسان أنعم الله عليه فلم يصبر على النعمة حتى بدّلها كفرا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فلم يعملوا بالسيئات عند النعمة أو البلية أُولئِكَ الصابرون لَهُمْ مَغْفِرَةٌ غفران ذنوبهم وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ فى الدنيا بالسعادة، و فى الآخرة بالجنة و الرحمة و الرضوان.

[١٣] ما هو موقف الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أمام هؤلاء الكفار الذين يقولون عن البعث أنه سحر مبين، و يكفرون عند الشدة، و يبطرون عند النعمة؟ إنه لا بد و أن يضيق صدره، خصوصا و أنهم يطلبون منه ما لا يرتبط بالرسالة تعنّتا.

و

قد روى أن رؤساء مكة من قريش أتوا رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالوا:

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٥٨١

يا محمدا! إن كنت رسولا فحوّل لنا جبال مكة ذهبا، أو ائتنا بملائكة يشهدون لك بالنبوة. فنزلت هذه الآية «١».

و فى التأويل،

ورد عن الإمام الصادق عليه السّلام: «أن رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال لعلى عليه السّلام: إنى سألت ربى أن يؤاخى بينى و

بينك ففعل، و سألت ربى أن يجعلك وصيّى ففعل، فقال بعض القوم: و الله لصاع من تمر فى شنّ بال أحب إلينا مما سأل محمد ربّه، فهلّا سأله ملكا يعضده على عدوه، أو كنزا يستعين به على فاقته. فنزلت «۲»:

فَلَعَلَّكَ يا رسول الله تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ من التنقيص لآلهة المشركين و تسخيف عقائدهم و أعمالهم، كأن لا تقرأ بعض آى القرآن التى فيها هذه الأمور، خوفا من أذى الكفار و استهزائهم وَ ضائِقٌ بِهِ بذلك الوحى صَدْرُكَ فإن الإنسان إذا همّه أمر ارتفعت درجة حرارته مما يتطلب هواء كثيرا، و فى النفس العميق تنتفخ الرئة كثيرا مما يسبب ضيق الصدر عند انتفاخها أَنْ يَقُولُوا أى كراهة أن يقول الكفار: لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ أى لماذا لم ينزل على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كَنْزٌ من المال ليستعين به على فقره أَوْ جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ليشهد بصدقه، فإن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان إذا ذكر آلهتهم و نقائصهم قابلوه بالاستهزاء بمثل هذه الأمور «لو لا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك» يريدون بذلك كفّه عن بعض الوحى.

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۹ ص ۱۰۳.

(۲) الكافى: ج ۸ ص ۳۷۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۸۲

[سورة هود (۱۱): آية ۱۳]

أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۱۳)

و هنا يرشده سبحانه أنه لا يحتاج إلى كنز أو ملك إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ تنذر الناس، و المنذر لا يحتاج إلى كنز، و إنما طالب المال يحتاج إليه، كما أنه لا يحتاج إلى الملك، بل إنه بحاجة إلى التصديق، و قد كانت معه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أدلة الصدق، من المعجزات الباهرات وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ فهو الموكل بهم، و المتصرف فى أمورهم، و «الوكيل» هو العارف بالصلاح دونهم، فما يفعله من عدم تلبية مثل هذه الخوارق إنما ذلك من صلاحهم و إن لم يعرفوا.

[۱۴] أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ أى بل يقولون إن الرسول افترى القرآن على الله سبحانه و نسبه إليه كذبا مع أنه ليس من عنده قُلْ يا رسول الله لهم:

إن كان القرآن من كلامى و ليس من كلام الله سبحانه فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ أى مختلقات من عند أنفسكم، فإنه لو كان من كلام البشر لتمكن البشر من الإتيان بمثله.

و ليس لأحد أن يقول كان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الدرجة الأولى فى البلاغة، لذا لم يقدروا أن يأتوا بمثله. إذ كونه بالدرجة الأولى لا تمنع أقرانه أن يأتوا بجزء من بلاغته. و من المعلوم بأن القرآن كبير فليأتوا بمثل بعضه، كما أن كون أحد المهندسين أقوى من غيره فى التصميم و رسم الخرائط، ليس معناه أن سائر المهندسين لا يتمكنون حتى و لو بتخطيط تصميم واحد كتصميمات ذلك المهندس الكثيرة، بل معناه أنه من حيث المجموع أقدر من غيره. ثم لو كان افتراء لزم- عقلا- تعجيز الله له، و إلا لزم الإغراء بالجهل، و لذا لم يدّع أحد النبوة كاذبا إلا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۸۳

[سورة هود (۱۱): آية ۱۴]

فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۴)

فضح كما نرى الشيء الكثير منه فى التاريخ.

وَ ادْعُوا أيها المكذّبون مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لمناصرتكم فى الإتيان بعشر سور مثل القرآن إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فى قولكم أن القرآن افتراء، و ليس من عند الله سبحانه.

[۱۵] فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ أى إن لم يجبكم هؤلاء الكفار إلى الإتيان بمثل عشر سور، و لعل الإتيان ب «لكم» خطابا للمسلمين، لأجل أن المسلمين كانوا يحاجّون الكفار بمثل هذه الاحتجاجات، و الكفار لم يكونوا يتمكنون من الإجابة فَاعْلَمُوا أيها المسلمون أَنَّما أُنْزِلَ القرآن بِعِلْمِ اللَّهِ فإن علمه وحده كفيل بأن يأتى بشىء لا يقدر عليه البشر، أما غيره فلا علم له بحيث يعلم ما لا يقدر عليه كل البشر حتى يتحدّاهم. و معنى «اعلموا» أن ذلك العجز دليل على أنه من الله سبحانه، إذ لو لم يكن من عنده سبحانه لشحذ الكفار أفكارهم، و عقدوا ندوات و جاءوا أخيرا بمثل القرآن، لتوفّر الدواعى لذلك، فإن القرآن كان السلاح الوحيد الذى يتحداهم، و يبنى عليه إبطال كل مزاعمهم، فلو ملكوا أن يأتوا بمثل القرآن و لو بعد جهد و صعوبة، لأتوا حتى يستريحوا، و تكون لهم حجة على مزاعمهم بأن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليس صادقا فيما يقول.

وَ اعلموا أَنْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فإنه لو كان له شريك، لتمكن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۸۴

[سورة هود (۱۱): آية ۱۵]

مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ (۱۵)

من إسعاف هؤلاء المشركين به ليأتوا بمثل القرآن، فإذا لم يأتوا به دل ذلك أن الله واحد لا شريك له و لا مثيل فَهَلْ أَنْتُمْ بعد قيام الحجة عليكم مُسْلِمُونَ لكنهم لم يسلموا، بل ظلوا يحاربون الإسلام حتى خضعوا بالقوة.

ثم إن القرآن تحدّى الكفار مرة بالإتيان بسورة، و مرة بالإتيان بعشر سور، و مرة بالإتيان بمثل القرآن كله، فهل كان التحدى بهذا الترتيب؟ قاله بعض المفسرين، و قال آخرون: إن التحدى بعشر سور كان بعد التحدى بسورة واحدة، فما السر؟

الظاهر أن المراد: عدم إمكانهم أن يأتوا بشىء مثل القرآن، سواء سورة واحدة منه أو أكثر، فإن ذلك خارج عن موضوع التحدى، و إنما اختلف حسب المقامات، و ذلك كما أن الطبيب إذا أراد تحدى من لا معرفة له بالطب و هو يدعى ذلك: يقول: «اشف مريضا، اشف عشرة مرضى، اشف من فى البلد»، فإنه لا يريد إلّا التحدى، لا عدد المرضى الذين يريد المدعى علاجهم.

[۱۶] إن الكفار الذين لم يرضخوا للقرآن و الحق، إنما كانوا يخافون منه على منافعهم الدنيوية من رئاسة و مال و ما إليهما، فكيف يستعدّ من هو سيد قومه فى قريش أن يذعن للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى يزعم أنه دونه فى المجتمع، و كيف يرضخ الرئيس الدينى اليهودى الذى تجبى إليه ثمرات عمل ألوف اليهود أن يترك كل ذلك، ليكون له ما للمسلمين و عليه ما عليهم. و لذا يذكرهم سبحانه بهذه الحقيقة الكامنة فى نفوسهم مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا أى الحياة القريبة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۸۵

[سورة هود (۱۱): الآيات ۱۶ الى ۱۷]

أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۶) أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إِماماً وَ رَحْمَةً أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (۱۷)

وَ زِينَتَها أى بهجتها و زخارفها، و هو معرض عن الآخرة نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها أى: نوفّ لهم جزاء أعمالهم، فإن كل عمل فيه جزاء و لا بد أن يرى الإنسان- صالحا أو طالحا- جزاء عمله وَ هُمْ فِيها فى الحياة الدنيا لا يُبْخَسُونَ لا ينقصون منها شيئا. فإن «البخس» بمعنى النقصان.

[۱۷] أُولئِكَ المريدون للدنيا فقط، هم الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ إذ لم يعملوا فى الدنيا عملا يستحقون به الجنة، بل عملوا ما استحقوا به النار و العذاب وَ حَبِطَ بطل ما صَنَعُوا فِيها ما عملوا فى الدنيا من أعمال الخير، إذ لم تكن أعمالهم لله سبحانه حتى يستحقوا عليها الثواب، و حيث أن الثواب لازم طبيعى للعمل الصالح، عبر ب «الحبط» بالنسبة إلى ما لا ثواب له- نظرا إلى نوعه- و إن كان

الأمر ليس من الحبط حقيقة وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ فإن مبرّاتهم باطلة لا ثمرة لها، إذ لم تكن جامعة لشرائط الصحة.

[۱۸] صنف من الناس يريد الحياة الدنيا و زينتها، و صنف من الناس على بيّنة من ربه، فهو يعرف طريقه و يؤمن بالآخرة كما يؤمن بالأولى- فطرة- و عنده شاهد يشهد له بصدق فطرته، و هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد سبقه مصدّق بطريقته كتاب موسى عليه السّلام. إن هؤلاء الصنف يؤمنون بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأنهم ينظرون إلى فطرتهم، و إلى الشاهد، و إلى الوثيقة السابقة. أما غيرهم فالنار موعدهم. هذا هو ظاهر الآية، و يؤيده ما دلّ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۸۶

على حجية العقل و صحة حكم الفطرة، فهو كبيّنة من الرب.

؟ و قد روى عن الإمام زين العابدين عليه السّلام تفسير «الشاهد» فى هذه الآية بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم «۱».

و فى المقام روايات أخرى و احتمالات، أما الروايات فالظاهر أنها من باب ذكر المصاديق، كما

روى أن الشاهد هو الإمام المرتضى عليه السّلام

«۲». و أما الاحتمالات فلا حجية فيها ما لم توافق الظاهر.

أَ فَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ استفهام تقريرى، أى هل من كان على برهان و حجة من قبل الله سبحانه، فله نور فطرى يرى الحق و يؤمن به؟ و لفظة «على» للتشبيه بالذى يركب المركب الفاره، فى مقابل الراجل وَ يَتْلُوهُ أى يعضده و يؤيده شاهِدٌ مِنْهُ أى شاهد من قبل الله سبحانه، و هو الرسول، يشهد له بما دلّت عليه فطرته و هداه إليه عقله، من أن للكون خالقا، و أنه لا بد و أن يجازى كلّا بعمله. إلى غير ذلك مما تدل عليه الفطرة.

وَ مِنْ قَبْلِهِ أى قبل هذا الشاهد كِتابُ مُوسى عليه السّلام يدل على صحة طريقته، فله مؤيد فعلا و مؤيد سابقا إِماماً وَ رَحْمَةً حالان لكتاب موسى عليه السّلام أى أن كتاب موسى إمام يؤتمّ به فى أمور الدين،

---

(۱) راجع الكافى: ج ۱ ص ۱۹۰.

(۲) راجع مجمع البيان: ج ۵ ص ۲۵۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۸۷

[سورة هود (۱۱): آية ۱۸]

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ وَ يَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (۱۸)

و رحمة من الله على عباده، إذ يهديهم إلى الطريق.

و ذكر كتاب موسى، لأنه مقبول لدى اليهود و النصارى، و لأن عيسى عليه السّلام كان كمتمّم لكتاب موسى، فالتوراة هى الأصل.

و الحاصل المستفاد: أن التقدير: «أ فمن كان على بينة من الله، و له شاهد على حقيقته، و يعتقد به شاهد آخر، كمن أراد الحياة الدنيا و زينتها؟». و قد حذف جواب الاستفهام لدلالة الكلام عليه.

أُولئِكَ الذين وصفوا بأنهم على بيّنة من ربهم يُؤْمِنُونَ بِهِ بالله و سائر الأمور التى يلزم الإيمان بها وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزابِ و الفئات، من أهل الكتاب كانوا أم من غيرهم فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ و مصيره و مستقره فَلا تَكُ يا رسول الله فِي مِرْيَةٍ و شك مِنْهُ من الموعد، أو من القرآن و ما يلزم الإيمان به. و الخطاب و إن كان للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلا أن المراد به سائر الناس إِنَّهُ أى ما تقدم من الموعد، أو ما يلزم الإيمان به- المعلوم من السياق- الْحَقُّ مِنْ قبل رَبِّكَ أو أن الخبر الذى أخبرت به هو الحق من عند الله سبحانه، فلا كذب فيه و لا تحوير وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ به، بل يزعمون أنه كذب و افتراء.

[۱۹] وَ مَنْ أَظْلَمُ أی لا أحد أکثر ظلما، و إن کان بصورة الاستفهام مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أی نسب إلی الله الکذب افتراء، و قد

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۸۸

[سورة هود (۱۱): آیة ۱۹]

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ (۱۹)

ذکر ذلک بمناسبة ما کان المشرکون ینسبونه إلی النبی من افترائه القرآن و نسبته إلی الله سبحانه، و لا یخفی أن عبارة «من أظلم» المستعملة فی القرآن کثیرا، یراد بها الظلم النسبی غالبا، لا الحقیقی أُولئِكَ المفترون علی الله يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ یوم القیامة، أی یستحضرون فی المحکمة التی یعقدها الله سبحانه، إذ لا مکان له تعالی و لا یمکن رؤیته وَ يَقُولُ الْأَشْهادُ جمع شاهد، و المراد بهم إما الأنبیاء أو الملائکة أو المؤمنون هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ و نسبوا إلیه ما لم یکن منه، فلا مجال للإنکار و لا محل للفرار، و لا یمکن لهم أن یحلفوا کما یحلف المشرکون، قائلین: (وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) «۱»، أَلا فلینتبه السامع لَعْنَةُ اللَّهِ طرده و عذابه عَلَى الظَّالِمِينَ الذین یظلمون أنفسهم و غیرهم بالافتراء علی الله سبحانه، و هذا إما تتمة کلام الأشهاد، أو ابتداء کلام.

[۲۰] ثم وصف سبحانه الظالمین، بقوله: الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أی یمنعون الناس عن الاهتداء و سلوک سبیل الله، فیغرونهم بإلقاء الشّبه علیهم، و إثارة شکهم و کفرهم و عصیانهم بترک أوامره و نواهیه وَ يَبْغُونَها أی یریدون أن تکون السبیل عِوَجاً زیغا عن الاستقامة و عدولا عن الصواب، هذا لو رجع الضمیر إلی «السبیل»- و هی مؤنث

---

(۱) الأنعام: ۲۴.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۸۹

[سورة هود (۱۱): آیة ۲۰]

أُولئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ ما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ يُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ ما كانُوا يُبْصِرُونَ (۲۰)

سماعی- أما لو رجع إلی سبیل الله، کان المعنی: أنهم یزیدون و ینقصون فی سبیل الله و أحکامه لیظهروا للناس أنها منحرفة زائفة، فیصرفوهم عنها وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ أی بالدار الآخرة، من البعث و الحساب و الجزاء هُمْ كافِرُونَ غیر مقرّین.

و لا یخفی أن هذه الأوصاف، تنطبق علی الذین یفترون علی الله الکذب، فإنهم الصادون عن السبیل، الجاحدون بالآخرة، و إن أقرّ بعضهم بها لسانا، فلو لا جحودهم قلبا لم یصدوا عن طریقه سبحانه.

[۲۱] أُولئِكَ الذین صدّوا عن السبیل و کفروا بالآخرة لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ أی لم یکونوا یتمکنون من أن یعجزوا الله سبحانه فی شیء من إرادته، فیهدی الناس علی رغمهم، و لو أراد أن یأخذهم و یهلکهم لم یکن أمرهم عسیرا علیه، فهم فی قبضته و تحت قدرته، و کأن ذکر «فی الأرض» للإشارة إلی أنهم لا یتمکنون من تعجیزه فی محل سیطرتهم و إمکانیاتهم، فکیف بالآخرة التی یحشرون فیها فرادی بلا مال و لا جاه و لا قوة وَ ما كانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أی غیر الله سبحانه مِنْ أَوْلِياءَ و أنصار ینصرونهم و یتولون أمرهم، فإن الله سبحانه هو الذی بیده الأمور، و یتولی کل شیء، فإذا نزلت بهؤلاء کارثة لم یکن هناک منقذ لهم يُضاعَفُ لَهُمُ الْعَذابُ عذاب کفرهم بأنفسهم، و عذاب صدّهم، و کونهم سببا فی کفر غیرهم، کما قال سبحانه فی آیة أخری: (زِدْناهُمْ عَذاباً فَوْقَ الْعَذابِ بِما كانُوا

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۹۰

[سورة هود (۱۱): الآیات ۲۱ الی ۲۲]

أُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ (۲۱) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (۲۲)

يُفْسِدُونَ) «۱»، فقد عاشوا صمّا عميا و ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ فقد كانوا يقولون: إنا لا نستطيع أن نسمع كلام الله، يريدون إظهار الضجر و الاستهزاء، لا أن المراد عدم استطاعتهم حقيقة وَ ما كانُوا يُبْصِرُونَ الأدلة و البراهين، قد سدّوا أسماعهم عن كلامه سبحانه، و أغمضوا عيونهم عن رؤية آياته، لقد عاشوا مغلقى البصائر، كأن ليس لهم سمع و لا بصر.

[۲۲] أُولئِكَ البعداء الصادون الضالّون الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فإن النفس، كرأس مال يجب أن يتحفظ الإنسان بها عن العطب و يجلب بها الربح، و هؤلاء قد خسروها، حيث عطبت نفوسهم، و لم يحصلوا على ربح وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ فقد تبدّد كذبهم و افتراؤهم، و ضاع عنهم فلم ينجهم، فإن عملهم هلك وضاع، حيث نجا سائر المؤمنين بأعمالهم الطيبة.

[۲۳] لا جَرَمَ «لا» كلمة نفى و «جرم» معناه الكسب، أى لا كسب لهم فى النفع بل كسبهم خسران الدنيا و الآخرة، أو بمعنى «لا محالة» و «لا بد» أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ أى الأكثر خسارة من غيرهم، لشدة عذابهم، و لا شك أن الكفار الذين لهم تلك الأوصاف المتقدمة من أكثر الناس عقابا.

---

(۱) النحل: ۸۹.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۹۱

[سورة هود (۱۱): الآيات ۲۳ الى ۲۴]

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَ أَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (۲۳) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمى وَ الْأَصَمِّ وَ الْبَصِيرِ وَ السَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (۲۴)

[۲۴] هكذا كان حال الكافر المتصف بتلك الصفات السيئة، أما المؤمنون فحالهم أحسن حال إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بالله و بما يلزم الإيمان به وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ أى الأعمال الصالحة. و المراد هنا أعم من فعل الواجبات و ترك المحرمات، فإن من لم يترك الحرام لا يقال له أنه يعمل الصالحات و إن أتى بكل واجب. كما أنها تشمل عامل المستحبات و تارك المكروهات وَ أَخْبَتُوا أى أنابوا و تضرّعوا إليه، فإن الإخبات بمعنى الطمأنينة، أى اطمأنوا إِلى رَبِّهِمْ و خشوا و خضعوا له، فإن المؤمن خاضع لله، مطمئن إلى أحكامه و تقديراته، هادئ النفس لما يترقّبه من نصرته و عونه أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ المالكون الملازمون لها هُمْ فِيها خالِدُونَ باقون أبدا دائما.

[۲۵] ثم مثّل سبحانه الكافر و المؤمن بمثل محسوس فقال: مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ فريق الكافرين و فريق المؤمنين، أما الكافرون فهم كَالْأَعْمى بصرا وَ الْأَصَمِّ أذنا، و أى عمى أعظم من عدم إبصار آيات الله و براهينه و حججه، و أى صمم أعظم من عدم استماع أوامره و نواهيه و إرشاداته وَ أما المؤمنون فهم ك الْبَصِيرِ وَ السَّمِيعِ فكما أنه يرى و يسمع، كذلك المؤمن قد تفتّحت بصيرته فيرى الآيات الكونية، و انفتح سمع قلبه فيسترشد بالموعظة و يسمع الحق سماع تفهّم و عمل هَلْ يَسْتَوِيانِ هؤلاء و هؤلاء مَثَلًا أى من حيث المثل، استفهام إنكارى، أى لا يستوى السميع البصير، و الأعمى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۹۲

[سورة هود (۱۱): الآيات ۲۵ الى ۲۷]

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۲۵) أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (۲۶) فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنا وَ ما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ وَ ما نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ (۲۷)

الأصم، عند أحد، فكذلك المؤمن و الكافر أَ فَلا تَذَكَّرُونَ أى تتذكرون- حذفت إحدى تاءيه للقاعدة فى باب التفعل- و هو استفهام إنكارى يراد به ردع الكافرين، كيف لا يفكرون فى هذا الأمر الواضح، و يعتبرون به.

[۲۶] و بعد ما بيّن سبحانه فى هذه السورة حقائق كبرى حول المبدأ و المعاد و الرسول و الأمة، و أن من كذّب فله الهلاك و الدمار و

العذاب و النار، و من آمن فله خير و سعادة و جنات النعيم، ذكر جملة من القصص السالفة التى تثبت احتجاج الأنبياء مع أممهم حول هذه العقائد، و ما انجرّت إليه أمورهم، من تكذيب و اضطهاد، و ما أعقب تكذيب الأمم من الهلاك و العقاب وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فقال لهم: إِنِّی لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أى منذر واضح، أنذركم أن إذا كفرتم و عملتم بالمعاصى تجازون بعذاب الدنيا و الآخرة.

[۲۷] أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ متعلق ب «نذير» أى إنذارى هو أن تتركوا عبادة ما دون الله من الأصنام إِنِّی أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ مؤلم موجع، و إنما قال «أخاف» لأنه لم يكن معلوما أنهم يموتون كفارا لعلهم يتوبون، أو ترقيقا فى الكلام مع المنكر المعاند.

[۲۸] فَقالَ الْمَلَأُ أى جماعة الأشراف- لأنهم يملئون العيون جلالا و القلوب هيبة- و حيث أن المعارضين للأنبياء و المصلحين دائما هم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۹۳

الطبقة المستعلية، يأتى بيان حوارهم، و إلّا فغيرهم أيضا كان يجادل و يحاور الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ صفة «الملأ»، و ليس المراد ب «كفروا» تجدّد الكفر منهم، بل كونهم كفارا، فإن فعل الماضى ينسلخ عن الزمان غالبا- فى مثل هذه الموارد- و لا مفهوم للوصف، بأنه كان هناك عدّة لم يكفروا، لأنه وصف توضيحى لا احترازى: ما نَراكَ يا نوح إِلَّا بَشَراً مِثْلَنا فكيف تدّعى النبوة و الرسالة من الله سبحانه. فقد كانت كل أمة تظن أن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يلزم أن يكون من الملائكة، لا لبرهان عندهم، بل لرفعة مقام الرسالة فى نفوسهم، لأنه لا يمكن أن يكون بشرا مثلهم فى حين يدعى أنه متصل بالسماء و واسطة بينهم و بين الله العظيم وَ ما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا لم يتبعك الأشراف و الرؤساء و المثرون، و إنما اتبعك و آمن بك الأراذل، و هو جمع «رذل» و هو الخسيس الحقير فى كل شىء، فكيف يؤمن الأشراف فى صف الأراذل.

و قد كان الغالب أن الفقراء الذين ليس لهم ثروة و منصب هم أسرع الناس قبولا إلى اتباع كل حق و باطل، لأن المال و المنصب و الكبرياء تمنع عن الاستجابة، و تسبب القسوة و الغلظة، بخلاف الجماهير و الفقراء من مختلف الطبقات و الأعمال و ما أشبه، فإنهم أقرب إلى البساطة، و الفطرة السليمة.

فى حال كونهم بادِيَ الرَّأْيِ أى ظاهر الرأى لا عمق لرأيهم، حتى يتدبروا و يتفكروا فى الصدق و الكذب، و العواقب و المصير،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۹۴

[سورة هود (۱۱): آية ۲۸]

قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّی وَ آتانِی رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَ نُلْزِمُكُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها كارِهُونَ (۲۸)

مشتق من «بدا» بمعنى ظهر وَ ما نَرى لَكُمْ يا نوح و للمؤمنين بك عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ فى ثروة أو مكانة اجتماعية، فكيف نتبعك؟ و قد ظنوا أن الرسالة من جنس هذه الأعراض الدنيوية، فاللازم أن تكون الفئة المؤمنة من أصحاب الأموال و المناصب، و قد غفلوا عن أن الرسالة من المناصب الروحية لا يتحملها إلا من اختاره الله و جعل نفسه أكمل الأنفس، و ليست من المناصب الدنيوية التى تحتاج إلى ثروة و كبرياء. و هكذا هم أهل الدنيا يستصغرون دائما أهل الدين، إذا خلت أيديهم من المال و الجاه.

بَلْ نَظُنُّكُمْ يا نوح أنت و المؤمنين بك كاذِبِينَ فى دعوى النبوة و ما أتيت به، و تبعك هؤلاء عليه من الدين.

[۲۹] قالَ نوح فى جوابه لكفار قومه: يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ أخبرونى إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّی على برهان و حجة يشهدان لى بصحة الدعوى و صدق النبوة، و بأنى أتيت بالمعجزات، أ فلا تصدقوننى؟ و تنسبونى إلى الكذب أيضا وَ آتانِی رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ أى جعلنى نبيا و خصّنى بهذه المنزلة الرفيعة من بين البشر فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ خفيت عليكم لعدم تهيؤكم لقبول تلك البينة، أَ نُلْزِمُكُمُوها نجبركم على المعرفة و البينة وَ أَنْتُمْ لَها كارِهُونَ أى تكرهون البينة و المعرفة و لا تتدبرونها، و الحاصل أن لى بينة، لكن أنتم تكرهون رؤيتها و التدبّر فيها، و إنما لا ألزمكم و أجبركم على التدبر لأنه «لا إكراه فى الدين».

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۹۵

[سورة هود (۱۱): الآيات ۲۹ الى ۳۰]

وَ يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مالاً إِنْ أَجرِىَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَ ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ لكِنِّى أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ (۲۹) وَ يا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (۳۰)

[۳۰] وَ يا قَوْمِ لماذا تمتنعون عن إجابتى و ليس فى ذلك تكليف لكم بدفع الأجور حتى تخافون من ذلك و تهربون من دفعه، فإنى لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ على دعوتى لكم إلى الله سبحانه مالًا فتستثقلون دعوتى إِنْ أَجرِىَ أى: ما أجرى فى التبليغ إِلَّا عَلَى اللَّهِ فهو الذى أمرنى بذلك، و هو الذى يعطينى الأجر و الثواب على عملى وَ قد كان بعض الكفار سألوا نوحا بطرد المؤمنين- الأراذل فى نظرهم- حتى يفكروا فى أمره و يلتفوا حوله- كما قال بعض المفسرين- لكن نوحا أجابهم بقوله: ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا لست أطردهم من عندى و لا أقصيهم من حوالى، و لماذا؟ أ ليسوا هم مؤمنين بى و إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ فيجازى من طردهم بالعذاب و النار، كما تقول: «لا أقطع علاقتى بفلان فإنه يلاقى الملك»، تريد: فيشكوك عنده وَ لكِنِّى أَراكُمْ أيها الكفار قَوْماً تَجْهَلُونَ الحق، فتعلّلون عدم إيمانكم بعلل واهية و أعذار سخيفة.

[۳۱] وَ يا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ بأس اللَّهِ و نقمته إِنْ طَرَدْتُهُمْ أى طردت هؤلاء المؤمنين بلا ذنب و لا عصيان، حين يشكونى خصمائى عند الله أ فَلا تَذَكَّرُونَ تتفكرون، فتعلمون أن الأمر على ما قلته.

و هكذا يكون دائما المتكبرون، إنهم يقولون لأصحاب الرسالات

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۹۶

[سورة هود (۱۱): آية ۳۱]

وَ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَ لا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِى أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً اللَّهُ أَعْلَمُ بِما فِى أَنْفُسِهِمْ إِنِّى إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (۳۱)

و المصلحين: أطرد فلانا و فلانا، ممن يرون أنهم فوقهم شأنا. و قد دلت التجارب أن أولئك المؤمنين هم المخلصون الذين يحملون مشعل الإصلاح دون أولئك المتكبرين الذين يريدون طرد جماعة، فإن المتكبر لا يصلح لحمل شعلة الهداية و الإصلاح.

[۳۲] وَ يا قوم لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزائِنُ اللَّهِ فأتمكن فوق قدرة البشر بأن أبذل ما أشاء، و أفعل ما أشاء وَ لا أَعْلَمُ بنفسى من دون إرشاد ربى الْغَيْبَ الأمور الغائبة عن الحواس و المدارك، حتى أريد أن أتفضل عليكم بذلك وَ لا أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ من الملائكة، فأنا بشر كما قلتم ذو إمكانية بشرية، لا خزائن، و لا غيب لى، و إنما أنا رسول من قبل الله سبحانه وَ لا أَقُولُ للمؤمنين الملتفين حولى الذين تَزْدَرِى أَعْيُنُكُمْ «الازدراء» الاحتقار، أى الذين تحتقرونهم. و نسبة الازدراء إلى العين لأنهم إنما ازدروهم لما عليهم من ألبسة رثة و أطمار خلقه، و لو نظروا إلى واقعهم لرأوهم كبارا فى نفوسهم، عظماء عند الله سبحانه. و قد حذف المتعلق فى الكلام، أى تزدريهم أعينكم:

لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً حيث لم يعطهم مالا و جاها- كما تقولون أنتم- فإن الخير فى الإيمان و الصفات الكاملة لا فى المال و المنصب اللَّهُ أَعْلَمُ بِما فِى أَنْفُسِهِمْ فلقد أتاهم الخير كله، حيث هيأ نفوسا نظيفة و قلوبا طاهرة إِنِّى إِذاً إذا طردتهم، أو قلت: لن يؤتهم الله خيرا لَمِنَ الظَّالِمِينَ حيث ظلمتهم بذلك العمل، أو هذا القول.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۵۹۷

[سورة هود (۱۱): الآيات ۳۲ الى ۳۴]

قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (۳۲) قالَ إِنَّما يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شاءَ وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (۳۳) وَ لا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِى إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۳۴)

[۳۳] و لما حاجّهم نوح عليه السّلام بتلك الاحتجاجات الصريحة المعقولة، لم يجد القوم إلا الفرار عن المحاجة، ف قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادَلْتَنا حاججتنا و خاصمتنا فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا و بحثك معنا حول المبدأ و المعاد و ما إليهما فَأْتِنا بِما تَعِدُنا من العذاب. فقد هددهم نوح

بعذاب الله إن بقوا فی کفرهم و غیّهم إِنْ کُنْتَ مِنَ الصَّادِقِینَ فی دعواک النبوة، و أنّا إن لم نؤمن عذبنا الله بذنوبنا.

[۳۴] قالَ نوح فی جواب استعجالهم العذاب: إِنَّما یَأْتِیکُمْ بِهِ بالعذاب اللَّهُ إِنْ شاءَ تعذیبکم، و لیس من عندی حتی أعجّله أو أؤجله وَ ما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ أی إن أراد عذابکم فلا تتمکنون من تعجیزه حتی لا یتمکن من العذاب، و لا تتمکنون من صدّ العذاب أو الهرب عن مشیئته سبحانه.

[۳۵] ثم قال نوح علیه السّلام: وَ لا یَنْفَعُکُمْ یا قوم نُصْحِی و إرشادی إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَکُمْ و إنما قیّد النصح بالإرادة، و قد صدر منه فعلا، تواضعا فی الکلام، و کأنه لم ینصح من قبل، لا أنه نصح و لم یفد، أو لأنهم لم یعتبروا کلامه نصحا، فهو یقول: إن صدر منی نصح فی المستقبل لا ینفعکم إِنْ کانَ اللَّهُ یُرِیدُ أَنْ یُغْوِیَکُمْ و إرادة الله إغوائهم، یعنی ترکهم و شأنهم، حیث أنهم لمّا أعرضوا عن الحق

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۹۸

[سورة هود (۱۱): آیة ۳۵]

أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ إِنِ افْتَرَیْتُهُ فَعَلَیَّ إِجْرامِی وَ أَنَا بَرِیءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (۳۵)

ترکهم سبحانه و شأنهم، فلم یلطف بهم الألطاف الخاصة لیستعدوا للاهتداء، کما تقول: «إن کان الملک یرید إفساد الشعب لا ینفع وعظ الخطباء» ترید ترکهم علی حالهم حتی یفسدوا بطبعهم، و یعملوا الجرائم لعدم رادع لهم.

و هُوَ تعالی رَبُّکُمْ فهو یعلم دخائل نفوسکم، و أنکم غیر صالحین للطفه الخفی وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ یوم القیامة فیجازیکم بسیئاتکم.

[۳۶] أَمْ یَقُولُونَ أی: بل یقولون، و الظاهر من السیاق أنه من تتمة المطلب المربوط بحوار نوح مع قومه افْتَراهُ علی الله فی دعواه الرسالة قُلْ یا نوح لهم: إِنِ افْتَرَیْتُهُ أی کذبت علی الله فیما نقلته عنه فَعَلَیَّ إِجْرامِی و عقوبته لی، لا لکم، فأنتم بریئون من جرمی و افترائی وَ أَنَا بَرِیءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ لا أو آخذ بجریمتکم و کفرکم.

و هناک احتمال آخر و هو أن یکون ذلک من الالتفات من قصة نوح إلی قصة النبی مع المشرکین، فإنهم کانوا یتّهمون الرسول بما اتّهم قوم نوح نوحا علیه السّلام من الافتراء- و حیث کان ذلک من أغراض القصة، جیء به هنا تنبیها، یرجع إلی تتمة قصة نوح و قومه- فالمعنی: إن هؤلاء المشرکین یقولون لک یا رسول الله أنک افتریت علی الله سبحانه بنسبة القرآن إلیه. و البقیة بهذا السیاق جاعلا الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مکان نوح علیه السّلام.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۵۹۹

[سورة هود (۱۱): الآیات ۳۶ الی ۳۷]

وَ أُوحِیَ إِلی نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ یُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِکَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِما کانُوا یَفْعَلُونَ (۳۶) وَ اصْنَعِ الْفُلْکَ بِأَعْیُنِنا وَ وَحْیِنا وَ لا تُخاطِبْنِی فِی الَّذِینَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (۳۷)

[۳۷] وَ أُوحِیَ إِلی نُوحٍ بعد تلک البلاغات الکبیرة و المحاولات الطویلة، و الأمد البعید أَنَّهُ لَنْ یُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِکَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ بک من قبل فلا رجاء فی الباقین فَلا تَبْتَئِسْ أی لا تحزن و لا تغتم، من «الابتئاس» و هو افتعال من «البؤس» بمعنی الغمّ بِما کانُوا یَفْعَلُونَ من الکفر و أنواع المعاصی، فإن الإنسان إنما یحزن إما لنفسه کیف یکون مصیره مع قومه، و إما للقوم، أما إذا أدّی ما علیه بالدعوة مرارا کثیرة فلا حزن لنفسه، کما أنه لو علم أن لا خیر فیهم فلا حزن علیهم.

[۳۸] وَ اصْنَعِ اعمل الْفُلْکَ هی السفینة لترکبها أنت و المؤمنون عند الطوفان بِأَعْیُنِنا بمرأی منّا فإن «أعین» جمع «عین» أی برعایتنا و حفظنا، حیث ننظر إلیک و إلی عملک. و من یراقبه الله سبحانه لا یضل و لا یزیغ وَ وَحْیِنا أی تعلیمنا لک کیفیة الصنع وَ لا تُخاطِبْنِی فِی الَّذِینَ ظَلَمُوا لا تسألنی العفو عن هؤلاء الکافرین، و لا تشفع لهم إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ قد حکم علیهم بالغرق و الهلاک، و إنما خاطبه سبحانه بذلک، لیعلم أنه لا یستجاب مثل هذا الدعاء، فلا یتعب نفسه فی الطلب و السؤال.

و إن قيل: كيف يجمع هـذا الأمر- و هو أن نوحا عليه السّـلام كان يريـد الدعاء لهم بالخير- مع قوله سـبحانه حكاية عن نوح: (رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً) «۱»؟

(۱) نوح: ۲۷.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۰۰

[سورة هود (۱۱): آية ۳۸ تقريب القرآن إلى الأذهان ج ۲ ۶۴۹

وَ يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَ كُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ (۳۸)

فالجواب: إن دعاء الخير لمن يحتمل إيمانه في المستقبل، لا ينافي دعاء الشر لمن علم بعـدم إيمانه أصـلا، فإن قوله عليه السّـلام «من الكافرين» يعني الذين لا يرجعون عن غيّهم و كفرهم، و فوق ذلك (يُضِلُّوا عِبادَكَ وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً) «۱»، فلا خير في نسلهم كما لا خير فيهم .. أما الـذين ظلموا فلعله كان يحتمل رجوع بعضـهم. و بهـذا الخطاب منه سبحانه تبين أنه لا يفيـد فيهم الـدعاء، و لا يرجعون عن غيّهم أبدا، و أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن من قبل.

[۳۹] وَ جعل نوح عليه السّـلام يَصْنَعُ الْفُلْكَ بيده، ينحتها و يسويها، كما يصنع النجار من الأخشاب الأبواب و غيرها وَ كُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ جماعة مِنْ قَوْمِهِ الذين دعاهم فلم تنفعهم الدعوة سَخِرُوا مِنْهُ استهزءوا منه قائلين: يا نوح صرت نجارا بعد طول الدعوة و ادّعاء النبوة، و الجدال و البحث حول الإله و المعاد، استـهزاء به و سـخرية منه، فكانوا يتضاحكون يقول بعضهم لبعض: انظروا إلى هذا المدّعى للنبوة كيف ينجر سفينة بهذا الكبر في اليابسة حيث لا ماء.

قالَ نوح عليه السّـلام في جوابهم: إِنْ تَسْـخَرُوا مِنَّا على هذا العمل فَإِنَّا نَسْـخَرُ مِنْكُمْ كَما تَسْخَرُونَ أي نجازيكم على سخريتكم بسخرية منّا عند نجاتنا و غرقكم. إما سخرية حقيقية، و إما من باب تسمية الجزاء باسم المجزى به، نحو: (فَمَنِ اعْتَدى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا

(۱) نوح: ۲۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۰۱

[سورة هود (۱۱): الآيات ۳۹ الى ۴۰]

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ (۳۹) حَتَّى إِذا جاءَ أَمْرُنا وَ فارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (۴۰)

عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدى عَلَيْكُمْ) «۱»، و (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) «۲».

[۴۰] فَسَوْفَ في المستقبل تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ يفضحه و يهينه و يذله، و ذلك بالغرق وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ لا يزول عنه و لا يتحول، و هو عذاب الآخرة الممتد من بعد الموت في القبر، ثم في جهنم إلى الأبد.

[۴۱] حَتَّى إِذا جاءَ أَمْرُنا «حتى» غاية لحال نوح و حال قومه، أي بقي نوح يصنع السفينة و بقي القوم على كفرهم يستهزئون منه، حتى حين مجيء أمرنا بإهلاكهم و نجاة المؤمنين وَ فارَ التَّنُّورُ بالماء، فقـد كان فوران التنور بالماء علامة لوقت العذاب كي يحمل نوح عليه السّلام في السفينة المؤمنين قُلْنَا أي أوحينا إلى نوح عليه السّلام: احْمِلْ فِيها في السفينة مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ من كل أجناس الحيوانات زوجين ذكر و أنثى، يطلق «الزوج» على الذكر كما يطلق على الأنثى، و قد يطلق على الاثنين معا، فيقال لهما «زوج»، و لما كان يحتمل في الآيـة إرادة المعنى الأخير حتى يكون اللازم حمل أربعة من كل جنس، بيّن «الزوجين» بأن المراد بهما فرد و فرد، فيصير الحاصل اثنين لا أكثر.

وَ احمل في السفينة أَهْلَكَ عائلتك، زوجتك و أولادك

(۱) البقرة: ۱۹۵.

(۲) البقرة: ۱۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۰۲

إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ من تقدم حوله قولنا بأنه من الهالكين من عائلتك و هى زوجة نوح عليه السّلام و اسمها واغلة، و كانت أما لكنعان الولد الذى هلك بالغرق، فقد كان لنوح عليه السّلام زوجتان و أولاد كلهم صالحون إلا هذه المرأة و ابنها وَ احمل فى السفينة مَنْ آمَنَ و هم بين ثمانية و ثمانين، كما فى الأحاديث، و لذا قال سبحانه: وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ و

قد ورد أن نوحا عليه السّلام نادى الحيوانات فأجابته و اجتمعت حوله فأركبها فى السفينة، و ذلك ليس على الله بعزيز.

و من غريب الأمر أن بعض المسلمين الذين فقدوا ثقتهم بنفوسهم أمام الغرب يأوّلون جميع المعاجز مهما تمكنوا و يجعلونها أمورا عادية و قصصا خارجية لا مسحة عليها من الغيب و الإعجاز، و إذا لم يلائم شىء مع هذه الطريقة سمّوه ب «الإسرائيليات» و لم ذلك؟ لأنه معجز خارج عن نطاق مفاهيم الماديين الغربيين. ففى قصتنا مثلا، يقول:

سفينة نوح سفينة عادية صنعت، و «الوحى حولها» هو الإلهام فى القلب كما يلهم قلب كل متعلم بالعلم، و «حمل نوح عدة حيوانات» مما يملكه نوح من الحيوانات، و كان الموسم فيضانا و المطر وابل فغرق بعض الناس الذين كانوا فى تلك المناطق، و سلم نوح و قومه المؤمنون.

و هكذا يحرّفون كل خارقة إلى رماد و تراب بعد ما كانت خارقة تأخذ بالأنفس و تدل على رسالة الأنبياء، فإذا لم يكن فى القرآن فهو خرافة و إسرائيليات، مهما بلغ سنده من الصحة و الثبات، أما إذا كان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۰۳

فى القرآن فباب التأويل واسع، ف (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ) «۱» يراد به انشقاق بعض الأقمار التى دل العلم على وجودها سابقا ثم صارت منشقة بصورة هائلة أى: ابتعاد الأنجم بعضها عن بعض. و (وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ* تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) «۲» كانت أسراب طير معها «ميكروب» الوباء فلما اختلطت بالناس، عدى المرض إليهم فماتوا بالوباء، و ما أشبه هذه التأويلات .. و هكذا هلمّ جرا.

حتى أن بعضهم- و هو مؤمن بالله و اليوم الآخر، طبعا- ذكر أن المراد ب «الإله» القوة المسيّرة للكون أو الطاقة المحركة للحياة، و «المعاد» هو حساب التاريخ للإنسان، و «الجنة» ذكره الطيب المنبعث عن أعماله الحسنة، و «النار» ذكره السيئ المنبعث عن أعماله القبيحة ..

فلنتساءل: أى فرق بينكم أيها المؤمنون! و بين الماديين؟ و هل أحد ينكر الطاقة و محاسبة التاريخ و الذكر الحسن و السيئ؟ و إذا سألت هؤلاء المنهزمين، ماذا تصنعون بالنصوص و التصريحات؟ أجابوا بأنها على سبيل الكناية و المجاز، حسب فهم العرب المخاطبين ..

نقول: إن المؤمن هو من يؤمن بكل نص، أما أن يكون الإنسان ماديا قلبا، مسلما صورة فليس ذاك إلا النفاق، و الانهزام أمام بريق الغرب المادى .. و مثل هذه الانهزامية فى العقائد، و الانهزامية فى الأحكام، كمن يقول إن الإسلام جمهورى لقوله تعالى فى قصة بلقيس: (فَما ذا تَأْمُرُونَ) «۳»؟، أو برلمانى، لقوله تعالى: (وَ أَمْرُهُمْ

(۱) القمر: ۲.

(۲) الفيل: ۴ و ۵.

(٣) الأعراف: ١١١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۶٠۴

[سورة هود (١١): الآيات ۴١ الى ۴٢]

وَ قالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَ مُرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (۴١) وَ هِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبالِ وَ نادى نُوحٌ ابْنَهُ وَ كانَ فِي مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَ لا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ (۴٢)

شُورى «١»، أو اشتراكى، لقوله: (وَ الَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ) «٢»، أو ربوى لقوله: (لا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً) «٣»، مما يفهم منه جواز أكله بدون أن يصبح أضعافا، و هكذا .. مما هم بالهوس أقرب منهم إلى الإسلام. و قد رأينا أن معيار هؤلاء هو الغرب فما ذكره فهم تبع له، فإن وافق الإسلام فهو، و إلا فاللازم أن يطبق الإسلام عليه، يا للهراء و السخف!! [۴٢] وَ قالَ نوح عليه السّلام: ارْكَبُوا فِيها فى السفينة بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَ مُرْساها أى قائلين بسم الله، وقت جريانها على الماء، و وقت إرسائها أى وقوفها و حبسها عن المسير، أو المعنى: بالله إجراؤها و إرساؤها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ للذنوب رَحِيمٌ و بهاتين الصفتين استحق المؤمنون النجاة.

[۴٣] وَ كانت السفينة هِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ جمع «موجة» و هى ما علا من الماء بسبب دخول الهواء فيه، فيكون الماء متخلخلا عاليا يسير بسير الهواء و اتجاه الرياح، و معنى «بهم» أى فى حال كونها معهم، و حال كونهم فيها كَالْجِبالِ بارتفاعها و ضخامتها وَ نادى نُوحٌ عليه السّلام فى تلك الحالة ابْنَهُ كنعان الذى كان من تلك المرأة

---

(١) الشورى: ٣٩.

(٢) المعارج: ٢۵.

(٣) آل عمران: ١٣١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۶٠۵

[سورة هود (١١): الآيات ۴٣ الى ۴۴]

قالَ سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَ حالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (۴٣) وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (۴۴)

الخائنة وَ كانَ الابن فِي مَعْزِلٍ أى محل عزلة، لأنه لم يركب معهم فى السفينة: يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا فى السفينة لتنجو وَ لا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ حتى تهلك و تغرق.

[۴۴] فأجابه الابن قالَ سَآوِي من «أوى يأوى» إذا اتخذ مأوى و محلّا، أى سأرجع إلى مأوى إِلى جَبَلٍ شاهق لا يعلوه الماء يَعْصِمُنِي يحفظنى مِنَ الْماءِ فلا أغرق و لا أركب معك فى السفينة قالَ نوح عليه السّلام: لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أى لا شيء يحفظ الإنسان من عذاب الله و غرقه الذى قدّره على الكافرين إِلَّا مَنْ رَحِمَ من المؤمنين الذين ركبوا السفينة، فآمن بالله و اركب السفينة كى تنجو و يرحمك الله وَ حالَ بَيْنَهُمَا) بين نوح و ابنه الْمَوْجُ جاءت الأمواج حتى لم يشاهد نوح ابنه فَكانَ أى صار الابن مِنَ الْمُغْرَقِينَ أغرق و أهلك فى جملة الكافرين.

[۴۵] لقد طافت السفينة على الماء أياما، و نوح و المؤمنون و الحيوانات فيها، و أخذ الماء ينهمر من السماء و يخرج من الأرض حتى غرق الكفار بأجمعهم وَ حينذاك قِيلَ المراد أن الله سبحانه قال ذلك، إما بنفسه أو بأمر بعض الملائكة أن يقول ذلك، أو المراد إرادته سبحانه، فعبّر عنه بالقول: يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ ردّى و اشربى الماء الذى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۶٠۶

أخرجتيه بسبب تفجّر العيون، و قد أريد بذلك: نشف الماء دفعة كأنه بلع له وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي أى قال تعالى للسماء: أمسكى المطر و لا

ترسلی الماء إلی الأرض. فبلعت الأرض ماءها، و أمسکت السماء عن المطر. و هل أن المراد من «ابلعی ماءک» جمیع الماء الموجود فیها و لو کان الماء النازل من السماء، أم خصوص مائها، و بقی ماء السماء و تسرب فی المسارب و المنحدرات؟ احتمالان.

و قد روی عن الأئمة الطاهرین علیهم السّلام: أن الماء بقی، و صار بحارا و أنهارا «۱».

أقول: إن العلم الحدیث دلّ علی کون الجبال کلها کانت غامرة فی الماء، حتی أرفع الجبال کانت کذلک، و قد وجد فیها آثار للماء و الحیوانات المائیة، و لعل ذلک- إن صح- کان من وقت الطوفان حیث دلّ الدلیل علی غمر الماء لکل الجبال.

و هل أن الخطاب حقیقی لشعور السماء و الأرض بالأمر و النهی، بمقتضی (وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلَّا یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) «۲»، أو المراد نتیجة ذلک، من باب خطاب العارف نحو: «أیا جبلی نعمان بالله خلیا». احتمالان؟

و لا یبعد الأول، کما قال سبحانه: (فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ) «۳»، و هکذا أمثالها، مما ظاهره شعور السماء و الأرض.

وَ غِیضَ الْماءُ أی ذهب الماء من وجه الأرض إلی باطنها من

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۱ ص ۳۰۴.

(۲) الإسراء: ۴۵.

(۳) فصلت: ۱۲.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۰۷

«غاض یغیض» إذا تسرّب فی الباطن وَ قُضِیَ الْأَمْرُ تمّ الأمر المراد، و هو هلاک الکفار و نجاة المؤمنین وَ اسْتَوَتْ استقرت السفینة عَلَی جبل یسمی الْجُودِیِ و قد ورد فی التفاسیر أنه جبل بالموصل فی شمال العراق «۱» وَ قِیلَ أی قال الله سبحانه، أو الملائکة، أو نوح و المؤمنون، و المراد: نتیجة ذلک بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِینَ الذین کفروا و ظلموا أنفسهم، فلیبتعدوا عن رحمة الله، و عن سعادة الدنیا بالهلاک، و عن خیر الآخرة بدخول النار.

و قد ذکر المفسرون و أهل البلاغة أن هذه الآیة الکریمة فی کمال البلاغة مما یدهش العقول و الألباب فقد ذکروا أن کفار قریش أرادوا أن یتعاطوا معارضة القرآن فعکفوا علی لباب البرّ و لحوم الضأن و سلاف الخمر أربعین یوما لتصفو أذهانهم، فلما أخذوا فیما أرادوا سمعوا هذه الآیة، فقال بعضهم لبعض: هذا کلام لا یشبه شیء من الکلام، و لا یشبه کلام المخلوقین، و ترکوا ما أخذوا فیه و افترقوا.

و کان أهل الجاهلیة إذا ألّفوا أفصح القصائد علقوها بالکعبة، و هکذا حتی جمعت من أفصح القصائد و أبلغها علی الکعبة سبع، لامرئ القیس و زملائه، فلما نزلت هذه الآیة، أمر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بکتابتها، و أن تعلق قرب المعلقات السبع، ففعل ذلک بعض المسلمین، و لما أصبحت قریش و أتت إلی الکعبة، و رأت الآیة إلی جنب المعلقات،

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۱ ص ۳۳۳.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۰۸

[سورة هود (۱۱): آیة ۴۵]

وَ نادی نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی وَ إِنَّ وَعْدَکَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْکَمُ الْحاکِمِینَ (۴۵)

اضطرت إلی أن تقلع المعلقات و لم تدعها قرب الآیة.

و یقال: أن ثلاثة من الملحدین أرادوا معارضة القرآن لیبطلوا أساس الإسلام، فاجتمعوا فی مکة، و ضمن کل واحد منهم أن یقول مثل

ثلث القرآن إلى العام القابل، و اجتمعوا فى القابل فى مكة فقال أحدهم: إنى أعرضت عن معارضة القرآن لما رأيت أن فيه قوله: «وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ ..»، فقد علمت أنى لا أتمكن أن آتى بما يشابهها. و قال الثانى: إنى أعرضت عن معارضة القرآن حيث رأيت فى قوله: (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا) «۱»، فقد علمت أنه لا يتسنّى لى مقابلة هذه الآية. و قال الثالث: إنى أعرضت عن معارضة القرآن حيث رأيت فيه قوله: (وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) «۲»، فقد علمت أنه لا يمكننى معارضة هذه الآية.

و يقال أن الإمام الصادق عليه السّلام مرّ بهم فى ذاك الحال و هم يتذاكرون عجزهم و ينسبون تلك الأسباب فيما بينهم، فقال لهم: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) «۳» «۴».

[۴۶] و إذ قد انتهى الأمر و تذكر نوح عليه السّلام ابنه الغريق كنعان و أخذته الشفقة عليه وَ نادى نُوحٌ رَبَّهُ نداء دعاء و ضراعة فَقالَ يا رَبِّ إِنَّ ابْنِي

---

(۱) يوسف: ۸۱.

(۲) القصص: ۸.

(۳) الإسراء: ۸۹.

(۴) بحار الأنوار: ج ۱۷ ص ۲۱۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۰۹

[سورة هود (۱۱): آية ۴۶]

قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ (۴۶)

مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ فقد وعدتنى بنجاة أهلى فنجّه من الغرق، أو من العذاب فى الغرق، فإن كان المراد الأول، فلعلّ نوحا لم يكن يعرف مصير ولده هل أنه غرق أم لا وَ أَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ أى إن حكمك أصح الأحكام، فلا تحكم فى ولدى أو غيره إلا بالصحيح.

[۴۷] قالَ الله سبحانه فى جواب طلب نوح عليه السّلام: يا نُوحُ إِنَّهُ أى ولدك لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ فإن الأهل الذين وعدت بنجاتهم ليس أهل لحم و دم، و إنما أهل عقيدة و إيمان إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ قد يبالغ فى نسبة الفعل إلى شخص حتى يجعل ذلك الشخص نفس الفعل، كما يقال: «زيد عدل» مع العلم أن زيد ليس قطعة من العدل و إنما هو ذو عدل، و لكن البلاغة تقتضى ذلك. و هنا كذلك، فإن ابن نوح لما كان يعمل الأعمال الفاسدة، صار كأنه قطعة منها، فقيل: «إنه عمل غير صالح»، كما يقال: «زيد قطعة من فساد»، يراد أنه منهمك فيه، أو بتقدير «ذو» أى أنه «ذو عمل غير صالح» كما قال الشاعر: «فإنما هى إقبال و إدبار» أى: «ذات إقبال و إدبار».

و قال بعض أن الضمير فى «إنه» يعود إلى سؤال نوح، أى: إن طلبك بنجاة ابنك عمل غير صالح، لكن هذا الاحتمال بعيد عن الظاهر.

فَلا تَسْئَلْنِ يا نوح ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ السؤال إنشاء، و الإنشاء لا يتصف بالصدق و الكذب، و مطابقة الواقع و عدم مطابقته، تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۱۰

[سورة هود (۱۱): آية ۴۷]

قالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ إِلَّا تَغْفِرْ لِي وَ تَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ (۴۷)

و كونه متعلق العلم و عدم كونه متعلقه. إلّا أن الإنشاء حيث يحمل دائما- فى طيه- إخبار عن شيء صح الاتصاف بهذه الأمور، فمثلا يسألك أحدهم مالا، فتقول: إنه يكذب، و لست تريد أنه يكذب فى السؤال، بل تريد أن الخبر الذى يدل عليه هذا الإنشاء- و هو أنه فقير معدم- غير صحيح، إذ ظاهر السائل أنه لفقره يسأل، فأنت تريد تكذيب ذلك الخبر المنطوى فى هذا الإنشاء ..

و هنا كـذلك، فإن سؤال نوح لم يكن بما ليس له به علم، بل الخبر الضـمنى كان بدون علم فإنه عليه السّلام أخبر بأن الله وعده نجاة ابنه- بتشكيل القياس- «ابنه من أهله»، و «أهله موعود نجاتهم»، ف «ابنه موعود نجاته». و قد كان نوح عليه السّلام يرى أن الوعد بنجاة الأهل شامل للولـد أيضا، و على هذا طلب الوفاء بالوعد، لكنه سبحانه بيّن أنه لم يكن داخلا فى الوعد، و لم يدل دليل على لزوم علم الأنبياء بجميع الأمور، حتى يقال أن نوحا عليه السّلام كيف لم يعلم ذلك، و هذا لا ينافى مقام العصمة، فإن معنى العصمة أن لا يذنب، لا أن يعلم كل شيء.

إِنِّي أَعِظُكَ يا نوح أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ أى لئلّا تكون جاهلا، و لا شك أن وعظه سبحانه يبدّد الجهل. و قد يظن بعض الناس أن هذه عبارة خشنة، لكن الظاهر أنه جار مجرى التكلم المعتاد، فى مقابل التكلم بلين، و مقامه سبحانه لا يقتضى اللين فى الكلام، و يحتمل أن يكون إفراغ الغالب فى هذا القالب لإفادة مبغوضية الكفار لدى الله سبحانه- و قد سبق ما يشبهه فى قصة أخذ موسى عليه السّلام برأس أخيه-.

[۴۸] قالَ نوح عليه السّلام بعد ذلك الكلام منه سبحانه: يا رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۱۱

بِكَ أى أعتصم بك، من «عاذ» إذا استجار أَنْ أَسْئَلَكَ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ أى أسألك شيئا ليس فيه صلاح، و يكون سؤالى صادرا عن عدم علم لى بالواقع. و لا يخفى أن ذلك لا ينافى أيضا مقام العصمة، فإن «ولدك لو سألك أن تذهب إلى النجف، و لم يكن ذلك من الصلاح، لأن الأجور تحمّلك خسارة كبيرة، فهل أن سؤاله يعد عصيانا لك؟».

لكن نوحا عليه السّلام أراد أن يجنّبه الله سبحانه حتى من هذا النحو من السؤال.

وَ إِلَّا أى: و إن لم تَغْفِرْ لِي وَ تَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ «الغفران» الستر، و «الترحم» التفضّل، و هما كما يكونان بالنسبة إلى العاصى، يكونان بالنسبة إلى المطيع، فإن الإنسان مهما بلغ من النزاهة فإنه يحتاج إلى ستر الله لما لا يليق بشأنه، كما يحتاج إلى تفضّله، و هذا هو سر استغفار المعصومين.

فمثلا إن التوجه إلى إنسان فى كلام مما يسبب عدم التوجه إلى الله سبحانه فى ذاك الوقت لا يليق بشأن من يعرف الله حقّ معرفته، و إن كان راجحا فى نفسه، و لذا يستحق الاستغفار. قال سبحانه للرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: (إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ* وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجاً* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوَّاباً) «۱». و من هذا القبيل ما قيل:

«حسنات الأبرار سيئات المقربين»

«۲».

---

(۱) النصر: ۲- ۴.

(۲) بحار الأنوار: ج ۲۵ ص ۲۰۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۱۲

[سورة هود (۱۱): آية ۴۸]

قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَ بَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَ أُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ (۴۸)

ثم إن من المعلوم أن للخسران مراتب فمن شأنه تحصيل الربح الكثير إذا لم يحصل عليه كـان خاسرا، و هكذا قول نوح عليه السّلام:

«أكن من الخاسرين» فلو لا غفران الله و رحمته كان عليه السّلام خاسرا إذا لم يحصّل تلك المراتب الرفيعة التى تليق بمثله.

[۴۹] و لما استقرت السفينة على جبل الجودى قِيلَ و القائل هو الله سبحانه، إما بنفسه، أو بأمر ملائكة بذلك: يا نُوحُ اهْبِطْ من السفينة

و الجبل إلى الأرض بِسَلامٍ مِنَّا بتحية لك من عندنا، أو بنجاة و سلامة من قبلنا، فأنت آمن ناج وَ بَرَكاتٍ أى زيادة من فضل، و خيرات نامية عَلَيْكَ وَ عَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ أى الجماعات التى معك من الإنس و الطير و الوحش، فإنها تنمو و تزداد حتى تملأ الأرض من ذراريها و نسلها، فإن الأمة تطلق على الحيوانات، كما قال سبحانه: (وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ) «١». و هنا طريفة لفظية، و هى: أن ثمان «ميمات» اجتمعن فى هذه الآية «أمم ممّن مّعك» أصلها خمس ميمات و نونان و تنوين.

وَ من نسل هؤلاء أُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ نعطيهم متعة الحياة الدنيا فى المستقبل ثُمَّ يكفرون و يعصون ف يَمَسُّهُمْ يشملهم مِنَّا أى من طرفنا عَذابٌ أَلِيمٌ موجع مؤلم فى الدنيا بصنوف القلق و المرض و الفقر و الحروب و ما أشبه، و فى الآخرة بالنار و العقاب.

---

(١) الأنعام: ٣٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٦١٣

[سورة هود (١١): الآيات ٤٩ الى ٥٠]

تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) وَ إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠)

و كان قوله «و أمم» لأجل أن لا يستفاد من قوله «و على أمم» أن من حملهم نوح و ذريتهم كلهم تصحبهم السلامة و البركة، بل هناك من نسلهم من يكفر و يعصى فلا بركة له و لا سلام.

[٥٠] تِلْكَ الأخبار التى قصصناها عليك من تفصيل أحوال نوح عليه السّلام و قومه مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ أى أخبار ما غاب عنك يا رسول الله معرفته نُوحِيها إِلَيْكَ و ليس فى التوراة و الإنجيل لهذه الكيفية و التفصيل و النزاهة ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ يا رسول الله وَ لا قَوْمُكَ قريش، أو العرب، أو الناس المعاصرون لك، فإن لفظ «قوم» يستعمل بمعنى كل ذلك. و لا غضاضة فى أن لا يعلمها الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هل علم الرسول إلا من علم الله سبحانه و وحيه فهو قبل ذلك لا يعلم شيئا مِنْ قَبْلِ هذا أى من قبل الوحى، أو من قبل القرآن فَاصْبِرْ يا رسول الله على أذى قومك كما صبر نوح عليه السّلام إِنَّ الْعاقِبَةَ المحمودة لِلْمُتَّقِينَ الذين يخافون الله و يعملون بأوامره، كما كانت العاقبة لنوح و المؤمنين به.

[٥١] و حيث ينتهى السياق من قصة نوح شيخ المرسلين، يأتى الكلام حول قصة هود عليه السّلام و يورد القرآن الكريم جملة من هذا القبيل من القصص كلها تركز على شيء واحد هو بعثة الأنبياء عليهم السّلام لإصلاح الناس، ثم عدم سماع الناس- إلا نادرا- منهم، ثم إهلاك المكذبين و جعل كلمة الله هى العليا بنجاة المؤمنين و نصرتهم وَ أرسلنا إِلى عادٍ و هم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٦١٤

[سورة هود (١١): الآيات ٥١ الى ٥٢]

يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَ فَلا تَعْقِلُونَ (٥١) وَ يا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَ يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ وَ لا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢)

قبيلة أَخاهُمْ فى النسب هُوداً النبى عليه السّلام، و كان هؤلاء ساكنين فى الأحقاف «و الحقف» كثيب الرمل المائل، فى جنوب الجزيرة العربية، و كانوا يعبدون الأصنام، فأرسل الله إليهم أخاهم من تلك القبيلة هودا عليه السّلام، ف قالَ لهم: يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وحده ما لَكُمْ ليس لكم مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ دخول «من» فى المنفى يفيد العموم إِنْ أَنْتُمْ ما أنتم فى اتخاذكم الأصنام شركاء لله تعالى إِلَّا مُفْتَرُونَ كاذبون فى قولكم، و حيث أنكم تنسبون ذلك إلى الله سبحانه، فهو افتراء و بهتان.

[٥٢] يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أى على التبليغ و الإرشاد و الهداية أَجْراً مالا، فإنما أبلغكم مجانا و بلا عوض. و قد كانت الأنبياء تؤكد على ذلك لأن الناس دائما يخافون من الداعى لخوفهم على أموالهم، فإذا أمنوا ذلك، لم يكن لهم عذر مادى فى عدم قبولهم الدعوة

إِنْ أَجْرِيَ أی لیس جزائی علی الدعوة إِلَّا عَلَی الله الَّذِی فَطَرَنِی خلقنی و سوانی و أوجدنی من العدم أ فَلا تَعْقِلُونَ استفهام توبیخی، أی لما ذا لا تعملون عقولکم لتعلموا صدق و استقامة طریقتی؟! [۵۳] وَ یا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ اطلبوا عفوه و غفرانه لما سلف منکم من الکفر و المعاصی ثُمَّ تُوبُوا ارجعوا إِلَیْهِ فی العمل بأوامره

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۱۵

و نواهیه، فإن الإنسان العاصی یحتاج إلی أمر سلبی هو محو ما سلف، و إلی أمر إیجابی هو الاستقامة علی منهاج جدید لما یأتی. و قد تقدم أن «الاستغفار و التوبة» لو افترقا شملا الأمرین، أما لو اجتمعا فالاستغفار للسلبی، و التوبة للإیجابی.

فإذا فعلتم ذلک یُرْسِلِ السَّماءَ عَلَیْکُمْ مِدْراراً أی یرسل المطر علیکم متتابعا متواترا، بمعنی «جری و نزل»، و استعمال «السماء» مریدا به المطر، لعلاقة الحال و المحل. قال الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قومرعیناه و إن کانوا غضابا

و فی بعض التفاسیر أنهم کانوا قد أجابوا فوعدهم هود علیه السّلام بالغیث إن تابوا و أنابوا، کما قال تعالی فی آیة أخری: (وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُری آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَیْهِمْ بَرَکاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ وَ لکِنْ کَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ بِما کانُوا یَکْسِبُونَ) «۱» «۲».

وَ یَزِدْکُمْ قُوَّةً إِلی قُوَّتِکُمْ و المراد ب «القوة» کل ما یتقوّی به الإنسان من مال و أهل و قوی مادیة و معنویة، و هذا بقدر ما هو مما وراء الغیب، هو حسب القوانین العادیة، فإن المؤمنین أکثر نشاطا و تآلفا، و أصح منهاجا مما تؤدی إلیه کثرة القوة وَ لا تَتَوَلَّوْا أی لا تعرضوا عن الله و أوامره فی حال کونکم مُجْرِمِینَ تعملون الکفر و الآثام.

---

(۱) الأعراف: ۹۷.

(۲) راجع مجمع البیان: ج ۵ ص ۲۹۰.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۱۶

[سورة هود (۱۱): الآیات ۵۳ الی ۵۵]

قالُوا یا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَیِّنَةٍ وَ ما نَحْنُ بِتارِکِی آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِکَ وَ ما نَحْنُ لَکَ بِمُؤْمِنِینَ (۵۳) إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَراکَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ قالَ إِنِّی أُشْهِدُ اللَّهَ وَ اشْهَدُوا أَنِّی بَرِیءٌ مِمَّا تُشْرِکُونَ (۵۴) مِنْ دُونِهِ فَکِیدُونِی جَمِیعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ (۵۵)

[۵۴] قالُوا فی جواب دعوته لهم: یا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَیِّنَةٍ بحجة واضحة تدل علی صدقک. فإنهم لم یکونوا یعتبرون الأدلة الواضحة حجّة، کما هو شأن کل معاند وَ ما نَحْنُ بِتارِکِی آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِکَ لسنا نترک عبادة الأصنام لأجل قولک بأن الله واحد. و إنما جیء ب «عن» لأنه یدل علی التجاوز، نحو: «رمیت السهم عن القوس»، أی فلیس ترکنا ناشئا عن قولک وَ ما نَحْنُ لَکَ بِمُؤْمِنِینَ بمصدّقین مقالک.

[۵۵] إِنْ نَقُولُ ما نقول فیک و فی هذه المقالات التی تقولها إِلَّا اعْتَراکَ أی أصابک بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ فإنک حیث کنت تسب آلهتنا، أصابوک بالجنون فجننت و خبل عقلک- کذا قال المفسرون- فلما رأی هود علیه السّلام أنه لا ینفع فیهم الکلام و لا یتفکرون قالَ لهم: إِنِّی أُشْهِدُ اللَّهَ وَ اشْهَدُوا علیّ فإنی أجعلکم شهودا علی أَنِّی بَرِیءٌ مِمَّا تُشْرِکُونَ مع الله من الآلهة الباطلة، و لا أعترف لهم بالألوهیة.

[۵۶] فإن آلهتکم المزعومة التی تعبدونها مِنْ دُونِهِ من دون الله، لیست فی نظری بآلهة حتی أعبدها، و إنما هو إله واحد لا شریک له. ثم کیف تزعمون أن آلهتکم مستنی بسوء لسبی إیاها، فإنی أتحدّاکم أن تجتمعوا أنتم و الآلهة التی تعبدونها فَکِیدُونِی جَمِیعاً فاحتالوا و اجتهدوا

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۱۷

[سورة هود (۱۱): آیة ۵۶]

إِنِّی تَوَکَّلْتُ عَلَی اللَّهِ رَبِّی وَ رَبِّکُمْ ما مِنْ دابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِناصِیَتِها إِنَّ رَبِّی عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۵۶)

لضرّی و إیذائی ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ أی لا تمهلوننی، بل فاجئونی بالهجوم لقصد إیذائی، فإنی لا أبالی بکم و لا أکترث بکیدکم، بعد ما کنت مستظهرا بالله سبحانه، واثقا من نصره، إنکم جمیعا لا تقدرون علی إیذائی، فکیف یقدر بعض آلهتکم أن یمسنی بسوء؟

قال بعض المفسرین: إن هذا من أعظم آیات الأنبیاء علیهم السّلام أن یکون الرسول وحده، و أمته متعاونة علیه، فیقول لهم: کیدونی، فلا یستطیع واحد منهم صدّه، و کذلک قال نوح علیه السّلام: فَأَجْمِعُوا أَمْرَکُمْ وَ شُرَکاءَکُمْ ...) «۱»- کما تقدم- و قال نبینا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: (فَإِنْ کانَ لَکُمْ کَیْدٌ فَکِیدُونِ)

«۲». و مثل هذا القول لا یصدر إلا عمن هو واثق بنصر الله و بأنه یحفظه عنهم و یعصمه منهم.

[۵۷] إِنِّی تَوَکَّلْتُ عَلَی اللَّهِ رَبِّی وَ رَبِّکُمْ إنی وثقت به و فوضت أمری إلیه فهو المدافع المحامی عنی ما مِنْ دابَّةٍ إِلَّا هُوَ سبحانه آخِذٌ بِناصِیَتِها أی ما من حیوان یدب علی الأرض إلا هو مالک له یصرفه کیف یشاء، و «الناصیة» هو مقدم الرأس، فکما أن الآخذ بشعر مقدم الرأس لأحد، یتصرف فی ذلک الإنسان بالقهر و الغلبة، کذلک المالک للدواب، و هذا کنایة عن قهره سبحانه لکل دابة و قدرته علیها کلها إِنَّ رَبِّی عَلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ فإنه مع قدرته فهو عادل فیما یعامل به البشر، و سنته و أحکامه عادلة مستقیمة. و هذا تشبیه للمعقول

---

(۱) یونس: ۷۲.

(۲) المرسلات: ۴۰.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۲، ص: ۶۱۸

[سورة هود (۱۱): الآیات ۵۷ الی ۵۸]

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُکُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَیْکُمْ وَ یَسْتَخْلِفُ رَبِّی قَوْماً غَیْرَکُمْ وَ لا تَضُرُّونَهُ شَیْئاً إِنَّ رَبِّی عَلی کُلِّ شَیْءٍ حَفِیظٌ (۵۷) وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّیْنا هُوداً وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ نَجَّیْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِیظٍ (۵۸)

بالمحسوس فکما أن السائر المستقیم، یمشی علی صراط مستقیم، فکذلک صراطه سبحانه فی أحکامه و سننه.

[۵۸] ثم قال هود علیه السّلام لقومه: فَإِنْ تَوَلَّوْا أصله «تتولوا»، أی فإن أعرضتم عن دعوتی فإنی غیر ملوم و غیر مأخوذ بإعراضکم إذ قد أَبْلَغْتُکُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَیْکُمْ و بلغت لکم رسالة ربی، فتولیکم من سوء اختیارکم. ثم إن ذلک لا یضر الله سبحانه کما لا یضرّنی فإنه یهلککم بمعاصیکم وَ یَسْتَخْلِفُ رَبِّی قَوْماً غَیْرَکُمْ یؤتی مکانکم بأناس آخرین یعبدونه و یوحّدونه، بعدکم و خلفا لکم وَ لا تَضُرُّونَهُ شَیْئاً بتولّیکم، کما لم تضرّونی بذلک إِنَّ رَبِّی عَلی کُلِّ شَیْءٍ حَفِیظٌ یحفظ دینه من الضیاع فیأتی بغیرکم لیعبدوه، کما یحفظنی عن أذاکم و ضررکم.

[۵۹] وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا بهلاک عاد بعد أن لم تنفعهم الدعوة و تولّوا معرضین نَجَّیْنا هُوداً وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ من الهلاک- و فی المجمع: قیل أنهم کانوا أربعة آلاف- بِرَحْمَةٍ مِنَّا حیث رحمناهم بعدم عذابهم. و ذکر هذه الجملة، إما لإفادة أن نجاتهم لم تکن صدفة و إنما عن قصد، و إما لإفادة أن نجاة أولئک المؤمنین لم تکن باستحقاقهم، إذ أن کل أحد لا بد و أنه ممن یستحق العقاب، فنجاته تکون برحمة و فضل من الله وَ نَجَّیْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِیظٍ شدید. و الإتیان بهذا

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۲، ص: ۶۱۹

[سورة هود (۱۱): الآیات ۵۹ الی ۶۰]

وَ تِلْکَ عادٌ جَحَدُوا بِآیاتِ رَبِّهِمْ وَ عَصَوْا رُسُلَهُ وَ اتَّبَعُوا أَمْرَ کُلِّ جَبَّارٍ عَنِیدٍ (۵۹) وَ أُتْبِعُوا فِی هذِهِ الدُّنْیا لَعْنَةً وَ یَوْمَ الْقِیامَةِ أَلا إِنَّ عاداً کَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ (۶۰)

اللفظ لدلالته على ما كان للعذاب من شدة و هول، و تكرّر «نجينا» إما لبيان الخصوصية فإن اللفظ أولا كان مطلقا، ثم جىء به مع المتعلق، و إما لبيان أنهم نجوا من عذاب الآخرة كما نجوا من عذاب الدنيا، و هذا فيما إذا أريد من «العذاب الغليظ» عذاب الآخرة.

[۶۰] ثم تأتى القصة فى جمل قصار للتكرير و التركيز فى الذهن وَ تِلْكَ القبيلة التى أهلكت و هى عادٌ أى قبيلة عاد جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ أنكروا براهينه و أدلته التى أقامها على توحيده و رسالة رسوله و سائر الأصول و الفروع وَ عَصَوْا رُسُلَهُ بالمخالفة و المشاقة. و إنما قال «رسله» بلفظ الجمع، لأن من كذّب رسولا فقد كذّب الرسل، كما أن من المحتمل أن يكون سبحانه أرسل إليهم أنبياء، و إنما تعرض لقصة أحدهم فقط و هو «هود» وَ اتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ «الجبار» هو من يجبر الناس على ما يريد، و «العنيد» الكثير العناد الذى لا يقبل الحق، و المراد جبابرتهم، فقد كان قوم هود يمتثلون أمر الرؤساء الجبارين عوض امتثال أمر الأنبياء المصلحين.

[۶۱] وَ أُتْبِعُوا فِى هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً فإن الله سبحانه سخّر للمؤمنين لعنة الكفار، فقوم هود «عاد» يلعنون فى الدنيا، فتعقبهم اللعنات مدى الزمان وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ يكونون ملعونين مطرودين عن الخير معذّبين فى النار، يلعنهم الأنبياء و الملائكة و المؤمنون أَلا فلينتبه السامع إِنَّ عاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أى: كفروا بربهم، أو المراد أنهم ستروه بأن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۲۰

[سورة هود (۱۱): آية ۶۱]

وَ إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيها فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ (۶۱)

لم يعترفوا به، فإن «الكفر» أصله «الستر» أَلا فلينتبه السامع بُعْداً لِعادٍ أى أبعد الله عادا قَوْمِ هُودٍ النبى هود عليه السّلام عن رحمته.

و هذا دعاء عليهم يتضمن التوهين و الإذلال.

و فى تكرّر «ألا» و «عاد» إظهار فظاعة أمرهم، و حث الناس على الاعتبار بما نالهم، و الحذر من مثل أفعالهم، و إنما قال «قوم هود» ليتميزوا عن «عاد إرم».

ورد أن عاد كانت بلادهم فى البادية، و كان لهم زرع و نخل كثير، و لهم أعمار طويلة و أجسام ضخمة، فعبدوا الأصنام و بعث الله إليهم هودا يدعوهم إلى الإسلام و خلع الأنداد، فأبوا و لم يؤمنوا و آذوه، فكفت السماء عنهم سبع سنين حتى قحطوا، فجاءوا إليه فقالوا: يا نبى الله قد أجدبت بلادنا و لم تمطر، فسل الله المطر و أن يخصب بلادنا، فتهيأ للصلاة فصلى و دعا، فقال لهم: ارجعوا فقد أمطرتم و أخصبت بلادكم. و بقى فى قومه يدعوهم إلى الله و ينهاهم عن عبادة الأصنام حتى أخصبت بلادهم و أنزل الله عليهم المطر. فلما لم يؤمنوا و بقوا على كفرهم و إصرارهم بعبادة الأصنام أرسل الله عليهم الريح الصرصر يعنى «الباردة» سبع ليالى و ثمانية أيام حتى أهلكهم عن آخرهم.

[۶۲] وَ أرسلنا إِلى ثَمُودَ و هم قبيلة كانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك و مدينة الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أَخاهُمْ فى النسب صالِحاً قالَ صالح عليه السّلام لهم: يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وحده لا شريك له ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ من هذه الأصنام التى تعبدونها و سائر الآلهة الباطلة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۲۱

[سورة هود (۱۱): آية ۶۲]

قالُوا يا صالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينا مَرْجُوًّا قَبْلَ هذا أَ تَنْهانا أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا وَ إِنَّنا لَفِى شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (۶۲)

هُوَ أَنْشَأَكُمْ أى ابتدأ خلقكم مِنَ الْأَرْضِ إما باعتبار آدم عليه السّلام، أو باعتبار كل فرد من أفراد البشر، فإنه كان ترابا ثم صار نباتا ثم مأكولا أو حيوانا ثم منيا ثم إنسانا وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيها الاستعمار هو أن يجعل القادر منهم أن يعمّر الأرض، فإذا قيل: «استعمر زيد عمروا» كان معناه: أنه جعل عمروا قادرا على عمارة الأرض بما هيأ له من الأسباب. فالمعنى أمركم بعمارة الأرض و أقدركم عليها.

و قد روى «النعمانى» عن أمير المؤمنين عليه السّلام، فى تفسير «و استعمركم فيها»: فأعلمنا سبحانه أنه قد أمرهم بالعمارة ليكون ذلك مما جعله الله تعالى سببا لمعايشهم بما يخرج من الحب و الثمرات و ما شاكل ذلك مما جعله الله تعالى معايش «۱».

أقول: و يؤيد هذا المعنى قوله: «أنشأكم».

فَاسْتَغْفِرُوهُ أى اطلبوا غفرانه بالتوبة من الشرك و المعاصى و فعل الطاعات ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ بعد أن طهّرتم أنفسكم من الذنوب، و ارجعوا إليه فى أخذ الأحكام و الطاعة و العبادة إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ قرب العلم و الاطلاع و الغفران، فليس بعيدا غير عالم، و لا متكبرا لا يلبى الطلب مُجِيبٌ لمن دعاه و طلبه.

[۶۳] قالُوا قالت ثمود: يا صالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينا مَرْجُوًّا قَبْلَ هذا نرجو

---

(۱) وسائل الشيعة: ج ۱۹ ص ۳۵.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۲۲

[سورة هود (۱۱): آية ۶۳]

قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَ آتانِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَما تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ (۶۳)

منك الخير لما كنا نرى من صفاتك الحسنة و أخلاقك الطيبة، أما الآن فقد يئسنا منك حيث رأينا أقوالك و دعوتك إلى الله و نبذ عبادة الأصنام أَ تَنْهانا استفهام إنكارى أَنْ نَعْبُدَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا أى: كيف تنهانا عن عبادة الأصنام التى كان آباؤنا يعبدونها؟ وَ إِنَّنا لَفِى شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ من عبادة الله وحده و نبذ الأصنام مُرِيبٍ موجب للريبة و التهمة، كيف أنت تصدّق و آباؤنا كانوا على ضلالة و جهالة.

[۶۴] قالَ صالح لهم: يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ أى أخبرونى إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ حجة واضحة تشهد على صدقى مِنْ قبل رَبِّى سبحانه وَ آتانِى مِنْهُ رَحْمَةً أعطانى النبوة برحمته و فضله فَمَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ اللَّهِ أى من بأس الله و غضبه و عذابه إِنْ عَصَيْتُهُ بعد إبلاغكم الدعوة، أو اتخاذ طريقتكم لرجائكم فىّ الخير، فإن رجاءكم فىّ الخير من دون عبادة الله وحده لا يدفع عنى العذاب، خصوصا و أنه سبحانه أعطانى و فضلنى فَما تَزِيدُونَنِى إذا لبّيت دعوتكم غَيْرَ تَخْسِيرٍ أى خسارة على خسارة، من سلب النبوة عنى و عذاب الله الشامل للعاصين، أو المعنى: غير أن أنسبكم إلى الخسران، بأن أريكم أنكم الخاسرون، إذ كلما أصرّ المبطل زاد المحق علما بأنه فى خسارة و انحطاط و نقص.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۲۳

[سورة هود (۱۱): الآيات ۶۴ الى ۶۶]

وَ يا قَوْمِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللَّهِ وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ (۶۴) فَعَقَرُوها فَقالَ تَمَتَّعُوا فِى دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (۶۵) فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا صالِحاً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (۶۶)

[۶۵] ثم ذكر صالح عليه السّلام الدليل على كونه نبيا من قبل الله سبحانه، قال:

وَ يا قَوْمِ هذِهِ ناقَةُ اللَّهِ الإضافة إليه سبحانه تشريفية، فإنه هو الذى كونها من غير ولادة عادية، و إنما أخرجها من الجبل الأصم لَكُمْ آيَةً أى علامة و دليل على صدقى و حجة كلامى- و قد سبقت قصتها فراجع- فَذَرُوها أى دعوها و اتركوها و شأنها تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللَّهِ من العشب و النبات، و لا تريد الأكل منكم حتى تستثقلوها و تتضجرون منها وَ لا تَمَسُّوها أى لا تصيبوها بِسُوءٍ أى بأذى قتل أو جرح أو عقر أو غيره فإن فعلتم ذلك فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ يقرب وقته من وقت إيذائكم لها.

[۶۶] لكن القوم أصرّوا على كفرهم و عنادهم، و اجتمع جماعة منهم و جعلوا لأحدهم جعلا إن عقر الناقة و خلّصهم منها فَعَقَرُوها و

إنما نسب الأمر إلى جمیعهم لفعل بعضهم، و مشارکة جماعة بالتسبب، و رضی الآخرین فَقالَ صالح علیه السّلام لهم: تَمَتَّعُوا فِی دارِکُمْ ثَلاثَةَ أَیَّامٍ فإنه لم یبق من حیاتکم و تمتعکم فی الدنیا أکثر من ثلاثة أیام ذلِکَ العذاب بعد الثلاثة أیام وَعْدٌ غَیْرُ مَکْذُوبٍ أی صادق لا کذب فیه.

[۶۷] فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا أی عذابنا لقوم صالح نَجَّیْنا صالِحاً من العذاب

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۶۲۴

[سورة هود (۱۱): الآیات ۶۷ الى ۶۸]

وَ أَخَذَ الَّذِینَ ظَلَمُوا الصَّیْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِی دِیارِهِمْ جاثِمِینَ (۶۷) کَأَنْ لَمْ یَغْنَوْا فِیها أَلا إِنَّ ثَمُودَ کَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ (۶۸)

وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا أی رحمنا أولئک المؤمنین فلم نعذبهم. و لعل سر الإیثار فی هذه الجملة إفادة أن المؤمن الناجی، أیضا ینجو بالرحمة لأن لکل إنسان من الذنوب ما یستحق بها العذاب، أو أن الإنسان لا یستحق الثواب و الجزاء الجمیل و إنما یتفضل الله سبحانه بذلک، فالنجاة من الهلکة لیست بالاستحقاق و إنما بالفضل و الرحمة وَ مِنْ خِزْیِ یَوْمِئِذٍ أی نجیناهم من الموت و الخزی، فإن الموت بالعذاب خزی و إهانة، و معنی «یومئذ» أی خزی یوم العذاب إِنَّ رَبَّکَ یا رسول الله هُوَ الْقَوِیُّ الذی یقوی على إهلاک الکفار و إفنائهم الْعَزِیزُ الغالب فی سلطانه لا یمتنع علیه أی شیء مما أراد.

[۶۸] وَ أَخَذَ الَّذِینَ ظَلَمُوا الصَّیْحَةُ بأن صاح بهم جبرائیل علیه السّلام أو خلق الله سبحانه صیحة فماتوا جمیعا فَأَصْبَحُوا فِی دِیارِهِمْ و بیوتهم جاثِمِینَ من «جثم» بمعنى لزم المکان، فلم یبرحه. أی: میتین لا حراک لهم.

[۶۹] کَأَنْ لَمْ یَغْنَوْا فِیها «غنی فی المکان» أقام فیه، و المعنى: کأن لم تکن ثمود فی منازلهم قط لانقطاع آثارهم بالهلاک، إلا بقایا بیوتهم و جثثهم الهامدة. ثم یجمل السیاق القول فی ما فعلوا و کان سببا فی عاقبتهم هذه أَلا فلینتبه السامع إِنَّ ثَمُودَ کَفَرُوا رَبَّهُمْ فلم یعتقدوا

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۶۲۵

[سورة هود (۱۱): آیة ۶۹]

وَ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِیمَ بِالْبُشْرى قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِیذٍ (۶۹)

به و أشرکوا معه غیره، و أصل «الکفر» الستر، کأنهم بعدم الاعتراف ستروا وجه الحقیقة أَلا فلینتبه السامع بُعْداً لِثَمُودَ عن حسن الذکر فی الدنیا و السعادة فی الآخرة، إنهم قد طردوا عن رحمة الله و فضله.

[۷۰] ثم یستعرض القرآن الحکیم القصة الرابعة فی هذه السورة بعد قصة نوح و هود و صالح علیهم السّلام بقوله تعالى: وَ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا أی الملائکة و هم جبرائیل و إسرافیل و میکائیل و کروبیل إِبْراهِیمَ بِالْبُشْرى أی بشارة إعطائه الولد- إسماعیل علیه السّلام- بعد أن شاخ و یئس عن الولد. و لعل ذکر هذا الطرف من قصة إبراهیم علیه السّلام لبیان أن الله سبحانه أنجز وعده الذی وعده لنوح بقوله: (قِیلَ یا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَ بَرَکاتٍ عَلَیْکَ وَ عَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَکَ وَ أُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ یَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِیمٌ) «۱»، فقد کانت البرکات فی أولاد إبراهیم إسماعیل و إسحاق، و العذاب فی أمة لوط.

قالُوا أی لما دخلت الملائکة قالت لإبراهیم: سَلاماً بهذا اللفظ، و هذا کنایة عن تسلیمهم علیه سلاما کاملا، بأن قالوا- مثلا- سلام علیکم، فَ قالَ إبراهیم علیه السّلام فی جوابهم: سَلامٌ بهذا اللفظ، فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِیذٍ کأنه قال: «ما أبطأ عن المجیء بالعجل»، فحذف حرف الجر و وصل الفعل بالمجرور- على القاعدة- «العجل» ولد البقر، و «الحنیذ» فعیل بمعنى مفعول من

---

(۱) هود: ۴۹.

تقریب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۶۲۶

[سورة هود (۱۱): الآيات ۷۰ الى ۷۱]

فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ (۷۰) وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ (۷۱)

«حنذ» بمعنى شواه بالحجارة، أى جاء بعجل مشوى بالحجارة، أو المشوى مطلقا. و قد كان إبراهيم عليه السّلام محبا للضيف فلما رأى الملائكة ظنهم بشرا- لأنهم كانوا فى صورة بشر- فأتى إليهم بالطعام، و هو عجل مشوى.

[۷۱] لكن الملائكة لا تأكل طعام الدنيا، و لذا لم يتقدموا للأكل كما هو عادة الضيوف فَلَمَّا رَأى إبراهيم عليه السّلام أَيْدِيَهُمْ أى أيدى الملائكة لا تَصِلُ إِلَيْهِ إلى العجل و لا يأكلون منه نَكِرَهُمْ أنكرهم فإن «نكر و أنكر» بمعنى واحد فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً أى أضمر فى نفسه منهم خوفا، يقال: «أوجس خوفا» أى أضمر، فإن الإيجاس يعنى الإحساس. قالوا: فقد جرت عادتهم أن الضيف لو أكل من الطعام كانوا فى أمن منه، و إن لم يأكل خافوا من شره لأن عدم أكله دليل أنه ينوى السوء بالمضيف. و قيل: إن خوفه كان بسبب ما علم أنهم ملائكة و خاف من أن يكونوا أمروا بعذاب القوم.

قالُوا أى قالت الملائكة، لما رأوا خوف إبراهيم عليه السّلام: لا تَخَفْ منا يا إبراهيم إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ بالعذاب و الإهلاك، و لا نضمر بك شرا، أو لا نضمر بقومك شرا.

[۷۲] وَ قد كانت امْرَأَتُهُ أى زوجة إبراهيم سارة قائِمَةٌ فى أثناء هذا الكلام بين إبراهيم و بين الملائكة فَضَحِكَتْ و لعلّ ضحكها كان بسبب البشارة بهلاك القوم المجرمين، فإن المرأة أكثر الناس غضبا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۲۷

[سورة هود (۱۱): آية ۷۲]

قالَتْ يا وَيْلَتى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هذا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (۷۲)

لعمل الفاحشة من الرجال، أو أنها ضحكت مستبشرة بقدوم الملائكة إلى دارها، أو المراد من «ضحكت» حاضت، فإن «ضحك» بمعنى سال، يقال: ضحكت الشجرة، إذا سال صمغها، و المراد: أنها حاضت بعد عقم و انقطاع حيض، و إن الحيض لمن المبشرات بالولد، إذ لولاه لم يكن تكوّن الولد فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ و حيث أن بشارة الملائكة لا تكون إلا من الله سبحانه صح إسناد البشارة إلى نفسه تعالى وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ فإن البشارة بالولد و الذرية من خير البشائر للمرأة العقيمة.

[۷۳] قالَتْ سارة لما سمعت ببشارة الأولاد: يا وَيْلَتى حرف النداء دخل على منادى محذوف أصله: يا قوم ويلتى، أو المعنى: يا ويلتى احضرى فهذا وقتك، كما قالوا فى «يا للعجب» معناه: يا عجب احضر فهذا وقتك، و ليس حينئذ حقيقة و إنما القصد إنشاء التعجب بهذه العبارة، و «ويلتى» أصله الدعاء بالهلاك، لأن الويل بمعنى الشر و الهلاك لكنه استعمل لمطلق التعجب عرضا و لو كان فى الفرح، من باب علاقة استعمال الضد فى الضد، نحو: «لا أبا لك» الذى كان أصله للسب ثم استعمل للمدح أيضا أَ أَلِدُ أى: هل ألد الولد وَ الحال أَنَا عَجُوزٌ طاعنة فى السن، و «العجوز» لفظ يستعمل لكل ذكر و أنثى وَ هذا بَعْلِي شَيْخاً؟! «البعل» الزوج، أى إن هذا بعلى فى حال كونه شيخا كبير السن.

روى أن سارة كان لها من العمر يوم ذاك تسعون سنة

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۲۸

[سورة هود (۱۱): الآيات ۷۳ الى ۷۴]

قالُوا أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (۷۳) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَ جاءَتْهُ الْبُشْرى يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ (۷۴)

و لإبراهيم عليه السّلام مائة و عشرون سنة «۱».

إِنَّ هـذا التبشير بالولـد، أو الولـد منا و نحن هرمين لَشَیْءٌ عَجِیبٌ و لم يكن تعجبا إنكارا لقدرة الله سبحانه، بل الإنسان إذا رأى شيئا خلاف القوانين المودعة فى الطبيعة تحرك فيه حس التعجب و الاستغراب.

[۷۴] قالُوا أى قالت الملائكة التى بشروها بالولد: أ تَعْجَبِینَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ استفهام تنبيه، أى: كيف تعجبين من أمر إرادة الله سبحانه؟ و الحال رَحْمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكاتُهُ تفضله و خيراته النامية عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ الْبَيْتِ أى أهل بيت النبوة، فإنه سبحانه لم يزل يرعاكم و يتفضل عليكم فلا عجب لأنه القادر على ما يشاء، و لا عجب من جهتكم لأنكم مورد ألطافه و كراماته إِنَّهُ سبحانه حَمِيدٌ محمود على أفعاله مَجِيدٌ ذو مجد و رفعة، فبكونه محمود الفعال يتفضّل، و بكونه رفيعا يقدر.

[۷۵] فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْراهِيمَ الرَّوْعُ أى الخوف و الرعب الذى دخله من الرسل وَ جاءَتْهُ الْبُشْرى بالولد، و اطمأن بفضل الله و لطف الملائكة به، شرع يُجادِلُنا أى يجادل رسلنا و يناقشهم. و حيث أن رسول

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۱۱۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۲۹

[سورة هود (۱۱): الآيات ۷۵ الى ۷۶]

إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (۷۵) يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هذا إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ إِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (۷۶)

الشخص كالشخص، صح إسناد فعل الرسل إليه، كما صح إسناد فعل الأشخاص إلى الرسل، بفعلهم معه فِي قَوْمِ لُوطٍ الذين أرسلت الملائكة لتعذيبهم.

ورد أن إبراهيم عليه السّلام قال للرسل: إن كان فى القوم مائة من المؤمنين أ تهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: إن كان فيهم خمسون؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا. و ما يزال ينقص و يقولون: لا، حتى قال: فواحد؟ قالوا: لا، فقال: إن فيهم لوطا؟- و قد كان عليه السّلام ابن خالة إبراهيم عليه السّلام- قالوا: نحن أعلم بمن فيهم، لننجّينه و أهله إلا امرأته «۱».

[۷۶] إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ يحلم عن العصاة، و بحلمه كان يطلب عدم تعذيب قوم لوط أَوَّاهٌ أى كثير الدعاء مُنِيبٌ راجع إلى الله سبحانه فى جميع أموره، من «أناب»، و كأن الإتيان بهذا الوصف له عليه السّلام، و قد قضى الأمر.

[۷۷] ثم قالت الملائكة لإبراهيم عليه السّلام، بعد التساؤل و النقاش: يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هذا الطلب و انصرف عنه فإنه لا يفيد إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ بهلاك هؤلاء و عذابهم فهو نازل بهم لا محالة وَ إِنَّهُمْ أى قوم لوط آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ لا يرد عنهم، فقد جرت سنة الله أن

---

(۱) الكافى: ج ۵ ص ۵۴۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۳۰

[سورة هود (۱۱): آية ۷۷]

وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قالَ هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ (۷۷)

المعرضين ما داموا لم يحتجّ عليهم، أو يحتمل- و لو احتمالا خارجيا- أو كان فى أصلابهم ذرية مؤمنة، لا يعذّبون، أما و قد انسدت الأبواب، فقد حقت عليهم كلمة العذاب و ما فائدة بقائهم أكثر من ذلك.

[۷۸] و انتهى الأمر و سار الرسل نحو قرية لوط عليه السّلام فى زى شبان حسان الصور- و هذه هى القصة الخامسة فى السورة- وَ لَمَّا جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً أى أتت الملائكة إلى لوط عليه السّلام سِيءَ لوط بِهِمْ أى ساءه مجيئهم وَ ضاقَ لوط بِهِمْ أى بسبب ورودهم ذَرْعاً أى قلبا و طاقة. قالوا: إن الأصل فى ذلك أن البعير يذرع بيديه فى سيره ذرعا على قدر سعة خطوته، فإذا حمل عليه أكثر من طاقته

ضاق ذرعه عن ذرعه فیضعف و یمد عنقه، و منه قولهم: «ما لی به ذرع» أی لیس لی به طاقة.

وَ قالَ لوط علیه السّلام: هذا یَوْمٌ عَصِیبٌ أی یوم شدید علیّ، کیف أصنع بالقوم إذا أرادوا الفاحشة مع هؤلاء الضیوف، أصل «عصب» من الشد، یقال: «عصبت الشیء» أی شددته، و یستعمل غالبا فی الشر.

و قد روی عن الإمام الباقر علیه السّلام- بتغییر یسیر-: کان قوم لوط من أفضل قوم خلقهم الله، فطلبهم إبلیس الطلب الشدید، و کان من فضلهم و خیرتهم أنهم إذا خرجوا إلی العمل خرجوا بأجمعهم و تبقی النساء خلفهم، و لم یزل إبلیس یعتادهم و کانوا إذا رجعوا خرّب إبلیس

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۳۱

ما کانوا یعملون، فقال بعضهم لبعض: تعالوا نرصد لهذا الذی یخرب متاعنا، فرصدوه، فإذا هو غلام أحسن ما یکون من الغلمان، فقالوا له: أنت الذی تخرب متاعنا مرة بعد مرة، فاجتمع رأیهم علی أن یقتلوه فبیّتوه عند رجل، فلما کان اللیل صاح فقال له: ما لک؟ فقال: کان أبی ینومنی علی بطنه. فقال الرجل: تعال فنم علی بطنی. قال:

فلم یزل الشیطان یدلک الرجل حتی علّمه أن یفعل بنفسه، ثم انسل ففر منهم، و أصبحوا فجعل الرجل یخبر بما فعل بالغلام و یحبّبهم منه و هم لا یعرفونه، فوضعوا أیدیهم فیه حتی اکتفی الرجال بالرجال، ثم جعلوا یرصدون مارة الطریق فیفعلون بهم، حتی تنکّب مدینتهم الناس، ثم ترکوا نساءهم و أقبلوا علی الغلمان، فلما رأی الشیطان أنه قد أحکم أمره فی الرجال، جاء إلی النساء فصیّر نفسه امرأة ثم قال: إن رجالکن یفعل بعضهم ببعض. قلن: نعم قد رأینا ذلک. و کل ذلک ینصحهم لوط و یوصیهم، و إبلیس یغویهم، حتی استغنت النساء بالنساء.

فلما کملت علیهم الحجة بعث الله جبرائیل و میکائیل و إسرافیل فی زی غلمان، علیهم أقبیة فمروا بلوط علیه السّلام و هو یحرث قال: أین تریدون؟ ما رأیت أجمل منکم قط؟ قالوا: إنا أرسلنا سیدنا إلی رب هذه المدینة. قال: أو لم یبلغ سیدکم ما یفعل أهل هذه المدینة، یا بنی إنهم و الله یأخذون الرجال فیفعلون بهم حتی یخرج الدم. فقالوا: أمرنا سیدنا أن نمر وسطها. قال: فلی إلیکم حاجة؟ قالوا: و ما هی؟ قال:

تصبرون هنا إلی اختلاط الظلام. قال: فجلسوا، فبعث لوط ابنته فقال: جیئی لهم بخبز و جیئی لهم بماء فی القرعة و جیئی لهم بعباءة یتغطون بها من البرد. فلما أن ذهبت الابنة أقبل المطر، و جری الوادی، فقال لوط: الساعة یذهب بالصبیان الوادی، قال: قوموا حتی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۳۲

نمضی، و جعل لوط یمشی فی أصل الحائط و جعلت الملائکة یمشون وسط الطریق فقال: یا بنی امشوا هاهنا، فقالوا: أمرنا سیدنا أن نمر وسطها. و کان لوط یستغنم الظلام.

و مر إبلیس و أخذ من حجر امرأة صبیا فطرحه فی البئر فتصایح أهل المدینة کلهم علی باب لوط، فلما نظروا إلی الغلمان فی منزل لوط قالوا: یا لوط قد دخلت فی عملنا؟ فقال: هؤلاء ضیفی فلا تفضحونی فی ضیفی. قالوا: هم ثلاثة خذ واحدا و أعطنا اثنین. ثم أدخلهم الحجرة، و قال: لو أن لی أهل بیت یمنعونی منکم؟ قال:

و تدافعوا علی الباب و کسروا باب لوط و طرحوا لوطا. فقال له جبرائیل: إنا رسل ربک لن یصلوا إلیک، فأخذ جبرائیل کفا من بطحاء فضرب بها وجوههم و قالوا: شاهت الوجوه. فعمی أهل المدینة کلهم و قال لهم لوط: یا رسل ربی فما أمرکم ربی فیهم؟ قالوا: أمرنا أن نأخذهم وقت السحر. قال: فلی إلیکم حاجة؟ قالوا: و ما حاجتک؟

قال: تأخذونهم الساعة، فإنی أخاف أن یرحمهم الله سبحانه و یصرف العذاب عنهم. فقالوا: یا لوط إن موعدهم الصبح ألیس بقریب لمن یرید أن یأخذ؟ فخذ أنت بناتک و امض ودع امرأتک.

و فی روایة أخری: ففعل لوط ما أمر و خرج بناته لیلا و دعوا زوجته لأنها کانت منافقة، و لما خرج لوط من المدینة و جاء الصباح

قلع جبرائيل المدينة و رفعها إلى السماء ثم قلبها و أمطر الله عليها و على أطرافها حجارة من سجيل.

و فى بعض التفاسير: أن زوجة لوط هى التى أخبرت القوم بالضيوف «۱».

---

(۱) الكافى: ج ۵ ص ۵۴۴.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۲، ص: ۶۳۳

[سورة هود (۱۱): آية ۷۸]

وَ جاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَ مِنْ قَبْلُ كانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ قالَ يا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ لا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى أَ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (۷۸)

[۷۹] وَ جاءَهُ أى توجه إلى طرف دار لوط قَوْمُهُ الكافرون يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ يسرعون فى المشى نحوه لطلب الفاحشة بالضيوف، و لعل الإتيان بالمجهول لبيان كيفية الإسراع و أنه لم يكن هرع عقلاء و إنما هرع شهوة حيث قد انطوت أنفسهم على حب هذا العمل الشنيع، فكانت نفوسهم تسوقهم من حيث لا يشعرون وَ مِنْ قَبْلُ إتيان الملائكة أو من قبل وقوع هذه القصة كانُوا أى كان قوم لوط يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ جمع «سيئة» و المراد بها اللواط، و هذا لبيان وجه أنه عليه السّلام ضاق بهم ذرعا و رأى اليوم عصيبا.

قالَ لوط عليه السّلام لما رأى إصرار القوم على السيئة: يا قَوْمِ هؤُلاءِ بَناتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فتزوجوا بهن و اعملوا حيث أمركم الله، ففى المرأة الطهارة النفسية و الطهارة الجسدية، و إنى مستعد أن أقدم بناتى لكم لئلّا تعملوا بالمعاصى و لئلّا تفضحوننى فى ضيوفى. و هنا احتمال أنه عليه السّلام أراد من «بناتى» بنات المدينة، و أضافهن إلى نفسه لأن كبير الناس يضيف الأفراد إلى نفسه، أى: تزوجوا البنات عوض هذا العمل فَاتَّقُوا اللَّهَ خافوا عقابه فى عمل اللواط وَ لا تُخْزُونِ أى لا تلزمونى عارا فِى ضَيْفِى فإن الضيف لو أهين كان ذلك خزيا للمضيف و عارا عليه أَ لَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ استفهام توبيخى، أى أليس فيكم رجل أو رشيد لا سفاهة به يمنعكم عن اقتراف هذه الجريمة و عن أن يهتك أمرى بالنسبة إلى ضيوفى، حتى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۲، ص: ۶۳۴

[سورة هود (۱۱): الآيات ۷۹ الى ۸۰]

قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ ما لَنا فِى بَناتِكَ مِنْ حَقٍّ وَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ (۷۹) قالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِى إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ (۸۰)

لا يبقى عارها علىّ مدى الحياة؟

[۸۰] قالُوا أى قال القوم فى جواب لوط عليه السّلام: لَقَدْ عَلِمْتَ يا لوط ما لَنا فِى بَناتِكَ مِنْ حَقٍ أى من حاجة، فكما لا يرغب الإنسان فيما لا حق له فيه، كذلك لا يرغب فيما لا حاجة له فيه، أو لأن من حق الرجل أن يتزوج البنت، أما إذا لم يرد فكأنه لا حق له فيها، أو المراد ب «الحق» الحصة، أى لا حصة لنا فيهن وَ إِنَّكَ يا لوط لَتَعْلَمُ ما نُرِيدُ من الضيوف و عمل السيئة بهم.

[۸۱] و هنا انقطع لوط عليه السّلام و يئس و حزن و قالَ فى أسف بالغ: لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً فأكون قويا قادرا على دفعكم، و «الباء» فى «بكم» إما للمقابلة أى بمقابلتكم، أو بمعنى «على» أى عليكم، و حذف جواب «لو» توسعة فى المتعلق، أو لوضوح أن المراد «لمنعتكم» أَوْ آوِى من «أوى يأوى» بمعنى: لجأ إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ يمنعنى منكم، أى: لو تمكّنت أن أستعين بقوة عشيرة أو ما أشبهها لدفعتكم و منعتكم.

فى الحديث: إن جبرائيل قال- حين قال لوط ذلك-: «لو يعلم أية قوة له؟» «۱».

و روى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: «رحم الله أخى لوطا كان يأوى إلى ركن شديد».

---

(۱) الكافى: ج ۵ ص ۵۴۶.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۳۵

[سورة هود (۱۱): آية ۸۱]

قالُوا يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (۸۱)

[۸۲] و هنا تكلم الرسل و قالُوا يا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ أرسلنا لإنقاذك و هلاك القوم.

روى أن جبرائيل قال للوط: دعهم يدخلوا. فلما دخلوا أهوى جبرائيل بإصبعه نحوهم، فذهبت أعينهم

كما قال سبحانه:

(فَطَمَسْنا أَعْيُنَهُمْ) «۱»، لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ أى لا يقدرون أن يهجموا عليك و ينالوا منك سوءا فى نفسك أو ضيوفك. و رجع القوم عن دار لوط خائبين من رعب الملائكة فقد ألقى فى قلوبهم رعب شديد، و صاروا كلهم عميانا لا يبصرون.

و هنا توجهت الملائكة إلى لوط و قالوا له: فَأَسْرِ أى سر ليلا و اخرج من هذه المدينة، بِأَهْلِكَ «الباء» بمعنى «مع» أى مع أهلك بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ أى بعد ذهاب بعض الليل و قطعة منه، فإن القطع من الليل: بعضه وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إما بمعنى: لا يتخلّف فى المدينة أحد منكم لأن كل من فى المدينة سوف يصيبهم العذاب، و إما بمعنى: لا ينظر أحد ورائه حين السير لئلّا يرى ما يزعجه من عذاب هؤلاء إِلَّا امْرَأَتَكَ استثناء من «أسر بأهلك» يعنى فلتتخلف امرأتك، لأنها كانت مع القوم ضدك يا لوط إِنَّهُ مُصِيبُها ما أَصابَهُمْ أى يصيبها من العذاب ما أصاب القوم، فاللازم عليك أن لا تخبرها و أن تخلّفها فى المدينة إِنَّ مَوْعِدَهُمُ أى وقت هلاكهم

---

(۱) القمر: ۳۸.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۳۶

[سورة هود (۱۱): الآيات ۸۲ الى ۸۳]

فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (۸۲) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَ ما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (۸۳)

و عذابهم الصُّبْحُ أَ لَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ و هذا ما قالته الملائكة للوط حين استعجل عذابهم فى ذلك الوقت.

[۸۳] فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا بإهلاكهم جَعَلْنا عالِيَها أى عالى المدينة سافِلَها بأن قلبناها فإن جبرائيل أدخل جناحه تحت الأرض ثم قلبها بأن جعل أسفلها أعلاها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها الظاهر أن الإمطار كان على نفس الناس، و «الواو» لا تدل على تأخير الإمطار عن القلب، و إن كان الترتيب الذكرى قد يعطيه، لأن «الواو» لمطلق الجمع كما ذكره أهل اللغة حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ قيل: إنه معرّب «سنك كل» كلمتان فارسيتان بمعنى المدر، و لا شاهد لذلك مَنْضُودٍ هو صفة سجيل، أى متراكم بعضه يلاحق بعضا، أو نضد بعضه على بعض حتى صار سجيلا، أى صار حجرا.

[۸۴] مُسَوَّمَةً أى معلّمة، جعل فيها علامات تدل على أنها معدّة للعذاب عِنْدَ رَبِّكَ فى علمه سبحانه، و فى خزائنه التى لا يتصرف فيها أحد سواه. و كان ذكر هذه الأوصاف للتهويل، و إن الله سبحانه قد أعد لهم فى خزائنه حجارة منضودة معلمة، كما أن الملك يهيئ لأعدائه سيوفا معلومة معلمة فى خزائنه ليكون على استعداد تام وَ ما هِيَ أى حجارة السجيل مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ فلا يستبعد أحد كيف يعذب

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۳۷

[سورة هود (۱۱): آية ۸۴]

وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ وَ لا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَ الْمِيزانَ إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ وَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (۸۴)

الله أحدا بإمطار الحجارة؟ إنهم ظلموا فاستحقوا العقاب.

و فی بعض الأحادیث: إنها مهیأة لظالمی هذه الأمة أیضا «۱».

[۸۵] وَ أرسلنا إِلى مَدْيَنَ و هم قبیلة سمّوا باسم جدهم مدین بن إبراهیم، أو أنها اسم مدینة. و فی الكلام حذف، أی: أرسلنا إلی أهل مدین- لكن السیاق یقوّی الأول- أَخاهُمْ فی النسب شُعَيْباً و هذه القصة قد ذكرت فی سورة الأعراف باختلاف فی ذكر بعض الخصوصیات هنا- كما هو الشأن فی القصص القرآنیة- فإن القرآن یأخذ فی كل موضع طرفا من القصة لإدراجه فی المقصود العام المساق له الكلام قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وحده لا شریك له ما لَكُمْ أی لیس لكم مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ من الأصنام التی تعبدونها وَ لا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَ الْمِيزانَ أی لا تعطوا الناس أنقص من حقوقهم عند الكیل و الوزن بالتطفیف، و «المكیال» آلة الكیل، كما أن «المیزان» آلة الوزن، علی وزن «مفتاح» إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ فقد أنعم الله علیكم بالرزق فلا تحتاجون معه إلی التطفیف و السرقة من الناس وَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ إن بقیتم فی الكفر و عملتم بالتطفیف عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ یحیط بكم

---

(۱) راجع مجمع البیان: ج ۵ ص ۳۱۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۳۸

[سورة هود (۱۱): الآیات ۸۵ الی ۸۶]

وَ يا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۸۵) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (۸۶)

فلا ینجو منه أحد.

[۸۶] وَ يا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَ الْمِيزانَ بِالْقِسْطِ بالعدل. و قد كان من عادة الأنبیاء علیهم السّلام أن یركزوا جهودهم بعد الدعوة إلی التوحید و المعاد، علی النقطة المنحرفة فی القوم كما ركّز لوط علیه السّلام جهوده لإزالة الانحراف الجنسی فی قومه. و كان الانحراف العام فی قوم شعیب بعد عبادة الأصنام تطفیف المكیال و المیزان، و لذا أكد علی ذلك بالقول مكررا، مرة بالنهی عن التطفیف، و مرة بالأمر بإیفاء الكیل وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ أی لا تنقصوهم حقوقهم، فإن البائع إذا باع منّا ثم أعطی أقل من ذلك فقد نقص و بخس حق المشتری وَ لا تَعْثَوْا من «عاث» بمعنی سعی فی الفساد فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ حال كونكم تفسدون. و هذا حال تأكیدی لأنه بمعنی الفعل، و إنما جیء به لأن المفسد قد لا یعلم بإفساده، فهو یرید النهی عن الإفساد عمدا، أی لا تفسدوا متعمدین الإفساد قاصدین إلیه بالذات.

[۸۷] بَقِيَّتُ اللَّهِ الذی یبقی بإذن الله و إجازته و إباحته، و أضیف إلیه تشریفا خَيْرٌ لَكُمْ أی ما أبقی الله تعالی لكم من الحلال بعد إتمام الكیل و الوزن خیر لكم من التطفیف و البخس، فإنه أكثر بركة و أحسن عاقبة.

و ما ورد من أن الأئمة علیهم السّلام و الحجة علیه السّلام- بصورة خاصة- بقیة الله، یراد بذلك أنهم و أنه علیه السّلام هم الذین أبقاهم الله سبحانه للهدایة و الإرشاد إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أی لو كنتم مؤمنین لعلمتم أن بقیة الله

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۳۹

[سورة هود (۱۱): الآیات ۸۷ الی ۸۸]

قالُوا يا شُعَيْبُ أَ صَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (۸۷) قالَ يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ رَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَ ما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ ما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ (۸۸)

خیر، أو أن خیریة البقیة مشروطة بالإیمان وَ ما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ أحفظكم عن الحرام و عن العذاب، و إنما أنا مذكّر مرشد، فإن قبلتم

قولى نجوتم، و إن لم تقبلوا أهلكتكم.

[۸۸] قالُوا أى قال القوم فى جواب إرشادات شعيب بالتوحيد و إيفاء المكيال و الميزان: يا شُعَيْبُ أَ صَلاتُكَ التى تصليها لله تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا قالوا ذلك على نحو التهكم و الاستهزاء، كأن الصلاة قد دفعت شعيب لهدم دين القوم أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا أى هل الصلاة تأمر أن نترك التطفيف. و من المعلوم أن فى الكلام حذفا تقديره: «أ صلاتك تكلّفك أن تأمرنا بترك عبادة الأصنام و ترك التطفيف فى المكيال و الميزان» إِنَّكَ يا شعيب لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ قالوا ذلك على وجه الاستهزاء، فإن الداعى الذى لا قوة له و لا طول كثيرا ما يظهر فى مظهر الحليم ذى الرشد الذى يكتم غضبه و أسفه فى مقابل الجهلة الذين لا يلبّون طلبه. و المراد: إنك مصطنع ذلك لاقتناص السيادة.

[۸۹] قالَ شعيب فى جواب استهزاء القوم: يا قَوْمِ أَ رَأَيْتُمْ أى أخبرونى إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ حجة واضحة على نبوتى و صدق ادعائى مِنْ رَبِّي أى من طرفه سبحانه وَ رَزَقَنِي مِنْهُ من عنده تعالى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۴۰

رِزْقاً حَسَناً بإعطائى النبوة و التوسعة علىّ فى معاشى. و الجواب محذوف، أى: هل يسعنى أن أترك عبادته و طاعته أو أخون وحيه فلا أبلغه و لا- أؤديه؟! وَ ما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ عملا إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ بأن أرتكب القبائح التى أنهاكم عنها، فأريد أن تتركوها و أعملها أنا.

و لعلّه إنما تكلم بهذا، لما يرى المصلحون- غالبا- أنهم يفعلون ما ينهون الناس عنه، و إنما يريدون أن يتنازل الناس عن قسم من شهواتهم ليأتوها هم إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ أى ما أريد من دعوتى إلا الإصلاح لكم عن المفاسد مَا اسْتَطَعْتُ أى على قدر استطاعتى.

قال بعض المفسرين: إن

قوله عليه السّلام «إن كنت على بينة»

إشارة إلى حق الله، و قوله «ما أريد» إشارة إلى حق النفس، و قوله «إن أريد» إشارة إلى حق المجتمع.

وَ ما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ «التوفيق» مصدر «وفق» أى: تجمّع الأسباب لدى الإنسان، و صيرورة بعضها وفق بعض لأخذ النتيجة.

و غالبا تستعمل هذه اللفظة فى التوفيق للأمور الحسنة و إن كان معناها اللغوى أعم، فإن توفيقى فى الكف عن القبائح و الإطاعة، و القيام بالدعوة إنما هو من عند الله سبحانه فإنه هو الذى أرشدنى و هيأ لى أسباب ذلك عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ و التوكل على الله: الرضا بتدبيره، و اتخاذه ظهرا فى الأمور بالالتجاء و التضرّع إليه وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ أى أرجع فى أمورى كلها إليه، فكما أن الإنسان إذا كان له ظهر و ركن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۴۱

[سورة هود (۱۱): الآيات ۸۹ الى ۹۱]

وَ يا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صالِحٍ وَ ما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (۸۹) وَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (۹۰) قالُوا يا شُعَيْبُ ما نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَ إِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً وَ لَوْ لا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ وَ ما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ (۹۱)

يلجأ إليه ليستمد منه القوة فى نوائبه، كذلك من اتخذ الله ظهيرا رجع إليه فى حوائجه بالتوسل إليه لقضاء حوائجه.

[۹۰] ثم أخذ شعيب ينصح القوم و يذكرهم بمصارع الأقوام السابقة الذين خالفوا النبيين فأهلكوا وَ يا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي أى لا يحملنّكم الخلاف معى و العناد و اللجاج أَنْ يُصِيبَكُمْ العذاب، فعنادكم يلجئكم إلى الكفر و التمادى فى الغىّ حتى يصيبكم العذاب مِثْلُ ما أَصابَ قَوْمَ نُوحٍ من الغرق أَوْ قَوْمَ هُودٍ من الريح الصرصر أَوْ قَوْمَ صالِحٍ من الرجفة وَ ما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ فإنهم أهلكوا فى عهد قريب، خالفوا الرسول و تمادوا فى الفساد، فإن لم تعتبروا بالمتقدمين، فاعتبروا بهؤلاء القريبين منكم.

[۹۱] وَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ اطلبوا غفرانه لما سلف منكم من الكفر و المعاصى ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ أى ارجعوا إليه فى عقيدتكم و أعمالكم،

فالاستغفار لما مضى، و التوبة لما يأتى إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ بكم، فإذا فعلتم ما ذكرته رحمكم و تلطّف بكم وَدُودٌ أى محبّ لكم، و معنى ذلك أنه يفعل بهم ما يفعل المحب بمحبّه.

[۹۲] قالُوا أى قال القوم بعد أن وعظهم شعيب بتلك الموعظة البالغة:

يا شُعَيْبُ ما نَفْقَهُ أى ما نفهم، فإن «الفقه» فى اللغة بمعنى «الفهم»

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۴۲

[سورة هود (۱۱): الآيات ۹۲ الى ۹۳]

قالَ يا قَوْمِ أَ رَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ اتَّخَذْتُمُوهُ وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (۹۲) وَ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنِّي عامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَ مَنْ هُوَ كاذِبٌ وَ ارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (۹۳)

كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ و هذا كلام المعاند فإنه يقول مثل ذلك و يريد أنه معرض عن كلام المتكلم، فقد أقيم السبب مقام المسبب لأن عدم العمل معلول لعدم العلم وَ إِنَّا لَنَراكَ فِينا ضَعِيفاً لا قوة لك و لا عزة، فلا تتمكن من دفع أذانا لو أردنا إيذاءك وَ لَوْ لا وجود رَهْطُكَ أى عشيرتك، و حرمتهم عندنا لَرَجَمْناكَ أى لقتلناك بالحجارة وَ ما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ أى لا عزّة لك عندنا. و كأن الإتيان بلفظ «علينا» لأجل أن العزيز فوق الناس مرتبة و مقاما.

[۹۳] قالَ شعيب عليه السّلام: يا قَوْمِ أَ رَهْطِي أى هل عشيرتى و قومى أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ فتتركون إيذائى لأجل حرمة عشيرتى، و لا تتركون إيذائى لأجل الله سبحانه، أى تراقبون العشيرة و لا تراقبون إله العشيرة و خالق الجميع. قال هذا الكلام على نحو الاستفهام الإنكارى وَ اتَّخَذْتُمُوهُ جعلتم الله سبحانه وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا جعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء ظهوركم، و معنى «الظهرى» جعل الشيء وراء الظهر حتى ينسى إِنَّ رَبِّي بِما تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ قد أحاط علمه بأعمالكم، فلا يخفى عليه شيء تصنعونه، فيجازيكم عليه.

[۹۴] وَ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ أى على المكانة التى أنتم عليها من الكفر و العصيان، فإن «المكانة» هى الحالة التى يتمكن بها صاحبها من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۴۳

[سورة هود (۱۱): آية ۹۴]

وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ (۹۴)

العمل. و هذا تهديد يريد: أنكم سترون جزاء أعمالكم السيئة إِنِّي عامِلٌ حسب أمر الله سبحانه و لا أ تزحزح عن أوامره، فهذا كقوله: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ) «۱»، سَوْفَ تَعْلَمُونَ فى الدنيا مَنْ منّا يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ يهينه و يفضحه، هل أنتم أم أنا؟ فيتبيّن من هو الصادق وَ مَنْ هُوَ كاذِبٌ منّا وَ ارْتَقِبُوا انتظروا ما وعدكم ربكم من العذاب إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ و إنى أيضا أنتظر و أرتقب ما وعدتكم أن يأتيكم، ليدلّ على صدقى و صحة رسالتى.

[۹۵] و هكذا بقى القوم فى الغىّ و تمادوا فى الكفر و العصيان، و لم تنفعهم نصائح شعيب عليه السّلام حتى جاءهم العذاب وَ لَمَّا جاءَ أَمْرُنا بعذابهم نَجَّيْنا شُعَيْباً وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا حيث رحمناهم فلم يشملهم العذاب، و إن كان المؤمنون به مستحقين للعذاب أيضا لما تقدم أن كل إنسان- غير معصوم- لا بد و أن يصدر منه ذنب يستحق العقاب به فتكون نجاة كل فرد برحمته سبحانه.

قال فى تفسير الصافى: و إنما ذكر هنا و فى قصة عاد ب «الواو» أى «و لما»، و فى قصتى صالح و هود ب «الفاء» أى «فلما»، لسبق ذكر وعد يجرى مجرى السبب فى قصتى صالح و هود دون الآخرين. انتهى «۲».

---

(۱) الكافرون: ۷.

(۲) تفسير الصافى: ج ۲ ص ۴۷۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۶۴۴

[سورة هود (۱۱): الآيات ۹۵ الى ۹۶]

كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ (۹۵) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ (۹۶)

و احتمل بعض أن يكون قوله: «برحمة منّا» لأجل أن نجاتهم كانت بسبب هداية الله لهم و ألطافه الخفية الموجبة لخروجهم عن حظيرة الكفار.

وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فقد صاح بهم جبرائيل عليه السّلام صيحة شديدة زهقت روح كل واحد منهم فى مكانه فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ من «جثم» فى المكان إذا أقام فيه، أى ماتوا و هم فى ديارهم، و لم يتمكنوا من الحراك أصلا.

[۹۶] كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها من «غنى فى المكان» إذا أقام فيه، أى كأنهم لم يكونوا بتلك الديار، فقد ذهبت آثارهم، و عفت رسومهم أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ فلينتبه السامع إلى طرد قبيلة مدين من رحمة الله و لطفه كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ و لعلّ ذكر ثمود هنا لأن كلتا الأمتين ماتتا بالصيحة.

و ربما احتمل أن المراد ب «الصيحة» نوع من العذاب، تقول العرب:

«صاح الزمان بهم» إذا أهلكوا.

[۹۷] ثم يحكى القرآن الحكيم القصة السابقة فى هذه السورة و هى قصة موسى عليه السّلام و فرعون وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا أى مع الأدلة الدالة على كونه من طرفنا، و هى الثعبان و اليد البيضاء و غيرهما وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ أى حجة واضحة عقلية على أن للكون إلها، و أن فرعون ليس بإله للناس.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۶۴۵

[سورة هود (۱۱): الآيات ۹۷ الى ۹۹]

إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ ما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (۹۷) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (۹۸) وَ أُتْبِعُوا فِي هذِهِ لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (۹۹)

[۹۸] إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إما المراد: الأشراف منهم، و تخصيص الذكر بهم لأنهم إذا أذعنوا أذعن الناس كلهم، أو المراد بالملإ: قومه كلهم فَاتَّبَعُوا أى اتبع الملأ أَمْرَ فِرْعَوْنَ فى اتخاذه إلها و الإعراض عن موسى و حججه وَ ما أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ أى ما هو هاد لهم إلى الرشد. و هو خلاف «السفه» فإن أمره غير مرشد و غير صحيح، بل فيه ضلالة و سفاهة.

[۹۹] و كيف يكون أمره رشيدا، و الحال أنه و أتباعه يصيرون إلى النار؟! و هل الرشد ما يسبب الهلاك و العقاب؟! يَقْدُمُ فرعون قَوْمَهُ يتقدم عليهم و يمشى بين أيديهم يَوْمَ الْقِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ جميعا، ففى الدنيا كان يهديهم إلى النار، و فى الآخرة يدخلهم فيها وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ «الورد» ورد الماء الذى يورد، أى: بئس الماء الذى يردونه عطشى، فإنه نار يردونها، فقد شبه هؤلاء بأهل الجنة حيث يردون المياه الجارية و أنهار من لبن و عسل و خمر، و هؤلاء فى مقابل أولئك يردون النار و يسقون من الحميم.

قال بعض المفسرين: أوردهم كما يورد الراعى قطيع الغنم، ألم يكونوا قطيعا يسير بدون تفكير؟

[۱۰۰] وَ أُتْبِعُوا ألحقوا فِي هذِهِ الدنيا لَعْنَةً إما بالغرق، و إما بأن الناس يلعنونهم، فكانت نتيجة اتّباعهم لفرعون أن تبعتهم اللعنة وَ يَوْمَ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۶۴۶

[سورة هود (۱۱): الآيات ۱۰۰ الى ۱۰۱]

ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ الْقُرى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْها قائِمٌ وَ حَصِيدٌ (۱۰۰) وَ ما ظَلَمْناهُمْ وَ لكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ ما زادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (۱۰۱)

الْقِيامَةِ يتبعون باللعنات و العذاب بِئْسَ الرِّفْدُ أى العطاء الْمَرْفُودُ المعطى لهم ذلك العذاب و اللعنة، إن هذا كان عطاء فرعون لقومه،

لهم النار و اللعنة، و هذا هو عاقبة من تخلّف عن الحق و اتبع الباطل.

[١٠١] ثم بيّن سبحانه الغرض الذى سيق من أجله تلك القصص، و جعله كخاتمة للفصول المتقدمة ذلِكَ الذى ذكرناه فيما تقدم من هذه السورة مِنْ أَنْباءِ الْقُرى أى أخبار البلاد السابقة و الأمم الخالية نَقُصُّهُ عَلَيْكَ و نخبره لك ليكون لك سلوة و ذكرى مِنْها أى من تلك القرى قائِمٌ باق إلى الآن، فإن بعض البلاد بقيت و إن هلك أهلها، كمصر وَ حَصِيدٌ أى منها حصيد قد حصد و عفا أثره، كقرى قوم لوط عليه السّلام.

[١٠٢] وَ ما ظَلَمْناهُمْ أى نحن لم نظلم الذين هلكوا وَ لكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بالكفر و العصيان و هما سببين للهلاك و النكال فَما أَغْنَتْ عَنْهُمْ أى لم تنفعهم و لم تفدهم آلِهَتُهُمُ أصنامهم البشرية، كفرعون، و الحجرية، كالأوثان التى كانوا يعبدونها و الَّتِي كانوا يَدْعُونَ ها مِنْ دُونِ اللَّهِ و يتخذونها أربابا مِنْ شَيْءٍ متعلق به «ما أغنت عنهم» أى لم تنفعهم شيئا فى دفع العذاب عنهم لَمَّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ بإهلاكهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٦٤٧

[سورة هود (١١): الآيات ١٠٢ الى ١٠٣]

وَ كَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَ هِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خافَ عَذابَ الْآخِرَةِ ذلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣)

و نزول العذاب عليهم وَ ما زادُوهُمْ ما زادتهم تلك الآلهة غَيْرَ تَتْبِيبٍ من «التباب» أى الخسارة، أى أن الآلهة زادتهم خسارة على خسارتهم، فإنهم لو لم يكونوا يعبدونها، بل كانوا مجرد عاصين لم يزد فى عذابهم، فقد جاء من قبل تلك الآلهة زيادة فى عذابهم و نكالهم، و إنما قال: «زادوهم» بضمير العاقل، لأن الكفار كانوا يعتبرونها عاقلة، فجرى الكلام حسب اعتقادهم.

[١٠٣] وَ كَذلِكَ الذى بيّناه سابقا و أوضحناه أَخْذُ رَبِّكَ و هلاكه إِذا أَخَذَ الْقُرى وَ هِيَ ظالِمَةٌ أى أهلكهم و عذبهم، فقد شبّه الإهلاك بالأخذ، فكما أن الأخذ لا يتمكن المأخوذ من الإفلات منه كذلك الذين عذبهم سبحانه لا يتمكنون من النجاة.

روى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: «إن الله تعالى يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ الآية»

«١». إِنَّ أَخْذَهُ للظالم أَلِيمٌ مؤلم موجع شَدِيدٌ فلا يمكن الإفلات منه.

[١٠٤] إِنَّ فِي ذلِكَ الذى تقدم من أحوال الأمم التى كفرت و عصت الرسل لَآيَةً دليل على بطش الله سبحانه لمن طغى و تكبر لِمَنْ خافَ عَذابَ الْآخِرَةِ أى لمن آمن لعلمه بأنه أنموذج من ذلك العذاب المهول، فإن ذلك الأخذ الأليم الشديد مشابه لعذاب الآخرة لمن

---

(١) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٣٣٥.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٦٤٨

[سورة هود (١١): الآيات ١٠٤ الى ١٠٥]

وَ ما نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ (١٠٥)

اعتقد بها ذلِكَ اليوم يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ يجمعون كلهم للحساب و الجزاء وَ ذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ليشهده الخلائق كلهم من الجن و الإنس، و فى محضرهم يجرى الحساب و الجزاء.

[١٠٥] وَ ما نُؤَخِّرُهُ ما نؤخر يوم القيامة إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ أى أمد معدودة أيامه، فإذا انتهى ذلك الأمد أظهرناه للوجود، و اللام فى «لأجل» لام العلة، أى لغرض تمام الأجل و انتهائه.

[١٠٦] يَوْمَ يَأْتِ حين يأتى يوم القيامة و الجزاء لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ لا يتكلم أحد مع أحد إلا بإجازة الله سبحانه، فقد شمل يوم

القیامة صمت رهیب، فإن الإنسان إذا خاف و وجل لم یتکلم حیث یسود الخوف و الرهبة. و لعل فی الإتیان بصیغة المجهول- بناء علی ذلک- للإشارة إلی أن الناس هناک کالمساجین الذین لا یحق لأحد أن یکلمهم، و فیه دلالة بلیغة علی الخوف السائد و الرهبة المخیمة علی الناس حتی أن سماع الکلام لا- یجوز إلا بإذن خاص، و لا یخفی أن هذا لا ینافی تکلم بعضهم مع بعض فی مواقف مختلفة لأن ذلک بالإذن، و هل الإذن کالإذن هناک، أو المراد به الإذن التکوینی برفع الأبهة؟ احتمالان.

فَمِنْهُمْ أی من الناس شَقِيٌّ قد شقی بسبب الأعمال الفاسدة و العقائد الکاسدة وَ منهم سَعِيدٌ سعد و فاز بعقیدته الصحیحة

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۴۹

[سورة هود (۱۱): الآیات ۱۰۶ الی ۱۰۷]

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ (۱۰۶) خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ (۱۰۷)

و عمله الصالح.

[۱۰۷] فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا و هم الذین ترکوا الفطرة الأصلیة بسبب و وساوس الشیاطین و النفس الأمارة فَفِي النَّارِ تلک محلّهم و مسکنهم لَهُمْ فِيها أی فی النار زَفِيرٌ هو إخراج النفس وَ شَهِيقٌ و هو إدخال النفس. قالوا: «الزفیر» أول نهیق الحمار، و «الشهیق» آخر نهیقه، و هما من أصوات المکروبین المحزونین، و «الزفیر» من شدید الأنین و قبحه، بمنزلة إبقاء صوت الحمار، و «الشهیق» الأنین الشدید المرتفع جدا بمنزلة آخر صوت الحمار.

[۱۰۸] خالِدِينَ فِيها أی دائمین أبدا فی النار ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أی ما بقیت جهة العلو و جهة السفل، فإن اللفظین یطلقان علی الجهتین إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ فإن بعض أهل النار یخرجون منها بإدراکهم الشفاعة أو استیفاء عقابهم لأنهم کانوا أهل معاصی، أو کانوا کفارا عصاة، لکن لم تتم الحجة علیهم بما یوجب الخلود، و إنما کانت الحجة علیهم بقدر دخولهم النار کما لو خالفوا بعض الأوامر الثابتة عندهم أنها من قبله سبحانه، بقتل نفس محترمة، أو سلب مال أو ما أشبه. و لا یلازم خروجهم من النار دخولهم فی الجنة، إذ هناک أماکن أخری معدة للناس کالأعراف. فلا یقال: کیف یدخل الکافر الجنة؟

إِنَّ رَبَّكَ یا رسول الله فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ لا یمنعه عن إرادته مانع و لا یقف دون مشیئته شیء. و لعلّ الإتیان بصیغة المبالغة «فعّال»

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۵۰

تقریب القرآن إلی الأذهان ج۲ ۶۹۹

[سورة هود (۱۱): الآیات ۱۰۸ الی ۱۰۹]

وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاَّ ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (۱۰۸) فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هؤُلاءِ ما يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَما يَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (۱۰۹)

باعتبار العموم فی ما یرید، أی یفعل کل ما یریده، فإذا أراد خلود الکفار خلدوا، و إذا أراد نجاة بعض العاصین نجوا.

[۱۰۹] وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا بالطاعة و العمل الصالح فَفِي الْجَنَّةِ لهم مستقر و مأوی خالِدِينَ فِيها أبد الآبدین لا یزولون عنها و لا تزول عنهم ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أی ما بقیت جهتا العلو و السفل، فإن العرب تقول لما أطلها: «سماء»، و لما أقلها: «أرض» إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ هذا الاستثناء لإفادة أن الأمر لم یخرج عن إرادة الله سبحانه، فلیس الخلود جبرا علیهم فإذا شاء إخراجهم من الجنة أمکنه ذلک و إن لم یفعل، أو الاستثناء باعتبار الأول یعنی أن السعید فی الجنة إلا المقدار الذی هو فی المحشر أو فی النار- ابتداء- لما صدر منه من بعض الأعمال السیئة، فلیس فی ذلک الوقت فی الجنة لأن الله لم یشأ کونه فیها، و إذ کان الکلام موهما لانقطاع الخلود جاء التأکد لذلک بقوله سبحانه: عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ أی غیر مقطوع، و «عطاء» منصوب بما فهم من الجملة، أی أعطاهم الجنة عطاء دائما.

[۱۱۰] إن الأقوام الذین کذبوا الرسل حق علیهم العقاب فی الدنیا و حق علیهم العقاب فی الآخرة، کما استعرض کل من العقابین فی

قصصهم السابقة، و إذ قد علمت یا رسول الله ذلک فَلا تَکُ فِی مِرْیَةٍ أی فی شک، فإن «المریة» بمعنی الشک مِمَّا یَعْبُدُ هؤُلاءِ الکفار، من الأصنام المنحوتة، فإن مصیر الجمیع إلی النار و الهلاک ما یَعْبُدُونَ إِلَّا

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۵۱

[سورة هود (۱۱): آیة ۱۱۰]

وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ فَاخْتُلِفَ فِیهِ وَ لَوْ لا کَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ لَقُضِیَ بَیْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ مُرِیبٍ (۱۱۰)

کَما یَعْبُدُ آباؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ فلیس لهم حجة فی عبادتهم إلا التقلید للآباء عن جهالة و ضلالة، فلیست لهم حاجة فی عبادتهم لدلیل أو منطق. و من المعلوم أن الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لم یکن یشک فی أمرهم، و إنما جری الکلام من باب «إیاک أعنی و اسمعی یا جارة» وَ إِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِیبَهُمْ أی معطوهم جزاء أعمالهم و عقاب أفعالهم وافیا غَیْرَ مَنْقُوصٍ لا ینقص من عقابهم شیء.

[۱۱۱] وَ شأن هؤلاء شأن من سبقهم من الأمم فلقد آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ أعطیناه التوراة فَاخْتُلِفَ فِیهِ أی فی موسی، هل هو نبی أم لا؟ أو اختلف فی الکتاب، هل هو من عند الله أم لا؟ و علی کل حال، فقد اختلفوا فی الحق کما اختلف قومک یا رسول الله وَ لَوْ لا کَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّکَ حسب ما قدّر من المصالح، بأن یکون لکل أمة أجل لا یتقدم و لا یتأخر لَقُضِیَ بَیْنَهُمْ لحکم سبحانه بین المؤمنین و الکافرین بنجاة المؤمنین و إعطائهم الأجر، و هلاک الکفار و خزیهم، لکنه سبحانه حکم و قضی أن تکون الدنیا دار مهلة و اختبار، و لذا یترک کلّا و شأنه یعمل ما یشاء وَ إِنَّهُمْ أی الکافرین لَفِی شَکٍّ فإنهم ما کانوا یتیقنون بکذب دعوی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، مِنْهُ أی من وعد اللّه، أو من الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، أو من الکتاب مُرِیبٍ موجب للریب، فان الإنسان قد لا یعتنی فلا یکون الشک موجبا للریب و قد یعتنی به حتی یوقعه فی الریب حقیقة.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۵۲

[سورة هود (۱۱): الآیات ۱۱۱ الی ۱۱۲]

وَ إِنَّ کُلًّا لَمَّا لَیُوَفِّیَنَّهُمْ رَبُّکَ أَعْمالَهُمْ إِنَّهُ بِما یَعْمَلُونَ خَبِیرٌ (۱۱۱) فَاسْتَقِمْ کَما أُمِرْتَ وَ مَنْ تابَ مَعَکَ وَ لا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ (۱۱۲)

[۱۱۲] وَ إِنَّ کُلًّا «إن» مخففة من الثقیلة، أو نافیة، و علی الأول أصل «لما»: «ل من ما» أی «لمن الذین»، فأبدلت النون میما و اجتمعت ثلاث میمات فحذفت إحداهن، فیکون المعنی: و إن کل طائفة من الفریقین- المؤمنین و الجاحدین- لمن الذین یعطیهم الله أجورهم. و علی الثانی یکون «لمّا» بمعنی «إلا» أی: «ما کل طائفة إلا لیعطیهم الله أجورهم» لَمَّا لَیُوَفِّیَنَّهُمْ رَبُّکَ أَعْمالَهُمْ أی یعطیهم ربک جزاء أعمالهم إن خیرا فخیر و إن شرا فشر إِنَّهُ سبحانه بِما یَعْمَلُونَ خَبِیرٌ فلا یفوته شیء من أعمالهم، بل یعلم کل عمل و یعطی جزاءه.

[۱۱۳] فَاسْتَقِمْ یا رسول الله کَما أُمِرْتَ بالتبلیغ و الإنذار، و لا یزحزحک إنکار المنکرین و جحود الجاحدین وَ لیستقم مَنْ تابَ و رجع إلی الله سبحانه بعد الکفر و العصیان مَعَکَ فإن الکافر و العاصی کأنهما ذاهبان عن الله سبحانه إلی غیره، فإذا آمن الکافر، و استغفر العاصی، کانا تائبین راجعین إلیه سبحانه. و تقدیر «لیستقم» إنما هو بقرینة «استقم» نحو: «نحن بما عندنا و أنت بما عندک راض» أی: نحن بما عندنا راضون.

وَ لا تَطْغَوْا أی لا تجاوزوا أوامر الله سبحانه، بالزیادة أو النقصان، فإن «الطغیان» تجاوز الحد، یقال: «طغی الماء» إذا تجاوز حده. و الخطاب للناس، المفهوم من قوله «من تاب» إِنَّهُ تعالی بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ فیبصر و یری طغیان الطاغین و استقامة

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۵۳

[سورة هود (۱۱): آیة ۱۱۳]

وَ لا تَرْکَنُوا إِلَی الَّذِینَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّکُمُ النَّارُ وَ ما لَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِیاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ (۱۱۳)

المستقیمین، فیجازی کلّ حسب عمله.

فى تفسير «الصافى»: قال ابن عباس: ما نزلت آيـة كان أشق على رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من هـذه الآيـة، و لهـذا قال: «شيبتنى هود و الواقعة و أخواتها» «١».

و عن بعضهم قال: رأيت رسول الله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى النوم، فقلت: روى عنك أنك قلت:

«شيبتنى هود»

فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «نعم»، فقلت: ما الـذى شيّبك منها، أ قصص الأنبياء و هلاك الأمم؟ قال: لا، و لكن قوله تعالى: «فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ» «٢».

[١١۴] و إذ أمر سبحانه المؤمنين بالاستقامة، نهاهم عن الانحراف بالركون إلى الظالمين فإن كل انحراف عن الاستقامة ركون إلى الظالم الـذى نهج ذلك المنهج المنحرف وَ لا تَرْكَنُوا و «الركون» هو الاعتماد و الميل و السكون إلى شخص أو جهة أو نحوها إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فى عقيدة أو عمل أو غيرهما فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ و تأخذكم. و التعبير ب «المس» لعله لإفادة أن مس النار يقتضى الحذر منه فكيف بما فوقه وَ ما لَكُمْ أيها المؤمنون مِنْ دُونِ اللَّهِ أى سوى الله سبحانه مِنْ أَوْلِياءَ ينصرونكم فى الدنيا و الآخرة، فإن الله هو وليكم ثُمَ إن ركنتم إلى الظالمين لا تُنْصَرُونَ إذ الله سبحانه يقطع نصره عنكم، و الكافرون-

---

(١) وسائل الشيعة: ج ۶ ص ١٧٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١١ ص ٢١٣.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۶۵۴

[سورة هود (١١): آية ١١۴]

وَ أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ (١١۴)

بما انطووا عليه من عدائكم- لا ينصرونكم، و قد جرب المسلمون ذلك، فإنهم من يوم ركنوا إلى الكافرين أخذ أمرهم فى الانحطاط إلى هذا اليوم، حتى يرجعوا عما اقترفوا، فينصرهم الله سبحانه.

[١١۵] و بمناسبة لزوم الاستقامة يأتى السياق لبيان وجوب الصلاة، فإنها أحسن وسيلة للاستقامة، إذ هى تحتاج إلى يقظة دائمة فى النفس و ملكة راسخة تحفظ الإنسان طيلة العمر عن الانحراف، و هذه اليقظة و الملكة لا تكون إلا بالتذكير الدائم الحاصل من إقامة الصلاة صباحا و عصرا و ليلا وَ أَقِمِ الصَّلاةَ يا رسول الله، أو كل من يأتى منه ذلك طَرَفَيِ النَّهارِ صباحا و عصرا، فإن صلاة الصبح فى الطرف الأول من النهار، و صلاة الظهرين فى الطرف الآخر منه وَ زُلَفاً جمع «زلفة» و هى المنزلة، مثل «غرف جمع غرفة»، و هى أول ساعات الليل، كأن كل ساعة منزلة من منازل الليل مِنَ اللَّيْلِ و هى صلاة المغرب و العشاء «١».

و هذا هو المفهوم من

رواية النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن: «طرفى النهار» الغداة، «وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ» هى صلاة العشاء.

أقول: فعلى هذا تكون الآية ساكتة عن الظهرين، و لعلّ ذلك لصعوبة الثلاثة الأول دونهما.

إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ فإن الحسنة تكفّر السيئة

---

(١) تفسير القمى: ج ١ ص ٣٣٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۶۵۵

[سورة هود (١١): الآيات ١١۵ الى ١١۶]

وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١۵) فَلَوْ لا كانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ

أَنْجَيْنا مِنْهُمْ وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ وَ كانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦)

و تمحقها، و من الحسنات «الصلوات الخمس» فإنها تمحق الذنوب و تمحيها.

و قد روى ذلك عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، كما روى عن الإمام المرتضى عليه السّلام أنه قال: «إن الله يكفر بكل حسنة سيئة. ثم تلا هذه الآية» «١».

ذلِكَ الذى تقدم من قوله «استقم» ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ أى فيه تذكرة و موعظة لمن أراد التذكّر و التفكّر.

[١١٦] وَ اصْبِرْ يا رسول الله على الاستقامة، أو على الصلاة، أو مطلقا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ و الصابر من أفضل أقسام المحسنين، و الصبر على ثلاثة أقسام: صبر على البلاء، و صبر على الطاعة، و صبر على الأحوال، بأن لا يبطر الإنسان عند الرخاء و لا يجزع عند البلاء.

[١١٧] إن دعاة الإصلاح الذين يتمكنون من تغيير الواقع السيئ هم الذين يبقون على الأمم من الانهيار و الدمار فإذا خلت أمة منهم انهارت و اضمحلت، كما أن المرضى يحتاجون إلى أطباء يتمكنون من علاجهم. أما إذا كان هناك مرضى بلا طبيب أو كان هناك طبيب لكن لم يتمكن من تنفيذ أوامره و علاج مرضاه فإن عاقبتهم الموت و الهلاك.

و هكذا جرت سنة الله فى الأمم سابقها و لا حقها فحيث إن الأمم السابقة لم ينفذ فيهم دعاة الإصلاح لقساوة قلوبهم عذّبوا. و هكذا يذكّر

(١) بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٣١٩.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٦٥٦

[سورة هود (١١): آية ١١٧]

وَ ما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَ أَهْلُها مُصْلِحُونَ (١١٧)

الله سبحانه بهذه الحقيقة حتى يأخذ الناس حذرهم، و يعلموا أنهم إن لم يصلحوا انهاروا و استحقوا العذاب.

فَلَوْ لا أى فهلّا، تقريع و ذم كانَ مِنَ الْقُرُونِ جمع قرن و هو الجيل، أى من الأجيال السابقة التى كانت مِنْ قَبْلِكُمْ أيها المسلمون أُولُوا بَقِيَّةٍ أصحاب بقايا فضل و عقل و تدبر، فكأنهم كلهم كانوا أحداثا، لا بقية عقل و حنكة و حكمة فيهم حتى يتدبروا و يتفكروا و يعتبروا بالماضين يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسادِ فِي الْأَرْضِ فإنه كان من اللازم أن يكون فيهم جمع هذه صفتهم حتى ينقذوا الأمم و القرون من الهلاك إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنا مِنْهُمْ من أنبيائهم و بعض المؤمنين بهم، مما لم يكن يكفى لدفع العذاب عنهم، فإن الطبيب و لو كان من أحذق الأطباء لكنه إذا لم يجد آذانا صاغية من المرضى و الممرضين لم يكن لأمره نفع فى إنقاذ المرضى، إن القليل الذين كانوا ينهون قد أنجيناهم، أما سائر الجيل فقد أهلكوا بفسادهم و عصيانهم وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا و عصوا ما أُتْرِفُوا فِيهِ أى اتبعوا ترفهم و شهواتهم، فى مقابل المؤمنين الذين اتبعوا أوامر الله سبحانه و مناهج الأنبياء وَ كانُوا مُجْرِمِينَ ذوى إجرام و عصيان، و لذا أهلكوا بسبب أعمالهم الفاسدة.

[١١٨] وَ ما كانَ رَبُّكَ يا رسول الله لِيُهْلِكَ الْقُرى السابقة، أى يهلك

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٦٥٧

[سورة هود (١١): الآيات ١١٨ الى ١١٩]

وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)

أهل القرى بِظُلْمٍ منه لهم وَ الحال أن أَهْلُها مُصْلِحُونَ يصلحون أنفسهم و مجتمعهم باجتناب المعاصى و النهى عن المنكر، و إنما

أهلكهم بالعدل حين كان أهلها مجرمين مفسدين.

[١١٩] إن الدنيا دار اختبار و امتحان ليجزى كل حسب عمله و لذا ترك الله سبحانه الأمم و ما يختارون بعد أن بيّن لهم الرشد من الغى وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ يا رسول الله لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً بإلجاء الجميع إلى الإيمان و العمل الصالح، لكنه لا يشاء ذلك لئلا يبطل الثواب و العقاب وَ لكن لا يَزالُونَ الناس مُخْتَلِفِينَ بعضهم كافر و بعضهم مؤمن، و بعضهم مطيع و بعضهم عاص، و ذلك بأن شاء الله اختيارهم و قدرتهم.

[١٢٠] إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ من المؤمنين فإنهم لا يختلفون و يجتمعون على الحق. و المراد ب «الرحمة» الألطاف الخفية، بعد هداية الجميع إلى الطريق و إرشادهم، فمن قبل و آمن لطف به اللطف الخفى الزائد، و من أعرض تركه و غيّه، كما أن الأب إذا أعطى أولاده رؤوس الأموال ليتّجروا بها فأعرض بعض و أقبل بعض، لطف بالمقبل كثيرا و أخذ بيده، أما المعرض فهو يخذله و يتركه ليفعل ما يشاء وَ لِذلِكَ أى للرحمة خَلَقَهُمْ فقد خلقهم الله سبحانه حتى يرحمهم، لكن قسما منهم أبوا و تخلّفوا و عصوا، كما أن من أسس مدرسة إنما يؤسسها لتعليم الناس و هدايتهم، فإذا أعرض البعض كان

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٦٥٨

[سورة هود (١١): الآيات ١٢٠ الى ١٢١]

وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَ جاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَ قُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ إِنَّا عامِلُونَ (١٢١)

من عنده، لا من عند من أسس المدرسة وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ أى انتهت فلا مبدل لها، و الكلمة هى: لَأَمْلَأَنَّ من «ملأ» بمعنى: إدخال الشيء فى الظرف حتى يمتلئ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ بسبب كفرهم و عصيانهم، و إنما ذكر هذا الطرف من الناس لأن الكلام حول العصاة و الكفار، و الذين أهلكوا بسبب مخالفتهم للأنبياء.

[١٢١] وَ كُلًّا أى كلّا من هذه القصص المتقدمة نَقُصُّ عَلَيْكَ و نخبرك مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ أخبارهم، كيف بلغوا، و كيف وقف قومهم ضدهم و آذوهم؟ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ أى نقوّى به قلبك، حتى إذا رأيت إعراضا و أذى من قومك، لم يسبب ذلك يأسك عن البلاغ. و ليس معنى ذلك أنه لم يكن للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثبات، و إنما استمرار الثبات هو بيد الله سبحانه وَ جاءَكَ يا رسول الله فِي هذِهِ القصص السالفة الْحَقُّ فكل ما حكى كان حقا مطابقا للواقع وَ جاءتك فى هذه مَوْعِظَةٌ تعظ بها الجاهلين و تبعد بها الناس عن المعاصى وَ ذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ تذكّرهم بالله و بآياته و بالآخرة.

[١٢٢] وَ قُلْ يا رسول الله لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ من الكافرين اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ أى على حالتكم التى أنتم عليها، و هذا تهديد لهم،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ٦٥٩

[سورة هود (١١): الآيات ١٢٢ الى ١٢٣]

وَ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٢) وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)

كقوله: (اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ) «١»، إِنَّا عامِلُونَ على منهجنا، حتى نرى ما يصنع الله بكم و بنا.

[١٢٣] وَ انْتَظِرُوا أى توقعوا عقاب الله و عذابه إِنَّا مُنْتَظِرُونَ فضله و رضوانه، أو المعنى: نحن و أنتم ننتظر نتائج الأعمال، و هل نحن كنا على باطل أم أنتم؟.

[١٢٤] إن ما يأتى غيب و سينكشف الغيب و يظهر المجهول وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فكلّ ما غاب عن الحواس، أو غاب عن الوجود- بأن لم يوجد بعد- سواء كان فى السماوات أو فى الأرض، إنه لله وحده فهو العالم به و هو القادر على إيجاده أو إظهاره وَ إِلَيْهِ أى إلى الله تعالى يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فكل الأمور مرجعها إليه فى الدنيا و فى الآخرة، فهو الفاصل فى القضايا التكوينية و التشريعية،

حتى أنه إذا لم يشأ شيئا لم ينفع فيه إرادة الجن و الإنس فَاعْبُدْهُ يا رسول الله وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ اجعله وكيلا عنك و ناصرا لك، فإن من يعلم الغيوب، و يكون مصير الأمور إليه، أحق بالعبادة و التوكل عليه، من سائر الأشياء وَ ما رَبُّكَ يا رسول الله بِغافِلٍ أو جاهل عَمَّا تَعْمَلُونَ من الخير و الشر، فمن أحسن فلنفسه، و من أساء فعليها.

---

(١) فصلت: ۴١.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۶۶٠

١٢ سورة يوسف مكية/ آياتها (١١٢)

سميت السورة باسم «يوسف» عليه السّلام، لاشتمالها على قصته و اسمه المبارك. و حيث كانت سورة «هود» مشتملة على قصص الأنبياء، كانت هذه السورة مكملة لتلك القصص، و أتت بقصة طريفة فى موضوعها، و هى تشمل المقصود العام من القرآن الحكيم من التوجيه نحو المبدأ و المعاد، و تطهير النفس من الرذائل، و ذكر الأحكام و التشريعات.

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ابتداء للكلام بسم الله، فالله هو الذات المستجمعة لجميع صفات الكمال، فهو أحق الأسماء بالاستعانة و الابتداء، و بمن يبتدأ الكلام، غيره؟ و لما ذا يبتدئ الإنسان بغيره؟

و هل يعطى الغير ما يتطلبه الإنسان؟ و هو الرحمن الذى يرحم الكل، و الرحيم الذى يتفضل على المؤمنين بأنواع خاصة من التفضّل.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۶۶١

[سورة يوسف (١٢): الآيات ١ الى ٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)

[٢] الر من جنس «ألف» و «لام» و «راء» أنشئ القرآن الحكيم، أو هى رموز بين الله و الرسول كالرموز التى بين رؤساء الحكومات و سفرائها، أو غير ذلك تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ فإن هذه الأحرف و ما من جنسها هى بعينها تلك الآيات البعيدة التى فوق الطاقة البشرية لا يتمكن الإنسان من الإتيان بمثلها لا لفظا و لا منهجا، و الكتاب مبيّن واضح لا لبس فيه و لا غموض و لا التواء.

[٣] و لقد شاء الله سبحانه أن ينزل هذا الكتاب بلغة العرب إِنَّا أَنْزَلْناهُ أنزلنا هذا الكتاب قُرْآناً عَرَبِيًّا و لماذا؟ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ و تفهمون، إذ هو بلغتكم، أو الخطاب فى «لعلكم» عام يشمل جميع البشر، إذ كون القرآن من مصدر عربى أقوى فى الدلالة على كونه من قبل الله سبحانه فإن الحضارة- عهد نزول القرآن- لم تكن إلا لفارس و الروم، أما عرب الجزيرة فلم يكونوا أهل تحضّر و علم من قراءة و كتابة، فإذا جاء بالقرآن رجل عربى يعيش بين أظهرهم، كان أدل على أنه من قبل الله سبحانه، مما لو كان منزلا على رجل رومى أو فارسى وسط الحضارة.

و قد ذكر المفسرون: أن نزول القرآن على رسول من الجزيرة يشتمل على أنواع من الفضل لم تكن توجد لو أنزل على طرفى العالم المتحضر يوم ذاك، فإن الجزيرة تعد وسط العالم تقريبا، و أنها كانت أحوج إلى الرشاد، و أن أهلها كانوا أقدر على حمل الرسالة، لبداوتهم و عدم تلوثهم بمفاسد الحضارة، و غير ذلك مما بيّنوه فى المفصلات.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۶۶٢

[سورة يوسف (١٢): الآيات ٣ الى ۴]

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ (٣) إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ (۴)

[۴] نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْکَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ و بالأخص قصة يوسف، فإنها قصة واقعية فيها أنواع من التذكرة و العظة، مشوقة حيث اشتملت على موضوع مثير بما أَوْحَيْنا إِلَيْکَ هذَا الْقُرْآنَ أى بسبب إيحائنا هذا القرآن قصصنا عليك هذه القصص فلو لا إيحاؤه لم تكن قصة وَ إِنْ کُنْتَ يا رسول الله مِنْ قَبْلِهِ قبل إيحاء القرآن إليك لَمِنَ الْغافِلِينَ الذين لا يعرفون شيئا من ذلك. و هذا لا ينافى الحديث المروى: «كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين»

«١» إذ لا ملازمة بين النبوة و بين علم كل شيء، فلقد كان نبيا لكنه لم يكن يعلم بعض الأشياء، أو كان وحى القرآن قبل ذلك لأنه إنما أوحى إلى النبى القرآن بعد البعثة فى الظاهر، و أما فى الحقيقة فقد كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يعلم القرآن قبل وحيه إليه.

؟ و قد ورد أن الإمام المرتضى عليه السّلام قرأ القرآن و هو طفل رضيع.

[۵] فاذكر يا رسول الله إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السّلام: يا أَبَتِ إِنِّی رَأَيْتُ فى المنام أَحَدَ عَشَرَ کَوْکَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِی ساجِدِينَ إنما أتى بالجمع العاقل لأن السجود من صفات العقلاء.

روى عن الباقر عليه السّلام فى تأويل هذه

---

(١) بحار الأنوار: ج ١۶ ص ۴٠٢. تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۶۶٣

[سورة يوسف (١٢): الآيات ۵ الى ۶]

قالَ يا بُنَیَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياکَ عَلى إِخْوَتِکَ فَيَکِيدُوا لَکَ کَيْداً إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (۵) وَ کَذلِکَ يَجْتَبِيکَ رَبُّکَ وَ يُعَلِّمُکَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْکَ وَ عَلى آلِ يَعْقُوبَ کَما أَتَمَّها عَلى أَبَوَيْکَ مِنْ قَبْلُ إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ إِنَّ رَبَّکَ عَلِيمٌ حَکِيمٌ (۶)

الرؤيا: أنه سيملك مصر و يدخل عليه أبواه و أخوته، أما الشمس فأم يوسف راحيل، و القمر يعقوب، و أما الأحد عشر كوكبا فإخوته. فلما دخلوا عليه سجدوا شكرا لله وحده حين نظروا إليه. و كان ذلك السجود لله تعالى «١».

[۶] قالَ يعقوب: يا بُنَیَّ تصغير «ابن»، و لعلّ وجه التصغير الشفقة لا تَقْصُصْ رُؤْياکَ عَلى إِخْوَتِکَ أى لا تخبرهم بما رأيت فى المنام فَيَکِيدُوا لَکَ کَيْداً أى فيحسدوك، حيث تدل رؤياك على مقام رفيع، و يحتالوا لإهلاكك حيلة إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ظاهر العداوة، فإنه يريد الإيقاع بين الأخوة بإشعال نار الحسد فى قلوب بعضهم على بعض.

[٧] وَ کَذلِکَ أى كما أراك هذه الرؤيا تكرمة لك، مما كان تعبيره خضوع الأخوة و الأبوين لمقامك يَجْتَبِيکَ من «الاجتباء» أى الاختيار و هو الاصطفاء، أى يختارك رَبُّکَ يا يوسف للنبوة وَ يُعَلِّمُکَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ «الأحاديث» هى الرؤيا، لأنها من أحاديث الملك و إخباره للإنسان فى منامه إن كانت الرؤيا صادقة، و من أحاديث الشيطان و النفس إن كانت كاذبة، و «تأويلها» تعبيرها، سمى «تأويلا» لأن الرؤيا تأوّل إلى ذلك المعنى المتضمنة له وَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْکَ بإعطائك

---

(١) بحار الأنوار: ج ١٢ ص ٢١٧.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج٢، ص: ۶۶۴

[سورة يوسف (١٢): الآيات ٧ الى ٨]

لَقَدْ کانَ فِی يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قالُوا لَيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينا مِنَّا وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبانا لَفِی ضَلالٍ مُبِينٍ (٨)

رغباتك فى الدنيا و الآخرة وَ عَلى آلِ يَعْقُوبَ إخوتك و أولادكم بجعلهم أنبياء و ملوكا و سادة للناس کَما أَتَمَّها أى أتم الله سبحانه نعمته عَلى أَبَوَيْکَ أبيك و جدك مِنْ قَبْلُ إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ حيث جعلهما نبيين و أعطاهما نعم الدنيا إِنَّ رَبَّکَ يا يوسف عَلِيمٌ بمن يصلح للرسالة و السيادة و الملك حَکِيمٌ يفعل الأشياء حسب الصلاح و الحكمة.

[٨] ثم شرع سبحانه فى قصة يوسف بقوله: لَقَدْ کانَ فِی قصة يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ الأحد عشر آياتٌ أدلة و علامات على قدرة الله سبحانه،

و إرشادات لمن أراد الاسترشاد لِلسَّائِلِینَ أی لمن یسأل عن الآیات و یهتم بالأمور و یفتش عن الحقائق.

؟ عن الجوامع: روی أن الیهود قالوا لکبراء المشرکین: سلوا محمدا لم انتقل آل یعقوب من الشام إلی مصر و عن قصة یوسف؟ قال: فأخبرهم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالقصة.

[۹] إِذْ قالُوا أی اذکر إذ قالوا، أو لقد کان آیات إذ قالوا، أی: قال بعض الأخوة لبعض، و قد کان عشرة منهم من غیر أم، و یوسف و ابن یامین من أم- کما فی بعض التفاسیر و التواریخ- لَیُوسُفُ وَ أَخُوهُ أی ابن یامین أَحَبُّ إِلی أَبِینا یعقوب علیه السّلام مِنَّا فقد کان یعقوب شدید

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۶۵

[سورة یوسف (۱۲): آیة ۹]

اقْتُلُوا یُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً یَخْلُ لَکُمْ وَجْهُ أَبِیکُمْ وَ تَکُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صالِحِینَ (۹)

الحب لیوسف و بعده لابن یامین، و کان یوسف من أحسن الناس وجها و أحسنهم أخلاقا.

فقد حکی أن رجلا سأل یعقوب: لم تفضل یوسف علی باقی الأخوة؟ قال: أعلمک بالأمر، فطلب أحد الأخوة و سأله عما لو أساء شخص إلیه ماذا یصنع؟ قال الولد: أنتقم منه .. ثم طلب یوسف و سأله عن مثل ذلک السؤال، فقال یوسف: أعفو عنه، قال: فإن أساء إلیک ثانیة؟ قال یوسف: أعفو، قال: فإن أساء إلیک ثالثة؟ قال: أعفو.

وَ الحال أَنّا نَحْنُ عُصْبَةٌ جماعة یتعصّب بعضنا لبعض، و یعین بعضنا بعضا، فکیف أن أبانا یقدّم یوسف و بنیامین علینا و نحن أنفع له منهما؟ إِنَّ أَبانا لَفِی ضَلالٍ انحراف عن طریق الصواب مُبِینٍ واضح لا شک فیه، فکیف یقدم أصغر الأولاد علی سائر الأولاد؟

[۱۰] أخذ الأخوة- و بالطبع لم یکن فیهم ابن یامین- یتآمرون علی یوسف لیطفئوا حسدهم قائلین: اقْتُلُوا یُوسُفَ قتلا أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً مجهولة بعیدة، حتی لا یکون إلی جنبنا، و لعلّ السباع تأکله، أو یؤول أمره إلی الموت یَخْلُ لَکُمْ وَجْهُ أَبِیکُمْ تخلص لکم محبة الأب، و تملکون قلبه، فلا یصرف اهتمامه و حبه نحو یوسف فقط وَ تَکُونُوا مِنْ بَعْدِهِ أی بعد هذا العمل من قتل یوسف أو طرحه فی أرض مجهولة قَوْماً صالِحِینَ تستغفرون الله سبحانه. و هذا من عادة الذی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۶۶

[سورة یوسف (۱۲): الآیات ۱۰ الی ۱۱]

قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا یُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِی غَیابَتِ الْجُبِّ یَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّیَّارَةِ إِنْ کُنْتُمْ فاعِلِینَ (۱۰) قالُوا یا أَبانا ما لَکَ لا تَأْمَنَّا عَلی یُوسُفَ وَ إِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ (۱۱)

یرید أن یسیء و فیه بقیة من إیمان، فإنه بین عزمه علی ارتکاب الجریمة بما توسوس إلیه نفسه، و بین نیته فی أنه سیصبح صالحا مستغفرا بعد ارتکابها. و یحتمل أن یراد «صالحین فی أمر دنیاکم لا یزاحمکم فیها یوسف».

[۱۱] قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ فی بعض الأحادیث أن اسمه «لاوی» و هو جد موسی علیه السّلام: لا تَقْتُلُوا یُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِی غَیابَتِ الْجُبِ «الجب» هو البئر و «غیابته» قعره، حتی لا یموت و لا یشرف علی الموت حیث یَلْتَقِطْهُ أی یأخذه من هناک بَعْضُ السَّیَّارَةِ «السیارة» هی الجماعة المسافرون، سموا بذلک لأنهم یسیرون فی البلاد. فإنهم إذا عطشوا و أرادوا الماء أدلوا دلوهم فیها، فیتعلق به یوسف فیخرجوه، و یذهبوا به إلی دورهم و محلهم، فقد تخلصنا من یوسف، و لم نرتکب جریمة قتله إِنْ کُنْتُمْ فاعِلِینَ أی تریدون فی الحقیقة التخلص من یوسف، فلیکن هذا عملکم و نوع تخلصکم.

[۱۲] و لما أحکموا المؤامرة و أجمعوا علی التخلص من یوسف الغلام البریء الجمیل حسدا و عداء، جاءوا إلی أبیهم یعقوب ف قالُوا یا أَبانا ما لَکَ لا تَأْمَنَّا عَلی یُوسُفَ لأی شیء لا تثق بنا فی أمر یوسف؟ ألسنا نحن أمناء عندک؟ و یظهر من الکلام أن یعقوب کان سیئ الظن بهم فی أمر ابنه یوسف علیه السّلام وَ الحال إِنَّا لَهُ أی لیوسف لَناصِحُونَ ننصح لأجله و نرید الخیر به.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۲، ص: ۶۶۷

[سورة يوسف (۱۲): الآيات ۱۲ الى ۱۴]

أَرْسِلْهُ مَعَنا غَداً يَرْتَعْ وَ يَلْعَبْ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (۱۲) قالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَ أَخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ (۱۳) قالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخاسِرُونَ (۱۴)

[۱۳] أَرْسِلْهُ يا أبانا مَعَنا إلى الصحراء غَداً يَرْتَعْ وَ يَلْعَبْ «جزم الفعلين» على جواب الأمر، و المعنى: إن ترسله معنا، يرتع و يلعب، و «الرتع» هو التوسع في أكل الفواكه و غيرها، من «الرتعة» و هي الخصب، أو التردد ذهابا و مجيئا وَ إِنَّا لَهُ ليوسف لَحافِظُونَ نحفظه عن أن يصيبه الأذى.

[۱۴] قالَ يعقوب عليه السّلام في جواب الأولاد: إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ فذهابكم به موجب لغمي و حزني حيث لا أقدر على فراقه وَ أَخافُ عليه إن ذهبتم به أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ حيث كانت الأرض مذئبة وَ الحال أَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ مشغولون بأنفسكم.

قيل: إن يعقوب رأى في منامه كأن يوسف قد شد عليه عشرة ذئاب يقتلوه، و إذا ذئب منها يحمي عنه فكأن الأرض انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة أيام، و لذا قال لهم: أخاف أن يأكله الذئب.

[۱۵] قالُوا قال الأولاد في جواب يعقوب: لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ الحال نَحْنُ عُصْبَةٌ يتعصّب بعضنا لبعض، و لنا من القوة و الطاقة قدر كاف إِنَّا إِذاً لَخاسِرُونَ نكون كالذين تذهب عنهم رؤوس أموالهم، أو نكون إذن عاجزون هالكون، و هذا كالتعليق على ما لا يكون، للتأكيد

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۲، ص: ۶۶۸

[سورة يوسف (۱۲): الآيات ۱۵ الى ۱۶]

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِّ وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۱۵) وَ جاؤُ أَباهُمْ عِشاءً يَبْكُونَ (۱۶)

على المقصود.

[۱۶] ثم إن يعقوب سلم للأمر و أرسل يوسف معهم فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ بيوسف وَ أَجْمَعُوا أي عزموا جميعا، يقال: «أجمع» إذا عزم أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيابَتِ الْجُبِ في قعره، و جواب «لما» محذوف تقديره «فعلوه» وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِ إلى يوسف و هو في الجب لَتُنَبِّئَنَّهُمْ أي تخبرن إخوتك بِأَمْرِهِمْ هذا بعد ما تنجو من البئر و تصبح ملكا، و يأتوك إخوتك لأجل الطعام، تحكي لهم القصة وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ في ذلك الوقت أنك يوسف. و قد ذكر سبحانه في آخر السورة قول يوسف لأخوته- و هم جاهلون بأنه يوسف- (هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ) «۱»؟.

[۱۷] و لما طرحوا يوسف في البئر، تأخروا في الرجوع إلى المدينة حتى يأتي الليل فلا يظهر على وجوههم آثار الكذب وَ جاؤُ أَباهُمْ أي رجعوا إلى أبيهم يعقوب عِشاءً أي وقت العشاء، و ذلك بعد ساعة من الغروب تقريبا يَبْكُونَ و إنما أظهروا البكاء ليوهموا أنهم صادقون في قولهم، فإن البكاء لا يكون إلا عن حرقة القلب التي تلازم الصدق غالبا، لكن البكاء قد يكون اصطناعا، و إن جرت الدمعة. و كان بكاء الأخوة هكذا.

---

(۱) يوسف: ۹۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج‌۲، ص: ۶۶۹

[سورة يوسف (۱۲): الآيات ۱۷ الى ۱۸]

قالُوا يا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَ تَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَ لَوْ كُنَّا صادِقِينَ (۱۷) وَ جاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ (۱۸)

[۱۸] و لما رأى يعقوب بكاءهم، فزع و قال: ما لكم؟ قالُوا يا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ أى نتسابق فى العدو لننظر أينا أقدر على العدو و الركض، و أينا يسبق أصحابه، من «استبق» بمعنى تسابق وَ تَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا أى رحلنا و بضاعتنا، لأنه صغير لا يقدر على العدو، و ليحفظ رحلنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ و افترسه وَ ما أَنْتَ يا أبانا بِمُؤْمِنٍ أى بمصدّق لَنا لكلامنا وَ لَوْ كُنَّا صادِقِينَ و من عادة الكاذب أن يبرّر كذبه بمثل هذه التأكيدات، كما قال الشاعر: «كاد المريب أن يقول خذونى».

[۱۹] وَ جاؤُ جاء الأخوة عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ جاءوا أباهم و معهم قميص يوسف ملطخا بدم مكذوب، فقد ذبحوا جديا و لطخوا قميص يوسف بدمه، حيث أنهم لما ألقوه فى البئر جرّدوه من ثوبه و ألقوه فى البئر عاريا.

و إنما جاء ب «على» لأن المعنى: «جاءوا على القميص بالدم»، أى صبوا عليه الدم، هذا بناء على أن «جاء» يراد به المجيء على القميص، لا المجيء نحو الأب، و إنما يستفاد الثانى من السياق، و أما لو أريد من «جاءوا» المجيء نحو الأب كان اللازم تقدير، حال مثل «صابّين» و نحوه. «و كذب» مصدر أقيم مقام الوصف، أى «مكذوب فيه»، و إنما جاء بالمصدر للمبالغة، كقولك: «زيد عدل».

و لما نظر يعقوب إلى القميص عرف أنهم كاذبون فى قولهم و أنهم

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۷۰

إنما دبروا له مكيدة، و لذا توجه إليهم و قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً أى زيّنت لكم أنفسكم الحاسدة ليوسف مكيدة دبرتموها.

و قد روى: أنه عليه السّلام لما رأى القميص و ليس به آثار الشق، علم أن الذئب لم يأكله فإن الذئب إذا أكل إنسانا مزّق ثيابه. قال الصادق عليه السّلام: لما أتى بقميص يوسف إلى يعقوب قال: «اللهم لقد كان ذئبا رفيقا حين لم يشق القميص» «۱».

فأمرى فى هذا الفراق فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

روى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الإمامين الباقر و الصادق عليهما السّلام: «إن الصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه إلى الخلق»

«۲» وَ اللَّهُ الْمُسْتَعانُ به، من «استعان» بمعنى: طلب العون عَلى ما تَصِفُونَ أى على دفع ما تصفونه من هلاك يوسف.

و قد يقال: أنه كيف يوصف الصبر بالجميل، مع أنه عليه السّلام بكى حتى ابيضت عيناه؟ بل كيف يمكن للنبى أن يكون له مثل هذه العلاقة بالأولاد مع أنه يرى عظمة الله و ثوابه؟ و قد يقال مثل ذلك فى بكاء آدم عليه السّلام و الصديقة الطاهرة عليها السّلام و الإمام السجاد؟

و الجواب: إن هذا النحو من البكاء و التوجّع كان له نوعا من التبليغ و الإرشاد لم يكن يؤدى إلا بذلك، فقد كان بكاء آدم عليه السّلام

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۲۹۹.

(۲) الكافى: ج ۲ ص ۹۳.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۷۱

[سورة يوسف (۱۲): آية ۱۹]

وَ جاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وارِدَهُمْ فَأَدْلى دَلْوَهُ قالَ يا بُشْرى هذا غُلامٌ وَ أَسَرُّوهُ بِضاعَةً وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَعْمَلُونَ (۱۹)

إرشادا إلى وقع الخطيئة- و لو كانت ترك الأولى- و بيانا لما للجنة و رضا الله سبحانه من أهمية كبرى حتى أن فراقها و الدخول فيما لا يرضيه سبحانه- و لو لم يكن عصيانا- يوجبان هذا النوع من البكاء.

و فى قصة آدم، ما أجدر البكاء و لو ألف سنة لسخط الله العظيم الذى له كل شيء و بيده كل شيء .. و بكاء يعقوب كان تنفيرا لمثل هذا الاجرام الجماعى و إرشادا عمليا لما للحسد من الوقع السيئ على الحاسد و المحسود و المجتمع، و إن مثل هذا التنفير العملى من

أقوى أقسام الإرشاد و الهداية .. و كذلك بكاء الصديقة الطاهرة و السجاد عليهما السّلام كان تنفيرا عمليا لأعمال الغاصبين و السفاكين، و إرشادا إلى عظمة المعزّى له، الموجب لالتفات الناس حولهم فيستضيئون بأنوارهم و يهتدون بآثارهم.

[۲۰] رجع الأولاد إلى أبيهم و تمت القصة هنا، لتبتدئ بحال يوسف فى الجب، فقد ذكر المفسرون أن البئر كانت ذات ماء و لما طرحوا يوسف فيها أوى إلى صخرة كانت فى ثناياها. و

قد روى أن جبرائيل عليه السّلام هو الذى أخذه،

و شاء الله سبحانه أن يطعمه فى البئر، و هناك بقى ثلاثة أيام وَ جاءَتْ سَيَّارَةٌ أى قافلة تسير كثيرا، فإن «سيارة» صيغة مبالغة، و القافلة تسمى بهذا الاسم لسيرها كثيرا فى الأرض فَأَرْسَلُوا أى أهل السيارة وارِدَهُمْ الذى يرد الماء ليستقى منه للقافلة، حتى يأتى إليهم من تلك البئر- التى فيها يوسف- بالماء فَأَدْلى الوارد دَلْوَهُ أى فأرسل دلوه فى البئر ليأخذ الماء، فتعلق يوسف بالدلو. و

روى أن جبرائيل عليه السّلام هو الذى جعل يوسف فى الدلو، بدل الماء، و لما أن أخرج الوارد الدلو، رأى غلاما جميلا فيه، عوض الماء، فدهش من

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۷۲

[سورة يوسف (۱۲): الآيات ۲۰ الى ۲۱]

وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ وَ كانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (۲۰) وَ قالَ الَّذِی اشْتَراهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِی مَثْواهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ كَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِی الْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ وَ اللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۲۱)

هذه الصدفة العجيبة

و قالَ لأصحابه: يا بُشْرى يا قوم! البشارة هذا غُلامٌ وَ أَسَرُّوهُ بِضاعَةً إن القوم لما رأوا يوسف نووا فى أنفسهم أن يجعلوه بضاعة يبيعونه فى البلد بعنوان أنه عبد «۱».

و

ورد أن الأخوة جاءوا إلى البئر ليروا ماذا صنع بيوسف هل خرج أو هلك؟ و إذا بهم يتلاقون مع السيارة، فقالوا لهم أنه عبد لنا أبق من المدينة، ثم باعوه للسيارة ليستريحوا منه وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِما يَعْمَلُونَ

أى تعمل السيارة من نيتها جعل يوسف بضاعة. و قيل: فى المعنى أمور أخرى، و ما ذكرناه الأظهر منها.

[۲۱] وَ شَرَوْهُ أى باع الأخوة يوسف للسيارة بِثَمَنٍ بَخْسٍ ثمن ناقص مبخوس فيه عشرين درهما- كما فى جملة من الأحاديث- دَراهِمَ مَعْدُودَةٍ أى قليلة، و جىء بهذا الوصف لدلالته على القلة، فإن القلة تعدّ، أما الكثرة فلا تعد بسهولة وَ كانُوا كان الأخوة فِيهِ أى فى الثمن، أو فى يوسف مِنَ الزَّاهِدِينَ يقال: «زهد فيه» بمعنى لم يرغب، فإن الأخوة ما باعوه لقصد الربح حتى يرغبوا فى الثمن، و إنما باعوه للتخلّص منه.

[۲۲] و جاءت السيارة بيوسف إلى مصر، و هل هناك بيع آخر، أو كان عزيز مصر هو الذى اشتراه ابتداء؟ احتمالان، و على كل حال فقد صار

---

(۱) راجع مجمع البيان: ج ۵ ص ۳۷۲.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۷۳

يوسف عليه السّلام فى كنف عزيز مصر، و قد قالوا: أنه كان كبير الوزراء هناك، أو كان هو الملك بالذات، و توسم العزيز فيه الخير لما رأى على شمائله من آثار الكبر و الرفعة وَ لذا قالَ الَّذِی اشْتَراهُ اشترى يوسف مِنْ مِصْرَ من أهل مصر لِامْرَأَتِهِ و كانت تسمى «زليخا» أَكْرِمِی مَثْواهُ أى هيئى له مكانا شريفا كريما، ليكون فى راحة و رفاه عَسى أَنْ يَنْفَعَنا فى المستقبل باتخاذه عاملا عندنا فى

أمورنا، أو المراد: بيعه و الانتفاع بثمنه لأن مثله غالى الثمن أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً على وجه التبنّى. فقد قالوا: أن عزيزا لم يكن له ولد، كما أنه لم يكن يقدر على إتيان النساء وَ كَذلِكَ كما أنعمنا على يوسف بالنجاة من كيد الأخوة و الخلاص من الجب، كذلك مَكَّنّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ بما عطفنا عليه قلب الملك الذى اشتراه- أو الوزير- حتى صار بذلك متمكنا من الأمر و النهى، و صارت له منزلة حسنة، و المراد ب «الأرض» أرض مصر وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ أى تفسير الرؤيا ليبلغ المرتبة العالية بواسطة تمكنه من هذا العلم.

و لعل المراد بذلك النبوة، و قوله: «و لنعلمه» عطف على المعنى، أى: دبرنا الأمر ليوسف لنمكنه فى الأرض و لنعلمه، و قد كان التعليم بسبب أنه عف عن الزنا- كما قيل- وَ اللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ أى على أمر يوسف يحفظه و يهيئ له أسباب الرفاه حتى يوصله إلى السلطة و السيادة، أو المراد: أن الله غالب على أمر نفسه فمهما شاء من شيء

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۷۴

[سورة يوسف (۱۲): الآيات ۲۲ الى ۲۳]

وَ لَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (۲۲) وَ راوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها عَنْ نَفْسِهِ وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوابَ وَ قالَتْ هَيْتَ لَكَ قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ (۲۳)

تمكن منه، لا يتمكن أحد على دفعه عن مراده و لا يعجزه شيء وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ و هذا يناسب المعنى الثانى، فإن الناس غالبا ينظرون إلى المقدمات التى ألفوها فلا- يرون النتائج التى يريدها الله سبحانه، لكنه تعالى يفعل ما يشاء مما لا يظهر للناس بل يخفى عليهم.

[۲۳] و لهذا بقى يوسف هناك منفردا مكرما وَ لَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ بأن اكتمل شبابه و قوته، و «أشد» جمع لا واحد له- كما قيل- آتَيْناهُ أعطيناه حُكْماً حكمة يعرف بها مواضع الأشياء و موارد الأمور و مصادرها، فكأنه يحكم على الأشياء حسب موازينها اللائقة بها وَ عِلْماً و هو العلم بالأشياء. و من المعلوم أن العلم بالشيء غير الحكمة، فرب عالم غير حكيم، و رب حكيم غير عالم. و لعل تقديم «الحكم» على «العلم» لما فى الحكم من الأهمية و لذا نرى كثيرا من العلماء لا حكمة لهم، و لذا لا ينجحون فى الحياة وَ كَذلِكَ كما جزينا يوسف عليه السّلام على صبره و على المصائب التى وردت عليه نَجْزِي سائر الْمُحْسِنِينَ الذين يحسنون فى العقيدة و العمل. و هل المراد بقوله «آتيناه» الرسالة، أو زيادة فيها؟ احتمالان.

[۲۴] و إذ قد انتهت مرحلة امتحان يوسف الأولى، جاء دور المرحلة الثانية، و قد كانت أصعب من الدور الأول، و قد جرت سنة الله سبحانه على امتحان الأنبياء بأشق أنواع الامتحان، حتى يصلوا لأخذ زمام المجتمع، و ينالوا المراتب السامية وَ راوَدَتْهُ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۷۵

الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِها فاعل «راودت» «التى» و المراد بها «زليخا» زوجة العزيز و «هو» يرجع إلى يوسف، أى طالبت يوسف المرأة التى كان يوسف فى بيتها عَنْ نَفْسِهِ كأنها تريد انتزاع نفس يوسف و شبابه و طاقاته الجسمية، فإن «المراودة» مفاعلة، بمعنى «الذهاب و الإياب» لأجل قضاء الحاجة، فقد تكررت زليخا فى الذهاب إلى يوسف، لتغريه و تنتزع نفسه منه، بأن يجامعها، إشباعا لغرائزها الجنسية.

وَ غَلَّقَتِ زليخا الْأَبْوابَ أبواب القصر لئلّا يأتى أحد فجأة فيكشف مؤامرتها على يوسف، و لفظة «غلقت» من باب التفعيل تدل على كثرة فى الأبواب وَ قالَتْ زليخا ليوسف: هَيْتَ لَكَ أى أقبل و بادر، فإن «هيت» اسم فعل بمعنى: «هلمّ» و «لك» خطاب، أى أنت يا يوسف، يأتى للتأكيد، كما يقال: «أنت».

و قد يصور هذا المقام الحرج الذى كان يوسف عليه السّلام عليه، فشاب عازب، فى قصر مليء بالترف، و امرأة فى سن الاقتضاء، و الأبواب مغلقة، و تقتضى القاعدة أن قبل ذلك كانت منها إشارات و تطلبات، و الآن أتت الساعة الحاسمة، بلفظ مكشوف «هيت لك» لكن الإيمان الراسخ فى يوسف ضرب بالطلب عرض الحائط قالَ مَعاذَ اللَّهِ أعتصم بالله و أعوذ به أن أرتكب هذه الجريمة إِنَّهُ رَبِّي إن الله ربى، فكيف أخالفه بعد أن أَحْسَنَ مَثْوايَ و جعل مكانى مكانا حسنا. ثم أن المراد ب «المثوى» الأصل، أو المراد: النبوة، أو المراد:

ما هیئ له فی بیت العزیز من الکرامة و الاحترام. و ذکر بعض المفسرین أن

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۲، ص: ۶۷۶

[سورة یوسف (۱۲): آیة ۲۴]

وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأی بُرْهانَ رَبِّهِ کَذلِکَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِینَ (۲۴)

الضمیر فی «إنه» عائد إلی «زوجها» أی إن سیدی زوجک قد أحسن مثوای فکیف أخونه فی زوجته. فإن «الرب» یطلق علی السید المحسن.

إِنَّهُ أی الشأن لا یُفْلِحُ الظَّالِمُونَ الذین یظلمون أنفسهم بالعصیان، أو یظلمون الغیر بالخیانة فی عرضه.

[۲۵] إن یوسف لم یهم بالخطیئة، کیف و قد قال: «معاذ الله» لکن الآیة الکریمة تصور الطبیعة البشریة التی تهم بالخطیئة لو لا النبوة و العصمة وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ أی همت زلیخا و قصدت الخطیئة بیوسف وَ هَمَّ بِها لَوْ لا أَنْ رَأی بُرْهانَ رَبِّهِ أی لکان هم، لو لم یکن برهان الله یرعی یوسف، بکونه نبیا معصوما. و هکذا کما تقول: «قصد فلان قتلی و قصدت قتله لو کنت جاهلا».

قال الإمام الصادق علیه السّلام: «البرهان: النبوة المانعة من ارتکاب الفواحش، و الحکمة الصارفة عن القبائح» «۱».

و حاصل المعنی: أن یوسف لو لا النبوة لکان همّ بها، لکن النبوة منعت عن ذلک لأن المعصوم لا یهم بالخطیئة کَذلِکَ أریناه البرهان و حفظناه بالنبوة و العصمة لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ کل أقسام السوء، فإن العصمة ملکة لا تدع المتصف بها یفعل شیئا مهما کان وَ الْفَحْشاءَ

---

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۳۳۵.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۲، ص: ۶۷۷

[سورة یوسف (۱۲): الآیات ۲۵ الی ۲۶]

وَ اسْتَبَقَا الْبابَ وَ قَدَّتْ قَمِیصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَ أَلْفَیا سَیِّدَها لَدَی الْبابِ قالَتْ ما جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِکَ سُوءاً إِلاَّ أَنْ یُسْجَنَ أَوْ عَذابٌ أَلِیمٌ (۲۵) قالَ هِیَ راوَدَتْنِی عَنْ نَفْسِی وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها إِنْ کانَ قَمِیصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْکاذِبِینَ (۲۶)

رکوب الفاحشة، و المراد بها الزنا إِنَّهُ إن یوسف علیه السّلام مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِینَ بصیغة المفعول- أی الذین أخلصناهم عن الزیف و العصیان، و اخترناهم للنبوة و الطهارة.

[۲۶] إن زلیخا همت بأخذ یوسف للخطیئة و یوسف هم بالفرار منها و توجه کل منهما نحو الباب وَ اسْتَبَقَا الْبابَ أی تبادر کل من یوسف و زلیخا نحو باب الغرفة، من «استبق» بمعنی السبقة، و قد کان التوجه إلی الباب أولا من یوسف حیث أراد الهروب و الفرار وَ أخذت زلیخا قمیص یوسف لتجرّه نحوها ف قَدَّتْ أی شقت قَمِیصَهُ أی قمیص یوسف مِنْ دُبُرٍ أی من خلف یوسف، لأنها أخذت بالقمیص من خلفه وَ أَلْفَیا من «ألفی» بمعنی «وجد»، أی وجدت زلیخا و یوسف سَیِّدَها أی زوج زلیخا، و هو «العزیز» لَدَی الْبابِ أی قرب الباب، و هنا سقط فی ید زلیخا، و تحیّر یوسف ماذا یصنع، لأن المنظر کان مریبا.

و هنا بادرت زلیخا لتبریر نفسها قالَتْ مخاطبة زوجها: ما نافیة، أی لیس جَزاءُ مَنْ أَرادَ بِأَهْلِکَ زوجتک سُوءاً عملا قبیحا إِلَّا أَنْ یُسْجَنَ یحبس أَوْ عَذابٌ أَلِیمٌ بأن یضرب بالسیاط أو نحو ذلک.

[۲۷] قالَ یوسف علیه السّلام: هِیَ أی زلیخا هی التی راوَدَتْنِی عَنْ نَفْسِی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج ۲، ص: ۶۷۸

[سورة یوسف (۱۲): الآیات ۲۷ الی ۲۸]

وَ إِنْ کانَ قَمِیصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَکَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِینَ (۲۷) فَلَمَّا رَأی قَمِیصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قالَ إِنَّهُ مِنْ کَیْدِکُنَّ إِنَّ کَیْدَکُنَّ عَظِیمٌ (۲۸)

أی طالبتنی بالسوء وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها أهل المرأة.

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام أنه قال: «ألهم الله عز و جل یوسف أن قال للملک:

سل هذا الصبی فی المهد، فإنه یشهد أنها راودتنی عن نفسی. فقال العزیز: الصبی؟ فأنطق الله الصبی فی المهد لیوسف».

أقول: قال بعضهم: أن الابن کان له من العمر ثلاثة أشهر، و کان ابن أخت زلیخا، و کانت الشهادة أن قال: إِنْ کانَ قَمِیصُهُ أی ثوب یوسف علیه السّلام قُدَّ أی شقّ مِنْ قُبُلٍ من مقدّمه فَصَدَقَتْ زلیخا وَ هُوَ مِنَ الْکاذِبِینَ أی أن یوسف کاذب، إذ یظهر أن یوسف أراد المرأة و هی أخذت بثوبه لتدفعه عن نفسها فانشق القمیص، أو لأنه یدل أن المرأة فرّت و یوسف عقبها فتعثر بثوبه من الأمام و انشق الثوب من قدام.

[۲۸] وَ إِنْ کانَ قَمِیصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ إن کان ثوب یوسف شقّ من الخلف فَکَذَبَتْ تبیّن کذب زلیخا وَ هُوَ مِنَ الصّادِقِینَ فیدل علی أن المرأة هی التی راودت یوسف و أنه أراد الفرار، لأنه یدل علی أن المرأة تبعت یوسف و أخذت بثوبه من خلف، فانشق الثوب لجذبها له.

[۲۹] فالتفت الزوج إلی القمیص و لما رَأی قَمِیصَهُ أی ثوب یوسف علیه السّلام قُدَّ مِنْ دُبُرٍ أی شقّ من خلف، عرف أن المرأة هی التی

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۷۹

[سورة یوسف (۱۲): الآیات ۲۹ الی ۳۰]

یُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا وَ اسْتَغْفِرِی لِذَنْبِکِ إِنَّکِ کُنْتِ مِنَ الْخاطِئِینَ (۲۹) وَ قالَ نِسْوَةٌ فِی الْمَدِینَةِ امْرَأَتُ الْعَزِیزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَها حُبًّا إِنّا لَنَراها فِی ضَلالٍ مُبِینٍ (۳۰)

خانت و أرادت السوء قالَ متوجها إلی زلیخا إِنَّهُ أی هذا العمل الذی رأی آثاره مِنْ کَیْدِکُنَّ و حیلکن معاشر النساء إِنَّ کَیْدَکُنَّ عَظِیمٌ تعملن الأعمال السیئة، ثم تلقین التهم علی البریء.

[۳۰] ثم توجه السید إلی یوسف علیه السّلام قائلا: یا یُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا الحدیث و اکتمه فلا تفشه وَ اسْتَغْفِرِی یا زلیخا لِذَنْبِکِ إِنَّکِ کُنْتِ مِنَ الْخاطِئِینَ أنت أذنبت لا- یوسف علیه السّلام. قال «من الخاطئین» و لم یقل «من الخاطئات» تغلیبا، کما قال: (وَ ارْکَعِی مَعَ الرّاکِعِینَ) «۱»، و کان ذلک لأن أول ما یتبادر إلی الذهن الرجال، سواء فی الإطاعة و العصیان، أو غیرهما.

[۳۱] ثم لم یمض زمان حتی شاع هذا الأمر فی البلد و أن زلیخا قصدت یوسف بالسوء وَ قالَ نِسْوَةٌ أی جماعة من النساء. و إنما ذکر الفعل لأنه یجوز فی الجمع مذکرا کان أو مؤنثا الأمران، تقول «قال و قالت رجال»، و کذا «قال و قالت نساء»، باعتبار اللفظ و المعنی، کما أن «قالت» باعتبار جماعة الرجال، قال ابن مالک:

و التاء مع جمع سوی السالم‌من مذکر کالتاء مع إحدی اللبن

فِی الْمَدِینَةِ فی مصر، و کان ذکر هذه الجملة لإفادة أن الخبر

---

(۱) آل عمران: ۴۴.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۸۰

[سورة یوسف (۱۲): آیة ۳۱]

فَلَمّا سَمِعَتْ بِمَکْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَیْهِنَّ وَ أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّکَأً وَ آتَتْ کُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِکِّیناً وَ قالَتِ اخْرُجْ عَلَیْهِنَّ فَلَمّا رَأَیْنَهُ أَکْبَرْنَهُ وَ قَطَّعْنَ أَیْدِیَهُنَّ وَ قُلْنَ حاشَ لِلّهِ ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلاّ مَلَکٌ کَرِیمٌ (۳۱)

شاع فی البلد، و لو لم تذکر لاحتمل أن ذلک قول نسوة القصر، فقد قلن تلک النسوة علی وجه التعجّب و الاستغراب: امْرَأَتُ الْعَزِیزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ أی تدعو مملوکها إلی نفسه، فترید أن تسلب نفس المملوک، لیفجر بها قَدْ شَغَفَها حُبًّا دخل حب الفتی فی

شغاف قلبها، فإن «الشغاف» هو حجاب القلب، يقال: «شغف زيد عمرو حبا» أى خرق حب زيد شغاف قلب عمرو، و فاعل شغفها الضمير الراجع إلى يوسف عليه السّلام إِنَّا لَنَراها نرى امرأة العزيز فِي ضَلالٍ مُبِينٍ انحراف عن نهج الصواب واضح، إذ كيف تتعلق المرأة ذات البعل بعبدها.

[۳۲] فَلَمَّا سَمِعَتْ زليخا بِمَكْرِهِنَ أى تعيير تلك النسوة لها بحب يوسف. و إنما سمى «مكرا» لأن قصدهن من هذا القول كان أن يرين يوسف لما وصف لهن منه حسنه- كذا فى «المجمع»-. و قيل:

لأنهن أخفين التعيير كما يخفى الماكر مكره أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَ تطلبهن للضيافة عندها وَ أَعْتَدَتْ هيأت لَهُنَّ مُتَّكَأً هو ما يتكأ عليه لطعام أو شراب أو حديث، أى هيأت لهن مأدبة و قد كان العادة أن يأكلوا الطعام و هم متكئون على الوسائد- كما هو عادة أهل الترف- وَ آتَتْ أعطت زليخا كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً لقطع اللحم، أو تقشير الفاكهة كما هى العادة الجارية إلى هذا الزمان وَ قالَتِ زليخا ليوسف حين اشتغلن بالتقشير أو التقطيع: اخْرُجْ يا يوسف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۸۱

[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۲]

قالَتْ فَذلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَ لَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَ لَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ (۳۲)

عَلَيْهِنَ أمرته بذلك ليرين جماله فلا يعذلنها فى ما قصدته منه فخرج عليه السّلام حيث كان بصورة مملوك مطيع لديها و لما رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ أى أعظمنه و تحيّرن فى جماله، فقد كان خارق الحسن و الجمال وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَ بتلك السكاكين، بدل تقطيع اللحم أو الفاكهة، على جهة الخطأ، فقد بعثت دهشتهن بجماله أن لم يلتفتن إلى صنعهن، و المراد بالقطع- حسب الظاهر- الجرح و الخدش، يقال: «فلان قطع يده بالسكين» إذا جرحها و خدشها.

وَ قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ و هى كلمة تنزيه تقال فى موضع الدهشة و العجب، لبيان الدهشة فى صنعه سبحانه، و أصل «حاش» «حاشا» حذفت الألف تخفيفا، بمعنى التنزيه، و «للّه» جار و مجرور متعلق به ما هذا الذى نراه، أى يوسف عليه السّلام بَشَراً «ما» تعمل عمل ليس ف «هذا» اسمها، و «بشرا» خبرها، أى ليس هذا كالبشر، فإن هذا الجمال الخارق لا يوجد فى البشر إِنْ هذا ما هذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ رفيع المنزلة عند اللّه سبحانه، ذو كرامة، و إلّا لم يمنحه هذا الجمال.

[۳۳] قالَتْ زليخا بعد أن رأت أنها فازت عليهن و أنهن أعطين الحق لها فيما قصدت من السوء بيوسف: فَذلِكُنَ «ذا» إشارة إلى يوسف، و «كن» خطاب لهن، أى فهذا يوسف- أيتها النسوة- هو الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ من «لام» بمعنى «عذل» أى عذلتننى بالنسبة إليه، قائلات كيف أن امرأة العزيز تراود فتاها؟ ثم قالت زليخا، و قد بقى لها تعلق

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۸۲

[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۳]

قالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَ إِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ (۳۳)

به: وَ لَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ أى طلبت نفس يوسف فَاسْتَعْصَمَ أى لاذ بالعصمة و الامتناع وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ بعد ذلك ما آمُرُهُ من الفعل لَيُسْجَنَنَ أى ليحبس فى السجن، فإنى أكيد به حتى أوقعه فى السجن وَ لَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ الصاغر هو الذليل، من الصفات، أى لأذله حتى يكون ذليلا.

[۳۴] و لما رأى يوسف عليه السّلام إصرارها على الخطيئة به اختار السجن لنفسه الشريفة عن الآثام، و ليخلص من التذبذب و الاتهام، ف قالَ يا رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ من الفاحشة، و فى الإتيان بلفظ «يدعوننى» دلالة على أن تلك النسوة أيضا طمعن فيه.

و قد روى عن الإمام السجاد عليه السّلام: «أن النسوة لما خرجن من عندها أرسلت كل واحدة منهن إليه سرا من صاحبته تسأله الزيارة

لها» «۱».

و لا يخفى أن «أحب» هنا مجرد عن معنى التفضيل، كما هو القاعدة فى أمثاله كقوله: (هُوَ خَيْرٌ ثَواباً) «۲»، و (أَحْسَنُ تَأْوِيلًا) «۳»، وَ إِلَّا تَصْرِفْ يا رب عَنِّى كَيْدَهُنَّ بالعصمة و الحفظ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ يقال: «صبا يصبو»، إذا مال نحو الشهوة الجنسية، من

---

(۱) راجع بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۲۷۵.

(۲) الكهف: ۴۵.

(۳) النساء: ۶۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۸۳

[سورة يوسف (۱۲): الآيات ۳۴ الى ۳۶]

فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۳۴) ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (۳۵) وَ دَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ قالَ أَحَدُهُما إِنِّى أَرانِى أَعْصِرُ خَمْراً وَ قالَ الْآخَرُ إِنِّى أَرانِى أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (۳۶)

«الصبوة» و هى لطافة الهوى، أى: أمل إلى تلك النساء. و من المعلوم أنه لو لا لطف الله و عصمته تميل النفس البشرية إلى الشهوات وَ أَكُنْ مِنَ الْجاهِلِينَ يقال للعاصى: جاهل، و إن كان عالما، لأنه لو لم يجهل حقيقة لم يعرض نفسه لعقاب الله سبحانه.

[۳۵] فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ أجاب الله دعاء يوسف فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ فقد عصمه سبحانه حتى أنه لم يكن يتزحزح عن الطهارة و لو أصيب بالأذى و سجن، كما ألقى اليأس فى قلب زليخا و النسوة لامتناع يوسف عن الفاحشة إِنَّهُ سبحانه هُوَ السَّمِيعُ لداعى الداعى الْعَلِيمُ بالنيات.

[۳۶] ثُمَّ بَدا لَهُمْ ظهر للعزيز و زوجته و أصحابهما مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ الدالة على براءة يوسف عليه السّلام لَيَسْجُنُنَّهُ فإن زليخا خدعت زوجها بأن يسجن يوسف حتى يظن الناس أنه المجرم و حتى تشفى زليخا غيظها منه حيث لم يطعها فى الفاحشة حَتَّى حِينٍ إلى مدة حتى تخمد الضوضاء، و ينسى الناس القصة.

[۳۷] و سيق إلى السجن يوسف البرىء عليه السّلام و أخذت المرأة المجرمة تسرح و تمرح- كما هو عادة الدنيا-

روى عن الإمام الرضا عليه السّلام: أن السجان قال ليوسف: إنى لأحبك. فقال يوسف: ما أصابنى إلا من الحب، إن كانت خالتى أحبتنى سرقتنى، و إن كان أبى أحبنى حسدنى إخوتى،

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۸۴

و إن كانت امرأة العزيز أحبتنى حبستنى «۱».

و روى عن الصادق عليه السّلام: أن يوسف بكى على يعقوب حتى تأذى منه أهل السجن فقالوا له: إما أن تبكى الليل و تسكن بالنهار و إما أن تبكى بالنهار و تسكن بالليل على واحد منهما «۲».

وَ دَخَلَ مَعَهُ مع يوسف السِّجْنَ فَتَيانِ شابان، و كانا عبدين للملك أحدهما خبازه و الآخر صاحب شرابه. و فى ذات يوم جاءا إلى يوسف يبيّنان له رؤيا رأياها- بزعمهما- ف قالَ أَحَدُهُما و هو صاحب الشراب: إِنِّى أَرانِى أرى نفسى فى المنام أَعْصِرُ خَمْراً أى أعصر العنب لصنعه خمرا، فقد سمى العنب بذلك بعلاقة الأول، كما يقال: «فلان يطبخ الدبس» و إنما يطبخ التمر ليكون دبسا وَ قالَ الْآخَرُ و هو خباز الملك: إِنِّى أَرانِى أرى نفسى فى المنام أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ من ذلك الخبز.

ثم قال الفتيان ليوسف: نَبِّئْنا أخبرنا بِتَأْوِيلِهِ ما يؤول إليه منامنا إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الذى يحسن إلى الناس. و من المعلوم إن الإنسان المحسن يتوسّم فيه الخير فى كل شىء حتى فى تأويل الرؤيا و تعبير المنام، أو المراد تحسن تعبير الرؤيا.

قال الصادق علیه السّلام: لما أمر الملک بحبس یوسف فی السجن

---

(۱) بحار الأنوار: ج ۱۲ ص ۲۴۷.

(۲) إرشاد القلوب: ج ۱ ص ۹۵. تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۸۵

[سورة یوسف (۱۲): آیة ۳۷]

قالَ لا یَأْتِیکُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُکُما بِتَأْوِیلِهِ قَبْلَ أَنْ یَأْتِیَکُما ذلِکُما مِمَّا عَلَّمَنِی رَبِّی إِنِّی تَرَکْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ کافِرُونَ (۳۷)

ألهمه الله تعالی علم تعبیر الرؤیا فکان یعبر لأهل السجن رؤیاهم «۱».

أقول: و کأن ذلک العلم صار شعارا لمن منع نفسه عن الشهوة الجنسیة، فقد قالوا: أن ابن سیرین کان تلمیذا عند بزاز و کان جمیلا جدا و فی ذات یوم جاءت امرأة و اشترت من البزاز أجناسا ثم حمّلتها الفتی لیأتی بها إلی بیتها، و لما أن دخلا الدار أغلقت الباب و قالت:

هیت لک. قال ابن سیرین- لما لم یجد حیلة للفرار منها-: ائذنی لی بالبراز لأقضی حاجتی ثم بعد ذلک أنت و شأنک. و لما أن دخل المرحاض لوث نفسه بالنجاسة، فلما خرج و رأته المرأة بتلک الحالة عافته استقذار له، و من ذلک الحین و هب الله له علم الرؤیا.

[۳۸] و هنا أراد یوسف علیه السّلام أن یرشد الفتیین إلی الطریقة الصحیحة کما هو عادة الأنبیاء و المرشدین حتی ینتهزوا کل فرصة لنشر الدین و تبلیغ رسالة الله سبحانه، و قد أراد أن یقدم لذلک مقدمة مطمئنا بصحة ما یدعو إلیه، فإن غالب الناس إذا رأوا من أحد خارقة أو ما أشبهها اطمأنوا إلیه و صدقوا کلامه، بخلاف ما لو کان الکلام مجرد منطق و دلیل، فإن الناس ینظرون إلی القائل لا إلی القول.

و لذا بدأ یوسف یبین لهم أنه یعرف بعض أمور الغیب بتعلیم الله له، فبإمکانه أن یخبر عن الطعام الذی یؤتی به لهما قبل أن یؤتی به ف قالَ لا یَأْتِیکُما أیها الفتیان طَعامٌ تُرْزَقانِهِ لأجل أکلکما و رزقکما إِلَّا نَبَّأْتُکُما بِتَأْوِیلِهِ آتی بصفة ذلک الطعام و سائر خصوصیاته، و إنما قال «بتأویله» لأن الطعام یؤول إلی تلک الصفة، فمثلا اللحم المعد للطعام یؤول إلی «الکباب» أو «المرق» أو ما أشبههما، و قد لوحظ فی

---

(۱) تفسیر العیاشی: ج ۲ ص ۱۷۶.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۸۶

[سورة یوسف (۱۲): آیة ۳۸]

وَ اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِی إِبْراهِیمَ وَ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ ما کانَ لَنا أَنْ نُشْرِکَ بِاللَّهِ مِنْ شَیْءٍ ذلِکَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَیْنا وَ عَلَی النَّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَشْکُرُونَ (۳۸)

اللفظ- الجناس- حیث تقدم لفظ «التأویل» بالنسبة إلی الرؤیا، و قد کان عیسی علیه السّلام کذلک کما قال: (وَ أُنَبِّئُکُمْ بِما تَأْکُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِی بُیُوتِکُمْ) «۱».

قَبْلَ أَنْ یَأْتِیَکُما التأویل ذلِکُما أی ذلک التأویل للأشیاء الغائبة عن الحواس، و «کما» خطاب، أی أن التأویل أیها الفتیان مِمَّا عَلَّمَنِی رَبِّی و من هذا الباب تطرق إلی ذکر الرب، لیتسنی له الشرح حوله إِنِّی تَرَکْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ أی رفضت فراعنة مصر الذین یتخذون الأصنام آلهة، أی أنی ترکت هذه الملة. و لیس معنی «ترکت» کونه علیه السّلام فیها، ثم ترکها، بل معناه: عدم قبولها و رفضها من الابتداء، فإن الفعل یستعمل فی المعنیین وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ کافِرُونَ فلا یؤمنون بمبدإ و لا معاد، و حیث ترکت تلک الملة

ألهمنى الله الغيب و تأويل الرؤيا.

[۳۹] وَ اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي و «الملة» هى الطريقة الدينية، يقال: «ملة اليهود» و «ملة النصارى» و لا يقال: ملة العطارين إِبْراهِيمَ جد أبيه وَ إِسْحاقَ جده وَ يَعْقُوبَ أبيه، و بذلك بيّن عليه السّلام أنه من بيت النبوة و الطهارة حتى يكون كلامه مسموعا لديهم. فقد جرت عادة الناس أن يسمعوا من ذوى البيوتات و الشرف أصحاب الحسب

---

(۱) آل عمران: ۵۰.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۸۷

[سورة يوسف (۱۲): آية ۳۹]

يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ (۳۹)

و النسب، و كان إبراهيم عليه السّلام مشهود لدى الجميع، و لعل إسحاق و يعقوب كان كذلك ما كانَ لَنا أى لا يجوز لنا معاشر الأنبياء، أو المراد عموم البشر، أى لا يحق للبشر أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ غيره باتخاذ الأصنام آلهة، و كيف يجوز للبشر أن يكفر بخالقه و يجعل له أندادا؟ ذلِكَ التمسك بالتوحيد و البراءة من الشرك مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنا حيث هدانا إلى ذلك و أوحى إلينا به وَ عَلَى النَّاسِ حيث هداهم بسبب الفطرة و الأنبياء. و لعل سبب ذكر «علينا» مستقلا، لاختصاصهم بالنبوة و الوحى وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ هذه النعمة العظيمة، و هى نعمة الهداية، بل يكفرون بها باتخاذ الأصنام آلهة.

[۴۰] و بعد ما بيّن عليه السّلام طريقته و ملته، و ذكر أنه من بيت رفيع و أنه يعلم بعض أمور الغيب بتعليم الله له حتى يطمئن إليه، أخذ فى الاستدلال على التوحيد، و قد كان الموقع مناسبا جدا للتبليغ، فإن المستمع حيث ينتظر جوابه يصغى جيدا، بخلاف ما لو أجابهم عن تأويل رؤياهم ثم بيّن التوحيد، و حيث قدم له مقدمة صار الموقع أنسب، لأنه بين ماض مشوّق و مستقبل متقرب، فالنفس متفتحة للاستماع و القبول يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أى يا صاحبى فيه، فإن الشيء قد يضاف إلى الزمان و المكان مجازا، كما قال الشاعر:

يا سارق الليلة أهل الداريا سارقا مالى و مال جارى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۸۸

[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۰]

ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۴۰)

أو المراد «ملازمى السجن» فإن «صاحب» يقال للملازم للشيء، يقال: «صاحب الدكان» لمن لازمه بالبيع و الشراء فيه .. و هكذا.

أَ أَرْبابٌ أى هل آلهة مُتَفَرِّقُونَ شتى متعدّدون خَيْرٌ فى اتخاذها آلهة و عبادتها، بأن يعبد الإنسان آلهة من حجر و خشب أَمِ اللَّهُ الْواحِدُ المتفرد الذى خلق كل شيء، و بيده كل شيء الْقَهَّارُ الغالب الذى لا يعادله شيء و لا يتمكن شيء أن يقاومه؟ و من الطبيعى أن يكون الجواب: بل الله الواحد القهار.

[۴۱] ما تَعْبُدُونَ أنتم أيها المشركون مِنْ دُونِهِ من دون الله إِلَّا أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أى أسماء الآلهة لا حقيقة الإله، فإن ما تعبدون إنما هى أسماء فارغة لا حقيقة لها فى منصب الألوهية، كما يقال: «الحاكم الفلانى اسم مجرد» يراد أنه ليس بحقيقة حاكم، و ليس لديه علم الحاكم و إرادته أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ بدل من ضمير الجمع، فأنتم و آباؤكم إنما تعبدونها باعتبار أسماء تطلقون عليها، فكأنكم لا تعبدون إلا الأسماء المجردة ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها بتلك الآلهة، أو بأسمائها مِنْ سُلْطانٍ من حجة، أى لا حجة لكم فى كونها آلهة، إذ الحجة لا بد أن تكون معقولة، و العقل يأبى أن ينحت الإنسان حجرا أو ينجر صنما ثم يقول إنه إله الكون، و الله سبحانه لم يقل ذلك و لم ينزل بذلك دليلا.

و لعل ترك الدليل العقلى إنما هو لوضوحه، و لأنهم كانوا ينسبون ذلك إليه سبحانه.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٦٨٩

[سورة يوسف (١٢): آية ٤١]

يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَ أَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ (٤١)

إِنِ الْحُكْمُ ليس الحكم و الأمر و النهى إِلَّا لِلَّهِ فكيف يعبد سواه؟ إذ العبادة خاصة بمن له الحكم و الأمر و النهى، لأن العبادة خضوع، و الخضوع لا يليق إلا أمام الحاكم الآمر و الناهى، و قد أَمَرَ سبحانه أَلَّا تَعْبُدُوا أحدا إِلَّا إِيَّاهُ وحده لا شريك له.

و لعل «إن الحكم» و «أمر» إشارة إلى مرتبتين من التوحيد. فقد قالوا إن التوحيد على أربعة أقسام: توحيد الذات، بأن يعتقد الإنسان أن الإله واحد لا شريك له، و توحيد الصفات، بأن يعتقد الإنسان أن صفات الله عين ذاته لا تعدّد فيها و لا مغايرة، و توحيد الخلق، بأن يعتقد الإنسان أن جميع الخلق إنما هو منه وحده لا يشاركه فيه أحد، و توحيد العبادة، بأن لا يعبد الإنسان أحدا إلا إياه.

ذلِكَ التوحيد الدِّينُ الْقَيِّمُ أى الطريقة المستقيمة، فإن «الدين» بمعنى الطريقة، و «القيم» بمعنى المستقيم، مشتق من «قام»، لا اعوجاج فيه و لا انحراف وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ إن هذا هو الدين القيم، و إن سواه معوج منحرف.

[٤٢] و إذ أتم يوسف عليه السّلام الإرشاد و التبليغ، شرع فى جواب سؤال صاحبيه من الرؤيا، فقال: يا صاحِبَيِ السِّجْنِ أصله «صاحبين» حذفت النون لإضافته إلى السجن، كما هو القاعدة، قال ابن مالك:

نونا تلى الإعراب أو تنوينا مما تضف أحذف كطور سينا

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٦٩٠

أَمَّا أَحَدُكُما و هو ساقى الملك الذى رأى أنه كان يعصر خمرا، فيخرج من السجن و يصير حاله كحاله السابق فَيَسْقِي رَبَّهُ أى سيده الملك خَمْراً كما كان يسقى من ذى قبل. و فى بعض التفاسير: أنه أخبر بأن بقاءه فى السجن ثلاثة أيام و يخرج اليوم الرابع.

و إنما قال «ربه» لأن الرب يطلق على الصاحب، يقال: «رب الدار» و «رب الدابة».

وَ أَمَّا الْآخَرُ و هو الخباز الذى زعم أنه رأى خبزا على رأسه تأكل الطير منه فَيُصْلَبُ أى يشنق فيموت فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ تأنيث الفعل، باعتبار كون الطير اسم جنس يطلق على الجماعة من الطائر مِنْ رَأْسِهِ أى من دماغه. فى الحديث: إن الخباز كان كاذبا فى ما ادعى من الرؤيا و لم يكن رأى شيئا فى منامه و إنما اختلق ذلك. و فى بعض التفاسير: لما قال يوسف ذلك، قال الرجل: كذبت و ما رأيت شيئا، و إنما كنت ألعب «١».

فقال يوسف عليه السّلام: قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيانِ أى فرغ من الأمر الذى تسألان و تطلبان معرفته، و ما قلته لكما فإنه نازل بكما و كائن لا محالة، و «الاستفتاء» طلب الفتيا، أى الجواب فى مسألة متعلقة بالدين أو الدنيا، و قد كان الواقع الذى سوف يجرى على الخباز

---

(١) مجمع البيان: ج ٥ ص ٤٠٤.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ٢، ص: ٦٩١

[سورة يوسف (١٢): الآيات ٤٢ الى ٤٣]

وَ قالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْساهُ الشَّيْطانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) وَ قالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يابِساتٍ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيا تَعْبُرُونَ (٤٣)

من خلال شعاعه فى دماغه، فاخترع هذه الرؤيا المكذوبة، و يوسف عليه السّلام إنما نظر إلى الواقع فأخبره به- و كان ذلك من علم الغيب لا من تفسير الرؤيا-.

[۴۳] وَ قالَ یوسف علیه السّلام: لِلَّذِی ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنْهُمَا أی للعاصی الذی ظن یوسف علیه السّلام أنه ینجو من السجن و القتل، من صاحبیه، و لعل التعبیر ب «ظن» لإمکان محو ما علم فی علمه سبحانه فإن الأمور المستقبلة- إلا بعضها- قابلة للمحو، قال سبحانه: (یَمْحُوا اللَّهُ ما یَشاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتابِ) «۱»، اذْکُرْنِی عِنْدَ رَبِّکَ أی اذکر حالی عند الملک و إنی إنما حبست ظلما، لکی یفرج عنی و یطلق سراحی فلما تحقق ما قاله یوسف و أن صاحب الشراب تخلّص من السجن، و أن الخباز صلب فَأَنْساهُ الشَّیْطانُ ذِکْرَ رَبِّهِ أی أنسی الشیطان صاحب الشراب أن یذکر یوسف لربه الملک فَلَبِثَ یوسف فِی السِّجْنِ بقی فیه بِضْعَ سِنِینَ «بضع» کلمة بمعنی «ما دون العشرة»، و أصله بمعنی «القطعة» من الدهر، أو من غیره.

و منه قول النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «فاطمة بضعة منی» «۲».

[۴۴] بقی یوسف سنوات فی السجن، و ساقی الملک ناس، مشغول

---

(۱) الرعد: ۴۰.

(۲) وسائل الشیعة: ج ۲۰ ص ۶۷.

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۹۲

بملهیات القصر- و کذلک ینسی الرخاء الإنسان زمیله الذی یکابد البلاء- حتی رأی الملک رؤیا هالته فطلب معبّرا لذلک. و هناک تذکر الساقی یوسف السجین الذی عبّر رؤیاه من ذی قبل، و شاءت إرادة الله سبحانه إنقاذ یوسف فی ذلک الحین، و قد کان السجن و الجب و کید المرأة و حسد الأخوة امتحانات له و لرفع درجته، فقد وکّل البلاء بالأنبیاء ثم الأولیاء ثم الأمثل فالأمثل وَ قالَ الْمَلِکُ إِنِّی أری فی منامی. و کأنه حکایة حال ما ماضیة، و إلا فاللازم أن یقول إنی رأیت سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ جمع «سمین» ضد هزیل یَأْکُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ أی سبع بقرات کن هزیلات، و «عجاف» جمع «أعجف» و هو الهزیل و مؤنثه «عجفاء»، فقد أکلت البقرات الهزال البقرات السمان حتی دخلن فی بطن الهزال وَ أری سَبْعَ سُنْبُلاتٍ و «السنبلة» هی العود الذی تنبت علیه حبوب الحنطة و الشعیر و ما أشبه خُضْرٍ جمع «خضراء»، أی قد انفتق حبها و کانت رطبة وَ سبع سنبلات أُخَرَ یابِساتٍ قد حصدت فالتوت تلک الیابسات علی تلک الخضر حتی غلبن علیها.

یا أَیُّهَا الْمَلَأُ أی الجماعة الأشراف، فإن الملأ هم الأشراف أَفْتُونِی فِی رُءْیایَ أی أجیبوا عن هذه الرؤیا و عبّروها لی إِنْ کُنْتُمْ لِلرُّءْیا تَعْبُرُونَ أی إذا کنتم تعرفون التعبیر. و سمی تأویل الرؤیا تعبیرا یعبر بالإنسان من هذا الجانب- و هو جانب ظاهر الرؤیا- إلی ذلک

تقریب القرآن إلی الأذهان، ج۲، ص: ۶۹۳

[سورة یوسف (۱۲): الآیات ۴۴ الی ۴۵]

قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَ ما نَحْنُ بِتَأْوِیلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِینَ (۴۴) وَ قالَ الَّذِی نَجا مِنْهُما وَ ادَّکَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُکُمْ بِتَأْوِیلِهِ فَأَرْسِلُونِ (۴۵)

الجانب- و هو جانب باطنه و أوله- مأخوذ من «العبور» من شاطئ النهر إلی الشاطئ الآخر.

[۴۵] قالُوا أی قال الملأ فی جواب الملک: إن رؤیاک أَضْغاثُ أَحْلامٍ «أضغاث» جمع «ضغث»، و هی قبضة الحشیش المختلط رطبها بیابسها، و «أحلام» جمع «حلم» و هو المنام، أی إن هذه الرؤیا إنما هی أحلام مختلطة لا یعرف تأویلها، فکأنها إن کانت علی وجه واحد عرف التأویل لها، أما إذا اختلطت، سمان و عجاف، حیوان و نبات، و تغلب الأضعف علی الأقوی- بعکس القاعدة- فلا یعرف تأویلها وَ ما نَحْنُ بِتَأْوِیلِ الْأَحْلامِ التی هی من هذا القبیل بِعالِمِینَ و قد کان قولهم: «أضغاث أحلام» کمعذرة قدّموها إلی الملک، نسبة لعدم علمهم بتأویلها.

[۴۶] وَ قالَ الساقی الَّذِی نَجا مِنْهُما من السجن- کلا الساقی و الخباز، اللذین سجنا مع یوسف- وَ ادَّکَرَ أصله «ذکر» و لما جیء إلی باب الانتقال، صار «اذتکر»، فأبدلت التاء دالا، فصار «اذدکر»، و أدغمت الذال فی الدال لقرب مخرجهما، فصار «ادّکر»، أی: و تذکّر

قصة يوسف عليه السّلام بَعْدَ أُمَّةٍ أى بعد مدة، فإن «الأمة» بمعنى الجماعة، سواء كانت من الناس أو غيرهم أو من الزمان، أو نحوه، كأنه من «أمّ» بمعنى قصد، فكأن الجماعة يدخل بعضها فى بعض و يقصد بعضها بعضا أَنَا أُنَبِّئُكُمْ أى أخبركم بِتَأْوِيلِهِ أى تأويل هذه الرؤيا فَأَرْسِلُونِ

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۹۴

[سورة يوسف (۱۲): الآيات ۴۶ الى ۴۷]

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنا فِي سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَ سَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يابِساتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (۴۶) قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ (۴۷)

أى: فأرسلونى إلى يوسف ليأتى و يخبركم هو بتأويل الرؤيا، أو:

فأرسلونى إلى يوسف لأسأله تعبيرها و أخبركم بالجواب.

فقد قال للملك: إن فى الحبس رجلا فاضلا صالحا كثير الطاعة، قد قصصت أنا و الخباز عليه منامين فذكر تأويلهما، فصدق فى الكل و لم يخطئ، فإن أذنت مضيت إليه و جئتك بالجواب منه. فأذن له الملك، و جاء إلى يوسف عليه السّلام ليخبره بتعبيرها، قائلا:

[۴۷] يا يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ الكثير الصدق فيما تخبر به، و إنما وصفه بهذا الوصف لأنه رأى صدقه فى تأويل رؤياه، و رؤيا زميله الخباز أَفْتِنا أى أعطنا الجواب فِي هذه الرؤيا سَبْعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ و كان تقديم السمان، مع أن مقتضى القاعدة أن يقول: «سبع بقرات عجاف يأكلن سبع سمان»، لأجل إفادة أنه رأى السمان قبل العجاف، كما أن التأويل أيضا كذلك، فقد تقدمت السنين الخصبة وَ سَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ تلتف عليها وَ تغلبها أُخَرَ يابِساتٍ فما تأويل هذه الرؤيا لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ الملك و حاشية لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ التفسير، أو لعلهم يعلمون فضلك فينقذوك من السجن. و إنما قال: «لعلى» لأن الإنسان يحتمل حيلولة الموت بينه و بين ما يقصده من المقاصد المستقبلة.

[۴۸] قالَ يوسف عليه السّلام فى جواب الساقى: أما البقرات السبع العجاف

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۹۵

[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۸]

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ (۴۸)

و السنابل اليابسات فهن السنون الجدبة، و أما البقرات السبع السمان و السنابل السبع الخضر فإنهن سبع سنين مخصبات ذوات نعمة.

أقول: كأن البقر و السنابل إشارتان إلى المأكل، فإن الزرع و الضرع من البقر و السنبل و جنسهما، فقد أخبر عليه السّلام بأن سبع سنين تكون مخصبة ثم تأتى سبع سنوات مجدبة يأكل الإنسان ما ادّخر فى المخصبة، و لذا التوت السنابل اليابسة على الخضر، و أكلت البقرات الهزال البقرات السمان.

ثم بيّن يوسف عليه السّلام ما ينبغى لهم أن يعملوا تجاه هذا القحط الذى سيأتيهم بعد سبع سنين من الخصب، فقال: تَزْرَعُونَ «خبر فى معنى الإنشاء»، أى ازرعوا سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً أى متوالية بجهد وجد، أو بمعنى «على دأبكم و عادتكم فى الزراعة»، فإن «دأب» يأتى بالمعنيين فَما حَصَدْتُمْ من الزرع الذى هو أكثر من كفايتكم فَذَرُوهُ أى دعوه فِي سُنْبُلِهِ لا تدوسوه، بل اتركوه ليبقى أكثر، و لئلّا يسرع إليه الفساد، فإن الحبوب فى سنبلها تبقى أكثر مدة إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ مما تحتاجون فى نفس السنة، فادخروه لأكلكم و حوائجكم.

[۴۹] ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ السبع سنين الخصبة سَبْعٌ من السنين شِدادٌ جمع «شديد»، أى سنوات قحط و جدب صعاب على الناس تشتد عليهم لعدم الأكل و الزرع و الضرع يَأْكُلْنَ أى تلك السنوات الشدائد ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَ ما أبقيتم من الحبوب، لأجل تلك السنوات.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۹۶

[سورة يوسف (۱۲): آية ۴۹]

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ وَ فِيهِ يَعْصِرُونَ (۴۹)

و إنما قال: «يأكلن» ليطابق رؤيا الملك «يأكلهن سبع عجاف» و مثل هذا التعبير شائع فى المجاز، قال: «أكل الدهر ما جمعت و مالى».

حكى فى المجمع: عن زيد بن أسلم أن يوسف عليه السّلام كان يصنع طعام اثنين فيقربه إلى رجل فيأكل نصفه، حتى كان ذات يوم قربه إليه فأكله كله، فقال: هذا أول يوم من السبع الشداد.

أقول: و لا بعد فى ذلك، فإن الهواء من القحط- غير المصطنع- يتغير و يتطلب الجفاف و الفناء، فما يصيب الأرض، يصيب الحيوان و الإنسان.

إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ استثناء من «يأكلن» أى أن السبع الشداد تنفق فيها جميع السنابل المحرزة إلا مقدار قليل مما أحصنتم و حفظتم فانه يبقى ليكون بذرا للرخاء الذى يأتى بعد سنىّ القحط السبع.

[۵۰] ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ الذى ذكرنا من الأعوام الشداد عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ يمطرون، فإن الغيث بمعنى المطر وَ فِيهِ أى فى ذلك العام يَعْصِرُونَ ما اعتادوا عصره من أنواع الفواكه فى أوقات الخصب و الرخاء كالعنب و غيره. و هذا يدل على شدة الخصب حتى أن الناس يتأنقون فى المأكل و المشرب. و لعل الإتيان بهذه اللفظة بمناسبة كون الرجل السائل كان الساقى العاصر للملك، و قد كان هذا إخبارا من يوسف عليه السّلام بعلم الغيب خارجا عن المنام، لأن رؤيا الملك اشتملت على السبع الشداد، أما ماذا يكون بعدها، فلم يكن فى الرؤيا.

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۶۹۷

[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۰]

وَ قالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جاءَهُ الرَّسُولُ قالَ ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (۵۰)

[۵۱] ثم أن الساقى بعد ما علم التعبير من يوسف جاء الملك و أخبره أن الرجل السجين يقول هكذا فى تعبير رؤياك وَ حينئذ قالَ الْمَلِكُ لمن حواليه ائْتُونِي بِهِ جيئوا إلىّ بالسجين الذى عبّر الرؤيا فَلَمَّا جاءَهُ جاء يوسف الرَّسُولُ من قبل الملك ليخرجه من السجن، أبى يوسف عليه السّلام الخروج حتى تتبيّن براءته من التهمة التى قذفته بها زليخا و أنه أراد بها سوءا، ف قالَ يوسف للرسول: ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ سيدك الملك فَسْئَلْهُ أى اسأل منه ما بالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ أى يتعرف الملك على حال تلك النسوة اللاتى قطّعن أيديهن بالسكاكين لمّا رأيننى. و إنما خصهن بالذكر لأنهن كن شاهدات على زليخا أنها دعت يوسف إلى الفاحشة، فقد سبق أنها قالت لهن: «وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ». و معنى «ما بال» أى ما شأنهن من تلك القصة.

فى بعض الأحاديث: إن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أظهر التعجب لأمرين من قصة يوسف،

الأول: أنه عبّر رؤيا الملك بدون أن يشترط ذلك على خروجه من السجن. الثانى: أنه لم يخرج من السجن بعد الأمر بإطلاقه حتى تظهر براءته.

أقول: لعل يوسف لم يذكر امرأة العزيز تأدبا، أو لأنه علم أنها لا تعترف بأنها صاحبة الجريمة، بخلاف سائر النساء، و كان ذكر «قطّعن أيديهن» لأنه خير مذكّر لهن بالقصة.

إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ فهو سبحانه العالم بأنهن قد كدن

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج ۲، ص: ۶۹۸

[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۱]

قالَ ما خَطْبُكُنَّ إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (۵۱)

و مكرن- و إنما سمى كيدا، لأن أمرهن كان فى خفاء- و إنى برىء من القذف و التهمة.

[۵۲] ثم إن الرسول رجع إلى الملك، و قال له ما طلبه يوسف عليه السّلام، فأرسل الملك إلى النسوة و دعاهن، و قال لهن: ما شأنكن مع يوسف؟ و ما تعلمون من قصته و قصة زليخا؟ قالَ الملك لهن:

ما خَطْبُكُنَ أى ما شأنكن إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ أى طلبتن انتزاع نفس يوسف و دعوته إلى أنفسكن، فهل كان مائلا إلى ذلك؟ قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ أى تنزيها لله، و أصله «حاشا» حذف الألف تخفيفا، و هى كلمة تقال فى موارد، منها: فى مقام تبرئة المتهم، كأنه تعجّب من قدرة الله على خلق بشر عفيف و برىء مثله ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ فإنه برىء لم يكن مائلا إلى الشهوة و إنما نحن كن مجرمات. و لفظ «عليه» كأنه بسبب أن السوء يركب على المجرم.

و كأن امرأة العزيز «زليخا» كانت من جملة النساء اللاتى استجوبهم الملك ف قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُ أى ظهر الحق، و هو براءة يوسف. قال بعضهم: «حصحص» اشتقاقه من «الحصة» أى بانت حصة الحق من حصة الباطل، فظهر جليا واضحا لا لبس فيه و لا غموض أَنَا امرأة العزيز راوَدْتُهُ أى راودت يوسف، راجعته و اختلفت إليه عَنْ نَفْسِهِ لأسلب نفسه، و أقضى

تقريب القرآن إلى الأذهان، ج۲، ص: ۶۹۹

[سورة يوسف (۱۲): آية ۵۲]

ذلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخائِنِينَ (۵۲)

معه الشهوة وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ فيما قال «هِيَ راوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي» فأنا كاذبة فى التهمة، و هو صادق فى براءته و كونى أنا المجرمة.

[۵۳] و هنا عاد الرسول إلى يوسف من السجن و أخبره باستجواب الملك للنساء، و أنهن اعترفن ببراءته عليه السّلام و أنهن المجرمات. فقال يوسف:

ذلِكَ الذى طلبت من التثبّت فى أمرى لِيَعْلَمَ الملك- أو العزيز، على تقدير كونه الوزير- أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ أى أنى لم أخن الملك فى غيابه بقصد السوء إلى زوجته، و ذكر «بالغيب» لبيان شدة وقع الخيانة إذا وقعت كذلك، إذ خيانة المؤتمن أسوء من خيانة غيره وَ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخائِنِينَ أى لا ينفذه و لا يوصله إلى مقصده. و هذا تنبيه على أن الخائن إن ستر أمره مدّة، و هبّت الرياح نحوه أياما، فإنه سيفضح و إن كيده سيفشل. و هناك احتمال أن يكون هذا من كلام زليخا، تريد: إنما اعترفت ليظهر أنى لا أخون يوسف و هو غائب فى السجن بأن أنسب إليه الجريمة، و كذلك (وَ ما أُبَرِّئُ نَفْسِي) «۱»، من تتمة كلامها.

---

(۱) يوسف: ۵۴.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَبَّع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة)

تحتَ عنایـة سـماحة آیـة الله الحـاجّ السـیّد حسن الإمـامیّ – دامَ عِزّه – و مع مساعَـدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحـوزات العلمیّـة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثقافة الثّقلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهـمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشـّباب و عموم النـاس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطـالب النّـافعة – مکـانَ البَلاتیثِ المبتذلـة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفید مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفتَرَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فَرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹